

거기, 내가 가면 안 돼요?

الآن ممكن؟

رواية

لي جيووم لي



ترجمها عن الكورية: محمد نجيب

ألا يمكنني الرحيل؟

"تتمتع لي جيوم لي بموهبة التقاط صفحات متناثرة مجهولة من التاريخ وتحويلها إلى قصص مؤثرة ومدكمة وملهمة."

- New York Times

"شخصيات (ألا يمكنني الرحيل؟) المعقدة والإنسانية بعمق والمكتوبة ببراعة سوف تأسرك وتدمرك وتحركك في الوقت نفسه."

- جيوهي كيم، مؤلفة كتاب "وحوش أرض صغيرة" وحائزة جائزة دايون للسلام الأدبية

"وليمة حقيقية لقراء الخيال التاريخي الذين يحبون القصص غير المتوقعة والشخصيات المعقدة!"
- لورينا هيوز، مؤلفة رواية "الابنة الإسبانية"

"هذه القصة مقنعة وملهمة، وتتحدث عن المرونة والتصميم الذي يمكن أن يظهره الإنسان من أجل تحقيق أقصى استفادة من الموقف الذي يواجهه ومن أجل البقاء."

- Booklist

ألا يمكنني الرحيل؟



LITERATURE TRANSLATION
INSTITUTE OF KOREA

تُرجمت بدعم من المعهد الكوري
للتأجمة الأدبية



للنشر والتوزيع

إدارة التوزيع

00201150636428

لمراسلة الدار:

email: P.bookjuice@yahoo.com

Web-site: www.aseeralkotb.com

- ترجمة: محمد نجيب
- تحرير: محمد المتيم
- تدقيق لغوي: محمد عبد العال
- تنسيق داخلي: معتز حسنين علي
- الطبعة الأولى: يناير / 2024م
- رقم الإيداع: 21302 / 2023م
- الترخيم الدولي: 2-319-992-977-978

- العنوان الأصلي: 거기, 내가 가면 안 돼요?
- العنوان العربي: ألا يمكنني الرحيل؟
- طبع بواسطة:
- Originally published in Korea by Sakyejul Publishing Ltd
- حقوق النشر:
- Copyright © 2016 by Lee Geum-yi
- This edition is published by arrangement with CO.MINT INC.
- حقوق الترجمة: محفوظة لدار عصير الكتب

الآراء الواردة في هذا الكتاب تُعبر عن وجهة نظر الكاتب ولا تُعبر بالضرورة عن وجهة نظر الدار

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة © لدار «عصير الكتب» للنشر والتوزيع يحظر طبع أو نشر أو تصوير أو تخزين أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة إلكترونية أو ميكانيكية أو بالتصوير أو خلاف ذلك إلا بإذن كتابي من الناشر فقط.



거기, 내가 가면 안 돼요?

ألا يمكنني الرحيل؟

رواية

لي جيووم لي

ترجمها عن الكورية: محمد نجيب



جميع الحقوق محفوظة ©



أمسح الكود وانضم لأسرة ضاد
<https://t.me/twinkling4>

إهداء

من أجل جدّتي التي ورثت عنها جين سرد القصص
이야기꾼의 유전자를 물려준 나의 할머니에게

الجزء الأول

أناسٌ يرحلون

1920-1939



الفصل الأول

قصر جايهوي-دونج

داهمت آلام المخاض الليدي جواك فجر يوم 29 أبريل 1920.

أيقظ السيد بارك، كبير الخدم في قصر جايهوي-دونج في سيول، جميع من في المنزل الرئيس، بتعليق مصابيح الزيت في الزوايا التي لا يمكن للأضواء الكهربائية الوصول إليها. بينما يزداد المنزل الرئيس سطوعًا، تنامي الظلام المحيط بجناح الرجال المنفصل والمبنى الملحوق خلف السياج.

قبل بضعة أيام، قدّمت زوجة السيد بارك، المسؤولة عن التدبير المنزلي -مياه بئر مستخرجة حديثًا ليس فقط قريبًا من أجل الجدّة سامشين التي تمثل روح الولادة، لكن أيضًا من أجل روح سيونج-چو الخاصة بالمنزل الرئيس، وروح المطبخ، وروح المبنى الخارجي. ثمّ نعتت الأعشاب البحرية الجافة في الماء، ووضعتها بحذر على رفّ في حجرة المخزن لمنعها من الانكسار.

كان الخدم في المنزل الرئيس يتنقلون في توافق مدربين عليه. فقط الطاهية من كانت مستثناة من المهام، إذ كانت منشغلة بإعداد الفطور لأفراد عائلة قصر جايهوي-دونج. انتشر الدخان من المدخنة عبر ضباب الصباح، ورائحة حرق الحطب تتغلغل في الهواء الرطب.

كان الفيكونت يون هيونجمان نائمًا في جناح الرجال، غير مدرك تمامًا أن آلام مخاض زوجته قد بدأت. كان عدم إيقاظ السيد من نومه في الصباح الباكر إحدى قواعد الأدب التي عرفها جيدًا خدَم المنزل الذين يربو عددهم على الثلاثين. وإن كان ثمة وافدون جدد، فعادةً ما يتعلمون ذلك الدرس قبل انقضاء يومهم الأول في القصر.

- كل ليلة، يعذبُ شبحُ الفيكونت الجديد، حتَّى لا ينام إلا بعد أن يصيح الديك الأول. إن أزعجتَ نومه في الصباح الباكر، فستقع في مشكلة.

- شبح؟ أي نوع من الأشباح هذا؟

- إنه شبح الفيكونت السابق، الذي توفي العام الماضي.

- لماذا يزعج الأب ابنه؟

- لماذا؟! لا بدُّ أنه يشعر بالاستياء لأنه مات في مثل هذه السنِّ المبكرة، تاركًا وراءه كل ثروته، والمناصب الرسمية، والمحظيَّات الجميلات.

- ليس كذلك بل لأنه مستاء من ابنه. بعد أن ورث ثروة الأسرة، كيف يمكنه نقض التزامه بمراسم الحداد الرسمي بعد مئة يوم فقط؟

- اليابانيون هم من لم يسمحوا له بالاستمرار أكثر من ذلك. حتَّى ملك كوريا لم يُسمح له بمدة الثلاث سنوات التقليدية.

- هذا مجرد عذر، لكن ليس ذلك السبب الحقيقي، بل حقيقة أن الطريقة التي مات بها الرجل المُسنُّ كانت محرّجة. انحطَّ لقب الفيكونت المبجل المتوفَّى إلى مجرد «رجل مُسن»!

- كيف مات؟

- الشائعة تقول إنه مات في الفراش مع إحدى نسائه، فيما كانا... حسنًا، أنت تفهم.

في هذه المرحلة، يتقدّم أكبر أفراد المجموعة سنًا، ويضع حدًا للنقاش.

- كيف تواصلون ثرثرتكم التافهة؟! أليس أفضل السادة أولئك الذين يقوننا من الموت جوعًا؟ وبصرف النظر عمَّا يقوله أي شخص، فإن هذا المكان أكثر راحة من أي مكان آخر قد تعيشون فيه، لذلك يجب أن نتمنّى لهذه العائلة التوفيق. على أي حال، تذكروا أنه لا يجوز لأحد

أن يُصدر صوتًا ولو ضراطًا إلى أن تسمعوا صوت السيد يسعل. طُرد الكثير من الأشخاص لأسباب أهون.

لكن كان هذا ظرفًا استثنائيًا، ومع بزوغ فجر اليوم، وبدء آلام زوجة السيد، فتح الخدم في المنزل الرئيس -بهمّة- أغطية الأواني الحديدية وألقوا الدلاء في البئر. على النقيض، إن تصرف أحدهم ببطء حتى لا يُصدر صوتًا، فقد كان يتعرّض للتوبيخ. أقارب ليدي جواك المقربون، الذين كانوا يأتون عادةً ويذهبون مثل الظل حتى يفتح الفيكونت هيونجمان عينيه، أمروا الخدم في الأرجاء بأصوات عالية، معتبرين أن ولادة الليدي جواك الأولى منذ عشر سنوات أهمُّ من نوم الفيكونت الصباحي. واليوم من بين كل الأيام، ستغمر السعادة الفيكونت عندما يستيقظ ويسمع الأخبار.

كانت حقيقة الشائعات وكذبها مثل العظم واللحم -من الصعب الفصل بينهما تمامًا. عانى الفيكونت هيونجمان الأرق، ليس بسبب شبح والده، لكن بسبب خوفه من لصوص وقتلة الليل. ولم ير الكثير من الفروق بين أعضاء جيش المتطوعين الأشراف المناهض لليابان، واللصوص العاديين، أو اللصوص العاديين المتنكرين في زيِّ أفراد جيش الاستقلال. بالنسبة إليه، كانوا جميعًا أشخاصًا يحاولون سلبه من ثروته.

في ذلك الصباح، استيقظ أخيرًا على ضوء الشمس الساطع المتدفق عبر النافذة. بعد مدة وجيزة، جاء صوت جابسو، الخادم المسؤول عن جناح الرجال، من خارج الباب.

- سيدي، بدأت آلام مخاض السيدة.

فزَّ الفيكونت هيونجمان، وفتح الباب. وأظهرت النظرة على وجه جابسو أنه كان يترقب بتوتر أن يسعل الرجل.

سأل الفيكونت: «منذ متى؟».

- انقضت نصف الليلة بالفعل وهي على هذه الحال.

- ماذا؟ ولم توقظني؟ اذهب إلى المنزل الرئيس على الفور، وعد إليّ بآخر التطورات.

خرج الفيكونت في رداء اليوكاتا⁽¹⁾ إلى الشرفة ذات الأرضية الخشبية وجلس على مقعد.

أعطى الناس تأويلات مختلفة لحقيقة أن الفيكونت يون يرتدي اليوكاتا ياباني الطراز بدلاً من البيجاما من أجل النوم، لكن السبب الحقيقي كان ببساطة أنه وجدته مريحاً. تحت ظل والده، الذي كان سيفعل أي شيء لتنشئة أسرته، عاش حتى سن السادسة والثلاثين وهو يشتهي فقط ما بدا جيداً، وطعمه حلواً، ويمنحه شعوراً بالارتياح. الآن، كان هدفه إبقاء الأمور على هذا النحو لبقية حياته.

كان عقرب الساعات على ساعة الحائط يقترب ببطء من الساعة التاسعة صباحاً. تغلغل ضوء الشمس الناعم في ذلك اليوم الربيعي عميقاً داخل الشرفة. وقد نسي تغيير ملابسه، تجول الفيكونت هيونجمان في أنحاء المكان. بعد وفاة والده، كانت التعازي التي وصلت إلى قصر جايهوي-دونج تافهة. في خضم ارتباك اللحظة، لم يكن قادراً على الافتخار بالأشياء العديدة التي ورثها. أما الآن، فقد كانت العاصمة بأكملها تراقبه وتتحدث عنه، وكان مسروراً لأن ولادة الطفل ستكون بمنزلة تذكير بأنه السيد الجديد لقصر جايهوي-دونج، دون الحاجة إلى ذكر والده أو نهايته المشينة.

الشخص الذي أرسلوه من المنزل الرئيس كانت الطاهية سورين. أشار الفيكونت إلى المرأة حتى تتقدم إليه. في العادة، لم يكن حتى ينظر إلى الطاهية -وجهاً مغطى بندوب الجدي- ناهيك بالتحدث معها. صعدت المرأة على عجل إلى الشرفة، وفردت كُميها المشمرين، وجثت على ركبتها. كتفاها ترتعشان، ويدها المطبقتان تستريحان بحزم فوق فخذيها.

طرح الفيكونت هيونجمان بسرعة سئتي الأسئلة التي يمكن أن يفكر فيها. تعرقت الطاهية بشدة عندما أوضحت أن ما تمرُّ به زوجته كان ببساطة

(1) اليوكاتا: اللباس غير الرسمي في اليابان، والذي يرتدى في اللقاءات العادية أو بعد الخروج من الحمام على عكس الكيمونو الذي غالباً ما يلبس في المناسبات الرسمية مثل حفلات الزواج. كلمة يوكاتا تعني «لباس الحمام» إلا أن استعماله لا يقتصر فقط على الحمامات بل يتعدى ذلك إلى طيف واسع من الاستخدامات داخل وخارج المنزل (المترجم).

طبيعياً وهو ما تمرُّ به جميع نساء العالم في أثناء الولادة. في النهاية، أصدر أمراً أخيراً، بعد أن أدرك أنه لا يوجد شيء آخر يمكنه القيام به: «من باب الاحتياط فقط، استدعي الطبيب. وأخبري سيادتها أنني لن أذهب إلى أي مكان في أثناء المخاض. انطلقني، الآن».

وقفت المرأة وقد لاح الارتياح على محياها، وتراجعت واستعدت للانسحاب. فقط عندما وصلت الطاهية إلى حافة الشرفة، سألتها الفيكونت بلطف، بعد أن تملكه شعور بالكرم مع توقُّع ولادة طفله: «ألم تنجبي ابناً منذ وقت ليس ببعيد؟ هل يكبر جيداً؟».

كان قد لاحظ طفلاً معلقاً على ظهرها في أثناء زهابها ومجيئها خلال العام الماضي.

جفلت الطبّاخة من السؤال المفاجئ، وقالت: «نعم يا سيدي. أعدت الطفل إلى قريتي مؤخراً».

- بالفعل؟ على أي حال، سأرسل جابسو من وقت لآخر، لذا رجاءً أبلغيه عن تطورات حالة سيادتها.



خرجت سورين على عجل من جناح الرجال، وخطت إلى الفناء الخارجي، وضربت صدرها بقبضتها لمساعدتها على التقاط أنفاسها. ملأت دموع الألم عينيها.

كان شرط وظيفتها في قصر جايهوي-دونج ألا يشتتها طفلها عن العمل، وأن تعيده إلى مسقط رأسها بمجرد بلوغه عامه الثاني. أطلقت الشرطة اليابانية النار على زوجها، الذي كان سائق عربة ريكشة، خلال انتفاضة الأول من مارس⁽¹⁾ في العام الفائت. ومع ذلك، خوفاً من الانتقام، أخبرت الناس أنه مات في حادثة.

(1) انتفاضة الأول من مارس أو حركة سام-إل: حركة احتجاجية نفذها للشعب الكوري لا سيما الطلاب للمطالبة بالاستقلال عن اليابان، واحتجاجاً على الفرض القسري لطريقة الحياة اليابانية في كوريا (المترجم).

أصبحت أرملة فجأة، وأعدت أطفالها الآخرين إلى حمايتها في سيونجهوان، ثم انتقلت إلى القصر في جاهو-دونج مع طفلها الأصغر فقط. كما اتضح، كان الطعام الذي أعدته يناسب ذائقة الكونت يون بيونج-جيون المتوفى مؤخرًا. وأصبح دورها أهم بعد أن أصبحت الليدي جواك حاملًا.

ذات صباح، قبل أسبوعين، أصيب ابن سورين بحُمى شديدة. في ذلك اليوم، الذي بدأ باكراً في الصباح، أمرتها الليدي جواك بإعداد كعك الأرز البخاري، ثم طهي الزلابية، ثم أرادت تناول الطعام الصيني وطلبت منها إعداد التوفو. تملكتها نزوة مختلفة في كل لحظة، وبالكاد استطاعت سورين مجاراتها. توسلت سورين إلى سيدتها للسماح لها بأخذ ابنها إلى الطبيب، لكن لم تحصل سوى على ردٍّ باردٍ مفاده أنه إذا كانت ستثير مشكلة بسبب الطفل، فعليها المغادرة على الفور.

لم تحظ سورين حتى بلحظة للاطمئنان على ابنها، وبينما كانت ترسل خادمت المطبخ لأداء المهمات وتتعرق بغزارة في حين تصنع التوفو، كان الطفل الذي لم يكن قد بلغ من العمر عامين يفقد وعيه ويستعيده، قبل أن يصل أخيراً إلى نهاية حياته القصيرة. لم تستطع سورين إلا أن تعض لسانها وتبتلع دموعها، ممسكةً طفلها الأصغر بين ذراعيها، فيما أخذ جسمه الهامد يتخشب تدريجياً.

قالت السيدة بارك: «الموت يحدث. من الأفضل لك تمالك نفسك فوراً إن كنت لا تريد أن تُطردى».

حتى من دون تحذير المرأة، لم تجرؤ سورين على تخيل ما سيحدث لها لو عُرف أن طفلها مات في المنزل الرئيس قبل ولادة سيدتها، فلا يزال لدى سورين أطفالها الآخرون لتفكر فيهم.

تعامل السيد بارك بهدوء مع جثة الطفل الصغير، فيما نشرت السيدة بارك شائعة عن أن الطفل قد أُرسِل إلى منزلها في الريف. كانت السيدة بارك من منطقة تشونان، واعتبرت سورين، التي كانت من المنطقة ذاتها، أختها. في مواجهة حزن أمٍّ فقدت طفلها، وافقت الخادمت في المنزل الرئيس على عدم قول أي شيء.

غسل الفيكونت وجهه في الطست الذي أعدّه جابسو. كان فطوره المتأخر بسيطاً؛ بضع شرائح من كعكة الأرز المدهونة بمعجون فول الصويا وفنجان من القهوة. امتلك الفيكونت هيونجمان، الذي نما بداخله حبٌّ للمشروب المرّ في أثناء دراسته في طوكيو، معدّات صنع القهوة في غرفته، وطلب البنّ خصيصاً من متجر ياباني عام في جينجوجاي بميونجدونج، وأعدّها بنفسه. ساعده فنجان القهوة المغلية على تهدئة نفاذ صبره على ولادة طفله. وبما أن عشاء زفاف الليلة الماضية الذي أقامه الحاكم العام قد انتهى في ساعة متأخرة، فقد فتح الصحيفة التي لم يسنح له وقت لقراءتها بعد.

قال لنفسه: «إنه يوم جيد». كان الطقس الصحو، مع ضوء الشمس الساطع والهواء الدافئ، يعني أنه لا يوجد شيء ينقص من أجل حفل زفاف أو ميلاد حياة. حامت عيناه فوق الإعلانات في أسفل الصفحة. بعد أن تجاوزت إعلانات حبوب الفيتامينات التي تبيعها شركة أدوية «أوندان»، والأحذية، والمكملات الغذائية، وصل إلى إعلان مسحوق الحليب، وعادت أفكاره إلى الطفل الذي سيولد قريباً؛ هل سيكون ولدًا أم بنتاً؟ ومنذ البداية جهّز اسمين.

سيكون من الأفضل أن يكون ابناً. سيصبح أخاً لجانجهوي، لكن في كلتا الحالتين، كانت الولادة اليسيرة الأولوية الأكثر إلحاحاً.

حتى ذلك الحين، كان الفيكونت هيونجمان غير مبالي بميلاد طفله، معتبراً إيّاه مسألة عائلية لها علاقة بوالده أكثر منه. هل لأنه ورث مكان والده جلبت ولادة الطفل فجأةً إليه مثل هذا الفرح والإثارة؟ كم كان والده ليصبح سعيداً لو عاش! انتشرت ابتسامة مريرة على وجهه.

في الصيف الماضي، أقيم الاحتفال بعيد ميلاد الفيكونت يون بيونج-جيون الستين في قصر جايهوي-دونج الضخم. كان العالم وراء الجدار في حالة اضطراب في أعقاب انتفاضة الأول من مارس، لكن في الداخل أقيمت مأدبة للاحتفال بطول عمر الفيكونت والصلاة من أجل استمرارها. كان والده منتشياً بكل ما أنجزه.

كان يون بيونج-جيون قد هجر الأسرة التي تبنته بعد وفاة والديه، وارتحل هنا وهناك قبل أن ينتهي به المطاف في تشوريانج، وهي مستوطنة يابانية في بوسان، في سنّ الثامنة عشرة تقريباً حيث حصل على وظيفة منخفضة

الأجر في متجر شركة تجارية في كوباياشي. مدرِّكًا أن اللغة قوة، كرَّس نفسه لدراسة اللغة اليابانية، ومع ازدياد مهاراته، عهد إليه مالك المتجر بواجبات عظيمة الأهمية.

كان من بين وظائفه الترجمة بين السيد كوباياشي، الذي كان يحاول توسيع أعماله، والمديرين الكوريين المسؤولين عن الأمور ذات الصلة. عندما أصبح أكثر طلاقة في اللغة اليابانية، ارتفعت أيضًا مكانة أولئك الذين تعامل معهم. بعد أن عرف سمات القوة، ترك بيونج-جيون الشركة التجارية في النهاية ليصبح مترجمًا حرًا، وشكّل شبكة تواصل رفيعة المستوى. منذ ذلك الحين، تنامت ثروته مثل لهب في مهبّ الريح.

تقديرًا لإسهامه في ضمّ كوريا إلى اليابان، حصل على لقب فيكونت من الحكومة العامّة لكوريا. مع نموّ ثروته، تعلّم الاستخفاف بالأخطار والأزمات، لكنّ إذا كان هناك شيء واحد جعله يشعر بالدونية، فهو أصول عائلته المتواضعة. عوّض الفيكونت في سنواته الأخيرة هذا النقص بلقبه ومنصبه بصفته عضوًا في المجلس الاستشاري المركزي في الحكومة، إلى جانب الأرض عالية الإنتاجية التي حازها، وقصره الضخم، وامتلاك العديد من النساء. وبحلول عيد ميلاده الستين، كان قد تمتّع بشتّى أنواع الثروات والتكريمات، واحتقر أولئك الذين أشاروا بإصبع الاتهام إلى طريقه غير الوطنية وأصوله الوضيعة. ومثلما كان يفخر بأنه وصل إلى عيد ميلاد فارقٍ في حياته، انتهت حياته بأكثر الوفيات إحراجًا.

في رأي الفيكونت هيونجمان، تكتمل حياة الشخص وتتحدّد بوفاته. كان والده قد تخلّى عن الألقاب السياسية والاجتماعية مثل الفيكونت، ومستشار الدولة، ورئيس لجان مختلفة، والمالك الثري، وخائن الأمة، وشرير أولسا⁽¹⁾، والعميل، ليبقى في ذاكرة الناس باسم يون بوكسانج، أي «من مات في أثناء المضاجعة».

(1) عام أولسا 1905: العام الذي وُقعت فيه معاهدة أولسا أو معاهدة ضم اليابان لكوريا (을사조약)، وهي اتفاقية ثنائية بين اليابان وشبه الجزيرة الكورية، نصّت على ضمّ شبه الجزيرة الكورية إلى اليابان بغرض الحماية، ووقعت بتاريخ 17 نوفمبر 1905م، وذلك بعد انتصار اليابان على الإمبراطورية الروسية في الحرب اليابانية الروسية الأولى (المترجم).

مثل والده، كان الفيكونت يون هيونجمان أيضًا مخلصًا للحكومة العامّة، لكنه رعى سرًّا جماعات حركة الاستقلال -مثل حكومة المنفى المؤقتة لكوريا في شنجهاي وفيلق الوطنيين الشرفاء، الذي تأسس بعد انتفاضة الأول من مارس- لحماية لقبه وممتلكاته وحياته تحسبًا لانتصارهم.

أخذت الشمس تغرب ببطء، وتزايدت آلام مخاض الليدي جواك. عندما ضغطت على أسنانها، طوت خالتها منشفة قطنية ودسّتها في فمها. عندما اشتكتُ عدم قدرتها على التنفُّس، حدّرتها خالتها قائلة: «إن لم تكوني حريصة، فسوف تتساقط كل أسنانك».

عايشت الليدي جواك بالفعل تجربة الولادة ثلاث مرّات. أنجبت ولدين وبناتًا. توفّي اثنان دون بلوغ عامهما الأول، ووُلِدَ واحد ميتًا. لم يكن زوجها في البيت عندما وُلِدَ طفلها، ومات الثالث. اهتمام الفيكونت الآن بحملها بعد عشر سنوات، تسبّب في ألم أكبر من الفرحة لليدي جواك. كان يرسل إليها الأدوية التي كان من المفترض أن تكون مفيدة للحوامل، بالإضافة إلى الأطعمة، وعندما تراكمت أغراض الطفل التي اشتراها، في المنزل الرئيس، تعذّبت الليدي جواك بالذكريات المؤلمة التي كان عليها أن تتحمّلها بمفردها. ذكريات الماضي التي ابتليت بها خلال مدّة حملها، وكان تحمّلها أصعب من الغثيان الصباحي الذي لازمها.

في فترة ما بعد الظهر، جاء جانجهوي الصغير، بعد رجوعه من روضة الأطفال، حتّى يحييها. جلس جانجهوي، الذي كانت غرفته مقابل غرفتها، عند قدميها وقد بدا مرعوبًا، كما لو كانت الأجواء في الغرفة طاغية عليه. عندما رآته الليدي جواك، سرى داخلها شعور بالدفء.

قالت: «اقترب يا صغيري».

ردًّا على لفتتها المُجهدّة، اقترب جانجهوي زاحفًا على ركبتيه، وجلس. سألتها بقلق: «أومًا⁽¹⁾، هل يؤلمك كثيرًا؟».

(1) أمي بالكورية (المترجم).

عثرت الليدي جواك على يد جانجهوي، وضغطت عليها في يدها. كانت يداها سميكتين جدًّا، لكنهما مع ذلك طريقتان ومعرقتان. داهمها الألم مرّة أخرى، وضغطت بشدّة على يده عن غير قصد، ممّا صدم الطفل الصغير الذي انتزع يده بعيدًا.

قالت: «هل تكره أمك؟ قد أموت، ألا تمنع ذلك؟».

تسببت ضراوة كلماتها في نحيب الصغير جانجهوي.

نظرت أخت زوجها إلى السيدة بارك، التي أمسكت بالفتى ووقفت.

قالت: «سيدي الصغير، هذا لأن أمك تمرُّ بوقت صعب من أجل ولادة شقيقك الأصغر. الآن كُفَّ عن البكاء، واخرج معي».

ألقي جانجهوي نظرة أخيرة بعينين قلقيتين، ثمّ ركض خارج الغرفة هربًا.

قالت الليدي جواك من خلال دموع الإحباط والألم: «لا جدوى من تربية الأطفال الذكور. حالما يصبح أضخم قليلًا، لن يعتبرني حتّى زوجة أبيه».

زفرت أنينًا شوّه ملامح وجهها.

قالت أخت زوجها: «لا تهدي طاقتك على أفكار معدومة الفائدة (مسحت عرق الليدي جواك ودلّكت ذراعها)، لهذا السبب تؤلمك بطنك، وتواجهين صعوبة في الإنجاب».

كان جانجهوي طفلًا أنجبه الفيكونت هيونجمان من محظية.

في اللحظة التي اختلست فيها الليدي جواك نظرة على هيونجمان، في أول مرّة تنظر فيها إليه، وقعت في غرامه. لكنّ زوجها عامل زواجهما مثل جلب أثاث جديد إلى المنزل. ثمّ، بعد عشرة أيام من عقد قرانهما، غادر إلى طوكيو للدراسة بالخارج. في تلك المدة الزمنية القصيرة، دعت للجدّة سامشين، روح الولادة، من أجل أن تهبها ابنًا يشبه زوجها تمامًا.

في كل مرّة تفقد فيها طفلًا، كان هيونجمان يدرس خارج البلاد. عرفت أنها ستتمكّن من الاحتفاظ بأطفالها معها أيضًا فقط لو كان زوجها في الديار. ولهذا صدمت عندما كان أول شيء فعله زوجها بعد التخرُّج هو تأسيس منزل مع تشوي إناي، وهي امرأة عصرية ومتعلّمة. تشوي إناي، التي كانت قد درست في مدرسة إيوا للبنات، طمعت في منصب الزوجة الرسمية. لم تكن

راضية عن كونها مجرد محظيته. عرض هيونجمان الطلاق على الليدي جواك، لكنها قاومت حفاظاً على شرفها بصفقتها امرأة.

قالت: «لا أعرف ما إذا كان من السهل على النساء اللواتي تلقين التعليم الجديد الزواج والانفصال، لكنني لم أترعرع على هذا النحو. بعد أن تزوجت من عائلة يون، لا يمكنني تركها ما دمت على قيد الحياة. من الأفضل أن تقتلني إن كنت تريد الطلاق».

بفضل حماية والد زوجها، وليس عبارات المبادئ والشعارات، تمكنت الليدي جواك من الصمود. فقد الفيكونت بيونج-جيون ثلاث زوجات، بما في ذلك والدة هيونجمان. وبدلاً من أن يتزوج للمرة الرابعة، اشترى ثلاثة منازل متجاورة، وهدمها، وبنى مبنى ملحقاً لمحظياته. كانت محظيات بيونج-جيون، عند دخولهن قصر جايهوي-دونج، طامعات في السيطرة على المنزل، لكنه لم يتأثر بأي إلحاح أو شكوى، وبالطريقة نفسها، حافظ على مكانة الليدي جواك بصفقتها سيدة المنزل.

عاودتها الآلام، كما لو أن أسفل بطنها بالكامل يتمزق. استياؤها وغضبها تجاه زوجها، الذي أصبح أكثر سُمِّيَّةً مع غروب الشمس، يغلي مثل الحمم المنصهرة.

صاحت: «استدعيه! اسحبيه إلى هنا!».

كانت تعوي مثل حيوان. لو كان إلى جانبها فقط. أرادت أن تمزق شعره وتهزّه من ياقته.

انتهت علاقة هيونجمان وتشوي إناي الغرامية، بطريقة صادمة ولكنها ملائمة، عندما انتحرت إناي، التي بعد أن أنجبت ولدًا، قفزت في نهر الهان. أخذ الفيكونت بيونج-جيون القيل والقال بالمال، وأوكل تربية الصغير جانجهوي إلى الليدي جواك. كانت هذه أقصى عقوبة -وأفضل مواساة- لزوجة ابنه التي لم تنجب. بينما حملت الليدي جواك بين ذراعيها الرضيع الذي أرادت التخلص منه، تعهدت بسداد الدموع التي ذرفت من خلال تربية جانجهوي بحيث ينشأ وهو يعرف الليدي جواك بصفقتها أمه، حتى لا يكون هيونجمان قادرًا على تذكر حبه لتلك المرأة الأخرى علنًا.

يمكن القول إن خطتها عملت بشكل جيد، وعند موازنة مشاعر حبها وكرهيتها لجانجهوي على كفتي ميزان، في البداية، كانت تميل أكثر نحو الكراهية. لكن مع مرور الوقت، ازداد ثقل الحب. والآن بعد أن بلغ جانجهوي السابعة من عمره، لم تتذكّر إلا من حين إلى آخر أن الطفل لم يخرج من جسدها. حتّى بعد بدء حملها غير المتوقّع، لم يتضاءل حبها لجانجهوي. من خلاله، ذقت الليدي جواك أخيراً سعادة ومسرةً تربية طفل.

عندما عايشت تجربة حملها الرابع، تناوبت فرحة الولادة مع الخوف من فقدان الطفل. خلال النهار، دعت أفراد عائلتها بحماس للاستعداد للولادة، ومازحت من هُم دونها، وتمتعت بامتيازات الحمل. لكنها في الليل كانت تستيقظ من كوابيس مروّعة وهي تتصبّب عرقاً بارداً. في كل مرّة، كانت تنادي اسم والد زوجها المتوفّى، وتدعو من أجل سلامة طفلها.

بطريقة ما، أصبحت حاملاً بفضل دعم والد زوجها، لكنّ بدا كأن يدا عملاقة تضغط بشكل مؤلم ليس فقط على رحمها، لكنّ أيضاً على أمعائها، ولم تشعر بأي شيء سوى الاستياء والوجع.

كان الفيكونت يون بيونج-جيون قد خاطب هيونجمان وزوجته في أثناء تقديمهما النبيذ إليه في حفل عيد ميلاده الستين. كان في صوته كرامة جديدة بما حقّقه، وبذل الكثير من الجهد لتليين نبرته يضاهي المجهود الذي بذله عندما كان يتعلّم اليابانية.

قال: «الآن، الشيء الوحيد الذي أريده منكما هو إنجاب المزيد من الأطفال وأن تزدهر الأسرة. لم يفت الأوان بعد، لذا ضعا ذلك في اعتباركما».

كانت أمنية طبيعية للفيكونت بيونج-جيون. كان عليه أن يضمن توريث جاه العائلة الذي بلغه، لكن نسله الوحيد كان ابناً مهووساً بالنبيذ والنساء والقمار، وحفيداً وُلد من محظية. كان هذا ندمه الوحيد عند وصوله إلى عيد ميلاده الستين.

في تلك الليلة، ذهب الليدي جواك، بصفتها سيدة المنزل، إلى الفراش وهي تشعر بالارتياح لأن الحفلة سارت على ما يرام. لم تنته الاحتفالات في المبنى الملحوق بعد، لكنّ الخدم سيهتمون بذلك. كانت نائمة بالفعل عندما

دخل هيونجمان الغرفة، معلناً وصوله بسعال خفيف، أيقظها مفزوعة. كان زوجها مخموراً، ويتحدث بشكل غير مترابط وهو يسقط فوقها.

في ذلك الفجر، عندما امتلأ جسدها بحياة جديدة، انتهت حياة أخرى. كانت الليدي جواك، التي احترمت والد زوجها واعتمدت عليه، واحدة من القلائل الذين حزنوا بصدق على موته. طوال مدة حملها، كانت الليدي جواك تدعو من أجل أن يحمي حماها الطفل في رحمها.

بعد صراع طويل، جاءت طفلة الليدي جواك أخيراً إلى العالم. أبلغ الطبيب الأسرة أن الأم والطفلة بصحة جيدة، وعلق الخدم حبلًا من القش، وأغصان الصنوبر والفحم مثبتة فوقه، عبر الباب الأوسط للمنزل الرئيس. لو كان صبيًا، لكان عوضًا عن ذلك حبل مثبت فوقه حبات فلفل أحمر.

سعيدًا بالولادة الآمنة لابنة معافاة، دخل الفيكونت هيونجمان إلى المنزل الرئيس، مكرِّراً اسم ابنته مثل أغنية. كان جانجهوي، ابنه الوحيد، الذي سيرث كل شيء، كافيًا. بصفتها طفلة ستهبه الفرحة والراحة في السنوات الأخيرة من حياته، كان يعتقد أن ابنة أفضل من ابن يتربى بعيدًا عنه.

دخل الفيكونت هيونجمان إلى الغرفة الرئيسة، حيث كان الهواء دافئًا ولا تزال رائحة نفاذة عالقة في الجو رغم تنظيفها. انسحبت عائلة الليدي جواك وخدمها مثل جُر منحسر. نظر إلى زوجته، التي كانت مستلقية على الأرض مرهقة، وعيناها مغمضتان، وتبدو مثل جبن توفو عُصر حتى جفَّ ووضع جانبًا، وتعبير امتنان ورأفة يعلو وجهه. ثمَّ نظر إلى الطفلة الملفوفة بقطعة قماش حريرية وشعر بخيبة أمل على الفور. أظهرت إعلانات حليب الأطفال دائمًا طفلة جميلة مستديرة الوجه مثل القمر. لم تكن هذه الطفلة سوى مخلوقة صغيرة مجعدة حمراء اللون، ورأسها مغطى بشعر خفيف.

كانت المخلوقة تتلوى، وتفتح وتطبق يديها مثل أوراق القيقب الصغيرة. ثمَّ ضمت شفتيها وابتسمت بهدوء. كانت مجرد إيماءات تلقائية لطفلة حديثة الولادة، لكن الفيكونت ظن خطأ أن الطفلة كانت تبتسم خصيصاً له. أشرق

وجهه ببطء واغرورقت عيناه بالدموع. رفع الطفلة بعناية في قماطها، ونسي
تماماً وجود والدتها.

بصوت مرتفع، رحّب بطفلته: «أنت تشيريونج. ابنتي، يون تشيريونج!».

الفصل الثاني

هدية عيد ميلاد

نظرت تشيريونج في المرأة، فيما كانت مربيتها سورين تشد شعرها بإحكام وتضفره؛ حتى ارتفع حاجباها إلى أعلى. ظهر وجه مربيتها فوق كتفها غير راضية عن عملها. في مناسبة أخرى، كانت تشيريونج ستنزعج، لكنها الآن مفتونة بملابسها الجديدة. كان أبوها قد اشتراها لها هدية في عيد ميلادها الثامن، وطلبها خصيصاً من متجر ثياب مملوك ليابانيين في جينجوجاي.

كان الفستان الأزرق الداكن ذو الياقة البيضاء مزخرفاً بالدانتيل الناعم والطماق الأبيض الذي تماشى معه جيداً. مع وجود حقيبة حمراء صغيرة معلقة على كتفها، لم تشعر تشيريونج بأنها تبلغ من العمر ثماني سنوات، بل إنها فتاة أكبر سناً تستعد للذهاب إلى المدرسة سيراً على الأقدام. أرادت أن تركض مباشرة إلى أبيها في المبنى الملحوق وتتباهى بحذائها الجلدي الأسود اللامع، لكن بقي طقس واحد أخير.

أمسكت سورين بكتف تشيريونج، وأدارتها حتى تواجه الباب: «انذهبي حتى تُري أمك».

فسألت المربية: «هل عليّ أن أفعل؟».

فسألتها المربية في حين تفتح الباب: «هل تريدني أن أوبّخك ثانية؟».

ارتفع صوت أغنية رثائية في دخيلة نفسها.

«الحياة تجري في برية شاسعة، إلى أين أنتِ ذاهبة؟
ما الذي تبحثين عنه في عالم الألم الوحيد هذا؟».

الأغنية التي تصدح من الجرامافون كانت «ترنيمة الموت» ليون سيم-ديوك. تحوّلت الشرفة ذات الأرضيات الخشبية إلى غرفة جلوس، وشغل البيانو، الذي ركّبه والدها هدية بمناسبة دخول تشيريونج المدرسة الابتدائية، معظم مساحتها. قفز طائر الوقواق خارجاً من الساعة على الحائط وصاح تسع مرّات. كان هذا هو الوقت الذي قال والدها لها أن تكون مستعدّة فيه للمغادرة. ركضت تشيريونج، التي كان قلبها يخفق بقوة، حتّى وقفت أمام الباب المنزلق لغرفة النوم الرئيسة. توقّفت وأخذت نفساً عميقاً قبل أن تتحدّث. قالت: «ماما، أنا هنا».

فتحت تشيريونج الباب وقطّبت حاجبها لا إرادياً عندما واجهت سحابة الدخان التي ملأت الحجرة. كانت الليدي جواك ترقد بزاوية على وسادة حريرية طويلة، تدخّن سيجارة في نهاية طرف غليون طويل.

جميع الأدوية التي تناولتها من أجل تحمّل حملها الصعب حوّلت الوزمة التي تكوّنت خلال تلك الأشهر التسعة إلى لحم، وحتّى بعد ذلك، استمرّ حجم جسدها في الزيادة. أصبحت السجائر، التي بدأت بتدخينها لمساعدتها على إنقاص الوزن، رفيقتها التي لا غنى عنها.

دخلت تشيريونج ووقفت أمام أمها التي نظرت إلى ابنتها دون أن تغيّر من وضعيتها.

سألت البنت: «ماما، ما رأيك في هذا الفستان؟».

رفعت الفتاة حاشية فستانها قليلاً ودارت حول نفسها. امتدّت تنوّرتها مثل بتلات زهرة مجد الصباح.

ومض بريق غيرة على وجه والدتها.

انتظرت تشيريونج أن تقول شيئاً، وهي واقفة بعصبية كأنما أمام معلّمة في انتظار أن تمنحها تقييماً. في قصر جايهوي-دونج بأكمله، لم تخف إلا من أمها.

قالت الأم: «أنتِ تصبحين أكثر نضارة يوماً بعد يوم، مثل زهرة مجد صباح أرجوانية منقوعة في الندى، فيما أصبحتُ أنا امرأة في منتصف العمر، محاصرةً في غرفتها بعد ولادتك».

بينما رمقتها أمها بنظرات غاضبة، عبثت تشيريونج بحاشية تنورتها، دون أن تعرف ماذا تفعل غير ذلك.

وبعد مدّة طويلة من الصمت، تحدّثت الليدي جواك باشمئزاز: «شعرك يجعلك تبدين مثل قطعة متمرّدة، وعيناك مرفوعتان إلى الأعلى».

حبست تشيريونج دموعها بسبب كلمات والدتها القاسية. سألتها: «هل تريدني مني أن أطلب من سورين أن تضفره مرّة أخرى؟».

استنشقت الليدي جواك سيجارتها بعمق ونفثت دخاناً أبيض، وقالت: «لا، أبوك في انتظارك، لذا من الأفضل أن تذهبي».

بانحناءة، استدارت تشيريونج وغادرت الغرفة بسرعة، خائفةً من أن تناديها أمها ثانيةً.

أزالت تشيريونج النظرة المجهدة من على وجهها عندما رأت مربّيتها واقفة تنتظر في الفناء. علّمها والدها في وقت مبكّر أنه لا ينبغي لها أن تُظهر مشاعرها للخدم.

سألت سورين وهي تضع حذاء الفتاة على الدرج الحجري ببراعة: «ماذا قالت أمكِ؟ أنك جميلة بالتأكيد؟».

تردّدت تشيريونج قبل أن تردّ: «نعم، قالت إنني جميلة مثل هرّة». ثمّ ارتدت حذاءها بسرعة وركضت نحو المبنى الملحوق، متجنّبة طرح أي أسئلة أخرى.

هتفت المربّية وراءها: «امشي ببطء، وإلا ستسقطين!».

في اللحظة التي تجاوزت فيها العتبة بين المنزل الرئيس والمبنى الملحق، أصبحت تشير يونج طفلة أكثر إشراقاً وسعادة. مثل المنزل الرئيس الذي عاشت فيه مع والدتها، تغير الملحق أيضاً مقارنة بالمدة التي سبقت ولادتها. وبعد مرور الأيام المئة الأولى من عمرها، سارع والدها بإعادة بنائه بمزيج من الطرز الغربية واليابانية والكورية. كان المظهر الخارجي العام للمبنى المكوّن من طابقين غربياً، لكن السقف الجملوني كان مبلّطاً ليتناغم مع محيطه. في حي بوكتشون، كان المبنى المكوّن من طابقين يبدو وكأنه أجنبي طويل القامة ذو عينين زرقاوين يرتدي قبعة كورية تقليدية.

لم يدخر الفيكونت أي نفقات في تزيين القصر. احتفظ به في حالة جيدة واستبدل الأثاث بانتظام، وفقاً لأحدث الصيحات.

كان أبوها يقف بالفعل أمام المبنى الملحق، حيث كانت السيارة تنتظرهما. ركضت تشير يونج بين ذراعيه كما لو أنها التقيا بعد غياب طويل. سأل وهو يعانقها ويرفعها في الهواء: «ابنة من يمكن أن تكون هذه الأميرة الجميلة؟».

قالت وهي تشير إلى الاتجاه العام لسيول والقصر الملكي: «لا أعرف، من يمكن أن يكون؟ ربما صاحب الجلالة هناك؟».

رداً على ملاحظة تشير يونج الذكية، انفجر السيد بارك، وحتى سورين، التي جاءت لتوديعهم، ضحكاً.

عانقها والدها بقوة أكبر: «ماذا؟ حقاً!».

تمتت مستسامة: «أنا تشير يونج، محبوبة الفيكونت يون هيونجمان!». أمسكها الفيكونت هيونجمان مدة أطول قليلاً، ثم أنزلها أرضاً. دارت حول نفسها مرّة أخرى كما فعلت في غرفة نوم والدتها.

سألته: «بابا، كيف أبدو؟».

رفع والدها إبهامه إلى أعلى. ثم فتح ذراعيه على نطاق واسع وأظهر ملابسه، وسألها: «ماذا عني؟».

أشارت تشير يونج بدورها بإبهامها إلى أعلى.

لطالما بدا والدها أنيقًا جدًّا. واليوم، كانت بدلته الرمادية تتناسب جيدًا مع قبعته فيدورا. بالنسبة إلى تشيريونج، بدا والدها أشيب الشعر أجمل بكثير من آباء أصدقائها الأصغر سنًّا، وعندما كانت برفقته، شعرت بالأمان التام.

قال وهو يساعدها على الجلوس في المقعد الخلفي: «هيا، لنذهب»، ثم ركب وجلس بجانبها. السيد بارك جلس في المقدِّمة بجانب السائق. بعد وفاة زوجته، بدا أن السيد بارك قد تقدَّم في السنِّ بين عشية وضحاها، بحيث بدا أكبر بعشرين عامًا من الفيكونت، الذي كان أصغر منه بسنتين فحسب.

قالت تشيريونج: «اعتقدت أننا سنكون نحن الاثنين فحسب».

في العادة، لم يكن الأشخاص الذين يمتلكون مثل هذه السيارات يقودون سياراتهم بأنفسهم قط، لكنَّ والدها ذهب إلى مدرسة لتعليم قيادة السيارات في وقت مبكَّر وحصل على رخصته. اعتقد البعض أن السبب في ذلك أن دماء العامة تجري في عروقه، لكنه في الحقيقة كان يستمتع بالقيادة، وكثيرًا ما كان يصطحب تشيريونج معه في الرحلة.

قال: «اليوم سنذهب بعيدًا قليلًا لزيارة مزرعة المستأجرين في يوجو».

سألت: «حقًا؟ هل تحضرني بدلًا من جانجهوي؟».

ومضت عيناها ببريق الترقب.

عندما تخرَّج شقيقها في المدرسة الابتدائية، تغيَّر سلوك والدها تجاه جانجهوي بشكل ملحوظ. أصبح من الجلي أن الفيكونت كان يخطِّط لتدريب جانجهوي وريثًا له منذ سنِّ مبكِّرة.

أولًا، أقام حفلًا لجانجهوي عند قبوله في المدرسة الثانوية. وفي وقت لاحق، أخذه إلى مكتب منجم موجيوك. ومع أنها لم تكن تشعر بالغيرة تمامًا، إلا أن تشيريونج انزعجت من أن والدها بدا كأنه يفضِّل شقيقها في ما يتعلَّق بالأمور المهمَّة.

قياسًا بالطعام، ربما كان الأمر أشبه بإعطاء كعكة الأرز لأخيها، وإعطائها بقايا الطعام فحسب. لم تكن لديها أي شكوى بالغة لأن مذاق دقيق الفاصولياء الذي يُرشُّ على كعك الأرز أفضل من كعك الأرز نفسه. لكنَّ عندما قال والدها إنه سيأخذها إلى مزرعة المستأجرين، راقها الأمر أكثر بكثير من مجرد الذهاب في نزهة.

قال لها: «لا يتعلّق الأمر باصطحابك عوضاً عن أخيك؛ هدية عيد ميلادك في انتظارك هناك».

سألت باندهاش: «هدية عيد ميلادي؟ لكنك اشتريت لي هذا الفستان». ليس هذا فحسب، بل كان والدها قد أعطى أيضاً لجميع زميلات تشيريونج في الصفّ كعكة كاستيلا التي تذوب في الفم ومشروب كالبيس⁽¹⁾ الحلو الدبق.

قال: «لا يمكننا أن نكون راضين عن ذلك. ثمّة هدية عيد ميلاد أخرى في انتظارك، لذا تطلّعي إليها».

أكدت ابتسامته أنه يجدرُ بها التطلّع إلى الهدية.

قالت تشيريونج: «شكراً لك يا أبا!» وألقت ذراعيها حول رقبتة وفركت وجهها مقابل خدّه. كانت تحب ملمس ذقن والدها الخشنة ورائحة المستحضر المنعشة. لم تستطع أن تفهم لماذا تزوّج هذا الرجل الرائع من امرأة مثل والدتها التي كانت كسولة، لا تبرح غرفتها أبداً.

ألقت تشيريونج باللوم على والدتها في التمييز الذي أحدثه والدها بينها وبين شقيقها. أرسل والدها الملابس والمجوهرات والهدايا العصرية إلى المنزل الرئيس، لكنّ بدلاً من شكره، كانت والدتها تكرهه وتلعنه أكثر. وبطبيعة الحال، فهو لا يستطيع أن يهتمّ بزوجة كهذه. لماذا سيرغب في إعطاء كل شيء لطفلة أمّ مثلها!

عرفت تشيريونج أيضاً أن والدة جانجهوي الحقيقية كانت محظية والدها. كانت تعرف أن المحظية كانت امرأة شابةً وجميلة، لذلك لا بدّ أن تكون والدة أخيها، وليس أمها، من يفضّلها أبوها. كان من الطبيعي فحسب أن يريد أن يفعل ما هو أفضل من أجل طفل المرأة التي أحب. ومع ذلك، لم تستطع أن تفهم لماذا يبدو أنه حتّى الليدي جواك تحب جانجهوي أكثر من ابنتها البيولوجية. تشيريونج، التي كانت محرّجة من والدتها لدرجة أنها لم تحضر أصدقاءها إلى المنزل قط، كانت تتمنّى لو كانت والدتها محظية جميلة أيضاً.

(1) كالبس: مشروب ياباني مُصنّع غير غازي من إنتاج شركة كالبس (مقرها في شيبويا بطوكيو). للمشروب لون حليبي نوعاً ما، مع نكهة حامضة طفيفة، شبيهة بنكهة الروب الصافي أو المنكّه بالفانيليا، ويتكوّن من المياه ومسحوق الحليب الخالي الدسم وغيرها (المترجم).

وبمجرد أن تركت السيارة البوابة الشرقية لسيول خلفها، ظهرت منازل منخفضة مسقوفة بالقش، محدّبة مثل فطر عشّ الغراب، على امتداد الطريق بين حقول الأرز. بالقرب من الجدول، كانت أشجار الصفصاف الباكية تمتدّ بأغصانها الخضراء الشاحبة مثل امرأة تغسل شعرها. في الحقول التي بدأ فيها الحرث، انهمك في العمل أناس يرتدون ملابس بيضاء، يشبهون طيور كاكي بأجنحة مطوية. كان المشهد الطبيعي، حيث تتفتح أزهار الخوخ والمشمش في مجموعات تشبه السحاب، أشبه بلوحة فنية جميلة، لكن مجاعة الربيع تركت عامّة الناس بجوع لا يمكن إشباعه. اندفع الأشخاص الذين يحملون السلال على رؤوسهم، أو يحملون إطارات على شكل حرف A على ظهورهم، أو يقودون عربات خشبية، إلى جانب الطريق عند سماع صوت بوق السيارة. مصّ طفل عاري المؤخّرة يتدلّى على ظهر أمه، مخاطاً أنفه بوجهه جائع.

ثمّ تلاشت كل تلك المناظر؛ كمشاهد من عالم بعيد.

شاهد الفيكونت هيونجمان تشيريونج وهي تنظر من النافذة بابتسامة سعيدة. وكانت ابنته حرفياً تميمة حظه. بعد ولادتها، عثر رجاله على الذهب عند سفح جبل في تشانج تشونج دو، بجوار بعض حقول الأرز، التي اشتراها والده قبل وفاته بسعر بخس.

على النقيض من الفيكونت يون بيونج-جون، الذي عدّ الأرض الاستثمار الأكثر أماناً، كان ابنه يحلم بتأسيس شركة تستورد السلع الفاخرة والمختلفة من الدول الأجنبية. لم يسمح له والده بذلك. تعرّض صاحب متجر ياماموتو، المتجر الأكبر في بوسان، للإفلاس والدمار عندما انقلبت السفينة التي كانت تحمل بضائعه وغرقت. اعتقد الفيكونت بيونج-جون أنه سيكون من الأفضل لابنه أن ينغمس في الشرب والنساء بدلاً من الدخول في التجارة.

بعد وفاة والده، ألغى الفيكونت هيونجمان حفلاته ومآدبه الصاخبة. ليس لأنه كان في حالة حداد، لكن لأن اهتمامه بالعلاقات النسائية قد اختفى بمجرد أن تمكّن من تحويل انتباهه إلى شؤون التجارة، الأمر الذي لم يعد والده موجوداً لتحريمه عليه.

بالرغم من أنه لم يكن يتمتّع بإرادة حديدية والمثابرة للنهوض من العدم والبدء من الصفر مثل والده، فإنه كان يتمتّع بالسرعة والتصميم لتحقيق أقصى استفادة من ثروته الموروثة. كان لديه أيضاً حسّ اقتصادي، حيث

تخصّص في التجارة في جامعة طوكيو. بالنسبة إلى شعب كوريا المستعمر، الذي لم يكن بإمكانه سوى أن يكون بمنزلة فزّاعة في المناصب الحكومية على أية حال، لم يكن ثمة قوة أعظم من المال. إذا كان شخص ما ثرياً، فلن يتمكن أحد من إساءة معاملته أو معاملة أسرته. حسُّ الفيكونت هيونجمان التجاري، الذي قمعه والده طويلاً، أدرك هذه الحقيقة بوضوح.

حصل دون تأخير على حقوق التعدين وبدأ في حفر الجبل وكذلك الحقول بحثاً عن الذهب. باع الأراضي المنتشرة في جميع أنحاء البلاد لدفع تكاليف أحدث المعدات والعمالة. ثم أسّس على الفور شركة ورخص حقوق التعدين التي حصل عليها مقابل أجر زهيد، بسعر أعلى بكثير. أصبحت مساحة أرض العائلة الآن نصف ما كانت عليه في زمن والده. وبدلاً من ذلك، كدّس السندات والأسهم والنقود في البنك، حيث كانت تُجنى فوائده، حتّى في أثناء نومه.

مرّت السيارة عبر البلدة الرئيسة، ثمّ صعدت تلةً، واتبعت طريقاً بُني حديثاً، حتّى دخلت قرية أنجول. وبما أنها قريبة من سيول ولأن مذاق الأرز لذيذ، فقد خصّصت كأرض لإنتاج الحبوب.

عندما وصلوا إلى مدخل القرية، انتشرت أخبار وصول صاحب الأرض بسرعة. خرج رئيس القرية مسرعاً وانحنى، وتجمّع المستأجرون الآخرون وأطفال القرية من حولهم. أبعد الابن الأكبر لرئيس القرية الأطفال كما لو كانت سيارته الخاصّة، لكنهم تراجعوا للحظة فقط قبل أن يعودوا. عندما أطلق السائق بوق السيارة، تراجع الأطفال والكبار على حدّ سواء من المفاجأة.

للوصول إلى منزل رئيس القرية، كان عليهم السير في زقاق ضيق. كان الطريق موحلاً بسبب المياه القذرة المتدفّقة من كل منزل، والتي اتحدت مع الرائحة الكريهة المنبعثة من الإسطبلات وحظائر الخنازير لتنتج رائحة كريهة لا توصف. قدّم السيد بارك ظهره إلى تشيريونج التي كانت تمسك بأنفها. بينما تسير محتمية بظهر السيد بارك، نظرت إلى الأطفال الذين كانوا يتبعونها في مجموعة. مع ظهور الدامل على رؤوسهم والطفح الجلدي الذي يغطّي وجوههم، بدوا أشبه بالحيوانات أكثر من البشر. وسرعان ما وصلت مجموعتهم إلى المنزل، وأحاط الحشد الذي تبعهم بالبوابة الخشبية.

وبمجرّد أن جلس الفيكونت على حافة الشرفة، التي مسحها زوجة رئيس القرية على عجل، سأل السيد بارك: «هل كل شيء جاهز؟».

قال رئيس القرية: «بالطبع. إنها الابنة الثالثة للسيد آهن، وهي حسنة التصرف ومجتهدة.... ها هي قادمة». ثم استدار نحو الرجل والطفلة المقتربة وبدأ في توبيخهما على الفور: «لماذا أنت بطيء جدًا! لقد أخبرتك أن تأتي مبكرًا، والآن السيد ينتظر!».

تقدم السيد آهن إلى الأمام، ودفع ابنته من الخلف. الفتاة، التي بدت أكبر سنًا بقليل من تشيريونج، انفجرت في البكاء وهي تقاوم. صرخت: «لا أريد ذلك، أنا أكرهه. لن أذهب».

سحب السيد آهن ابنته عبر الفناء، ولطمها على خدّها، فيما كانت تبكي بصوت أعلى.

جفلت تشيريونج وعبس الفيكونت هيونجمان.

قال رئيس القرية: «كُفّي عن البكاء بهذه الطريقة. إذا ذهبت إلى منزل السيد في سيول، فلن تشعرى بالجوع، وستتمتعين بحياة جيدة، فلماذا تتصرفين بهذه الطريقة؟».

قالت: «لا أريد ذلك. أريد أن أعيش هنا مع ماما وبابا. أنا لا أحب سيول». تصلبت تعبيرات وجه الفيكونت، وبدأ رئيس القرية مرتبكا بوضوح. في تلك اللحظة، خرجت فتاة صغيرة، أصغر حجمًا وسنًا من ابنة آهن، من بين الأطفال عند البوابة وذهبت لتقف بجانب الطفلة الباكية. سألت: «ألا يمكنني الذهاب عوضًا عنها؟».

صاح بها رئيس القرية: «سونام! كيف تجرؤين؟! لا، لا يمكنك الذهاب!». وخبط بقدمه وهز قبضته، لكن الفتاة لم تتزعزع من مكانها، ونظرت إلى الفيكونت. كانت ترتدي تنورة قطنية مرقعة وبلوزة بأكمام مهترئة، وكان من المستحيل التكهن متى غسلت شعرها آخر مرة.

استغرق الفيكونت هيونجمان لحظة لينظر إلى الفتاة، ثم سألها: «كم عمرك؟».

قالت الفتاة: «عمري ثماني سنين»، ولم تتجنب نظراته.

قاطعته رئيس القرية: «هذا العمر المسجل في سجل العائلة فحسب، (ثم أردف) هذا لأنها ورثت مكان أختها المتوفاة. إنها في الواقع في السابعة من عمرها».

متجاهلاً كلام الرجل، استدار الفيكونت هيونجمان نحو سونام، وسألها: «هل تعرفين أين تقع سيول، المكان الذي تقولين إنك تريدان الذهاب إليه؟». فأشارت إلى الخلف من حيث أتوا: «بعيداً فوق التل».

ابتسم الفيكونت عند إجابتها، دون تردُّد، وكرَّر: «هل أنت متأكدة أنك تستطيعين العيش دون الرغبة في العودة إلى وطنك؟». أومأت برأسها بقوة.

فنظر إلى ابنته وسألها: «ماذا تريدان؟».

لم تكن تشيريونج تعرف لماذا أراد والدها أياً من فتيات القرية القذرات هؤلاء، ولكنَّ الفتاة الأصغر سنّاً ستكون أفضل من تلك الباكية.

عندما أشارت إلى سونام، أوماً برأسه وقال: «استدعِ والد هذه الفتاة».

دفع رئيس القرية السيد آهن وابنته جانباً وركض إلى منزل سونام. وقبل أن يصل إلى منتصف الطريق، كانت الأخبار قد وصلت إلى العائلة بالفعل.

في أثناء انتظارهم، سألت تشيريونج والدها عن شيء كانت تتساءل عنه منذ وصولهم: «بابا، أين هدية عيد ميلادي؟ متى ستعطيني إياها؟».

أشار إلى سونام بإيماءة من ذقنه: «هذه الطفلة هدية عيد ميلادك».

لم تتمكَّن تشيريونج من إخفاء خيبة أملها. لم تر مثل هذه الهدية القذرة وغير المجدية في حياتها كلها. لم يستهوها كيف تحدَّق الفتاة إليها، أو الطريقة التي لم تحنِ بها رأسها إلى أبيها.

عندما أُحضِر والدها سونام إلى منزل رئيس القرية، عرض الفيكونت هيونجمان منحهما ثلاثة مكابيل من حقل الأرز الذي كانت عائلة سونام تستأجره مقابل ابنتهما، موضّحاً أنه لا يحقُّ لهما المطالبة باستردادها مستقبلاً قط.

ختم والد سونام الوثيقة على عجل، كما لو كان يخشى أن يسرق شخصٌ ما الحظَّ الحسن الذي أصابه مثل البرق.

قال السيد بارك: «الآن بعد أن تمَّت الصفقة، دعونا نجعلهم يغسلوا الطفلة ويغيروا ملابسها. ثمَّ سنأخذها معنا إلى المنزل».

الفصل الثالث

الطفلة الثامنة

أُصيب والد سونام بالذهول عندما عرضت عليه ثلاثة مكاييل من حقل الأرز مقابل ابنته، والتي لن يأخذها أي شخص آخر حتى لو دفع له الوالد بنفسه. حاول أن يتذكّر إن كانت ثمّة أي علامات غير عادية عند ولادتها، لكنه كان حائرًا بشأن أي ذكرى كانت تتعلّق بسونام، حيث إنه كان لديه عشرة أطفال، بما في ذلك أولئك الذين ماتوا. سونام نفسها كانت الوحيدة في العائلة التي تتذكّر وقت ولادتها، رغم أنها لم تكن متأكّدة إن كانت تلك الذكريات لها حقًا، أم هي شيء سمعته من أختها الكبرى.

ساعة المخاض كانت والدتها تتألّم، وكانت تخدش القشّ والطين من الجدران. لقد كانت ولادتها الثامنة، لكن لم تكن أي ولادة سهلة على الإطلاق. كانت قلقة من أنها ستكون ابنة أخرى أكثر من قلقها من الألم. وكان من المؤسف أيضًا أن ابنتها الأخيرة توفّيت مؤخرًا، قبل عيد ميلادها الأول مباشرة. إذا كانت هذه أيضًا فتاة، فإنها ستفضّل ترك العالم والطفلة بداخلها.

ازداد الضغط، لكن الطفل ظلّ في بطن أمه حتى سمع صوتًا أصبح مألوفًا أكثر من صوت أمه. ضغطت والدتها بقوة وهي تجمع آخر طاقتها. بذلت الطفلة أيضًا جهدًا أخيرًا، وولّدت بأمان، وورثت اسم أختها سونام، التي توفّيت قبل مدّة قصيرة.

في ذلك الوقت، رفعت جدة سونام -من ناحية الأب- غطاء وعاء قدر الطبخ بصوت عالٍ، وقالت: «ابنة أخرى. ليس في بطنك إلا البنات». يبدو أنها نسيت أن زوجة ابنها حظيت بابن أيضًا، ربما لأنه توفي بعد أقل من مئة يوم من ولادته. كانت وفاة الأطفال أمرًا شائعًا لدرجة أنه لا يتذكَّرها إلا أفراد الأسرة المباشرين.

عندما أصبح الفيكونت يون هيونجمان مالك أراضي القرية، أصبح المزارعون المستأجرون أكثر فقرًا. دفع الفيكونت إلى زيادة إنتاج الأرز. ونتيجة لذلك، زاد الإنتاج، لكن بعد دفع الإيجارات وأسعار الأسمدة المرتفعة، لم يكن الأرز المتبقي كافيًا لإطعام القرويين لأكثر من بضعة أشهر. ولم يتمكنوا من النجاة من مجاعة الربيع إلا عن طريق اقتراض الأرز بمعدل فائدة مرتفع. في مثل هذا الوقت، فم آخر لم يكن يعني إلا أن العباء على كاهلي والد سونام أصبح أثقل بكثير.

ومع أن هذا كان قرار زوجها، فإن والدة سونام شعرت بالخجل من بيع طفلة. لكن مقابل ثلاثة مكايل من حقول الأرز، كيف يمكن أن يقولوا لا؟ مع العلم أنها من المحتمل أن تكون المرءة الأخيرة التي ترى فيها ابنتها، اختارت أفضل الملابس التي يمكن أن تجدها، بالرغم من أنها كانت بالكاد أكثر من مجرد خرق بالية، وجعلت سونام تجلس بجوار موقد المطبخ فيما كانت تغرف وعاء من الأرز الممزوج بكمية من الذرة والدخن أكبر من الشعير.

بينما كانت سونام تأكل، مشطت والدتها شعرها، وهو أمر لم تفعله من قبل، وفكرت في بقية أطفالها. كيف سيكونون أقل جوعًا مع هذا القدر من الأرز، كما أنها ستكون قادرة على توفير بطانية على الأقل لبناتها عندما يتزوجن. ليس هذا فحسب، بل عندما سيصبح ابنها الوحيد أكبر، سيكون بإمكانها إرساله إلى المدرسة. ارتجفت يدها عندما لمست شعر ابنتها.

أفرغت سونام الوعاء مع طبق جانبي واحد من الفجل المملح، ثم تجشأت وشعرت بالشبع. في هذه الأثناء، تجمع أهل القرية أمام منزل رئيس القرية، وأمام كل منهم ابنته. خوفًا من أن يغير الفيكونت رأيه، شتم والد سونام زوجته بطيئة الحركة. في اللحظة التي خرجت فيها سونام من المطبخ، وقد اغتسلت ولبست ملابسها، لكن لم تتغير كثيرًا، همست جدتها وذرقت بعض

الدموع: «عزيزتي، أينما ذهبت، سوف تكونين محبوبة. لا تتفوَّهي بالهراء كما تفعلين في المنزل. كوني ذكية وسريعة البديهة».

ركبت سونام السيارة، ممسكةً بحزماتها ومبتهجة بالاهتمام والانتباه الذي تلقته لأول مرّة في حياتها. كانت أخواتها وشقيقاتها يراقبونها بأعين واسعة من الخوف وليس من الحسد.

جلس الفيكونت هيونجمان في المقعد الأمامي، فيما جلست تشيريونج وسونام في الخلف. كان السيد بارك سيبقى لبضعة أيام لإدارة مزرعة المستأجرين. الطريقة التي تحرّكت بها السيارة من تلقاء نفسها، دون أن يجرّها أي حصان أو ثور، كانت مذهلة للغاية لدرجة أن سونام بالكاد لاحظت أنها كانت تغادر مسقط رأسها، ولم تنظر إلى الوراء إلى الحشد الذي كان يودعها.

بدلاً من ذلك، تشبّثت بالنافذة، مفتونة بالمناظر الطبيعية في الخارج. تساءلت دائماً عمّا يكمن خلف التل. القصص التي روتها أختها الكبرى لم تُرضها قط. الأشخاص الذين ذهبوا إلى السوق، والأطفال المحليون القلائل الذين ذهبوا إلى المدرسة، وأولئك الذين سافروا إلى مسافة أبعد، جميعهم عبروا التل. كانت سونام قد توسّلت إلى الكبار ليأخذوها إلى السوق، بل إنها تبعتهم سرّاً عندما رفضوا، لكنّ كان يُقبض عليها دائماً على طول الطريق وتعود إلى المنزل بعد الضرب.

بالكاد استطاعت أن تصدّق أنها تشاهد الجانب الآخر أخيراً، وفي سيارة حقيقية. في قصص جدّتها، كان الطريق شديد الانحدار وضيقاً يمكن أن يقفز منه ثعلب ذو تسعة ذيول في أي لحظة، لكنه الآن أصبح واسعاً ورحباً بما يكفي لمرور شاحنة، ناهيك بعربة ثور.

في نهاية المطاف، عادت إلى الوراء وشاهدت قريتها، بجوعها الرهيب ورائحة روثها، تتألّق بشكل جميل تحت شمس الغروب. وسرعان ما أصبحت القرية والجبل المرتفع خلفها، حيث كانت سونام وأختها الكبرى تتجولان مثل أشبال الذئاب، أصغر في المنظر من خلال النافذة.

قالت تشيريونج: «أبي يسأل عن اسمك».

لم ترجع سونام إلى رشدتها إلا بعد أن وبَّختها تشيريونج، فتذكَّرت أنها كانت محاطة بغرباء.

قالت بنبرة مشوبة بالرغبة: «سونام.. كيم سونام».

قال الفيكونت من المقعد الأمامي: «عليك أن تعتني بابنتي جيدًا من الآن فصاعدًا».

رفعت سونام ذقنها وحدقت إلى الفتاة الأخرى التي كانت تنظر إليها. لم تكن تعرف ما عليها فعلة لتعتني بها جيدًا، لكنها عرفت ما يكفي لتجيب بهدوء: «سأفعل».

عند عودتهم إلى المنزل، دعا الفيكونت هيونجمان سورين. عندما وصلت، تحيرت المربية بشأن الفتاة الصغيرة التي وقفت جانبًا قليلًا، محتضنة حزماتها. لم تكن تستطيع رؤية وجهها جيدًا في الظلام، لكنها استطاعت رؤية الملابس المتهالكة.

قال الفيكونت: «أحضرت هذه الطفلة حتى تكون خادمة تشيريونج. تأخر الوقت، لذا رافقيها لتحية سيادتها غدًا. اعتني بها وعلميها جيدًا، وعندما تذهب تشيريونج إلى المدرسة، يمكنها مساعدتك في الأعمال المنزلية. هناك جانب جريء لها، لذا استخدمني السوط عند الضرورة».

أمر الفيكونت هيونجمان سائقه بحمل تشيريونج النائمة بعناية إلى غرفتها وإرقادها في سريرها. بمجرد أن تجاوزت تشيريونج عيد ميلادها الأول، نادرًا ما دخل الفيكونت إلى مسكن النساء، وبدلاً من ذلك كان يدعو ابنته إلى المبنى الملحوق عندما يرغب في رؤيتها.

أشارت سورين إلى الطفلة حتى تتبعها. كانت سعيدة لوجود زوج آخر من الأيدي في جناح النساء وقررت تدريب سونام جيدًا، لاستخدامها بصفقتها خادمتها الخاصة عندما تكون السيدة الشابة خارج المنزل.

سونام، التي أذهلها المنظر الليلي لسيول في أثناء القيادة، كانت مفتونة تمامًا عندما وصلت إلى المنزل الذي بدا كبيرًا بما يكفي ليكون قصر ملك. لا بد أن يكون هناك العشرات، أو بالأحرى المئات، من ألواح الزجاج، فيما في

منزلها لم يكن هناك سوى قطعة واحدة من الزجاج، أصغر من كفّ يدها، في باب الغرفة الرئيسة. وبمجرد دخولها، كان المنزل يعجُّ بأشياء غريبة لم ترها من قبل، وتساءلت إن كانت مستيقظة أم لا تزال تحلم!

نادى صوت من الأمام: «مَنْ أنتِ؟».

جنبًا إلى جنب مع سورين، استُدعيت سونام إلى الغرفة الرئيسة. أصبحت الآن شبه متأكدة من أنها كانت تحلم عندما واجهت فجأة امرأة ضخمة لم ترها من قبل، في غرفة مضاءة بشكل ساطع، حتّى في الليل، مع وجود شتّى أنواع الأشياء باهظة الثمن متناثرة حولها، وطائر وقواق يصرخ من العدم.

ولكن متى بدأ الحلم؟

لم تكن تعرف إن كانت بدايته اللحظة التي قالت فيها إنها سترحل أم عندما حممتها والدتها وأطعمتها، أو ربما عندما نامت في السيارة. تمنّت سونام أن تستيقظ في اللحظة التي سبقت طلبها أخذ مكان ابنة السيد آهن. كانت تشتاق إلى الاستلقاء في الغرفة الصغيرة حيث يتساقط الغبار من الجدران الطينية، محشورة بين جدّتها وأخواتها، في حين تحكُّ لدغات بقّ الفراش. سونام المستغرقة في أفكارها، لم تلاحظ نظرة المرأة الثاقبة إليها.

في اللحظة التي رأت فيها سونام في الضوء، اعتقدت الليدي جواك، التي خرجت للتوّ من الحمام، أنها تشبه ابنتها. ولهذا السبب دعته إلى الغرفة في المقام الأول. سألت سورين عمّا تفعله الفتاة هنا، لكن كل ما تعرفه المرأة هو ما أخبرها به الفيكونت والسائق بشأن شرائها هدية مقابل ثلاثة مكاييل من حقل الأرز. حاولت الليدي جواك استجواب الفتاة، لكنها لم تستطع الحصول على إجابة واضحة باستثناء عمرها واسمها وعلاقاتها العائلية. وعندما سألت عن سبب قدوم الفتاة، كان كل ما قالته سونام أنه كان من المفترض أن تأتي طفلة أخرى، لكنها قالت إنها لا تريد ذلك، لذا جاءت بدلًا منها.

لم تتحمّل الليدي جواك الأمر وسألت المربية أخيرًا: «ألا تعتقدين أن هذه الفتاة تشبه تشيريونج؟».

همست سورين: «تشبهها يا سيدتي؟ كيف يمكن لفتاة فلاحية متواضعة أن تشبه سيدة؟ (للحظة، بدت سورين مصدومة، لكن بعد ذلك هدأ وجهها). نعم، أجرؤ على القول إنها تشبه...».

قاطعتها الليدي جواك: «هي بالتأكيد تكلف ما يكفي. من الأفضل أن تستحق ذلك. اجعليها تساعد في تنظيف المنزل الرئيس، بدءًا من الغد. يجب أن نتأكد من أنها تكسب قوت يومها».

حتى بعد أن أخذت سورين سونام بعيدًا، جافى النوم الليدي جواك. بصرف النظر عن عدد المرّات التي فكّرت فيها في الأمر، كان ثمّة الكثير من أوجه التشابه، من الأعين الضيقة والمرتفعة قليلاً، إلى الأنف المستقيم، والفم السميك بالنسبة إلى طفلة. كان الاختلاف الوحيد أنه بينما كانت تشيريونج تمتلك وجهًا مستديرًا مثل البدر، كان لدى سونام فكٌّ نحيفٌ يشي بالجوع. في البداية، استبعدت الليدي جواك فكرة أن سونام هذه قد تكون ابنة زوجها. إذا كان الأمر كذلك، فهو لم يكن ليحبها حتى تكون خادمة تشيريونج. لكن كلما فكّرت في الأمر أكثر، ازدادت شكوكها.

نامت الفتاة لحظة استلقائها، لكنّ سورين ظلت مستيقظة مدّة طويلة بعد ذلك. قبل وصول الفتاة، كانت على وشك التوسل إلى الفيكونت هيونجمان ليمنح ابنها وظيفة، سواء في المنجم أو الشركة التجارية. خطت لقول ذلك حتى يتقن تاي-سول العمل؛ سيكون كافيًا ببساطة من أجل إطعامه ومنحه مكانًا للنوم. لم تكن قد تحدّثت عن الأمر بعد، لكنّ عندما سمعت أنه أعطى ثلاثة مكاييل من حقول الأرز لتلك الفتاة المتواضعة، شعرت بالمرارة والاستياء.

في حالة عدم توفّر عمل لتاي-سول في الشركة، فمن المفترض أنها تستطيع أن تطلب من الفيكونت أن يمنحه وظيفة رعاية جانجهوي ليحلّ محلّ الرجل العجوز، السيد جو. عندما رأت سورين كيف أحضر سونام بالرغم من أنها نفسها كانت تتولّى العمل مربية أطفال لتشيريونج، فكّرت أنه ربما يرغب أيضًا في منح جانجهوي شخصًا من العمر نفسه. مثل تشيريونج وسونام، لم يكن يفصل بين جانجهوي وتاي-سول سوى عام واحد. كان العمل المكتبي أمرًا جيدًا بالطبع، لكن لن يكون من السيئ إذا تمكّن من أن يصبح خادم جانجهوي، حيث إن الشاب سيرث يومًا ما كل شيء في قصر جايهوي-دونج.

إذا كانت سونام تستحقُّ كل هذه الأرض، فكيف سيفوق ذلك ما سيحصلُ ابنها عليه بعد تخرُّجه في المدرسة؟ غرقت سورين في تخيُّلات سعيدة. ومع ذلك، فقد اعتقدت أن ثلاثة مكاييل من حقول الأرز ستكون أكثر من اللازم، حتَّى بالنسبة إلى ابنها، وتساءلت عمَّا إذا كانت شكوك الليدي جواك في أن تشيريونج وسونام متشابهتان قد لا تكون غيرة عقيمة. تمتت سونام في أثناء نومها واقتربت من ذراعي سورين.

في البداية، دفعتها بعيدًا ببرود، لكنها لاحقًا احتضنت الفتاة وهي نائمة. عندما استيقظت سورين، لم تحرَّر قبضتها. ذكَّرتها الطفلة التي بيعت في مثل هذه السنِّ المبكرة بأطفالها الذين إمَّا ماتوا وإمَّا أرسلوا بعيدًا، واعتراها الأسف لأن كل ما يمكنها فعله هو جعل الطفلة تعمل بلا كلل حتَّى لا يكون لديها الوقت الكافي للتفكير في منزلها الذي تركته وراءها.

التعرُّض لمضايقات تشيريونج أرهق سونام أكثر من تنظيف المنزل الرئيس، وإفراغ أواني الغرفة، وإجراء شتَّى أنواع المهمَّات. عندما عادت تشيريونج إلى المنزل من المدرسة، كانت تحب اللعب في المنزل بصحون الأرز والأطباق والغلايات اللعبة.

في البداية، شعرت سونام بسعادة غامرة لمجرَّد المشاهدة من الجانب. وكانت الألعاب المفضَّلة لديها من بين ألعاب سيدتها الشابة الدمية التي يمكن أن تُلبسها الثياب وتجردها منها، والتي تغمض عينيها عندما توضع على الأرض.

في أحد الأيام، سألت تشيريونج فجأة: «هل تريدن هذه؟». كانت دمية مختلفة تضرَّرت ولم تتمكَّن من إغلاق إحدى عينيها.

سألت سونام بنبرة متشككة: «حقًّا؟».

رمت تشيريونج الدمية أمام سونام، وقالت: «بالتأكيد».

رقدت هناك بعين زرقاء مفتوحة. التقطتها سونام على عجل، وعانقتها، ثم ربَّتها بعناية. لم تصدِّق أن لديها دميتها الخاصة. كان قلبها يخفق بشدَّة

وتأقت إلى أن تُريها أخواتها، وإن كانت صادقة مع نفسها، فقد تأقت أيضاً إلى التباهي قليلاً.

لعبت تشيريونج بدمية شقراء ترتدي فستاناً زاهي الألوان.

- دميتي أميرة. ماذا تريد أن تكون دميتك؟ ماذا عن متسولة؟

- حسناً، ستكون جنّية.

- أي نوع من الجنّيات تلك، ذات العين الواحدة والتي ترتدي زيّ متسولة؟

عندما استفزتها تشيريونج، تذكّرت سونام قصة قديمة روتها جدّتها.

- هذا لأنها ارتكبت خطأً في الجنّة فعاقبها الإمبراطور اليشم. والآن

ستصبح جنّية حتّى تعود إلى الجنّة.

اختلقت القصة، لكن الأمر بدا معقولاً.

قالت تشيريونج بنبرة تحاكي صوت دمية: «حسناً، أنت الآن متسولة،

أليس كذلك؟ وأنا أميرة. أيتها المتسولة الصغيرة، ألن تأتي إلى هنا؟».

تحملت سونام التجاهل والإهانة، لكن ليس الوقاحة مع دميتها، فقالت:

«إنها هكذا الآن، لكنها ستصبح جنّية مرّة أخرى قريباً. الجنّية أهمُّ بكثير من

الأميرة».

دفعت تشيريونج دمية سونام بدميتها قبل أن تنتهي من الحديث: «ماذا

تفعلين أيتها الصغيرة ذات العين الواحدة؟ لا يمكنك حتّى أن تري بشكل

صحيح».

صرخت سونام: «كيف تجرؤين! هذه هي العقوبة التي فرضها الإمبراطور

اليشم عليها!»، والتقطت دميتها وخبطت الدمية الشقراء في المقابل.

بدأت تشيريونج حائرة للحظة، قبل أن تتحوّل إلى غضب، وصاحت:

«أنت!»، واندفعت نحو سونام وخربشت وجهها. أمسكت سونام بشعر سيدتها

الصغيرة، وتدحرجت الاثنتان على الأرض، تخربشان، وتشدُّ كلُّ منهما شعر

الأخرى.

وبسبب الحادث، تعرّضت سونام للجلد بالسوط بشدّة على ساقها، ولكن

العقوبة الأسوأ جاءت بعد مدّة وجيزة ولم تكن ذات صلة بالقتال.

بدأ القمل الذي جلبته سونام من قربتها في هجرة كبيرة، بحثًا عن مرعى جديد. كان من المعروف بين جميع العاملين في المنزل أن الفيكونت يكره الحشرات، ولم يقتصر الأمر على أفراد الأسرة فحسب، بل كان جميع الخدم أيضًا يولون اهتمامًا كبيرًا بالعناية والنظافة الشخصية.

لم يُكتشف تفشي المرض إلا بعد عشرة أيام من وصول سونام، تلاه حملة تطهير واسعة النطاق. خضع جميع من في قصر جايهوي-دونج دون استثناء للتطهير. جميع ملابس سونام، بما في ذلك الملابس التي كانت ترتديها، والملابس الإضافية وحزمة القماش التي لفتها بها، التي أحضرتها من المنزل، وصنادلها المصنوعة من القش، دخلت الفرن. الشيء الوحيد الذي احتفظت به من قربتها هو جسدها. حاكت الخياطة ملابسها الجديدة من مخلفات الخدم الآخرين. وأخيرًا، كان عليها أن تحلق رأسها.

جلست على كرسي خشبي في الفناء الخارجي.

اجتمع عمال المطبخ وخدم المبنى الملحوق، وكذلك تشيريونج، كما لو كانوا في عرض كبير. سونام، ملفوفة بقطعة قماش، بدت مستعدة للبكاء، وأغلقت عينيها عندما بدأت سورين في قص شعرها بالمقص. كان الشعر ينمو منذ ولادتها، ومع كل قصة، بدا كأنما زكريات عائلتها وذكرى تلك المرة التي غسلته فيها والدتها ومشطته وضفرتته، كانت تُقص أيضًا. تساقطت خصلات الشعر مثل شظايا من هويتها وارتباطها بحياتها السابقة في قربتها. وبمجرد الانتهاء من قص شعرها، أحضر أحد الخدم ماكينة قص الشعر وحلق ما تبقى من شعرها. في هذه اللحظة أدركت سونام تمامًا أنها قد لا ترى منزل أهلها مرة أخرى.

غنت تشيريونج بطرب: «الراهبة، الراهبة، الراهبة الصلحاء. الراهبة، الراهبة، الراهبة الصلحاء».

كانت السيدة الشابة تعاني أيضًا القمل، لكن بدلًا من قص شعرها، كانت سورين تمشطه عدة مرات في اليوم لإزالة جميع الحشرات والبيض. أصبح شعر تشيريونج الأسود اللامع أكثر لمعانًا الآن مما كان عليه قبل تفشي المرض.

كانت سونام الشخص الوحيد في قصر جايهوي-دونج الذي حُلِقَ رأسه. وعندما انتهى حلق شعرها، أعطتها سورين مكنسة وطلبت منها كنسه وإحراقه في مدفأة مسكن الخدم.

قالت تشيريونج قبل أن تختفي في المجمع الداخلي: «بمجرد أن تنتهي، تعالي إلى غرفتي».

حملت سونام حزمة الشعر وركضت عبر الفناء. وبعد أن أسقطتها في النار، استلقت بجوار المدخنة التي كانت خلف جناح الرجال. كان هذا المكان الوحيد في قصر جايهوي-دونج حيث يمكن أن تكون بمفردها. كانت أوراق شجرة المشمش ذات اللون الأخضر الباهت، وأزهارها المتساقطة كلها، ترفرف في مهبِّ الريح. اخترقت أشعة الشمس ما بين الأوراق، ممَّا شكَّل أنماطًا على الأرض. وبينما كانت تجلس متكئة على المدخنة، تخيلت أنها قد عادت إلى المنزل، تحت شجرة الكاكي.

لم تكن تريد الذهاب إلى غرفة تشيريونج برأسها الأصلع، وكرهت فكرة مدى مضايقتها لها. بالنسبة إلى تشيريونج، كانت سونام بمنزلة إحدى ألعابها المتنوعة، مثل الدمى والألعاب -هي وحدها القادرة على التحدُّث والتحرُّك وأحيانًا التعبير عن رأي معين، وهو ما كان أكثر متعة. سونام لم تستطع فهم السيدة الشابة. في بعض الأحيان كانت لطيفة مثل أختها، ثمَّ تصبح فجأة لئيمة. منذ ذلك الشجار حول الدُّمى، تعلَّمت سونام أنه بصرفِ النظر عن مدى لؤم تشيريونج، فإنها لا تستطيع الدفاع عن نفسها.

«لماذا دفع الفيكونت هذا القدر من المال لفلاحة مثلك؟ إذا لم تحذري، فسُيعيدك وسيفقد أبوك حقول الأرز».

هذا ما قالته سورين وهي تجلد ساقها في ذلك اليوم.

لكن ما خافت منه سونام أكثر من طردها أو تعرُّضها للجلد هو عدم الحصول على ما يكفي من الطعام. بعد القتال مع تشيريونج، امتنعوا عن تقديم الطعام لسونام لمدة يوم كامل. كانت هناك مرَّات عديدة في منزل القرية اضطرُّوا فيها إلى تخطِّي وجبات الطعام، لكنَّ حينذاك كانت عائلتها كلها تتصوَّر جوعًا. كان من الصعب جدًّا تحمُّل كونك الشخص الوحيد في قصر جايهوي-دونج الذي يعاني الجوع.

في تلك الليلة، زارتها أختها الكبرى في الحلم. لم تقل كلمة واحدة، لمست جروح سونام، وعيناها ملأنتان بالدموع. شعرت سونام بسعادة غامرة لرؤية أختها للمرة الأولى منذ مغادرتها المنزل، لكنها كانت مرهقة وجائعة للغاية لدرجة أنها لم تستطع التحدث بكلمة واحدة.

في بلدتها، قال القرويون إن أختها الكبرى كانت شبخًا.

عندما ذكرت سونام رؤيتها لأول مرة، ربطوها إلى شجرة عناب لتطهيرها من تلك الروح التي تطاردها. لم تهتم مطلقًا إن كانت أختها شبخًا أم لا، لأنها كانت صديقتها الحقيقية الوحيدة. الآن بعد أن غادرت سونام المنزل، كانت أختها الوحيدة من حياتها القديمة التي يمكنها زيارتها.

«اشتقت لك، يا أوني. اشتقت لك».

وبينما كانت تسند ذقنها بيدها، سألت الدموع التي حبستها أمام تشيريونج والخدم الآخرين على ساقيها.

في تلك اللحظة، طغى ظل طويل على ظلها. مندهشة، رفعت سونام عينيها ببطء. أول ما رآته هو الأحذية بدلًا من الصنادل المصنوعة من القش، والسراويل السوداء بدلًا من التنورة البيضاء. انحنت إلى الخلف حتى كادت أن تسقط، نظرت إلى الأعلى لتجد شقيق تشيريونج، الذي كان يرتدي زيًا مدرسيًا أسود، ينظر إليها.

قالت سونام وهي تنهض على قدميها بتردد: «السيد الصغير!».

ومن دون كلمة واحدة، أخرج شيئًا من جيبه وناولها إيّاه. كانت قطعة حلوى.

بعينين متسعيتين، نظرت سونام بالتناوب من الحلوى إلى جانجهوي.

الذكرى الوحيدة لسونام عن تناول الحلوى كانت في احتفال سنوي ياباني خاص، وقد تذكّرت في تلك اللحظة الطعم بوضوح. لماذا يعطيها ابن الفيكونت مثل هذا الشيء الثمين؟ عندما لم تجرؤ سونام على أخذها، أمسك السيد الشاب بيدها وضغط الحلوى مقابل كفها. وبينما كانت تحدق إلى الكنز الجميل على نحو رائع، انعطفت عند الزاوية واختفى.

الفصل الرابع

حسد وازدراء

في خريف عام 1929، أقامت الحكومة العامّة لكوريا معرض جوسون في قصر جيونجبوك للاحتفال بالذكرى العشرين لتأسيسها. وانتظرت طوابير طويلة من المتفرّجين أمام القصر، طوابير ضمت سكان سيول المحليين، بالإضافة إلى زوّار من المقاطعات، والذين وقفوا في مجموعات يتبعون راية تحمل علامة من اللون نفسه على صدورهم أو أكتافهم أو أطراف أكمامهم. بالنسبة إلى سكان سيول، كان المظهر المذهول للقرويين وتخبّطهم المرتبك بمنزلة مشهد في حدّ ذاته.

قالت تشيريونج التي حضرت الاحتفال مرّتين، مرّة في حفل الافتتاح، ومرّة أخرى في رحلة مدرسية: «كنت محقّة، أليس كذلك؟ أليس هذا رائعاً؟». كانت هذه المرّة الأولى التي تطأ فيها قدم سونام خارج قصر جايهوي-دوج خلال عامين ونصف منذ وصولها إلى سيول. عندما كانت في العاشرة من عمرها، ولم تكن لديها أية مهام للقيام بها خارج الجدران، وكانت تقضي أيامها الطويلة في القيام بالأعمال المنزلية في الصباح وخدمة تشيريونج بعد عودتها من المدرسة في فترة ما بعد الظهر. علاوة على ذلك، في كل فرصة، كانت سورين تحذّرها من أن سيول هو المكان الذي يمكن أن يُقطع فيه أنفها

إذا رمشت بعينيها، وأنها إذا خرجت، فقد تُختطف. وحتى مع هذه التحذيرات القاسية، كانت تتساءل دائماً عما يكمن خلف الجدران.

نما شعر سونام إلى قصة مموّجة قصيرة، وبالرغم من أنها كانت لا تزال تشعر بالحرّج من مدى قصره، فإنها لاحظت عددًا لا بأس به من الفتيات ذوات الشعر المموّج في الشوارع. نظرًا لأن هذه أول مرّة تغادر فيها المنزل، اعتقدت سونام أن قصر جايهوي-دونج قصر عظيم، لكنها الآن تقف أمام قصر حقيقي، حيث كان يعيش الملك ذات يوم. داخل أراضي قصر كيونج-بوكجونج، الذي بدأ أكبر بعشرات الآلاف من المرّات من القصر الذي عاشت فيه، شغلت أبراج الدعاية المزوّدة بمكبرّات الصوت الموسيقى التي يمكن سماعها عبر الفناء. نبض قلب سونام بالإثارة، ونظرت حولها بسرعة وهي تحاول تجربة كل شيء دفعة واحدة.

قالت تشيريونج: «أوقفي سيلان لعابك. إذا كنتِ مبهورةً هكذا بالفعل، فسوف يُغمى عليك عندما ندخل».

احمرّ وجه سونام خجلًا وغطّت فمها.

قال جانجهوي فيما كان يسير في اتجاه مكتب التذاكر: «سأذهب لشراء التذاكر، لذا ابقيا هنا ولا تتحرّكا». تتبعت عينا سونام ظهره وهو يرتدي زيّه المدرسي. كانت على يقين من أن السيد الشاب لم يدرك أنه في اللحظة التي وضع فيها قطعة الحلوى في يدها، أصبح شخصًا مميزًا بالنسبة إليها. على عكس فراخ البط التي تتبع أمها بشكل محموم، تجنّبته، خوفًا من أن يلاحظها ورأسها الحليق، ثمّ شعرها القبيح الذي ينمو ببطء مرّة أخرى.

ظهر السيد الشاب في اللحظة الأكثر حزنًا ووحدة في حياتها. وكأنه قال: «في هذا البيت أنا إلى جانبك». كان جانجهوي أقوى شخص في قصر جايهوي-دونج بعد الفيكونت والليدي جواك. حتى بالنسبة إلى تشيريونج، لم يكن شخصًا يمكن الاستخفاف به. كلما تخيلته بجانبها، حتى فكرة كونها خادمة لشخص ما بدت لها مقبولة.

تفاجأت عندما أتت سورين إليها في ذلك الصباح بأخبار الرحلة، وقالت: «سونام، أنت محظوظة. يرسلك الفيكونت لزيارة المعرض مع السيد الشاب والسيدة الصغيرة».

سمعت سونام الكثير بالفعل عن المعرض. أرادت الحكومة العامّة حدثًا ناجحًا لإظهار شرعية وإنجازات الحكم الاستعماري للكوريين وكذلك لليابانيين والأجانب. لكن مع بداية أزمة الكساد العظيم العالمية، كان الاقتصاد الياباني غارقًا في الركود، وكانت كوريا تعاني المجاعة لمدة ثلاث سنوات بسبب الجفاف وسوء المحاصيل.

قبل بضعة أشهر، أطلق القائد العام للحكومة حملة دعائية واسعة النطاق. أقيمت مسيرات من السيارات والفوانيس، وشملت حتى نساء الجيسينج من كوريا القديمة. تزيّن شارع نامدايمون، الذي يمتدّ من محطة سيول إلى قصر كيونج-بوكجيونج، بالأعمدة والفوانيس.

خلال الفصل الدراسي، رسم الطلاب ملصقات وبطاقات بريدية تروّج للمعرض وحفظوا «أغنية المعرض» التي غنّتها تشيريونج كل يوم عندما كانت تعود إلى المنزل. «دعونا نذهب أيّها الأصدقاء / دعونا نذهب، دعونا نذهب، دعونا نذهب إلى المعرض / دعونا نذهب إلى مكان فخرنا».

غالبًا ما وجدت سونام نفسها تدندن باللحن وهي تكنس التراب.

انضمّ جانجهوي إلى الطابور أمام مكتب التذاكر، وشاهد رجال الشرطة بالهراوات وهم يطاردون المتسوّلين. وبالإضافة إلى المتفرّجين، ازدحم الباعة على الأرض. نظر رجل يرتدي بدلة وقبعة بحدّة في اتجاهه. ربما كان الرجل شرطياً سرياً. كانت الحكومة يقظة في تحديد واستهداف أولئك الذين أرادوا استغلال المعرض للاحتجاج أو المطالبة باستقلال كوريا. وكان الطلاب مثله خصّصي موضع شك.

لم يكن له علاقة بمثل هذه الأشياء، ونظر إلى أبراج الدعاية بعينين متعبتين. نُشرت الإعلانات الخاصّة ببيرة كيرين اليابانية وتوابل أجينوموتو في لافتات هائلة، ضخمة بما يكفي لرؤيتها من مسافة بعيدة. كانت بوابة كوانجهوامون الرئيسة لأرض المعرض في الأصل هي المدخل الرئيس لقصر جيونج-بوكجيونج، الذي هُدم ونُقِل إلى شمال جيونتشونمون، البوابة الشرقية. عندئذٍ حُجِبَ منظر قصر جيونج-بوكجيونج بسبب مبنى المكاتب المشيّد حديثًا من أجل الحكومة العامّة التي عيّنتها اليابان.

في هذه الأيام، كانت المحادثات داخل حجرات الفصل تزخر بالانتقادات حول المعرض.

«إنهم يزعمون أن المعرض ساعد العاطلين من العمل وأن الاقتصاد قد تحسّن، لكن لا يمكن لأحد أن يصدّق ذلك إلا إذا دفن رأسه في الرمال. هدموا منازل الفقراء، وأجبروهم على المشاركة والعمل».

«رسوم الدخول، التي كانت ثلاثين سنتًا للبالغين وخمسة سنتات للأطفال، تعادل نصف الأجر اليومي لعمّال المدينة. إذا جاء الناس من الريف، فلا بدّ من إضافة تكلفة النزل والطعام والنقل».

نُظمت فعاليات داعمة في كل منطقة من أجل الاستضافة الناجحة للمعرض. كان دورها جمع الأموال لإنشاء سرادق إقليمي خاص وجذب الزوار. وقد أقام الفيكونت هيونجمان، بصفته مسؤولاً تنفيذياً لجمعية أنصار سيول، عدّة حفلات في المبنى الملحق للترويج للمعرض وجمع التبرّعات. بالنسبة إلى جانجهوي، كل ما قاله زملاؤه بدا كأنه موجّه لأذنيه.

وبعد انتظار طويل، وصل أخيرًا إلى مقدّمة الصف واشترى التذاكر، ثم عاد إلى تشيريونج وسونام وقادهما إلى أرض المعرض. كان ثمّة طريق مستقيم يؤدّي من البوابة الرئيسة إلى سرادق جيونج-هويرو، واصطّفت قاعات العرض المختلفة على كلا الجانبين، لكن تشيريونج كانت مهتمّة فقط بأرض الأطفال، التي كانت على يمين المدخل مباشرة.

السبب الوحيد الذي جعل جانجهوي، يوافق على إحضار أخته إلى المعرض هو جانجسو. كان جانجسو، زميل دراسة والصديق المقرب الوحيد لجانجهوي، يعيش في حي فقير في آهيون-دونج، لكن عائلته فقدت منزلها، وكان من بين العديد من المنازل التي تعرّضت للهدم من أجل المعرض. تفرّقت الأسرة بحثًا عن مكان للعيش فيه، واضطر جانجسو إلى ترك المدرسة. عندما سمع الأخبار، أحضر جانجهوي صديقه إلى المنزل وهو يفكر أن يطلب من والده أن يمنحه وظيفة، إمّا في شركته وإمّا معلمًا لتشيريونج. وهكذا حتّى تخرّجه، سيكون جانجسو قادرًا على دفع تكاليف إقامته ورسومه المدرسية. في ذلك اليوم، زار جانجهوي والده في مكتبه في المبنى الملحق، لكن رفض أبوه طلبه بسرعة.

أوضح أبوه: «بالنسبة إلى الرجل، الأصدقاء مصدر قوة. يمكنك معرفة نوع الشخص من خلال النظر إلى الأشخاص الذين يُبقِيهم من حوله. لماذا أرسلك جدك إلى روضة أطفال مرموقة؟ لماذا أقيمتُ حفل قبول في المدرسة الثانوية؟ كان ذلك لمساعدتك في تكوين صداقات مناسبة لحالتنا العائلية. من الآن فصاعدًا، عليك تكوين صداقات تناسبك بكل الطرق. ومع ذلك، ليس أمرًا سيئًا أن تتعاطف مع شخص محتاج، لذا سأسمح له بالبقاء في جناح الرجال معك حتى يتمكن من العثور على مكان للعيش فيه. في المقابل، عليك أن تفعل شيئًا من أجلي».

أدرك جانجهوي أنه كان يتوقّع أكثر من اللازم من والده. وبدلاً من منح صديقه وظيفة، كان ممتنًا أن والده لم يطرده في التوّ واللحظة.
سأل جانجهوي بتردّد: «ما هذا الشيء؟».

- خذ تشيريوينج إلى المعرض هذا الأحد. أنتما الشخصان الوحيدان في العالم اللذان يشاركانني في الدم. إذا كان يجب أن أموت، فسيتعيّن عليك أن تكون بمنزلة أخٍ أكبر لتشيريوينج. لكنك لا توليها سوى القليل من الاهتمام، ومن الصعب تصديق أنكما أخ وأخت ولستما غريبين تمامًا. إذا ذهبت للدراسة في الخارج أو تزوّجت، فسوف تبتعدان أكثر عن بعضكما بعضًا. من الآن فصاعدًا، حاول بناء علاقة أخوة مع تشيريوينج. تلطّف معها في الحديث، وساعدها في الدراسة. حاول إجراء محادثات معها.

الآن، بينما كان يشاهد تشيريوينج وهي تضحك دون انقطاع، اعتقد جانجهوي أنه قام بعمل جيد بإحضار سونام معهما. إذ اقترح قبل ذلك على والده: «سوف تشعر تشيريوينج بالملل إذا كنّا نحن الاثنين فحسب. لماذا لا آخذ خادمتها معنا؟»، رغم أنه في الحقيقة لم يكن يريد أن يبقى بمفرده مع أخته وثرثرتها.

قالت تشيريوينج وهي تقفز إلى أعلى وإلى أسفل وهي تتحدّث: «دعنا نركب القطار أولاً! دعونا نركب القطار أولاً!». كان ثمّة قطار صغير يسير على خط سكة حديدية يحيط بأرض الأطفال.

اشترى جانجهوي تذكرتين.

سألته تشيريونج: «هل ستركب أيضًا؟»، كان هناك أيضًا العديد من البالغين يركبون القطار.

- هل أنا طفل؟ اركبي مع سونام.

- هل تريدها أن تتركب معي؟ في القطار؟

بدت تشيريونج متشككة، وبدا سونام متفاجئًا أكثر من أخته.

- هل ستركبين بمفردك بعد أن أتيتما معًا؟

سأل جانجهوي بنبرة واثقة في حين سلّم تذكرة واحدة لكل منهما. ذكّره تعبير أخته بوالده، الذي لم يعتبر جانجسو صديقًا له أو شخصًا ذا قيمة. وبينما كانتا تنتظران دورهما، كان بإمكانه رؤية الفتاتين بالكاد تسيطران على حماستهما.

هتفتا فجأة: «حان دورنا».

ركضت الاثنتان بسرعة كبيرة حتى بدا أنهما على وشك التعثر، لكنهما استقلتا القطار الصغير بأمان. وعندما دخل كهفًا مظلمًا، ظهرت على الجدران جداريات تصوّر مناظر طبيعية أجنبية. كان الأمر كما لو كانتا في رحلة بحرية. وفي النفق الثاني، تكشفت المناظر الطبيعية الكورية، من بوسان إلى جبل جيومجانج. مجرد النظر إلى الصور جعل سونام تشعر بالمغامرة. لم تكن تريد النزول من القطار، ولم تكن تريد أن تستيقظ ممتًا بدا كأنه حلم رائع.

عندما انتهت الرحلة أخيرًا، ابتسمت تشيريونج لسونام وقالت: «ألم يكن ذلك ممتعًا؟».

بعد ذلك، واصل جانجهوي شراء تذكرتين لكل رحلة. ركبت سونام لعبة ركوب الأمواج وعجلة المرح. لم تقل تشيريونج أي شيء آخر عن انضمام سونام إليها، حتى إنها أمسكت بيدها، على ما يبدو دون أن تدرك ذلك.

خاضتا رحلة بحرية في قاعة استكشاف الغواصات وزارتا قاعة صيد الحيوانات البرية. كانت ثمّة نماذج حيوانات مثل النمر والأسود والديبة. أي طفل يطلق مسدسًا هوائيًا ويسقط نموذج حيوان صغير يحصل على حلوى كراميل الحليب أو مشروب غازيٍّ جائزة. بعد أن أخطأت تشيريونج كل طلقة،

أخذت سونام دورها، وضربت نموذج الدُّبِّ، وحصلت على علبة بها عشر قطع كراميل.

راحت سونام تلهث من فرط الإثارة. أعطتها تشيريونج بعضاً منها ذات مرّة، لذلك عرفت طعم الحلوى الناعمة والمطاطية التي أسالت لعابها بمجرد التفكير فيها.

قال جانجهوي مبتسماً: «سونام محظوظة».

كانت سونام مترددة في تناول الكراميل، حيث أرادت الاحتفاظ بها كتذكار لليوم إلى الأبد، لكن عينيّ سيدتها الصغيرة كانتا على الحلوى، ولذلك تقاسمتها معها.

مدّت تشيريونج يدها الأخرى، وقالت: «لا، أعطني الحلوى كلها. ألا تعلمين أن ما لك هو لي؟». نظرت سونام، وهي على وشك البكاء، إلى جانجهوي كما لو كان قاضياً، لكنه بدا في حيرة.

سأل أخته: «لماذا هذا لك؟ سونام فازت بالجائزة».

ضحكت تشيريونج: «لا، لقد أحضرناها بأموالنا، فهي ملكنا».

قال جانجهوي: «سأشتري المزيد لك لاحقاً في المتجر، لذا تشاركها مع بعضكما بعضاً في الوقت الحالي»، محاولاً تهدئة أخته، لكنها تجاهلته وأمسكت بالكراميل المتبقي من يد سونام.

نظرت إليه سونام مرّة أخرى، لكنه ابتعد هذه المرّة.

عادت تشيريونج وسونام، اللتان كانتا صديقتين حتى هذه اللحظة، إلى علاقتهما السابقة؛ سيدة وخادمتها. تخلّت سونام عن التفكير في أنها تمتلك أي شيء بعد أيام قليلة من دخولها قصر جايهوي-دونج، لكنها لم تستطع إلا أن تشعر بخيبة الأمل لأن جانجهوي لم يدافع عنها.

عندما قدّمت تشيريونج إليها قطعة كراميل واحدة، هزّت سونام رأسها. لم تكن تريد أن تتماشى مع هذا الكرم المُفتعل.

قالت تشيريونج قبل أن تتجه إلى شقيقها: «توقّفني عن التظاهر بأنك لا تحبينها». ثمّ وجهت كلامها إلى أخيها: «أريد ركوب الطائرة».

اشترى جانجهوي تذكرتين، لكن هذه المرّة هزّت سونام رأسها رفضاً.

وعندما اقترب دورها، سألته تشيريونج: «أنت ستركب أيضًا، أليس كذلك؟ انظر، هناك الكثير من البالغين يركبون اللعبة. أريد الركوب معك».

سأل جانجهوي سونام: «هل أنت متأكّدة أنك لا تريدين الركوب؟ (وعندما أومأت برأسها، أضاف بتعبير عاجز) لا تذهبي إلى أي مكان. فقط انتظري هنا حتّى نعود إليك».

ركب ابنا الفيكونت الطائرة التي هبطت على الأرض. كانت طائرات الرحلة الأربع تتدلى من كابلات تدور حول برج طويل، وتتحرك إلى أعلى وإلى أسفل في الهواء في أثناء دورانها. وفي كل مرة تمرُّ أمام سونام، ترتفع الهتافات بين الركاب والمتفرجين. تنهّدت سونام بعمق. إذا انتشر خبر ما حدث، فهي متأكّدة من أنها ستُعاقب بشدّة من قِبَل الفيكونت أو سيداتها. كانت سورين تضرب رأسها بمفاصل أصابعها قائلة إنها فتاة لا تعرف مكانها.

«سونام! هنا، هنا!».

في أثناء مرورهما فوق سونام، ابتسمت تشيريونج بإشراق، وصرخت كما لو لم يحدث أي شيء قبل قليل، وجانجهوي جالسٌ بجانبها وهو يضحك.

بعد مرور الطائرة، أعطت سونام ظهرها للعبة.

سألته أخته: «هاي، هذا ممتع، أليس كذلك؟ ألسن سعيدًا لأنك أتيت؟».

تظاهر جانجهوي بأنه لم يسمع أخته فيما واصلت الطائرات التحليق حول البرج. كان والده على حق. لم يكن لديه أي مودّة لأخته، والأشياء تصبح دائمًا محرّجة عندما يكون الاثنان وحدهما.

تنامى عدم اهتمامه بها منذ المرّة الأولى التي علم فيها بأمر والدته البيولوجية، عندما كان في التاسعة من عمره. صوّت له حتّى يحتل منصب رئيس للفصل، والصبي الذي أصبح نائبًا للرئيس ظل يتشاجر معه. كثيرًا ما تجادل الاثنان أو تشاجرا بالأيدي. ذات يوم، عندما كانا وحدهما، سخر منه الصبي بإهانة لم يسمعها من قبل «أنت مجرد طفل محظية».

كان الأمر غير متوقّع على الإطلاق، لكنه عرف غريزيًا أن الكلمات كانت صحيحة، لأنها أعطت معنى لأحداث مختلفة طوال حياته. الليدي جواك، الأم التي بدت في لحظة ما وكأنها تذوب من الحب، لكنها فجأة رفضته بتعبير

أبرد من الصقيع؛ المظهر الغريب لعائلة والدته. والده، الذي عادةً ما يكون باردًا، والذي ذات مرّة، عندما كان في حالة ثمالة، احتضنه ونادى باسم غير مألوف، وقال إنه سيعتني دائمًا بجانجهوي؛ الخدم الذين كانوا يتوقّفون عن الكلام الهامس عند ظهوره....

انقسمت حياته إلى زمن قبل أن يعرف، وزمن بعد أن عرف. ذكر والدته البيولوجية مرّة واحدة فقط في القصر، عندما سألت السيدة بارك عرضًا، فيما كان يتناول وجبة الإفطار: «أين أمي الحقيقية؟».

هتفت: «بحق الجنان الطيبة. لماذا تسأل؟ في المنزل الرئيس بالطبع. (ثمّ تنهّدت السيدة بارك باستسلام عندما نظر إليها جانجهوي بهدوء وانتظر). لقد ماتت عندما كنت صغيرًا جدًّا. يجب أن تفكّر في سيادتها على أنها أمك الوحيدة».

ومع انتهاء الرحلة، هبطت الطائرات ببطء وتوقّفت. مرهقًا، كما لو أنه سافر بعيدًا على متن طائرة حقيقية، كان أول ما لاحظته أنه لم يتمكّن من رؤية سونام بين العديد من الأطفال الذين يرتدون البلوزات البيضاء والتنانير السوداء. تصلّبت تعابير وجه جانجهوي. كانت الصحيفة تنشر أخبار الأطفال المفقودين كل يوم، وكانت الفتاة التي جاءت من الريف طفلة لم تبرح المنزل إلا مرّة واحدة. لم تكن حتّى قادرة على القراءة.

قالت تشيريونج: «لا بدّ أن سونام هربت!».

قال جانجهوي بصوت هادئ: «لماذا تهرب؟ (ولكن في داخله تنامى القلق). سأبحث عنها. أنتِ ابقِ هنا».

قالت تشيريونج وهي تمسك بمعطفه: «سأتي معك».

- ابقِ هنا. إذا عادت سونام وهي لا تعرف أين نحن، فقد لا نجدها أبدًا.

أومات أخته بعصبية وحرّرت معطفه.

ركض جانجهوي بحثًا عن الفتاة. كان يتذكّر في ذهنه النظرة التي كانت على وجهها عندما أخذت أخته الكراميل ولم يفعل شيئًا. وفي اختفائها المفاجئ، أدرك أنه يهتمّ بما حدث لها. يتذكّر عندما كان في الثانية عشرة من عمره، ورؤيته الأولى لها بعد وصولها إلى القصر، ولاحقًا، عندما كان يراها

أحياناً في جناح النساء حيث كان يزورها لإلقاء التحية على والدته. لفتت انتباهه في كثير من الأحيان وهي تركض مبتسمة. في كل مرة كان يرى تنويرتها ترفرف وشعرها يتموج، كان جانجهوي يتوقف عن المشي ويبتسم كما لو أنه صادف سنجاباً على طريق جبلي. عندما سمع أنها تشاجرت مع تشيريونج، شعر بالسرور من مجرد التفكير في أنها أمسكت سيدة المنزل الصغيرة من شعرها.

تخيّل جانجهوي ما أحسّ به هو عندما جاء لأول مرة إلى جاهوي-دونج. لم يستطع أن يتذكّر أي شيء لأن عمره كان أقل من عام وقتذاك. لكن هذا الطفل، بعد أن فقد أمه ووصل إلى مكان غريب، لا بدّ أنه شعر بذلك بكل جسده وروحه. نظر إلى سونام من منظور أنهما متشابهان.

في هذه الأثناء، أدركت سونام أيضاً أنها تاهت. ذهب للبحث عن نافورة المياه التي استخدموها عند وصولهم لأول مرة، وكانت تخطّط للعودة قبل انتهاء رحلة اللعبة. هذه المرة، لم يخرج الماء، مهما لوت الصنابير ذهاباً وإياباً.

أشارت فتاة أخرى إلى لافتة وقالت: «مرحباً، لا فائدة من فتح تلك الصنابير. مكتوب هنا أنها مكسورة».

عرفت سونام أن اللافتة تحتوي أحرف كورية ويابانية، لكنها لم تستطيع القراءة. كانت لا تزال عطشى، فبحثت عن نافورة أخرى، لكنها سرعان ما وجدت نفسها ضائعة. حاولت العودة تجاه البرج فيما كانت الطائرات تدور على مسافة بعيدة، لكنها وجدت نفسها بطريقة ما خارج أرض الأطفال، مشوّشة بين الحشود المزدحمة.

المكان الوحيد الذي عرفته في سيول كان قصر جايهوي-دونج، وفجأة اعتراها الرعب. لم تستطع أن تتذكّر عائلتها جيداً، ولا حتّى والدتها وأباها. ومنذ أن أعطاهها جانجهوي قطعة الحلوى تلك، لم تر أختها الكبرى. الآن حاولت سونام مناداتها طلباً للمساعدة، لكن حتّى شبح أختها لم يتمكّن من العثور عليها في هذا المكان المزدحم.

رغم كل عيوبه، كان قصر جايهوي-دونج منزل سونام، وكان الناس هناك مثل العائلة. افتقدت سورين، بل وحتّى تشيريونج. فكّرت في جانجهوي أكثر

من أي شخص آخر. حزينه وخائفة من الاعتقاد بأنها قد لا تراهم مرةً أخرى، بالكاد حبست سونام دموعها وهي تسأل الأطفال الآخرين عن الاتجاهات. لم تسأل أي شخص بالغ لأنها كانت تخشى أن يأخذها الأشرار بعيداً إذا علموا أنها ضائعة.

«أين أذهب للوصول إلى أرض الأطفال.»

«هل تعرف أين تصعد على الطائرات؟»

كلما سألت سونام، نظر الأطفال إلى اللافتة ثم أعطوها الاتجاهات.

«انتهي في هذا المسار. ستجدينها.»

«تقول اللافتة إنه عليك الذهاب إلى هناك.»

عندما أصبح محيطها مألوفاً، راحت تهزول. ثم شعرت بيد على كتفها. تراجعت، ونظرت إلى الأعلى ورأت السيد الشاب أحمر الوجه من المجهود. وبخها: «بماذا كنت تفكرين عندما ابتعدت بهذه الطريقة؟ بحثت عنك في كل مكان!»

ألقت سونام بنفسها عليه وانفجرت في البكاء، مطلقة العنان لدموعها، فيما ربّت ظهرها ومسدت شعرها القصير.

جميع الحقوق محفوظة ©



أمسح الكود وانضم لأسرة ضاد
<https://t.me/twinkling4>

الفصل الخامس

أحلام

بناءً على استدعاء الفيكونت هيونجمان، دخل تاييسول بوجه عصبي. كان عامل توصيل من متجر بوسط البلدة قد غادر للتو.

- هل ناديتني يا سيدي؟

- خذ هذه إلى المنزل الرئيس.

أشار الفيكونت إلى سلّة بها بعض الصابون عطر الرائحة، ومعجون أسنان.

عندما غادر مكتب سيده حاملاً السلّة، زفر تاييسول. مرّ شهر منذ تعيينه موظفًا في المكتب الملحق الذي يضمّ إدارة شركتي موجيوك للتعدين وموجيوك للتجارة، لكن التعامل مع الفيكونت هيونجمان ظل يشعره بالتوتر الشديد لدرجة الارتجاف.

في الملحق، أُقيمت مأدبتان في غضون عشرين يومًا. في المرّة الأولى التي شهد فيها تاييسول مأدبة، كان قادرًا على المشاهدة بحريّة من الكواليس. انخفض فكه وهو يشاهد السيارات، وسيارات الأجرة، وعربات الريكاشة، تصطفُ أمام البوابة الحديدية، ويتعجّب من الضيوف الذين يرتدون ملابس أنيقة، ونساء الجيسينج المتبرّجات بجرأة، والموسيقيين الذين وصلوا إلى المأدبة. أخجله أنه كان فخورًا بالعثور على وظيفة في شركة في سيول

بمجرد تخرجه في المدرسة، حتى لو كانت والدته قد لعبت دورًا رئيسًا في ذلك، وكان محض كاتب. فقط بعد أن جاء إلى القصر في جاهوي-دونج وشاهد حياة عائلة المالك، علم تاي سول أنه يمكن لشخص أن يعيش بهذه الطريقة المترفة.

تحطمت أهدافه النبيلة ذات يوم في أن يصبح ضابط شرطة أو مدرسًا أو يفتح متجرًا، تحت وطأة رغبته الجديدة: أن يصبح ثريًا مثل الفيكونت، الذي كان قادرًا على العيش بهذه الطريقة بفضل ألقابه وثورته الموروثة. وبطبيعة الحال، لم يكن لدى تاي سول مثل هذا الدعم. كانت كلمات المعلم يانج سوكي مصدر الأمل الوحيد لديه، حيث قال إنه إذا طوّر مهاراته، فسيتجلى أمامه عالم يمكنه فيه النجاح بمفرده. يانج سوكي، الذي كان المعلم الكوري الوحيد في مدرسته الابتدائية، كان يؤكد دائمًا للأطفال المتخرجين أن هذه كانت البداية، وليست النهاية.

أما سورين، التي كانت قد عادت للتو من جناح الرجال، فقد أشرق وجهها وابتسمت عندما رآته. وسرعان ما سحبتة إلى المطبخ الفارغ وسألته: «لماذا أتيت إلى هنا؟».

وضع تاي سول السلّة على خزانة الطعام، وقال: «طلب منّي سيادته أن أوصل هذه السلّة إلى المنزل الرئيس».

قالت سورين: «سيادتها تلعب الورق. تغضب إذا قاطعها أحدهم، لذا سأحمل السلّة عندما تنتهي. في الوقت الحالي، اجلس وتناول بعض الشعيرية. السيد الشاب مع صديق في جناح الرجال، أليس كذلك؟ طلب منّي تحضير الشعيرية، لذلك طهوت الكثير. وقال إن صديقه ترك وظيفته مدرسًا خاصًا لأن الراتب لم يكن جيدًا. كان الأمر أسوأ بكثير من الوجود هنا».

لم يذهب ابن الفيكونت إلى المدرسة هذه الأيام. واجتاحت حركة طلابية جميع أنحاء البلاد، واعتُقل العديد من الطلاب. واحتجاجًا على الحادث، قاطع الطلاب الفصول الدراسية، بما في ذلك مدرسة جانجهوي. عدّ تاي سول أفعالهم بمنزلة لفتات لا يبادر بها سوى المرفهين. جعله ذلك يشعر بالغضب لأن لديهم الوقت والمال للقيام بمثل هذه اللفتات معدومة الفائدة في حين ينسحق الفقراء تحت أقدام الأقوياء.

فكّر في أخته الكبرى التي ذهبت للعمل خادمة في منزل رئيس البلدة، وأصبحت ألعوبة في يد سيدها، ولم تتمكّن من الهرب إلا بعد أن قبضت عليها زوجة الرجل، وزوجها هي، وضربتهما وطردتهما الزوجة وحماة الرجل. الشخص الوحيد في عائلته الذي علّم بالأمر تاييسول. عند عودتها إلى المنزل محمولة على ظهر أخيها، توسّلت إليه أخته أن يُبقي الأمر سرّاً عن جدتهما وأمهما في سيول، ووفي النهاية تزوّجت أرملاً له ابنة. أمّا أخته الصغرى، التي تزوّجت من عائلة مستأجرة فقيرة، قد غادرت إلى منشوريا، ولم يكن لديه أي أخبار عنها. والآن، كانت جدّتهم العجوز تعيش بمفردها في سنجهوان.

قال وهو يجلس فوق الخزانة بجانب السلّة: «تناولت الغداء للتوّ».

قالت الأم: «أنت في عمر يسمح لك بأكل حجر؛ نقد أرز الشعير بالكامل، وهذه الشعيرية ما تبقى. لماذا طبخت كثيرًا؟». سكبت سورين المرق بحماس فوق الشعيرية الباقية، وأخرجت بعض الكيمتشي، ووضعت كل ذلك على صينية ذات أرجل بزوايا مكسورة. اختفت الشعيرية في لمح البصر؛ شرب تاييسول كل قطرة من المرق.

ثمّ سكبت له بعض الماء المحلّى بالسكر حتّى يشربه. ارتجفت يدها وهي تغرف السكر، وهو أغلى بما لا يقاس من السكرين أو المحلّيات الأخرى. إذا أمسكت بها سيدتها، فستكون في ورطة، لكن تاييسول شرب الماء العذب بلا مبالاة في جرعة واحدة، ولعق شفّتيه.

عندما دخلت المطبخ، ابتسمت سونام ابتسامة عريضة حين رأت ابن سورين ورحّبت به بحرارة. أشرق وجهه كذلك. سونام، التي اعتقدت أن سورين أم لها، كانت ترى تاييسول على أنه فرد من عائلتها منذ يوم وصوله.

في تلك اللحظة، جاءت الخيّاطة مهرولة، وسحبت رسالة من وسط تنورتها، وقالت: «أهه، تاييسول هنا. هل يمكنك قراءة رسالة لي؟» وأوضحت أن الرسالة كانت من زوجها الذي ذهب إلى اليابان من أجل العمل.

قالت سورين لابنها: «سيادته سوف يبحث عنك بالتأكيد. عليك أن تذهب!»، فعبست الخيّاطة.

قال تاييسول: «لديّ بعض الوقت. من فضلك، أريني الرسالة».

وبينما كان يقرأ، جلست سورين على موقد المطبخ، وكتفها مفرودتين كما لو كانت سيدة المنزل. شهقت الخياطة وهي تستمع إلى كلام زوجها. دُهِشَت سونام عندما علمت أن تاييسول يستطيع القراءة، واستمعت إليه باهتمام.

اعتادت تشيريونج قراءة كتبها المدرسية بصوت عالٍ، قائلة إنها واجباتها المدرسية. لم تفهم سونام اللغة اليابانية، لكن عندما قرأت تشيريونج كتابًا باللغة الكورية، كانت أذناها تنشطان. وعندما تنظف غرفة السيدة الشابة، كانت سونام تتذكر ما يمكنها تذكره، وتفتح الكتاب على جزء به صور مشابهة لما قرأته، وتقرأ بصوت عالٍ.

في أحد الأيام، سارت تشيريونج في منتصف التلاوة، وضحكت، وقالت: «كل هذا خطأ. ما الفائدة إذا كنت لا تعرفين الحروف وتظاهرين فحسب؟». سألت سونام بخجل: «هل من الممكن تعلّم القراءة فقط من خلال الذهاب إلى المدرسة؟».

- لماذا؟ هل تريد أن تتعلّمي الكتابة أيضًا؟

أومأت سونام.

- لماذا تريد أن تتعلّمي؟

بدت تشيريونج كما لو أنها لا تستطيع أن تفهم حقًا.

- أليست المعرفة أفضل من عدم المعرفة؟

هزّت تشيريونج رأسها، وقالت: «لن تتمكني أبدًا. القراءة والكتابة صعبة جدًا».

بالنسبة إلى سونام، كانت الدراسة ترفًا للأشخاص ذوي المكانة العالية مثل ابني الفيكونت، ولأنها مجرد خادمة فقد كان ذلك بعيدًا عن متناولها. لكن الآن، الاستماع إلى تاييسول، الذي كان فقيرًا مثلها، جعلها تعتقد أنها ربما تستطيع أن تفعل الشيء نفسه.

أنهى تاييسول قراءة الرسالة ثم نسخ الرد الذي أمّلته الخياطة عليه، ما فاجأ سونام أكثر عندما علمت أنه يمكنه أيضًا الكتابة باللغتين اليابانية والكورية.

قالت الخياطة: «أوه، شكرًا لك! أرجوك، أرسل الردَّ عندما يكون لديك الوقت. (ثمَّ مدَّت المرأة يدها إلى داخل بلوزتها، وأخرجت وشاحًا مصنوعًا من قصاصات القماش). ليس شيئًا مميزًا، لكنَّ عندما تشعر بالبرد، لفَّه حول رقبتك».

حاول تايسول رفض الهدية، قائلاً: «ليس عليك أن تعطيني هذا».

قالت الخياطة وهي تضغط الوشاح في يديه: «أوه يا عزيزي، لا أحتاج إليه... يجب أن ترتديه عندما يكون الجوُّ باردًا».

فجأة سألت سونام، التي كانت لا تزال ترقبه بعينين متسعيتين وفم مفعور قليلاً: «هل لديك أي شيء يصلح للقراءة؟ وأريد أن أتعلَّم الكتابة أيضًا».

سألها: «حقًا؟ هل يجب أن أعلمك؟».

لوَّحت سورين بيديها باستخفاف، وقالت: «يا إلهي! هل تملك الوقت لذلك؟! كما إن سونام ليس لديها وقت أيضًا».

متجاهلاً والدته، نظر تايسول إلى سونام، وقال: «يمكن تعلُّم الأبجدية الكورية بسرعة. سأعلمك كلما سنح لي الوقت».

كما وعد، بدأ تايسول تعليم سونام عندما كان لديهما لحظات من وقت الفراغ، عادةً ليلاً. بدأ بالأصوات الأولى والأبسط للأبجدية الكورية، وسرعان ما تعلَّمت كيفية قراءة المقاطع من دون حرف ساكن أخير.

وافقت سورين أخيرًا على أنه حتَّى لو كانت فتاة، فمن الجيد الهروب من الجهل، ولذلك قلَّت عبء عمل سونام وتساهلت معها. في بعض الأحيان، عندما كانت سونام البالغة من العمر عشر سنوات شديدة الحماس، تصبح سورين قلقة بعض الشيء وتقول: «أوه، ليس من الجيد أن يكون لدى الفتاة الكثير من الأشياء في رأسها».

درست سونام بجدِّ، وعلمها تايسول بهمة. ومع تحسُّن مهاراتها، قال إنها بمجرد أن تتقن الحروف الكورية كلها، فسوف يعلمها اللغة اليابانية. تراءى لها أن عالمًا جديدًا يفتح مع كل حرف جديد تتعلَّمه. الآن، عندما كانت

تنظّف، راحت تقرأ كتب تشيريونج المدرسية الكورية، وإذا وجدت عبارة لم تفهمها، أو كلمات لم تعرفها، كانت تجلبها إلى درسها التالي.

كانت سونام أيضًا مسؤولة عن تنظيف جناح الرجال منذ الربيع. راقها هذا أكثر من مسؤولياتها العديدة. كان تنظيف المنزل الرئيس، حيث تعيش النساء، عملًا أقل، ولكنه أصعب على العقل من الجسد. أصبحت شخصية تشيريونج الآن مألوفة ويمكن التعامل معها، لكن نظرة الليدي جواك الشرسة كانت لا تزال مرعبة للغاية لدرجة أن سونام بالكاد تستطيع التنفس في وجودها.

يتكوّن جناح الرجال الذي يتخذ شكل L في المبنى الملحق من ثلاث غرف: مدخل مسقوف مفتوح بأرضية خشبية، وغرفة واسعة مجاورة لها، وغرفة ضيوف متصلة بالمدخل، وشرفة ضيقة. شيّد الفيكونت هيونجمان غرفة إضافية عن طريق تركيب حاجز زجاجي وباب للشرفة ونوافذ زجاجية شبكية بين الأعمدة، والتي كانت مفتوحة في السابق من جميع الجوانب. أصبحت تلك الغرفة مكتب جانجهوي. كانت الغرفة، بمكتبها الواسع المصنوع من خشب الجوز، وأرفف الكتب الملأى بالكامل، وضوء الشمس الناعم الذي يسطع من خلال ستائر متعدّدة الألوان، هادئة ودافئة -تمامًا مثل مالكها.

نظّفت سونام الغرفة بعد زهاب جانجهوي إلى المدرسة. في بعض الأيام، كانت ترى الكلمات اليابانية التي كتبها في دفتر ملاحظاته المفتوح على المكتب، وتساءلت عمّا تعنيه. عندما قلبت الكتب التي تركها في أثناء القراءة، تساءلت عن القصة التي كانت ترويها. كان الأمر نفسه ينطبق على الكتب الموجودة على الرفوف، والتي عرفت أن جانجهوي يعتزّ بها كثيرًا من خلال مدى نظافتها وترتيبها. في بعض الأحيان، كانت تحاول قراءة الكتب الكورية، ومع مرور الوقت، انخفض ببطء عدد الحروف غير المعروفة والكلمات المربكة.

في أحد الأيام، أمسك جانجهوي بسونام وهي تقلب صفحات أحد كتبه، وسألها: «هل تستطيعين القراءة؟».

أفزع الصوت المفاجئ سونام، التي ابتعدت عن المكتب، خائفة من أن تتعرّض للتوبيخ.

سأل: «كيف تعلّمتِ؟» بدا جانجهوي فضولياً وليس غاضباً.

قالت: «كان تايسول يعلمني، لكنني لا أستطيع القراءة بشكل صحيح

بعد».

احمرّ وجه سونام خجلاً.

أتكأ جانجهوي على حافة المكتب، وسأل: «بمجرّد أن تتعلّمي، ماذا

ستفعلين؟».

سألت تشيريونج سؤالاً مماثلاً من قبل، لكن تعبيرها كان مختلفاً. عندما

رأت سونام ابتسامة مشرقة على وجه السيد الشاب، لان قلبها العصبي، وقالت:

«أريد أن أكون قادرةً على العثور على الطريق عندما أضيع».

ضحك جانجهوي -شيء لم تره من قبل- واتسعت عيناها من المفاجأة.

عندما التقت أعينهما، اختفت الابتسامة وحل محلها تعبير أكثر جدية. وبهذا

التعبير الشبيه بالبالغين قال: «ليس من الخطأ أن تقولي إنك تستطيعين

أن تجدي طريقك بالكلمة المكتوبة. ومع ذلك، لا أعرف ما إذا كنا سنستمرُّ

في استخدام الأبجدية الكورية في المستقبل، ولكن معرفتها أفضل من عدم

معرفتها».

كان يحمل دفترًا جديدًا وقلّمي رصاص مع ممحاة، قال لها: «هنا، خذي

هذه وادرسني بجد».

تراجعت سونام، ولم تجرؤ على قبول مثل هذه الهدية الباهظة. حتّى الآن،

كانت قد تدرّبت على الكتابة باستخدام الجزء الخلفي من منشور أعطاه إياه

تايسول، ودفتر ملاحظات قديم كانت تشيريونج قد انتهت من استخدامه،

ومكان مذاكرتها كان جانب موقد الطهي، وكذلك على الأرض بالخارج. كانت

بقايا أقلام الرصاص والعصي وحتّى مذكّي النار أدوات كتابتها. في مثل هذا

الوقت، كانت مواد الكتابة نادرة دائماً.

قال: «إنها زائدة عن حاجتي، لذلك لا تقلقي. فقط خذيها».

بناءً على طلبه، قبلت سونام العرض، ولأول مرّة في حياتها، شعرت بدفء

كونها مهمّة بما يكفي لأحدهم لتلقّي هدية حقيقية منه. مع دفتر ملاحظاتها

الجديد وقلم الرصاص والممحاة، بدا كما لو أن الحروف ستكتب نفسها ببساطة. وتلك الأشياء في متناول اليد، شعرت وكأنها سيدة العالم.

حتى بعد عدة سنوات، من مغادرة جانجهوي للدراسة في الخارج في طوكيو، كانت سونام تذهب إلى جناح الرجال بحجة التنظيف - غالبًا للهروب من نزوات تشيريونج التي لا تطاق، أو المعاملة السيئة من قبل عمال المنزل - وتتسلل لبعض الوقت حتى تتدرب على القراءة والكتابة.

في اليوم التالي لعودة جانجهوي في أول عطلة مدرسية له، ذهبت سونام، التي تبلغ الآن سبعة عشر عامًا، إلى جناح الرجال، معتقدة أنه سيكون لديه الكثير من الثياب التي تحتاج إلى الغسيل. في حجرة المكتب، جلس جانجهوي على الأرض، يفرغ حقيبته وهو يصفر على أنغام الموسيقى التي تنبعث من الجرامافون. كانت الملابس مكدّسة بجوار الحقيبة المفتوحة على مصراعها. وقفت في الفناء تراقب من خلال النافذة.

سأل جانجهوي بابتسامة: «يبدو أن سونام الصغيرة قد جاءت للتنظيف. كيف كان حالك؟».

فجأة شعرت سونام بالتوتر. أومأت برأسها بخنوع.

قال: «ادخلي إذن. هناك الكثير من العمل».

بتردد، صعدت الدرج إلى الغرفة.

واصل حديثه: «قمت بعمل رائع في الحفاظ على نظافة غرفتي، لكنني أحدثت فوضى فيها مرة أخرى. هل تمانعين في الاعتناء بها جيدًا اليوم، من فضلك؟».

تورّد خذا سونام وأومأت برأسها بقوة. لم يقل أحدٌ «من فضلك» قبل أن يطلب منها - أو في كثير من الأحيان يخبرها - أن تفعل شيئًا ما.

قال: «أوه، قبل أن تبدئي، تعالي واختاري شيئًا من هنا (التقط حقيبة ورقية صغيرة وفتحها أمامه). هيا، خذي شيئًا. اشتريتها لأن أمي طلبت. لكن لدي الكثير».

كان السيد الشاب مختلفًا تمامًا عن أخته التي أعطت ثم أخذت، وأعطت ثم أخذت. التقطت سونام الحقيقية ووجدتها ضائعة بالمرايا الملونة والأمشاط والأكياس الصغيرة. ورغم أنها عرفت أنها يجب أن ترفض، إلا أنها ترددت. هل يمكنني حقًا أن آخذ واحدة؟ ابتلعت ريقها، ونظرت مرة أخرى. كانت المرأة جميلة، لكنها بدت فاخرة للغاية بالنسبة إليها، وشعرت بالحرَج إلى حد ما من اختيار امرأة أمام جانجهوي. وبدلاً من ذلك، التقطت جرابًا عطريًا بحجم الكشتبان، مخيطًا بالفضة والذهب.

ارتجف قلبها عندما حملته في يدها.

قال لها: «عندما تنتهين من التنظيف، هل يمكنك أخذ هذه الحقيقية إلى أمي؟ لدي موعد مع صديق».

فور مغادرته، أغمضت سونام عينيها. تنفّست بعمق، وفجأة امتلأ العالم كله برائحة النعناع. وفي وقت لاحق، أخفت الجراب عميقًا في صندوقها في غرفتها لحمايته من أعين المتطفلين والأسئلة التي ستتبع ذلك. تملّكها الذهول من تلقى مثل هذه الهدية، ونسيت التنظيف تمامًا.

أقام الفيكونت هيونجمان حفل استقبال في حديقة المبنى الملحوق بعد وقت قصير من عودة ابنه. كانت مأدبة لم يدع إليها أبناء العائلات المرموقة فحسب، بل بناتها أيضًا. ومن المعروف أنه بدأ البحث عن عروس ابنه. كان الفيكونت واثقًا من أنه من بين بنات العائلات القوية اللاتي دُعِين إلى الحفل، ستكون ثمة فتاة يرغب فيها جانجهوي؛ لكن قبل كل شيء، كان على الزواج أن يساعد على تعزيز مكانة الأسرة وأعمالها.

قالت سونام لتشيريونج من مجلسها بجانب البئر، وهي تقلم العشب الأخضر: «أنت متطلّبة للغاية. كلهم يبدوون جميلين ووسيمين بالنسبة إليّ».

نظرت تشيريونج، التي مُنعت من دخول قاعة المأدبة، من فوق السياج. كانت تتفقّد الرجال والنساء على حدّ سواء، ولم تكن معجبة بعددهم الكبير.

في الحقيقة، كانت عينا سونام مرگزتين على جانجهوي وحده حتى بين الضيوف الذين يرتدون ملابس أنيقة. أصبح الآن طالبًا جامعيًا وأوسم في كل

مرّة تقع عيناها عليه. ومع ذلك، لم تكن تتمنى سوى أن يتزوَّج السيد الشاب من أجمل وألطف امرأة من بين أولئك الذين حضروا الحفلة.

دفعت تشيريونج شيئاً ما تحت أنف سونام، وصاحت: «هاك.. هل تشمّين رائحة النعناع؟ اشترى جانجهوي هذا الجراب في طوكيو. آخر مرّة ذهبت فيها إلى المتجر، أخبرني أحد الموظفين أنه في اليابان عندما يعترف شخص ما بحبه، يقدّم جرابات معطرة كهدايا. (تنهّدت) متى سأتلقى شيئاً كهذا من رجل وسيم بدلاً من أوبا؟».

تنهّدت تشيريونج مرّة أخرى وهي تدور الجراب حول إصبعها السبّابة. كانت أيضاً في السابعة عشرة من عمرها، وكانت جميلة، وكانت تعرف ذلك، وغالباً ما كانت تتلقى رسائل غرامية، وكان الشباب ينتظرونها أمام المدرسة أو عند بوابة القصر. لكن لم يُسمح لتشيريونج بالحب بحريّة. على الرغم من أن العالم قد تغيّر، فإن علاقات الحب كانت إنجازاً للرجال ولكنها ظلت عيباً قاتلاً للنساء. تمنّت أن تعيش حياة بطلة سينمائية، حيث تقع في حب كلارك جابل أو غاري كوبر، أو تقضي عمرها مع همفري بوجارت. بمقارنة خاطبها بنجوم السينما، سخرت تشيريونج منهم وتجاهلت الرجال في عالمها.

دائماً ما تردّد: «أنا لا أمانع أن أموت من أجل الحب».

داومت تشيريونج على قول ذلك، ونادراً ما تمكّنت سونام من التعاطف مع معظم كلام تشيريونج أو أفكارها، وهذا لم يكن استثناء. بالنسبة إليها، كان الحب أقل ما يقلقها. معظم الناس الذين عرفتهم سونام تحمّلوا كل أنواع المشقّة والبؤس لإطعام أنفسهم وأسرهم - فقط حتى يتمكّنوا من العيش.

عاد جانجهوي إلى طوكيو بعد العطلة الصيفية، ولم يعد إلى المنزل لقضاء عطلة الشتاء. وفي منتصف الفصل الدراسي الأول من العام التالي اختفى تماماً. علم الفيكونت هيونجمان بالأمر بعد تلقيه رسالة من ابنه مفادها أنه تخلّى عن مجد وعار عائلته النبيلة، وأن والده يجب أن يعدّه ميتاً. في البداية، سخر الفيكونت من الرسالة، معتقداً أن الشاب غير الناضج كان يتصرّف بطفولية فحسب.

قال لنفسه: «هذا أفضل من أن يكون ضيق الأفق. وليس سيئاً بالنسبة إليه أن يرى العالم ويدرك مدى صعوبة الحياة خارج المنزل».

واقتناعاً منه بأن ابنه لن يكون قادرًا على الصمود مدّة طويلة، لم يُبلغ الفيكونت أي شخص بمحتوى الرسالة. ومع ذلك، بعد قرابة شهر، كان هناك اعتقال جماعي لمنظمة مناهضة لليابان يديرها الطلاب في طوكيو. ومن بين الطلاب الدوليين الذين رُحّلوا إلى سيول كان صديق ابنه جانجسو، الذي قُبض عليه في مسكن جانجهوي.

سأل الفيكونت هيونجمان عندما زار جانجسو في السجن لمعرفة المزيد عن مكان وجود ابنه: «كيف حدث أن كنت معه؟».

قال جانجسو: «عرض عليّ جانجهوي المسكن والطعام، وعلى الرغم من أنني كنت محرّجًا، فإنني بقيت معه».

جانجسو، الذي عاش حياة صعبة في جرّ عربات الريكاشة، لم يكن لديه أي فكرة عن سبب مغادرة جانجهوي أو إلى أين ذهب. ولم تجد الشرطة أي صلة بين جانجهوي والمجموعة، لكن مكان وسبب مغادرته ظل موضع تساؤل. وهكذا، بعد أن عاش جانجهوي مع أحد الناشطين المستقلين، وُضع على قائمة المطلوبين.

عندما كان الفيكونت وحده، أعاد قراءة خطاب ابنه بعناية. كان الأمر بسيطًا وواضحًا، ولم يكن هناك أي علامة ندم على التخلّي عن اسمه أو عائلته. ردّد الفيكونت: «مجد العائلة وعارها؟ مجد وعار؟ هو العار بحدّ ذاته! (وارتجف وهو يمسك الرسالة بغضب). كما لو أن قتل أمك لم يكن كافيًا، تريد أن تقتل أباك وعائلتك أيضًا!».

كان الفيكونت هيونجمان قد تعهّد لحبيبته المتوفّاة بأنه سيربّي جانجهوي بصفته الوريث الشرعي لعائلة يون. بذل قصارى جهده للوفاء بهذا الوعد، لكن الآن نبذ جانجهوي جهوده وتوقعاته باعتبارها معدومة القيمة.

همس لنفسه: «عاجلاً أم آجلاً، سوف يعود زاحفًا، يتوسّل. سوف يتعلّم الدرس بعد ذلك، وإذا لم يفعل، سأعلّمه بنفسه».

خطّط الفيكونت لعدّة أشهر، لكن عندما لم تصل إليه أي أخبار بعد مرور عام، عيّن محقّقًا خاصًّا للعثور على ابنه. حينذاك، مثل العشب المتضخّم في منزل فارغ، كثرت الشائعات.

«إذا لم تكن هناك أخبار، فمن الواضح أنه مات. عندما أقامت سيادتها مراسم شامانية، ألم يصرخ الشامان قائلاً إن شبح السيد الشاب قد جاء للزيارة؟».

«لا تكن جاهلاً جداً. سمعت أنه وقع في غرام زوجة شخص آخر، فهرباً معاً في جناح الليل. ففي النهاية، التفاحة لا تسقط أبداً بعيداً عن الشجرة. قيل إنه محترم - على عكس السيد - لكن انظر كيف انتهى به الأمر!».

«هذه ليست الحقيقة. في اليابان، دخل في شجار وقتل أحدهم، لذا فهو يختبئ في انتظار تصفية القضية. التظاهر بإرسال أحدهم للبحث عنه مجرد حيلة من الفيكونت ليُدعي عدم المعرفة».

«ما من قلق أكثر عمقاً في العالم من القلق على السيد. أليس لدينا أشياء أكثر أهمية للتفكير فيها؟».

بعد مرور عامين، ما انفكت الشائعات حول جانجهوي تملأ المنزل. قال البعض إنه في شنغهاي، وقال البعض إنه في منشوريا، وقال البعض إنه كان في بريمورسكي كراي بروسيا. حتى إن البعض قالوا إنه لا يزال في اليابان. أينما كان جانجهوي، كان من الواضح أنه يصعب موقف الفيكونت. انتشرت شائعات مفادها أن السيد سيُحرم قريباً من لقبه ويفلس.

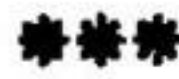
كان قلب سونام يتألم مع كل شائعة سمعتها عن السيد الشاب. صوّرت تلك الشائعات شخصاً بعيداً عن الشخصية الهادئة واللطيفة التي عرفتتها، واعترتها التعاسة عند التفكير فيها. كل يوم، كانت سونام تصلّي من أجل سلامته فيما كانت تكنس وتنظف جناح الرجال.

«سيدي الشاب، احتفظتُ بالجراب جيداً، لذا ابقَ آمناً أينما كنت».

في صيف عام 1937، عندما كانت تشيريونج، التي كانت تحضر في المدرسة العليا للفتيات لمدة خمس سنوات، على وشك التخرُّج، بدأت شائعات زواجها تنتشر. لم يكن والدها يريد أن تواصل تشيريونج دراستها، معتقداً أن

سعادة المرأة لا تكمن في ترك آثار أقدامها على مسار لم تسلكه سلفاً، بل في المشي بشكل مريح على مسار مألوف. حيث لم يكن هناك طريق، كان الأمر وعراً وخطراً. تركت النساء المعاصرات مثل نا هايسوك⁽¹⁾ وكيم إليوب⁽²⁾ آثار أقدام وزعنمن أنهن يمهدن الطريق لأولئك اللواتي يتبعنهن، ولكن كل ما جلبه لهن هو أصابع الاتهام من المجتمع.

كان الفيكونت هيونجمان يأمل أن تتزوج ابنته، التي نشأت مثل زهرة، من عائلة جيدة وتتبع مسار امرأة عادية. في سيول، كانت ثروته في متناول يدها، وكانت كافية للتعويض عن جذورهم العائلية الضحلة، والفضيحة التي أحاطت بوالده وبه، وحتى الشائعات المتداولة عن جانجهوي. بصرف النظر عما قاله أي شخص، تشيريونج عروس من الدرجة الأولى بالنسبة إلى أي رجل. لم تكن لديه أي نية لاستخدام ابنته للقيام بأعمال تجارية، ولكن هدفه العنور على الأسرة المناسبة، حيث يدعم كل منهما الآخر بطريقة متبادلة المنفعة.



في الوقت نفسه، كانت والدتها أيضاً تبحث بحماس عن زوج مناسب لتشيريونج - التي بدأت تشعر بالتوتر. الفيكونت، الذي عادة لا يرفض لابنته أي طلب، استبعدها من المناقشات حول زواجها، وبالنسبة إلى الليدي جواك، كان استبعادها أمراً بديهياً.

في ظل الظروف الحالية، قد تذهب تشيريونج مباشرة من تخرجها إلى حفل الزفاف. كانت فكرة الزواج من رجل اختاره والداها لها من دون أن ترى وجهه، ناهيك بمواعده، مؤلمة. اعتري تشيريونج القلق من أنها لن تشعر بأي عاطفة تجاه شريكها في زواج مرتب، وأكثر ما كانت تخشاه أن ينتهي بها المطاف مثل والدتها.

(1) في عام 918، نشرت نا هايسوك في عمر الثانية والعشرين عاماً أول قصة قصيرة نسوية في كوريا، كيونجوي. وهي شبه سيرة ذاتية عن امرأة تعود إلى منزلها من الجامعة اليابانية لتواجه أفراد الأسرة والجيران الذين يشككون في جدوى تعليم الفتيات (المترجم).

(2) كيم إليوب (1896-1971): صحافي وناشط نسوي وراهب بوذي كوري (المترجم).

وبعد النظر في خياراتها، قرّرت أن المهرب الوحيد لها هو الدراسة في الخارج، لكنها لم تكن متأكّدة إن كان والدها سيسمح لها بالرحيل. ومع ذلك، فقد اقتربت منه أولاً، إذ لطالما وجدته أكثر ميلاً من والدتها المتصلّبة للاستماع إلى طلبها والنظر فيه.

لكن هذه المرّة رفض الفيكونت هيونجمان طلبها من دون أن يفكّر ولو للحظة واحدة، قائلاً: «لماذا الدراسة في الخارج؟ درست بالفعل بما فيه الكفاية. حان الوقت لتتزوّجي وتعتني بزوجك وتربّي أطفالك. لماذا عيش حياة صعبة؟ لا، هذا ليس ممكناً».

سألت باستنكار: «لماذا هذا المجتمع متحيّز ضد المرأة؟ يبدو الأمر كما لو أننا أوعية خزفية، حرّكونا بلا مبالاة، وسوف ننكسر!»

وبينما كانا يتجادلان، كرّرت تشيريونج الكلمات والعبارات التي قرأتها في المجلات والروايات لكنّ لم تعبّر عنها من قبل: «فكرة أن المرأة يجب أن تكون فقط بمنزلة ظل زوجها وتربّي الأطفال فكرة قديمة جدّاً! أريد أن أعيش حياتي لنفسى، وليس لزوجي وأولادي. وللقيام بذلك، تحتاج النساء أيضاً إلى الدراسة. بابا، من فضلك دعني أذهب».

بدلاً من ذلك، عرض حلّاً وسطاً: «إذا كنتِ ترغبين في إجراء المزيد من الدراسة، فلماذا لا تذهبين إلى جامعة إيوا للنساء؟».

قالت: «أريد أن أذهب إلى اليابان».

لم يكن هدف تشيريونج في الواقع مواصلة دراستها، بل العثور على الحب. ولهذا كان عليها أن تبتعد عن منزلها وأمها. وحتى الآن وهي في السابعة عشرة من عمرها، كانت أمها تتفقّد ملابسها كل صباح. إذا كانت تشيريونج تبدو فاتنة جدّاً أو إذا تأخّرت في الرجوع إلى المنزل، تغضب الليدي جواك وتتهمها بأنها عاهرة. كانت تشيريونج تكره والدتها، وأرعبتها مجرد فكرة الزواج من رجل اختارته والدتها. وحتى اليابان كانت بمنزلة حلّ وسطٍ من جانبها.

أزادت حقاً الدراسة في أمريكا، لكنها لم تكن لديها الشجاعة للذهاب إلى مكان بعيد جدّاً وغير مألوف.

دخل الفيكونت فناء المنزل الرئيس على عجل، دون أي إشعار مسبق. عند الظهور المفاجئ للسيد، تناثر سكان المنزل مثل حيوانات الخلد التي تحفر في الأرض.

جلست الليدي جواك على كرسي مقابل زوجها، وكان جسدها يملأ الكرسي ذي الذراعين. وبينما كان الفيكونت هيونجمان يتحدث، كان ينظر من فوق كتفها إلى الحلي المعلقة على الحائط وليس إلى وجه زوجته.

سأل: «تصرُّ تشيريونج على الدراسة في اليابان. ماذا تعتقدون أنه علينا فعله؟».

في البداية كانت مرتبكة، لأن هذا شيء تسمعه لأول مرة. كان فهمها أنه بمجرد تخرج تشيريونج، سيبقيانها في المنزل ويجهّزانها لتكون العروس المثالية. حتّى إنها كانت تبحث عن مدرّسين خاصّين في الآداب العامّة لتعليمها كيف تكون سيدة شابة بوسعها أن تكون حسنة المظهر في أي مكان. علاوة على أن الرجل الذي لطالما انحاز إلى جانب ابنتهما دون قيد أو شرط كان يسأل فجأة عن رأيها، وتحوّل ارتباكها إلى شك. أمسكت الليدي جواك لسانها، حذرة من إعطاء الردّ الذي قد يرضيه.

استمرّ الفيكونت دون انتظار الردّ: «أعلم أنك لا تريدين إرسال الفتاة بعيداً أيضاً. حاولي إقناعها. أخبرتها أنها إذا أرادت الذهاب إلى الجامعة، فعليها أن تذهب إلى كلية إيوا، وليس الدراسة في الخارج. إذا كانت ستذهب إلى المدرسة فيما تعيش في المنزل، في هذه الحالة بمجرد ظهور زوج صالح، فلن يكون من الصعب إقامة حفل الزفاف على الفور».

كلمات زوجها أدّت على الفور إلى غليان دم الليدي جواك.

فكرت: كلية إيوا؟! ما زال لا يستطيع أن ينسى تلك المرأة تشوي إيناي، والآن يريد إرسال ابنتي إلى الكلية نفسها التي ارتادتها!

لم تستطع تحمّل فكرة زهاب تشيريونج إلى الكلية التي تخرّجت فيها محظية زوجها. أطبقت قبضتها لقمع ارتعاش يديها، وقالت كلمات لم تعتقد قط أنها ستخرج من فمها: «ما نوع العالم الذي تريد فيه منع امرأة شابة من الدراسة في الخارج؟ كيف يمكن أن يكون ذلك خاطئاً في حين سمحت بسفر جانجهوي دون أي تردّد؟ يقولون إنه في الأوقات القادمة ستنجح النساء

أيضاً إذا درسن. بمجرد أن تتزوج من عائلة جيدة، سيتعين عليها الحفاظ على المنزل بما فيه من آباء وأجداد فيما تراقب زوجها وهو يركض خلف المحظيات. لا أريد لابنتي الغالية أن تعيش هكذا. أقول دعها تذهب. دعها تدرس في الخارج!».

عندما خرجت الكلمات من فمها، وجدت الليدي جواك نفسها تصدقها، وأصبحت فجأة تتوق إلى رؤية ابنتها تسافر بحرية عبر العالم الواسع.

كانت حرارة الصيف في ذروتها عندما وقفت سونام بجانب البئر، تنقع الشعير الممزوج بالأرز لتناول العشاء، وشعرها الطويل يتميل خلف ظهرها في أثناء عملها. وفجأة، علا صوت ارتطام دلو بسطح الماء. نظرت إلى الأعلى، ورأت تايسول، وأضاء وجهها مثل زهرة متفتحة.

سألت: «متى وصلت إلى هنا؟».

قال: «وصلت للتو. أنا في طريقي إلى الخارج بعد رؤية السيد».

ابتلع تايسول الماء الذي سحبه ومسح القطرات التي سالت أسفل ذقنه. بدا رجولياً جداً في قميصه الأبيض وبدلته. لم يعد هناك أي أثر للبثور أو الصوت المتهدج. رؤيته، وهو الآن في الثالثة والعشرين من عمره، جعلت سونام تفكر دوماً في جانجهوي، الذي كان يكبره بسنة.

قالت له: «قالت أمك إنها حلمت بك الليلة الماضية، لذلك اعتقدت أنك قد تصل».

عندما كانت سورين تتحدث عن ابنها تايسول، كان وجهها يشرق دائماً. وبالطبع اشتكى البعض من أنها تتباهى بابنها في كل مرة تفتح فيها فمها.

سأل دون أن يتحرك للمغادرة: «هل كان كل شيء يسير على ما يرام؟».

وعندما أفرغت سونام الماء بعد نقع أرز الشعير، صب بعض الماء الذي سحبه في الوعاء. ثم سحب المزيد من المياه من البئر.

قالت: «لماذا لا ترى أمك؟ أعطني الدلو واذهب إليها».

في تلك اللحظة، اقتربت زوجة العامل الذي توفي في حادث وتعمل الآن خادمة في المنزل وهي تحمل سلّة خضراوات. مال تايسول مقترباً من سونام

وهمس: «اخرجني إلى شجرة المشمش بجوار جناح الرجال الليلة في الساعة التاسعة. لديّ شيء لأخبرك به».

ثمّ ابتعد بسرعة واستدار ليحيّي الخادمة التي تقترب بحماس.
قالت: «أنت تعيش في سيول منذ مدّة طويلة، ولم أعد أعرفك!».

لم تتمكّن سونام من التسلّل للخارج إلا بعد أن دقّت ساعة الجدّ في المنزل الرئيس الساعة التاسعة -غيّرت الليدي جواك الساعة لأنها وجدت صوت الوقواق مزعجًا- وخلدت سورين للنوم أخيرًا. لسبب ما، شعرت أنه لا ينبغي لها أن تخبرها عن مقابلة تايصول على انفراد ليلاً.

ربما لأنه كان ليلاً، كان الهواء الذي يلامس بشرتها العارية لطيفًا. في مكان ما، غرّد جندب. عندما اقتربت سونام من شجرة المشمش، خرج تايصول وقادها إلى الشرفة حيث جلس الاثنان معًا. في أثناء وجودها هناك، تمنّت سونام أن يكون جانجهوي في المنزل أيضًا. خبط تايصول الأرض بقدمه بعصبية. كان عادةً ثرثارًا للغاية، وقد أحضرها إلى هنا قائلًا إن لديه شيئًا ليخبرها به، لذلك كان هذا غريبًا منه.

تحدّثت سونام أولاً لكسر الصمت المحرّج: «لماذا أردت رؤيتي؟ كما أنه لديّ شيء لأطلبه منك».

- ما هو؟ أخبريني.

- أنا فضولية بشأن أحوال ماما وبابا. هل يمكنك المرور بقريتي في طريقك إلى المنجم؟ سماع الخادمة الأخرى تتحدّث عن منزلها، ذكرني بذلك.

سأل: «لماذا تفتقدين والديك الذين باعاك».

- لأنه بفضل ماما وبابا، أنا هنا.

- حسنًا، سأقصّي أمرهما.

لم يرفض تايصول قطّ أيًا من طلبات سونام.

- شكرًا لك، الآن أخبرني، لماذا أردت رؤيتي؟

- هذه...

أخرج تاييسول شيئاً من جيبه وسلّمه لها. كانت مرآة يد صغيرة.

- مرآة؟ أوه، هل تريد مني أن أعطيها للآنسة تشا؟

كانت الآنسة تشا كاتبة على الآلة الكاتبة في المكتب الملحوق. أعطت ذات مرّة بعض الحلويات والجوارب لسونام وطلبت منها أن تعطيها لوالدة تاييسول. عندما سألتها سونام إذا كانت مهتمة بتاييسول، احمرّت الآنسة تشا خجلاً.

- عن ماذا تتحدّثين؟

- لماذا لا تعطيها للآنسة تشا بنفسك؟ أعلم أنها ترغب في ذلك.

- اشتريتها لك، أيتها الغبية، من متجر في وسط البلد في طريقي إلى هنا. في المرّة القادمة سأشتري لك بعضاً من بودرة الوجه.

عندما تكيّفت عيناها مع الظلام، أصبح تعبير تاييسول مرئياً بخفوت.

كان وجهه يعجّ بالفخر. بدلاً من قبول المرأة، واصلت سونام طرح الأسئلة.

- لماذا تعطيني هذا؟

ارتجف صوته قليلاً عندما أجاب.

- هل أنت حقاً لا تفهمين، أم أنك تتظاهرين بعدم الفهم؟ لماذا يعطي رجل امرأة شيئاً كهذا؟ هذا لأنني معجب بك.

لم تعرف سونام كيف تخبره أن هذا شيء لم تلحظه من قبل. كان هناك عدد من النساء المهتمات بتاييسول في طاقم خادمت المنزل بسبب وظيفته ذات الأجر الجيد، وتخرّجه في المدرسة الإعدادية بالمراسلة، وطبيعته المفعمة بالحيوية والطيبة. حتّى إن البعض حاول ترتيب التوفيق بينه وبين أكثر من امرأة، لكن سورين كانت ترفض في كل مرّة. قال الناس إنها لن تكون راضية عن أي زوجة ابن لأنها تبالغ في تقدير ابنها. بالنسبة إلى سونام، كان تاييسول ووالدته شخصين مميّزين، وكانت تأمل أن يتمكّن من العثور على عروس ترضي كليهما، لكنها لم تتوقّع قط أن تتلقّى هذا الاعتراف بالحب. في الواقع، كانت مكانة تاييسول، على الرغم من ضآلتها مقارنة بالسيد وعائلته، أعلى بكثير من مكانة سونام. فاق تاييسول طموحها. أمّا بالنسبة إلى جانجهوي...

كان أول ما فكّرت به هو مدى خيبة الأمل التي ستشعر بها سورين، ولذلك حاولت أن تتظاهر بأنها مزحة من تايسول.

- ها، أنت جيد في إلقاء النكات.

- لا أمزح. قولي لي، ما رأيك فيّ؟ هل سبق لك أن فكّرت بي بصفتي رجلًا؟

شعرت سونام بعينيه مثبتتين عليها في الظلام. لا، لم تفكّر قط فيه بصفته رجلًا ولا مرّة واحدة. لكن قلبها ارتعش من أول اعتراف بالحب تتلقاه في حياتها.

تنهّدت سونام من فوضى مشاعرهما.

اتخذ صوت تايسول نبرة مريرة قليلاً: «أنا أعرف من تهتمّين به».

غاض قلبها في مكانه خشية انفضاح سرّها. كيف تجرؤ على أن تُكنّ مشاعر تجاه السيد الشابّ هي من بيعت حتّى تكون مجردّ خادمة. إذا انكشف مكنون صدرها، فستُطرد على الفور. سيكون الجلد عقابًا ضئيلاً جدًّا إذا بلغ الأمر أذني الفيكونت أو زوجته.

سيطرت سونام على صوتها المرتعش وسألت: «ما الذي تتحدّث عنه؟».

- أنت تحبين تيراو.

عبست سونام من الردّ غير المتوقّع.

- الجميع يعلم أنك تستمرّين في مقابله بحجّة تعلّم اليابانية.

- ماذا؟ يعني أنا أتعلّم اليابانية....

صحيح أن سونام تتعلّم اللغة اليابانية على يد تيراو جونباي، وهو موظّف ياباني في شركة الفيكونت التجارية. ومع ازدياد تواتر المهمّات خارج المنزل، أصبح التحدّث باللغة اليابانية في كل مكان حولها. شعرت بالقلق من أن يتحدّث معها شخص ما باللغة اليابانية في النهاية وأن عدم قدرتها على الردّ سيكشف عن مكانتها المتدنّية. تايسول، الذي قال ذات مرّة إنه سيعلّمها اللغة اليابانية، كان عموماً بعيداً في المنجم ولم تتح له الفرصة قط.

عاش جونباي في غرفة الضيوف في جناح الرجال. عندما أعربت سونام، التي ذهبت إلى الجناح للتنظيف، عن رغبتها في تعلّم اللغة اليابانية، وافق على تعليمها. كانت الدروس المكثفة فعالة للغاية، ويرجع ذلك إلى حد كبير

إلى عدم قدرة جونباي على التحدثُ بأكثر من بضع كلمات باللغة الكورية، ولذلك تقدّمت بسرعة، وسرعان ما أصبحت قادرة على قراءة وكتابة الأحرف الأساسية. كانت سونام ممتنة لجونباي فحسب، وكانت مندهشةً من سوء الفهم. تابع تيسول: «استيقظي يا سونام. عينا تيراو على السيدة تشيريونج فحسب. على أية حال، هل تعتقدين أن الرجل الياباني سيقبلك يوماً ما؟ وحتى لو فعل ذلك، فإنه سيستخدمك فقط كأعوبة».

تيراو أحب السيدة تشيريونج؟ تفاجأت سونام بذلك أكثر من سوء فهم تاييسول. لم تكن تشيريونج تفكّر في جونباي -الذي كان لديه شعر أشعث، ومحدودب الظهر كما لو كان يخجل من طوله، ويرتدي دائماً أكماماً سوداء طويلة تغطّي ذراعيه- بصفته موظّفاً في شركة والدها. لن تعطيه قلبها حتى لو كان جونباي الرجل الوحيد في العالم. شعرت سونام فجأة بالأسف عليه. كيف سيكون ردُّ فعل السيد الشاب إذا علم أنني أحبه؟

تساءلت سونام مدّة وجيزة، قبل أن تطرد الفكرة من عقلها، قبل أن تقول: «تيراو ليس شخصاً سيئاً، لكنني لا أحبه. أنا فقط أتعلّم اللغة اليابانية». دفع تاييسول المرأة إلى يد سونام.

- لا يهم. انتظري سنة. بمجرد أن أحصل على منزل، حتى لو كان خارج أسوار المدينة، فلننزوّج. يمكننا إحضار جدّتي، ويمكن لماما أن تأتي أيضاً، وسنعيش جميعاً معاً. أنا أعمل بجدّ حتى أتمكّن من كسب ثقة السيد والحصول على الإذن بالزواج منك. تزوّجيني، وستحرّرين من هذا السجن. كانت يداه اللتان تمسكان بمعصميهما ساخنتين بالعاطفة التي ملأت صوت تيسول.

شعرت سونام بقلبها ينبض مثل طبلية في أذنيها عند الاعتراف الذي تمتّت أن تسمعه -لكنها عرفت أنها لن تسمعه أبداً- من جانجهوي.

الفصل السادس

راحلون

في 14 مارس 1938، في محطة سيول، حثَّ موظفٌ مستعملًا مكبرُ الصوت الناسَ على الصعود على متن قطار الساعة التاسعة صباحًا إلى بوسان. تشيريونج، التي احمرَّت خدودها كما لو أنها لوَّنتها، استدارت بعيدًا عن القطار لتواجه والدها.

- بابا، حان وقت الصعود.

كانت مغادرة المنزل بصفتها طالبة جامعية أمرًا حلت به مدَّة طويلة. وأبدت تشيريونج رضاها عن مظهرها، حيث ارتدت فستانًا من قطعتين أبرز ثدييها وخصرها الضيق، بدلًا من زيِّ المدرسة الثانوية ببلوزته السوداء وتنُّورته الطويلة. كانت ترتدي قبعة على شكل جرس، وشعرها المجعد معقوص على شكل كعكة، وبدت وكأنها خرجت من العدد الأخير لمجلة أزياء يابانية.

قال والدها وقد بدا على وجهه القلق على ابنته التي كانت تغادر إلى بلد بعيد وسط وداع حزين: «أنا أسف لأنني لم أرافقك لرعايتك».

في العام السابق، بدأت اليابان حربًا مع الصين. بعد الزخم الأوَّلي، واجه الجيش الياباني حرب استنزاف شنتها الصين، وكان الآن فقط يوسِّع خطوطه الأمامية. ومع استمرار الحرب، امتدَّ الشرر أيضًا إلى كوريا، وفي فبراير، أعلن

عن قانون متطوعي الجيش لتجنيد الكوريين في الجيش الإمبراطوري. اليابان، التي نصّت قوانينها في الأصل على أنه لا يمكن منح الكوريين وضع جنود في الجيش الإمبراطوري، أصدرت قانوناً يسمح لهم بالتطوع في الجيش - كما لو كان ذلك معروفاً- لتلبية حاجتها إلى المزيد من القوات.

كانت الحكومة العامّة لكوريا تخطّط لتنفيذ قانون التعبئة العامّة الوطني الصادر بالفعل لليابان في المستقبل القريب أيضاً. لم يكن الهدف توفير الجنود الكوريين فحسب، بل أيضاً القوة البشرية الإضافية اللازمة للحرب. أخذ الفيكونت زمام المبادرة في تقديم مساهمة مالية للدفاع الوطني الياباني وكان مشغولاً بإنشاء مجموعات دعم للمجهود الحربي.

رأت تشيريونج تعبير والدها، معقداً للغاية وخاوياً في الوقت نفسه، وأدركت أنها لم تكن آسفة أو حزينة لفراقه. في مرحلة ما، بدأت تشعر بالحرَج من الطريقة التي يعاملها بها كأنها لا تزال فتاة صغيرة. نعم، صحيح أنها حتّى بعد أن أصبحت طالبة في المدرسة الثانوية، كانت تتصرّف أحياناً بطريقة طفولية عندما يكون هناك شيء تريده أو إذا كانت بحاجة إلى المزيد من مصروف الجيب، لكنها أصبحت الآن امرأة شابة، وليست طفلة.

أدركت أيضاً الموقف الصعب الذي وضع جانجهوي والدهما وشؤونه التجارية فيه. لم تكن سعيدة بأخيها، الذي اعتقدت أنه يثير مشكلات لا طائل من ورائها، لكنها لم تكن قلقة للغاية. لا توجد أي مشكلة لا يستطيع والدها حلّها.

قالت له: «لا تقلق. عليك أن تهتمّ بعملك. سوف يتأكّد تيراو من أنني بخير». تنهّد والدها: «تشيريونج، إذا واجهت أي صعوبة في العيش في الخارج، فقط عودي إلى الديار. أنت لست طفلة فقيرة عليها أن تعوض عيوبها بالدراسة. لا تنسي أنك تمتلكين أباً سيجعل كل شيء مثالياً تماماً كما هي الأمور الآن».

خوفاً من أن يغيّر والدها رأيه فجأة ويمنعها من المغادرة، تركت يده بحذر وتظاهرت بإزالة شيء ما عن فستانها.

فقط بعد العديد من التقلّبات والمنعطفات، قرّروا أن الكلية التي ستلتحق بها تشيريونج، ستتغيّر من كلية في طوكيو إلى كلية للفتيات في كيوتو.

اعتري الفيكونت هيونجمان القلق من احتمال وجود مجموعات متمردة في طوكيو مرتبطة بجانجهوي، والتي يمكن أن يكون لها تأثير سيئ عليها. كما أنه كان متردداً أيضاً في التخلي عن ابنته في مدينة هائلة تعج بالانغماس في الأهواء، والملذات التي عاشها هو بنفسه هناك. أخذوا في الاعتبار أيضاً مدينة أوساكا، لكن تيراو جونباي، الذي كان يعيش هناك، حذرهم من أن الهواء سيئ بسبب المصانع، وأوصى بكيوتو.

كانت أمنية تشيريونج الوحيدة مغادرة المنزل، لذلك لم تهتم بما إذا كان ذلك في طوكيو أو كيوتو. بدت مدينة طوكيو، أكبر مدينة في اليابان، مثيرة، لكن كيوتو كانت العاصمة لألف عام، لذا فمن المؤكد أنها لن تكون بلدة ريفية مضجرة.

مدّ الفيكونت هيونجمان يده وقال: «سيد تيراو، من فضلك اعطني بتشيريونج، ولا تنس إرسال برقية فور وصولكما».

أمسك جونباي على عجل بيد الفيكونت الممدودة، وقال: «نعم يا سيدي، سأفعل».

كان وجه الرجل متورداً كما لو كان يشرب الخمر، وكانت عيناه محتقنتين بالدم من قلة النوم. بدلاً من أن يكون هادئاً ومتماسكاً كالمعتاد، كان متحمساً بما يكفي ليلاحظه أي شخص.

عدّة أسباب دفعت والد تشيريونج إلى أن يطلب من جونباي مرافقتها إلى كيوتو. بادئ ذي بدء، ستكون قادرة على استخدام أماكن الإقامة من الدرجة الأولى في القطار والسفينة لأنها كانت برفقة مواطن ياباني. وبطبيعة الحال، وضعها بصفقتها ابنة أحد الفيكونتات الكوريين يعني أنه ليس من غير المعقول أن يتوقع الناس استخدامها الدرجة الأولى، ولكن الإجراء أخذ في الاعتبار أيضاً أي عواقب غير متوقعة قد تحدث في أثناء الرحلة.

لاحقاً في كيوتو، سيقون مع خالة جونباي، في حين ستسافر سونام معهما لخدمة تشيريونج في الخارج.

بدأ القطار ينفث البخار بصوت عالٍ.

سونام، التي كانت تقف بجانب تشيريونج مثل قطعة أمتعة في حين ودَّع الأب وابنته بعضهما بعضًا، راحت تنظر حولها بفضول. كان رداء سونام المحاك حديثًا من قطعتين غير مريح للغاية. تشيريونج، التي كانت دارسة لأحدث صيحات الموضة في الملابس، والمكياج يتصدَّر قائمة تجهيزاتها للسفر إلى الخارج، قالت لها في وقت مبكر: «بمجرد وصولنا إلى اليابان، ستخرجين كثيرًا في الأماكن العامَّة، لذا فمن المؤكد أنك لن ترتدي مثل ريفية وضيعة. جهزي ملابس جديدة على الطراز الغربي. وقصِّي هذا الشعر، فهو يصرخ أنك كورية».

قصَّت سونام شعرها -الذي وصل إلى وركها وقتذاك- حتَّى الكتف. طلبت منها تشيريونج أن تقصَّه أقصر، لكنها لم تستمع إليها. أخذت الخياطة، التي لم تصنع سوى ملابس على الطراز الكوري، ملابس تشيريونج وصنعت لسونام مجموعة من الثياب الغربية عن طريق تقليدها بشكل أخرق، وكانت هذه البدلة المكوَّنة من قطعتين هي التي ترتديها سونام في هذه اللحظة.

كانت سورين قد أمالت رأسها باستغراب عندما جرَّبته سونام لأول مرَّة، ثمَّ قالت للخياطة: «سيادتها قالت إن سونام تشبه ابنتها عندما وصلت إلى هنا أول مرَّة. لم أكن أرى ذلك حقًا حينها، لكنني أرى ذلك الآن. ماذا تعتقدين؟ ألا يتشابهان في الملابس الغربية؟».

قالت الخياطة وهي تضحك رغما عنها: «ها، لا تقولي مثل هذه الأشياء، حتَّى على سبيل المزاح. لا تبدوان متشابهتين. إنها مجرد مهارتي في حياكة الملابس».

قالت سورين وهي تدعك عينيها: «حقًا؟ لا أستطيع الرؤية بشكل صحيح لأن عينيَّ ضعيفتان».

ردَّت عليها: «عيناك ضعيفتان لأنك تبكين كثيرًا مؤخرًا. تاييسول سيكون بخير، لذا لا تقلقي عليه كثيرًا»، وربَّت الخياطة سورين حتَّى تطمئنَّها. قبل مدَّة ليست طويلة، غادر ابنها قصر جايهوي-دونج، على أمل أن يحقق لها الثراء.

قال جونباي وهو يراقب الناس وهم يندفعون للصعود إلى القطار: «علينا أن نذهب الآن».

قال الفيكونت مرّة أخرى: «اعتني بابنتي طوال الطريق، وتأكد من أنها مرتاحة».

قالت تشيريونج: «بابا، سأكتب لك كثيرًا. ابق بصحة جيدة».

مع عناق الوداع الأخير، أسرعت تشيريونج نحو القطار. حُمل الصندوقان المملوءان بالملابس المصمّمة حديثًا على متن القطار بالفعل. تابعت عينا الفيكونت هيونجمان ابنته في أثناء صعودها، ثم التفت إلى سونام، وقال: «لا تنسي أن رعاية ابنتي مهمّتك الأولى والأخيرة في هذه الحياة».

في السابق، أخذ الفيكونت سونام جانبًا وأمرها أن ترسل إليه تقريرًا أسبوعيًا عن ابنته، وبالطبع عليها أن تبقى ذلك سرًا عن السيدة الشابة.

كانت سونام تشعر بالقلق من أن لغتها الكورية المكتوبة ليست جيدة بما يكفي لمثل هذه المهمة وأخبرته بذلك: «سيدي، أنا غير متعلّمة. من فضلك لا تطلب مني...». قالت والدموع في عينيها.

أجابها الفيكونت: «أعلم أنك كنت تقطعين وقتًا من ساعات عملك لدراسة اللغة الكورية واليابانية».

لم تهمل عملها قط بسبب ذلك، لكن سونام شعرت بالرعب فجأة من أنها ربما فعلت شيئًا خاطئًا.

تحدّث الفيكونت هيونجمان بصوت أكثر ليونة من ذي قبل: «أنا لا أطلب منك أن تكتبي أدبًا عظيمًا. كل ما عليك فعله إخباري بحالة تشيريونج، والكتابة قدر الإمكان. ادفعي رسوم البريد من نفقات المعيشة».

عندما سمعت سونام لأول مرّة أنها سترافق تشيريونج، كانت متحمّسة جدًا لدرجة أن النوم جاقاها. أي نوع من العالم سيكون موجودًا بعيدًا عن المنزل؟ وأيضًا، كانت اليابان المكان الذي ذهب جانجهوي إلى الجامعة فيه، لذا ربما كان لا يزال هناك. لكن الآن، وقد حانت ساعة المغادرة، طغى توتُّرها على أي إثارة وهي تصعد إلى عربتها من الدرجة الثالثة، والقلق يغمر وجهها.

اهتزّ القطار عندما غادر المحطّة. دخلت تشيريونج مقصورة الدرجة الأولى وجلست حيث أشار جونباي، بالكاد تمنع نفسها من الصراخ «الحرية!»

كان الجزء الداخلي لمقصورة الدرجة الأولى -الذي احتوى على مقاعد ذات مساند للأذرع، وموائده صغيرة، وأصص نباتات- أشبه بقاعة مدينة أو بهو فندق فخم أكثر من قطار. كان معظم المسافرين يابانيين يرتدون بدلات أنيقة وكيمونو يتناسب مع الإقامة في الدرجة الأولى. بدا أن بعض الناس كوريون، لكنها لم تسمع أي لغة كورية يتحدثها أحد.

ومع انحسار أجواء المغادرة الصاخبة، جلس الناس لقراءة الصحف أو الكتب أو التحدث معًا بهدوء. حتى إن هناك امرأة أخرجت أدوات حياكتها. كانوا مختلفين تمامًا عن الكوريين الذين تعرفهم في بلدها، والذين كانوا دائمًا يصرون ضجيجًا كلما تجمّعوا. شعرت تشيريونج كما لو أنها غادرت بلدها غير المتحضر بمجرد ركوب القطار. عندما فتحت مجلتها بحركة مسرحية فخورة، استطاعت أن تشعر باهتمام عربية القطار دون أن تكثر لنظرات الرجال أو أعين النساء المنتبهة والغيورة. ابتسمت في قرارة نفسها فيما ميّزها توهج شبابها بين هؤلاء الأشخاص الذين كانوا فوقها سواء من حيث العمر أو المكانة أو الثقافة.

تضمّنت المجلة، التي تصدرها إحدى شركات مستحضرات التجميل اليابانية، أحدث صيحات المكياج والأزياء المحليّة والأجنبية. سرعان ما شعرت تشيريونج بالملل. من شدّة حماسها، ظلت مستيقظة لقراءتها حتى وقت متأخر من الليلة السابقة. عندما تصل إلى اليابان غدًا، ستكون المجلة التي صدرت منذ شهر قديمة على أي حال. انزعجت فجأة لأن سونام لم تكن موجودة للتسرية عنها.

نظرت تشيريونج إلى جونباي، الذي كان في غير مكانه تمامًا بين ركاب الدرجة الأولى. كان يجلس منتصبًا، متصلبًا من التوتر. كان الرجل الياباني الأكثر ملأ الذي عرفته تشيريونج. فكرة الجلوس مع مثل هذا الشخص لمدة ثماني ساعات جعلتها تتنهد.

في تلك اللحظة، دخل محصل تذاكر يرتدي الزيّد الرسمي عربية الركاب. حياهم وأعلن أنهم يبيعون القهوة والبيرة والمرطبات في عربية المطعم. وقفت تشيريونج، وقالت: «أريد أن أذهب إلى عربية المطعم».

انتفض جونباي واقفاً، وقال: «إذن سأذهب معك. أخبرني السيد ألا أترك جانبك، ولو للحظة».

أومات تشيريونج برأسها، معتقدةً أن ذلك سيكون أفضل من الجلوس بمفردها.

في عربة الطعام، حيث كان هناك صفان من الموائد لشخصين أو أربعة أشخاص، مغطيان بمناشف صغيرة بيضاء، وتخدم عاملات ترتدين فساتين سوداء ومآزر بيضاء المسافرين. جلست تشيريونج على مائدة لشخصين؛ وقف جونباي بجانبها مرتبكاً.

قال له: «إذا وقفت هناك، فسوف تعترض طريق المارة. اجلس».

فعل كما طلبت، وبدا غير مرتاح للغاية.

جاءت نادلة لأخذ طلبهما. في حين جالت بعينها على الموائد الأخرى، وطلبت بجرأة بيرة. عندما جاءت بيرة تشيريونج، طلب جونباي شايًا.

شربت تشيريونج ما يقرب من نصف الزجاجاة دفعة واحدة. كانت بالكاد تنام وتفتوت وجبة الإفطار. انتشر إحساس بالوخز من بطنها إلى جميع أنحاء جسدها. كانت هذه المرة الأولى التي تشرب فيها الكحول منذ رحلة مدرسية قبل عام، وفجأة أدركت تمامًا أن هذا كل شيء؛ لقد غادرت المنزل أخيرًا. شعرت بالسخاء في حماسها، فسألت جونباي: «هل أنت من كيوتو؟».

- مسقط رأسي يوكوهاما.

- من قريبك في كيوتو؟

كانت تشيريونج متحمسة جدًا للسفر إلى الخارج لدرجة أنها نسيت كل التفاصيل.

- عمّة والدي.

- هل يعيش والداك في يوكوهاما؟

امتقع وجه جونباي، وأجاب: «ماتا».

سألته: «كلاهما؟».

أوماً جونباي.

- يا إلهي.. متى؟
- توفي والدي في الزلزال الكبير، وتوفيت والدتي منذ بضع سنوات.
- كم كان عمرك عند حدوث الزلزال؟
- كنت في الحادية عشرة من عمري، اثنتا عشرة سنة بالطريقة الكورية للعدّ.
- استدعت تشيريونج النادلة وطلبت بيرة أخرى. عندما جاءت، مررتها عبر المائدة إلى جونباي.

الفصل السابع

راحلون (2)

كانت سونام خائفة ومذهولة من القطار، مثلما كانت عندما ركبت سيارة لأول مرّة في اليوم الذي غادرت فيه قريتها. كيف يمكن لهذا الصندوق المعدني الضخم أن يتحرّك أسرع من السيارة؟ نظرت حولها إلى الرُكَّاب الآخرين، ورأت امرأة شابة وسيدة مسنّة تجلسان مقابلهما، فيما جلس بجانبها رجل في منتصف العمر.

في تلك اللحظة، بدأ القطار يهتزُّ واحتضنت سونام حقيبتها من فرط المفاجأة. المشهد الذي اندفع عبر النافذة جعلها تشعر بالدوار، فأغمضت عينيها واستندت إلى مقعدها. كانت تجلس في الدرجة الثالثة، على بعد عدّة عربات قطار من تشيريونج وجونباي، وبدا كما لو كانت تسافر بمفردها. الرجل الذي بجانبها فتح جريدة.

ألقت سونام نظرة عليها، لكنّ كان ثمة العديد من الحروف الصينية التي لم تكن تعرفها بعد، لذلك بالكاد استطاعت قراءة ما تقوله. على الرغم من أنها كانت قادرة على قراءة وكتابة بعض من اليابانية، فإنها لم تتحدّث إلا مع جونباي في أثناء دروسها، وكانت قلقة بشأن العيش في اليابان والتحدّث علناً. وقد طمأنها جونباي أن عمّته السيدة سوزوكي سوف تساعد في كل ما

تحتاج إليه، لكن فكرة أنها وتشيريونج ستعيشان بمفردهما في مكان غريب أثقلت كاهلها.

في تلك اللحظة، تحدّثت المرأة الأصغر سنًا من السيدتين الجالستين في الجهة المقابلة إلى سونام. وأوضحت أنهما حماة وزوجة ابن، وأنهما ذاهبتان إلى حفلة في بيونجتايك.

سألت الحماة سونام: «إلى أين تذهبين؟».

ردّت سونام: «يوسان».

سألت زوجة الابن: «هل هذه مسقط رأسك؟».

أجابت: «لا، سأستقلُّ العبّارة في بوسان. سيدتي ستذهب إلى اليابان للدراسة ونحن في طريقنا معًا».

كلتاها نظرتا حولهما، وسألتا: «أين سيدتك؟».

قالت سونام بفخر كأنما مكانة تشيريونج انعكست عليها أيضًا: «في مقصورة الدرجة الأولى».

سأل الرجل الذي يحمل الجريدة، وهو يضعها جانبًا ويعطي المحادثة اهتمامه: «بالنظر إلى الدراسة في الخارج والسفر في الدرجة الأولى، لا بدّ أنها ميسورة الحال. من هي سيدتك؟».

نظرت سونام إليه، ولم تعجبها لهجته المتغترسة. كان شعره المدهون يلمع، وكذلك الساعة الذهبية في معصمه، لكنه كان بعيدًا عن كرامة الفيكونت وعائلته.

فأجابت: «إنها فردٌ من عائلة يون في جاهوي-دونج».

قال: «أوه، تقصدين الرجل فاحش الثراء».

سمع الجميع في سيول شائعات عن عائلة يون. راح رُكَّابٌ آخرون يولون انتباهًا شديدًا للحوار، فيما مضى الرجل يشرح بحماس كيف كانت عائلة يون محدثة نعمة، ويروي الخطوات التي مكنت يون بيونج-جون من الحصول على منصب حكومي وجمع ثروته. قال إنه لا يحب أن يقول مثل هذه الأشياء أمام فتاة صغيرة، لكنه بعد ذلك تناول التفاصيل حول كيفية وفاة والد السيد. بعد أن عاشت بين الخدم الذين كانوا سعداء بالتحدّث بالسوء عن أسيادهم،

كانت سونام تعرف القصة بالفعل. مع ذلك، شعرت سونام والقصة تتدفق من فم شخص غريب، أنها مدينة لسيدها بألا تحمرَّ خجلًا وأن تلتزم الصمت. رفع الرجل صوته ليسمعه الناس على الجانب الآخر من الممر: «الفيكونت يون في وضع صعب. أغرقت محظيتته نفسها في نهر الهان. أحدث خبر انتحارها ضجة كبيرة في ذلك الوقت. من المؤكد أن هذا الابن، الذي يتمتع بخلفية عائلية كهذه، يجب أن يكون مستهترًا أيضًا؟»، بدا كأنه يسأل سونام. اتجهت كل الأعين نحوها، وشعرت سونام بالخرج والغضب أيضًا، فهاجمت الرجل: «أنت رجل صالح، لا ينبغي لك الحديث عن أشخاص آخرين بتلك الطريقة الفظة. لا الفيكونت أو السيد الشاب أي شيء مما ذكرته». وأدارت سونام رأسها إلى النافذة، متظاهرة بتجاهل الرجل.

ومع ذلك، تسارع قلبها بسبب ما قاله. عرفت سونام بالفعل أن جانجهوي كان ابن إحدى المحظيات، لكنها لم تسمع قط أن والدته أغرقت نفسها. إذا تحدت الغرباء في القطار عن ذلك بحرية، فلا بد أن جانجهوي يعرف ذلك أيضًا. كيف كان شعوره عندما علم أن والدته انتحرت؟ تذكرت الأشياء التي سمعت الخادومات يناقشنها قبل أيام قليلة فحسب.

«بسبب السيد الشاب، جعل صاحب السعادة زوجته تتبرع بمجوهراتها للجمعيات النسائية الوطنية».

«منذ وقت ليس ببعيد، رشى ضابط رفيع المستوى في مركز شرطة جونغنو. يقولون: ساعة من الذهب الخالص».

«لماذا يستمر المحققون اليابانيون في القدوم والذهاب كثيرًا؟».

«هل يمكن حقًا أن يشارك في حركة الاستقلال؟».

«إذا لم يفعل الفيكونت شيئًا، فسوف يفقد لقبه، وتتلاشى جميع ممتلكاته. هل تتوقعون منه أن يرضخ دون مقاومة».

«مهلاً، هل تتحدثين بصفتك كورية؟ يقولون إن البطن الملآن ينصح بالخير، ونحن فخورون بأنه بينما نتقاضى رواتبنا بصفتنا خادمات لسيد موالي لليابان، يناضل السيد الشاب من أجل الاستقلال».

«ما مقدار الثروة التي يجب أن يمتلكها حتى يتمكن من التبرُّع بهذا القدر للدفاع الوطني؟».

«فقط انتظرن حتى تنتهي الحرب. بيعت الأراضي كلها، واستنفدت المناجم. ألا يجب أن نبحث عن وظائف في مكان آخر؟».

«لا تتحدّثي عن أشياء لا تفهمينها. كم عدد الأصول المخفية التي تعتقدن أنه يمتلكها؟ وحتى لو انهارت كوريا بالكامل، فإن الفيكونت لن يعاني».

مع ذلك لم تستطع سونام أن تتخيّل جانجهوي الذي كانوا يتحدّثون عنه. كان السيد الشاب الذي عرفته رجلاً أحب القراءة والكتابة والاستماع إلى الموسيقى في حجرة مكتبه. لكن عندما علمت بوالدته، تألم قلبها لأنه ربما يعيش في برية من الحزن.

تساءلت الآن إن كان قد تعامل معها بكل هذا اللطف لأنه شعر بالأسف، وربما أحسّ بشيء يشبه القربة لأنها أتت إلى منزل شخص آخر بعيداً عن عائلتها في سن مبكرة. وبما أنه انفصل عن والدته، فمن المحتمل أنه عرف بما تشعر به أفضل أي شخص آخر. هل كان الرجل الذي وقعت في حبه لطيفاً معها فقط من باب التعاطف؟ تركتها الفكرة محبطة ودفعتها لإعادة التفكير في كل شيء.

لماذا وقعت في حب السيد الشاب؟ لأنه كان لطيفاً ورفيقاً؟ لأنه كان ذكياً؟ لأنه كان ابن عائلة ثرية؟ أم لأنني جننت وحلمت بالمستحيل؟

سأل الرجل: «أخبريني يا آنسة، ألتقاضين راتباً جيداً في منزل الفيكونت؟».

السؤال أبعد سونام عن أفكارها.

لم ينتظر الرجل إجابتها، وتابع موضحاً أن عمله كان يتمثل في إرسال أشخاص للعمل في مصانع التوريدات العسكرية في اليابان ومنشوريا. وكان في طريقه إلى الريف لتوظيف العمّال. أو، إذا لم تكن تريد الذهاب إلى هذا الحد، كان ثمة مصنع نسيج محلي أيضاً.

واصل حديثه: «إذا عملت في المصنع، فستحصلين على وجبات كاملة، وتنامين في المهجع، وتتقاضين عشرة وون شهرياً. خلال العطلات، يرسلونك في إجازة ويعطونك أقمشة من النايلون مكافأة».

أثارت كلماته ضجة كبيرة.

عشرة وون؟ على حد علم سونام، لم يتلقَ الخدم الذين يأكلون وينامون في القصر سوى قرابة خمسة وون، وهي، بعد أن اشتراها السيد من والديها، لم تتلقَ شيئاً. وجهت انتباهها إلى الرجل رغم انزعاجها السابق.

استطرد الرجل: «بغض النظر عن المدة التي تقضيها في الخدمة المنزلية، فلن تلقى معاملة جيدة ولن تتمكني أبداً من توفير أي أموال. هل أنت مهتمة؟ يمكنك كسب بعض المال وتكونين ابنة صالحة لوالديك في الوطن».

قالت سونام: «لست مهتمة».

تحدّث راكب آخر: «ابنتي لا تعرف سوى الطبخ، هل لا يزال من الممكن تعيينها؟».

أجاب الرجل: «بالطبع. ستتلقَى تدريباً على المهارات اللازمة، ويمكنها حتى الدراسة، وكل ذلك مع كسب المال».

جاءت الأسئلة من كل جانب.

حاولت سونام التوقّف عن الاستماع، لكن أذنيها استمرت في العودة إلى المحادثة، خاصة عند ذكر المقدرة على الدراسة. يمكنها أن تتبع الرجل على الفور إذا قرّرت ذلك. أخبرها تايصول أنه أصبح من غير القانوني الآن شراء وبيع الأشخاص. كان استعبادها لأكثر من عشر سنوات من دون أجر قد سدّد أكثر بكثير من ثمن حقل الأرز الممنوح إلى أهلها مقابل بيعها. لذا، ألن يكون الأمر على ما يرام إذا هربت؟ يمكنها الحصول على وظيفة في أحد المصانع، والدراسة، وكسب المال، ثمّ الذهاب والعثور على جانجهوي.

عندما أدركت أن أيّاً من خططها لا تشمل الأسرة التي تركتها وراءها، استولى الذنب على سونام. «منزلها» لم يعد موجوداً بعد الآن. وفقاً لما علمه تايصول، تزوّجت كل شقيقاتها، وباع والدها حقول الأرز واختفى مع بقية أفراد الأسرة ذات ليل. قال بعضهم إن هذا بسبب ديون القمار؛ وزعم آخرون أن شقيقها الأصغر، جيونجسوك، قد جرح طفلاً يابانياً. عندما سمعت سونام الخبر، وجدت نفسها تتساءل فجأة عن شبح أختها الكبرى. هل تبع شبحها العائلة أم أنها لا تزال تتجول في أرجاء المنزل؟

تركت سونام فكرة الهروب تذوي عندما هبط الرجل من القطار في تشيونان. في هذه الأثناء، اعتادت على القطار، لذلك لم تعد تشعر بالدوار حتى عندما شاهدت المنظر يمر في الخارج، ولم تتفاجأ بالصفارات المزعجة أو عالية النبرة.

عندما رأت الثلج لا يزال متراكمًا عند سفوح الجبال العارية، انتابها البرد، وعندما رأت الشعير أو القمح ينمو باللون الأخضر، شعرت بالدفء. وعلى الرغم من أنها اعتادت على القطار، فإنه كان لا يزال من الغريب أن تجلس بمفردها ولا تفعل شيئًا. والأمر الأغرب أنه لم يكن هناك ما يمكن فعله. منذ وصولها إلى قصر جايهوي-دونج، كانت سونام مشغولة دومًا، إلا عندما كانت نائمة، وكان عليها دائمًا أن تكون مستعدة للركض كلما ناداها أحدهم. بالطبع، تبعت تشيريونج إلى المتاجر الكبرى، وذهبت ليلاً لمشاهدة أزهار الكرز في فصل الربيع، وتجوّلت في وسط البلدة لقضاء المهمّات، لكنها في الغالب بقيت داخل جدران القصر. بمجرد وصولها إلى كيوتو، يمكنها أن تفعل ما يحلو لها فيما تكون تشيريونج في الكلية. نالت الحرية بشكل غير متوقّع، وفي تلك اللحظة، كان لديها الوقت لنفسها حتى يصل القطار إلى وجهته النهائية.

عندما توقّف القطار في المحطة التالية، دخل شرطي يحمل هراوة في حزامه وسار في الممرّ. تسارع خفقان قلب سونام وكأنها ارتكبت جريمة، لكنه تجاوزها. وفي وقت لاحق، لمحت الشرطي يجرّ طالبًا بعيدًا بعد تفتيش حقيبته. فكّرت سونام في السيد الشابّ وهي تشاهد الطالب وهو يتعرّض للركل على الرصيف من قبل الشرطي، ولمست الجراب الذي وضعته في جيبها، ودعت من أجل أن يكون جانجهوي آمنًا.

عندما توقّف القطار مرّة أخرى، الآن في محطة سيونج هوان، فكّرت سونام في تايصول وسورين، إذ سيونج هوان مسقط رأسيهما. بعد أن رفضته سونام، استقال تايصول من شركة الفيكونت. ما زالت تتساءل إن كانت قد اقتربت خطأ. كان من الممكن أن يصبح زوجًا قويًا وموثوقًا فيه، من نوعية الرجال الذين قد لا تقابلهم مرّة أخرى أبدًا.

جاء تايسول إلى غرفتها في الليلة التي سبقت مغادرته، وكانت تفوح منه رائحة الكحول بقوة. داس على فراش سورين وسونام -كاننا قد استلقيتا للنوم بالفعل- وأخبرهما أنه سيغادر للتنقيب عن الذهب. في العقد الماضي، نشرت الصحف في كثير من الأحيان مقالات عن الأشخاص الذين أصبحوا أثرياء من خلال التنقيب.

كانت سورين على وشك البكاء عندما أمسكت بابنها وهزته، قائلة: «أيها الأحمق، هل تعتقد أنه من السهل أن تصبح ثرياً؟ إن عملت بجدّ هنا، فسوف يمنحك سيادته منصباً أعلى، فلماذا تركض وراء الآمال الكاذبة؟ اذهب وتوسّل إليه أن يعيدك -الآن!».

قال: «أمي، إلى متى تريدني أن أكون خادماً؟ هذه فرصة العمر. سأشيد لك منزلاً رائعاً مسقوفاً بالقرميد لتعيشي فيه، وأجد لنفسك زوجة جميلة، وأهبك حفيداً قوياً لتحمله بين ذراعيك».

ارتفع صوته حتّى كاد أن يصرخ، وكأنه يطلب من سونام أن تستمع إليه أيضاً.

بعد مغادرته، انفجرت سورين في البكاء في لحظات عشوائية من اليوم. عندما كانت تشيريونج -التي أرضعتها سورين- وسونام على وشك الرحيل بعد مدّة وجيزة من ابنها، أصبحت مجرد قشرة جوفاء لما كانت عليه في السابق. ولرغبتها في رفع معنوياتها، أعطتها سونام المرأة التي تلقتها من تايسول.

استيقظت سونام على ضجّة.

كانوا في دايجو، محطة رئيسة، وكان العديد من الركاب يصعدون ويهبطون من القطار. وبينما كانت نائمة، تغيّر الركاب المقابلين لها وبجانبها. كما تغيّرت لهجة الناس. قبالتها الآن أمّ وابنتها الصغيرة نائمتان، وبجانبها يغفو رجل عجوز يرتدي معطفاً طويلاً بياقة ملطّخة. الباعة المتجولون الذين يبيعون الموادّ الغذائية يتشبّهون بالنوافذ ويصرخون ببضائعهم وأسعارها. انطلق القطار من جديد.

كانت سونام جائعة، فأخرجت كرات الأرز المغلفة بالقماش والبيض المسلوق من حقيبتها، بالإضافة إلى زجاجة من الصودا. كان الغداء الذي أعدته سورين لها. فكَّت قطعة القماش وأكلت كرة أرز متبَّلة بالملح، التقت عيناها وناظري الفتاة الصغيرة التي تعاني سوء التغذية وهي تضع كرة الأرز في فمها. بدت الفتاة رثَّة، وبدت الأم منهكة ومرهقة حتَّى في أثناء نومها.

عندما بدأت سونام في تناول الطعام، التفتت الفتاة إليها وحدَّقت بلا خجل. شعرت سونام بالأرز يلتصق بطلقها، فتردَّدت، ثمَّ أعطتها إحدى البيضتين المسلوقتين. نظرت الفتاة إلى أمها النائمة بحيرة، ثمَّ أخذت البيضة بتردُّد. أنهت سونام أكل البيضة الباقية، وسلَّمت للفتاة زجاجة الصودا نصف الفارغة.

لم تشعر سونام بالنعاس، فأخرجت كتابًا من حقيبتها. كانت رواية «معدوم القلب»، وهي رواية كتبها لي جوانج سو، والتي أعارتها لها تشيريونج لتقرأها عندما تشعر بالملل. عندما نُشرت الرواية بشكل مسلسل لأول مرَّة في صحيفة تشوسون، كانت تشيريونج قارئة نهمة لدرجة أنها كانت تنتظر صدور الصحيفة كل صباح، ثمَّ عندما نُشرت الرواية في كتاب، اشترتها وقرأتها مرارًا.

فتحت سونام الكتاب على الصفحة الأولى، ويملؤها الترقُّب. كان قلبها يخفق بشدَّة، لأنها، لأول مرَّة في حياتها، تمكَّنت من قراءة كتاب دون القلق بشأن ما إذا كان هناك أي شخص يشاهده، أو إذا كان هناك أي شيء يحتاج إليها أي شخص أن تقوم به. لم تتخيَّل قط أنها قد تتمتع برفاهية امتلاك وقت فراغ. لم يمضِ وقت طويل قبل أن تنجذب إلى الرواية. كانت ثمة كلمات وجمل صعبة، لكن لم يكن لديها مشكلة في فهم القصَّة، وسرعان ما أصبحت متعاطفة مع شخصية جيونجيم التي عانت كلَّ أنواع سوء المعاملة والمآسي في منزل صديق والدها، بعد وفاة والديها.

كان الحاجز بين تشوي سيوك وجيونجيم مثل الفرق في المكانة بينها وبين جانجهوي. احمرَّ وجهها عندما قرأت مذكَّرات جيونجيم، والتي بدت وكأنها تعكس مشاعرها الخاصَّة. المشهد الذي كان تشوي سيوك يتجوَّل

فيه عبر حقول الثلج السيبيرية يتداخل مع صورتها للسيد الشاب. مثلما كان تشوي سيوك يفتقد جيونجيم، كانت تأمل أن يكون جانجهوي يفتقدها.

وبينما كانت تمسح الدموع التي تدفقت بغزارة على وجهها، التقت سونام وعينا والدة الفتاة التي استيقظت الآن. ويبدو أنها كانت تنتظر سونام حتى تنظر إليها. أمسكت بنصف البيضة وأومات برأسها لسونام، وقالت: «شكرًا لك على مشاركة طعامك الثمين».

شعرت بالهرج، فجففت سونام عينيها بسرعة. نظرت إلى الفتاة التي كان خدًاها منتفخين، من الواضح أنها لا تزال تحتفظ بنصف البيضة الآخر داخل فمها، وابتسمت قائلة: «يا لها من ابنة جيدة حتى تشارك البيضة مع أمها».

أخذت الفتاة رشفة من الصودا ثم سلمتها لأمها. أغلقت سونام الكتاب وشاهدتهما تتشاجران، وكل منهما تحت الأخرى على تناول الطعام. قالت الأم: «بوني فتاة جيدة. لولاك لتضورنا جوعًا. شكرًا جزيلاً».

لوحت سونام بيديها وكأنها تقول إن هذا لا شيء، لكنها شعرت في داخلها بدفء فخور لتمكُّنها من مشاركة شيء مع شخص أقل حظًا منها.

شرحت والدة الفتاة موقفها، كما لو كانت هذه الطريقة الوحيدة التي يمكنها من خلالها ردّ الدين إلى سونام، فقالت: «بوني تبلغ من العمر ثلاثة عشر عامًا فقط، لكنها ستذهب إلى بوسان لتعمل خادمة لدفع ثمن دواء أبيها. تناولت وعاءً من العصيدة فحسب قبل أن نسير مسافة ثلاثين ميلًا، لذا فهي جائعة. بالكاد تمكّنت من دفع ثمن التذكرة».

ذرفت والدة بوني دموعها وحشرت نصف البيضة التي كانت تحملها في فم ابنتها. كانت سونام لتشبع بكرة الأرز فحسب، وندمت على أكل البيضة الأخرى. حينها كانت لتحظى كل من الأم وابنتها ببيضة. تذكّرت بشكل مشوّش كيف أطعمتها والدتها الأرز عندما غادرت قريتها. كان قلب هذه الأم المحب هو نفسه. دعت سونام من أجل أن تلتقي بوني بسيد جيد مثلها.

سألت والدة بوني وهي تمسح دموعها على عجل: «وإلى أين أنت ذاهبة؟». قالت: «إلى بوسان أيضًا».

ابتسمت المرأة، وقالت: «أين أنت ذاهبة في بوسان؟ نحن ذاهبان إلى دونجناي».

قالت سونام: «سأسافر إلى اليابان بالعبارة».

فجأة تدخل الرجل العجوز الذي بجانبها، والذي كانت تظن أنه نائم، في الحديث قائلاً: «إلى اليابان؟ هل ستدرسين في الخارج؟».

سألت والدة بوني قبل أن يكون لدى سونام لحظة للرد: «هل أنت طالبة؟».

كان وجه الفتاة ينضح بالحسد والإعجاب. لم تكن سونام متأكدة من كيفية الرد، ونظرت إلى الأشخاص من حولها، متسائلة إن كان أي شخص يعرف أنها كانت ببساطة ترافق سيدتها. لكن يبدو أن الركاب كلهم قد تغيروا ولم يكن أحد ينتبه إلى حديثهم.

لسبب ما، كان الاعتراف بالحقيقة محرّجاً، ولذلك بدلاً من الإجابة، فتحت سونام كتابها وبدأت في القراءة.

بدأ الصعود على متن العبارة بين بوسان وشيمونوسيكي في الساعة التاسعة مساءً حيث موعد المغادرة المقرر في الساعة العاشرة مساءً. كانت تشيريونج ورفيقاتها مسافرين من الدرجة الأولى، لذلك كانوا أول من صعد على متن السفينة بعد التفتيش الجمركي. كان والدها متردداً في دفع ما يعادل الراتب الشهري لرفيقيها، وخاصة بسبب تكلفة تذكرة سونام. لطالما ردد أنه لا يوجد شيء أكثر خطورة من التعامل بلطف مع الخدم.

تناول الثلاثة العشاء في وسط المدينة، بصفتهم ضيوفاً على رئيس فرع شركة موجيوك للتجارة في بوسان، ثم قاموا بجولة في المدينة. كانت المستوطنة اليابانية مزدحمة وحيوية مثل جونجنو وجينجوجاي في سيول، حيث كانت الشوارع تزخر بمكاتب البريد والبنوك والمستشفيات ومطاحن الأرز ومتاجر مختلفة. مرّت تشيريونج بالمتاجر التجارية قائلة: «إنها مملّة مقارنة بسيول»، لكن عينيها اتسعتا عندما رأت جسر بوسان. قيل إنه أول جسر في كوريا يربط جزيرة بالبر الرئيس إذ ربط بين جزيرة يونجدو وبوسان.

بالكاد استطاعوا أن يصدّقوا أعينهم وهم يشاهدون جزءًا من الجسر، الذي عادة ما تعبره عربات الترام، ينزلق بسهولة مثل بوابة من الخشب. وعلموا لاحقًا أن مشهد فتح الجسر، الذي حدث ستّ مرّات يوميًا، كان عامل جذب كبيرًا في بوسان.

كان قلب سونام ينبض على إيقاع الأمواج البيضاء التي ترتفع وتتكسر في الظلام عند اقترابها من الرصيف - مشهد ساطع وصاخب حتّى في الليل - حيث كانت العبّارة الضخمة تستعدّ للمغادرة. ومرّة أخرى، أذهلتها وسيلة السفر الجديدة. ذهبت للاستحمام مع تشيريونج في نهر الهان وعرفت مدى صعوبة بقاء جسدها الصغير طافيًا على قدميه، ودُهشت أن مثل هذه السفينة الهائلة لم تفرق.

أخذ جونباي زمام القيادة، وهو يحمل صندوق تشيريونج الضخم في كلتا يديه، وحقيبته معلّقة على ظهره، وقال: «هناك جميع أنواع المرافق على متن السفينة، بما في ذلك حمّام عام ومطعم. دعونا نقوم بجولة صغيرة، ثمّ يمكننا الاستحمام».

قالت تشيريونج وقد بدت مصدومة: «يا له من أمر مقرّز! الغرباء يخلعون ملابسهم ويغتسلون معًا؟ لا أريد أن أفعل ذلك».

سمعت سونام عن الحمّامات العامّة في سيول. وكان موقع تلك الحمّامات الرئيس في نامشون، منطقة سكنية يابانية، وكان هناك الكثير منها غير مسموح للكوريين بدخولها.

قال جونباي: «في اليابان لديهم حمّامات مختلطة حيث يستحمّ النساء والرجال معًا. يجب أن نذهب إلى هناك مرّة واحدة، فقط من أجل التجربة».

ضحكت تشيريونج ردًا على ذلك، في حين أن سونام بالكاد اهتمّت، ولا تزال قلقة بشأن كتابة تقريرها الأول للسيد، لكنها كانت أيضًا تتطلّع إلى القيام بجولة داخل السفينة. كانت القُمرّة العائلية مفروشة بشكل جيد، مثل غرفة في المبنى الملحوق. كان الملحوق مجرد جزء من المنزل بالنسبة إلى تشيريونج، لكنّ بالنسبة إلى سونام، التي كانت في الداخل فقط للقيام بمهام وظيفتها خادمة، كانت فرصة أخرى مثيرة.

الآن، شعرت حقًا وكأنها طالبة تسافر إلى الخارج للدراسة. واستمرَّ هذا الشعور الجيد حتَّى غادرت السفينة الميناء، وكان ذلك عندما بدأ دوار البحر. متجاهلين الجدران الفاصلة للمكانة الاجتماعية، وقفت تشيريونج وسونام أمام درابزين السفينة وقضيتا معظم الرحلة معًا، تتقيَّان في البحر.

الفصل الثامن

من الربيع إلى الصيف

امتلت مدينة كيوتو بالمباني والطرق والأشجار التي تراكم عليها التاريخ العتيق في طبقات سميكة، واصطفّت الشوارع بالمنازل المبنية من ألواح خشبية سوداء اللون. وبالمقارنة، كانت سيول في حالة من الفوضى، حيث بُنيت مباني الغد كل يوم على المواقع حيث هُدمت مباني، وكان ثمة حفر جارٍ للطرق دومًا. استغرق الأمر من تشيريونج بعض الوقت لتعتاد التغيير.

وبسبب الركود الطويل والحرب المستمرة، كانت تعبيرات السكان المحليين والأجواء الاجتماعية كئيبة للغاية. لكنّ عندما بدأت أزهار الكرز تتفتح، بدأت الأمور تتغيّر. كانت مظلات الأشجار المزهرة الشبيهة بالغيوم في المعابد القديمة، وفي المتنزهات، وعلى طول الأنهار والطرق تضيء مدينة كيوتو بأكملها. كانت جميلة بشكل باهر حيث تساقطت البتلات مثل قطرات المطر. ولم يمضِ وقت طويل حتّى بدأت الأوراق الخضراء الطازجة تنبت حيث سقطت الزهور.

سألت تشيريونج وهي تضع يدها على خصرها وتنظر إلى نفسها في المرآة: «كيف أبدو؟».

كانت ترتدي فستانًا أزرق فاتحًا عليه نقش زهور صغير على خلفية بحرية. أبرز الخصر الضيق والحزام الأحمر شكل جسمها، كما جعلت حمالة

الصدر الجديدة ثديها بارزين أكثر. كانت والدتها دائماً ما توبّخها لارتدائها ملابس مثل العاهرة كلما ارتدت ملابس تكشف شكل جسدها، لكن الآن، كانت تشيريونج تزور بانتظام المتجر متعدّد الأقسام في وسط المدينة في كاواراماتشي وتشتري أحدث الملابس العصرية التي تريدها.

كان شهرهم الأول، وما زالت تحتفظ بالمال الذي أعطاه إياه والدها، بالإضافة إلى الهدايا من والدتها. تفاجأت تشيريونج عندما بدا أن والدتها، التي بدت تكرهها إلى حدّ كونها أشبه بزوجة أب شريرة، لم تدعمها في دراستها في اليابان فحسب، بل قدّمت لها المجوهرات أيضاً.

استدعت الليدي جواك ابنتها تشيريونج إلى غرفتها، ووضعت أمامها صندوقاً من المجوهرات أخرجته من خزانة ذات أدراج وقالت: «هذا ما تبقى بعد التبرّع بكل ما عندي من الحلي الذهبية لصندوق المجوهرات الذهبية الوطنية. إنها قطع لا أرتديها أبداً، لذا عليك أن تأخذها. وإلا، فمن المحتمل أن أضطرّ إلى التبرّع بها أيضاً. يجب أن يكون للمرأة مالها الخاص، تحسباً لأي ظروف».

يحتوي الصندوق على خاتم وقلادة من اللؤلؤ متطابقين، وقلادة من الياقوت، وخاتم من الياقوت. كانت قلادة الياقوت على رقبتها الآن، على الرغم من أنها غيرت سلسلة القلادة إلى أحدث طراز في اليابان. وضعت تشيريونج وجهها بالقرب من المرأة وتفحصت مكياجها. كانت مستحضرات التجميل المشهورة في اليابان وفي الوطن هي نفسها تقريباً، لكن الفرق يكمن في شكل الحواجب. في حين أن النساء الكوريات يفضلن الحواجب الرفيعة على شكل هلال، كانت -في اليابان- الحواجب السميقة والأكثر قتامة شائعة بين النساء. عندما رسمت حاجبها على الطريقة اليابانية، اعتقدت أن ذلك يجعلها تبدو أقوى وأخيراً أنهت تفقد مظهرها برفع زوايا شفثيها الحمراء والابتسامة. قالت سونام وهي تدخل الغرفة تحمل زوجاً من الأحذية الملمّعة: «سوف تكسرين المرأة إذا واصلت التحديق. لا داعي للقلق. ستكونين أجمل طالبة في الاجتماع».

أخذت تشيريونج الحذاء وضحكت: «طبعاً سأكون الأجمل».

كان يوم الأحد، وستكون هذه المرة الأولى التي تخرج فيها تشيريونج بمفردها. وصلوا إلى كيوتو قبل شهر تقريباً، لكن حتى الآن، كانت تشيريونج تجرُّ سونام معها بحجة رغبتها في التعرف على المدينة، لكن في الحقيقة كان ذلك بسبب شعورها بعدم الارتياح وحتى الاختناق حول زميلاتها في الفصل.

مع زميلاتها في الفصل، بصرف النظر عن مدى قربهن، لم تتمكن من التصرف بحرية كما فعلت مع سونام. ذهبت الاثنتان إلى معبد الجناح الذهبي ومعبد كيوميزو ديرا على النحو الذي أوصت به السيدة سوزوكي، وجيون شينباشي لرؤية نساء الجيشا بمكياج كثيف وهن يرتدين الكيمونو الملون. في الأسبوع السابق، جهّزتا وجبة الغداء وذهبتا إلى حديقة ماروياما، التي كانت تعجُّ بالناس الذين يستمتعون بالزهور.

قالت تشيريونج: «أراهن أنك ستشعرين بالملل بمفردك».

ردّت سونام: «لا، لن أفعل. أحتاج إلى أن أغسل ملاءات سريري والشمس مشرقة».

بدا الطقس في كيوتو معتدلاً لدرجة أنهما لم تعلمتا متى ربما يهطل المطر ثانية.

خرجت تشيريونج من الغرفة وركضت بمرح هابطة السلالم القديمة، وصريها يتردد مثل كرة مطّاطية.

صاحت سونام: «كوني حذرة، إنها زلقة!». وتبعتها حتى محطة الترام على الطريق الرئيس. هناك استقلّت تشيريونج عربة ترام راندين، التي تسمى «قطار تشينتشين» بسبب الصوت الذي يصدره الجرس عندما تنغلق الأبواب.

بعد التلويح وداعاً للترام المغادر، توجّهت سونام إلى المنزل. كان منزل السيدة سوزوكي يقع في منطقة سكنية على بعد أربع بنايات من الطريق الرئيس. وفي الزقاق المؤدّي إلى المنزل كانت هناك متاجر مثل محال البقالة ومتاجر الكتب وصالونات التجميل والحمامات العامة والعيادات ومحال السلع الغربية. عندما مرّت بجانب الحمام العام، ابتسمت سونام عندما تذكرت المرة

الأولى التي استحمت فيها مع تشيريونج. عندما خلعتا ملابسهما، لاحظت بفخر أنه لا يوجد فرق بين الجسد العاري لابنة الفيكونت وخادمتها.

أدى الطقس البارد وغرف التاتامي⁽¹⁾ التي لا تحتوي على تدفئة أرضية إلى التقريب بين الاثنتين منذ وصولهما إلى اليابان. كان الجو حارًا خلال النهار، ولكن درجة الحرارة انخفضت مع مغيب الشمس. في الليلة الأولى، نادى تشيريونج سونام -التي في الغرفة المجاورة- لتأتي وتنام معها. كانت حرارة جسديهما مجتمعة تدفئهما تحت الأغطية. كانتا مستلقيتين جنبًا إلى جنب تحت الفراش، وكانتا تضحكان وهما تقرأن المجلات التي تتوقع حظوظ الحب وفقًا لشكل الثدي المرأة وحجمهما، أو لون حلمتيهما.

ليلة واحدة في أرض أجنبية ضيقت بسرعة المسافة الشاسعة بين مكائتيهما الاجتماعية. سرعان ما اعتادت سونام قضاء الوقت مع تشيريونج، التي كانت أكثر لطفًا في كيوتو مما كانت عليه في سيول.

السيدة سوزوكي قالت إن هذه هي المرة الأولى التي يعيش فيها أي كوري في الحي. كان هناك أيضًا زوجان بريطانيان يُدعيان السيد والسيدة برادلي يعيشان في الزقاق، وعلى الرغم من أنهما كانا أجنبيين، فإنهما حظيا بمعاملة خاصة.

لم تكن هناك مدرسة قريبة، وحتى لو كانت هناك مدرسة، فإن رسوم الدراسة كانت مرتفعة للغاية بالنسبة إلى معظم الطلاب الكوريين. كان معظم الكوريين الذين أتوا إلى اليابان للعمل، وكذلك الطلاب الفقراء، يعيشون حول نهر كامو أو في منطقة هيجاسيكوجو عند مجرى النهر، حيث العديد من مواقع بناء السكك الحديدية والأنفاق، فضلًا عن مصانع الصباغة. وكان أيضًا المكان الذي يعيش فيه المنبوذون اليابانيون من الطبقة الدنيا.

لم يكن السكان المحليون ودودين تجاه سونام وتشيريونج. كان أصحاب المحال التجارية التي تترددان عليها أكثر تهاديًا إلى حد ما، لكن بشكل عام، كان جيرانهما ينظرون إليهما بازدراء. لم يحدث ذلك فرقًا كبيرًا بالنسبة إلى

(1) نوع من الحصير يستخدم لفرش الأرضيات في الغرف التقليدية على الطراز الياباني (المترجم).

سونام، التي كانت معتادة على مثل هذه المعاملة، ولا تشيريونج، التي كانت معتدة بنفسها حتى تعباً بذلك.

عندما عادت سونام إلى المنزل بعد وداع سيدتها، فتحت الباب الجانبي إلى متجر السيدة سوزوكي. كانت المرأة العجوز تحيك مفرشاً مستديرًا للمائدة، بطلب من السيدة برادلي قبل بضعة أيام. كانت مهاراتها في الحياكة ذائعة الصيت في الحي، لذلك كان هناك العديد من الطلبات، وبيع كل ما حاكته على الفور.

قالت سونام للمرأة العجوز: «سأعود بعد أن أغسل ملاءات سريري».

أومأت السيدة سوزوكي برأسها وطلبت منها أن تترك الباب الأمامي مفتوحًا ليدخل نسيم الهواء.

كانت مساحة الغسيل في الفناء خلف المبنى تحتوي على مياه جارية، لذلك كان من السهل القيام بالغسيل. يؤدي الدرج الموجود في منتصف الردهة المركزية إلى مساحة مفتوحة بها مذبح بوذي له أبواب تؤدي إلى أربع غرف. استخدمت هي وتشيريونج الغرفتين المفروشتين بثماني حُصر وأربع حُصر تاتامي.

كانت ثمة غرفتان أخريان، لكنهما كانتا مكدستين بأمتعة عائلة ابن المرأة العجوز. والمثير للدهشة أن تشيريونج لم تشتك على الرغم من أن المنزل كان صغيرًا ومتهالكًا مقارنة بقصر جايهوي-دونج. بالنسبة إلى سونام، كانت هذه المرة الأولى في حياتها التي تحصل فيها على غرفتها المستقلة.

بعد أن انتهت من غسيل ملابسها، عادت سونام إلى المتجر.

سألت السيدة سوزوكي: «هل خرجت الآنسة يون بمفردها اليوم؟».

ردت سونام: «نعم، هناك اجتماع للطلاب».

أحبت سونام الوقت الذي قضته مع خالة جونباي اللطيفة والودودة، وقد تحسنت لغتها اليابانية بشكل ملحوظ بفضل محادثاتهما اليومية.

«آنسة كيم، هذا النوع من التعبير أفضل في هذا السياق».

«هذه الكلمة ليست خاطئة، ولكنها ليست مناسبة».

كتبت سونام كل شيء في دفترها. السيدة سوزوكي فتشت حتى غرفتها، وعثرت على كتب مدرسية وحكايات ومجلات كانت مملوكة لأحفادها حتى تقرأها سونام. التهمت سونام كل ما استطاعت الوصول إليه، حتى الكتب المدرسية لجامعة تشيريونج.

مقارنة بحياتها في قصر جايهوي-دونج، كانت سونام تقوم هنا بعمل شاق أقل بعشر مرات، وعمل أفضل بعشر مرات. إذا كانت ثمة مهمة واحدة صعبة، فهي كتابة رسائل إلى الفيكونت. كان من الصعب بما فيه الكفاية الاضطرار إلى كتابة رسائل إلى سيدها الذي كانت تهابه كثيرًا، لكن كان من الصعب على نحو خاص الإبلاغ عن تفاصيل تتعلق بحياة تشيريونج بالخارج. كتبت رسالة إلى سيدها الإلهي، لكن كان من الصعب بشكل خاص الإبلاغ عن حياة تشيريونج في الخارج بالتفصيل.

كانت الرسالة الأولى الأكثر إزعاجًا.

وتذكرت الرسائل التي قرأها تايبول للخادمة المسنة، مع تحيات رسمية مثل: «كل تمنياتي القلبية بوافر الصحة والازدهار»، لكن لم يبدُ أن هذا شيئًا يجب أن تقوله للسيد. وبعد جهد طويل في كتابة الرسالة ومسحها حتى تمزقت الورقة، قررت سونام أن تكتب وكأنها تتحدث، متجاهلة متطلبات الآداب. أمام الفيكونت هيونجمان، لم تكن قادرة حتى على التحدث بشكل صحيح، لكن على الورق، وعبر البحر، يمكنها أن تكون أكثر جرأة إلى حد ما. سونام لم تكره الرجل الصعب والمخيف. كان الفيكونت أول شخص في حياتها يستمع إليها عندما سألته: «ألا أستطيع الذهاب بدلًا منها»، وبفضله، قطعت الفتاة التي كانت ترغب في السفر فوق التل كل الطريق إلى اليابان وكانت تعيش بشكل مريح.

«صاحب السعادة،

كيوتو أكثر حرارة ورطوبة من سيول. تمطر كثيرًا أيضًا. ذهبت لشراء البقالة في سوق نيشيكي اليوم. السوق ضخمة وتبيع جميع أنواع المواد الغذائية.

أنا متأكّدة من أنك تذوّقت جميع أنواع الطعام هذه بما أنك رجلٌ عظيمٌ وثرىٌّ. في البداية، شعرت بالشعب بمجّد النظر. لكن اليوم، انتابني الجوع، وأكلت بعض التمبورا. شكرًا جزيلاً. إذ لولا سماحك لي بالسفر، كيف كان سيمكنني رؤية وأكل مثل هذه الأشياء اللذيذة؟

أمّا بالنسبة إلى السيدة تشيريونج، فهي تدرس بجدّ. تدرس اللغة الإنجليزية بشكل خاص ولكنها تشعر أنها ليست جيدة بما يكفي للدراسة في الكلية، لذلك قرّرت تعلم اللغة الإنجليزية بشكل منفصل بمعاونة مدرّس خاص. يعيش زوجان غربيان في أحد أزقة الحي الذي يعيش فيه؛ اسمهما السيد والسيدة برادلي. إنهما إنجليزيان. إنجلترا جزيرة مثل اليابان. وربما لهذا السبب تستخدم النساء الاسم الأخير لأزواجهن عندما يتزوّجن، كما هو الحال في اليابان. أخبرتني السيدة الشابة أن الرجل يضع السيد والزوجة تضع السيدة قبل اسم العائلة.

، وأحيانًا أراهما في الشارع أيضًا. السيد برادلي قصير القامة، أستاذ جامعي، ذو شعر أبيض-أصفر تقريبًا، ويركب دراجة. السيدة برادلي أكبر حجمًا من زوجها. أعتقد أن الزوجة ستفوز إذا تشاجرا. إنهما مختلفان جدًّا في المظهر، لكن هناك شيء مماثل يخصّهما؛ أعني أنهما جريئان للغاية. كلما التقيا بأشخاص في الزقاق، يقولان: «مرحبًا، صباح الخير»، أو شيء من هذا القبيل ويتظاهران بمعرفتهم. السيد برادلي حياني عند

مروره بي، لكنني شعرت بالحرص الشديد لدرجة أنني تجنّبته بسرعة. قد يكون الأمر مختلفًا مع الأشخاص الذين يعرفهم، لكنني أجد أنه من الوقاحة جدًّا أن أحيي أشخاصًا لم أقابلهم من قبل. ذات يوم وضعت السيدة برادلي لافتة على جدار الحي تقول فيه إنها تريد ضمّ الطلاب لتعليمهم اللغة الإنجليزية. رأت سيدي ذلك وسجّلت. وتقول إنها تريد التحدّث باللغة الإنجليزية مثل أي مواطن غربي حقيقي، بحيث تناسب الكلمات بسهولة من لسانها. وقالت إنها ستبدأ الأسبوع المقبل. نظرًا لأنها تدرس بجدّ، أتمنّى أن تشعر يا سيدي بالارتياح.

بالمناسبة، إنها تقلق دائمًا بشأن ما إذا كنت تأكل وتنام جيّدًا. بالطبع، إنها تريد أيضًا أن تعرف كيف حال سيادتها. إذا لم ترسل إليك سيدي أخبارها فلا تحزن لأنها منشغلة بالدراسة.

من سونام.»

أدى ضوء الشمس الباهر إلى تدفئة وجه تشيريونج فيما كانت تراقب المشهد من خلال نافذة الترام. وأضفت أوراق الشجر الخضراء الطازجة لون الربيع على المدينة، فيما سار الناس في الشوارع حاملين شعارات وملصقات تدعو إلى النصر في الحرب ضد الصين، وتجنيد المتطوعين. لكن عيني تشيريونج كانتا موجّهتين تحديداً تجاه العشاق، وكانت تتوق إلى المواعدة قبل أن يتحوّل الربيع إلى صيف. ظنت أنها ستلتقي الرجل الذي كان مقدراً

لها أن تحبه بعد مدة قصيرة من مغادرتها كوريا، لكن حتى في اليابان وجدت نفسها محاطة بالنساء في المنزل والمدرسة.

كانت لديها توقعات كبيرة من مجموعة الطلاب الكوريين التي كانت في طريقها للقاء بهم الآن، وبينما كانت مفتونة بكل ما هو ياباني، فإن هذا لم يشمل الرجال. لو لم يكن نجم سينمائي بشعر أشقر وأعين زرقاء، فإن الرجل الكوري أفضل. حتى الآن، كان الرجال اليابانيون الوحيدون الذين قابلتهم في أماكن قريبة هم جونيبي ومعلمي المدارس المتزوجين - ولم يجعلها أي منهم تشعر بأي أثر للعاطفة.

اقترح أوه جيونجسيم، وهو طالب في السنة الأخيرة في قسم الأدب الإنجليزي، أن تحضر تشيريونج مجموعة الطلاب الأجانب، التي تشكلت بهدف تخفيف الضغط والشعور بالوحدة الناتجين عن العيش في الخارج. كان الطلاب الآخرون أكثر فضولاً بشأنها بصفقتها ابنة أحد النبلاء، ابنة رجل ثري، وذات جمال معروف، أكثر من كونها ابنة خائن وطني. تشيريونج، التي كانت دائماً محاطة بأشخاص يحسدون ثروة والدها وسلطته، تخيلت الأولاد الذين ستقابلهم قريباً، معتبرة اهتمامهم وفضولهم تجاهها أمراً مسلماً به.

عندما التقيا لأول مرة، سألتها جيونجسيم عن سبب اختيارها للأدب الإنجليزي، فقالت بفخر: «أريد أن أفهم كلارك جيبيل⁽¹⁾ دون ترجمة».

أراد والدها أن تلتحق بقسم التدبير المنزلي، لكن بمجرد أن تتزوج، كان خدمها سيقومون بالأعمال المنزلية على أي حال، ولم تكن ترغب في السفر طوال الطريق إلى اليابان لمجرد دراسة شيء عادي جداً.

أخبرت تشيريونج جيونجسيم: «سأذهب إلى هوليوود يوماً ما (وبدت مرتبكة إزاء أن تكون إجابتها مجرد مزحة). سمعت أنه في هوليوود يمكنك رؤية الممثلين في الشارع أو في المقاهي. ألن يكون من المدهش رؤية النجوم عن قرب؟».

(1) ويليام كلارك غيبيل ممثل أمريكي حصل على جائزة أوسكار 1934 كأفضل ممثل عن دوره في فيلم «حدث ذات ليلة» كما أنه ترشح للأوسكار عن دوره في فيلم «تمرد على السفينة باونتي»، وكذلك دوره في «ذهب مع الريح» (المترجم).

كان مكان الاجتماع عبارة عن متجر للأودون⁽¹⁾ على ضفاف نهر شيرا. رسم جيونجسيم خريطة تقريبية حتى تعرف تشيريونج كيف تذهب إلى المكان. بعد نزولها من الترام، وجدت المتجر بسهولة بالقرب من شجرة صفصاف ذات أغصان خضراء فاتحة، حيث توقفت للحظة، جعلتها الشجرة تشعر بالحنين إلى الوطن. لكنها كانت تقضي وقتاً ممتعاً في كيوتو لدرجة أن هذه المشاعر مرّت بسرعة.

رفعت تشيريونج الستارة السوداء التي تغطّي المدخل ودلفت. حتى هذا المكان المتهاك الذي لم تكن لتزوره بمفردها كان بمنزلة مغامرة مثيرة. نظرت مجموعة من الأشخاص الذين كانوا جالسين بالفعل إلى الأعلى وحدّقوا إليها عند دخولها. كان فستان تشيريونج المنقوش بالزهور بارزاً مقارنة بالأولاد الذين يرتدون الزي المدرسي والفتيات اللاتي يرتدين البلوزات البيضاء والتنانير السوداء الواسعة. كانت جميلة بما يكفي لإضفاء البهجة على المتجر.

وقف جيونجسيم واستقبل تشيريونج.

قال: «يبدو أننا جميعاً هنا الآن. الأعضاء الجدد، يرجى تقديم أنفسكم».

الأعضاء الجدد كانوا تشيريونج وصبيّاً يرتدي زياً مدرسياً جديداً بشكل واضح. قدّم الصبي، وهو طالب في جامعة كيوتو، نفسه، لكنها لم تنتبه ولم تتذكّر اسمه. لم تكن مهتمّة بطالب جديد أخرج المنظر.

ثمّ جاء دورها.

قالت: «اسمي يون تشيريونج، وأنا في قسم جيونجسيم. أريد أن أتعرف عليكم».

ثمّ أومأت وأحنت رأسها قليلاً.

(1) نوع من الشعيرية السميقة المصنوعة من دقيق القمح والتي يشتهر بها المطبخ الياباني. يقَدّم الأودون عادة على شكل حساء يُصنع عادة من داشي، صوص الصويا، وميرين، وعادة ما يضاف فوق الطبق قطعة من التيمبورا، والتي أشهرها تلك التي تحوي على قريدس، أو أبورا آغه وغيرها (المترجم).

كان الأولاد الأربعة، بما فيهم الطالب الجديد، يجلسون على الجانب البعيد من مائتين ضُمَّتا معًا. على الجانب الذي جلست فيه تشيريونج كانت هناك ثلاث فتيات وصبي آخر. كانت المائدة ضيقة بما يكفي لتلمس ساقها ركبتي الشاب الجالس مقابلها.

قال أحدهم: «علينا أيضًا أن نقدّم أنفسنا. أنا لي وونغ جون، طالب قانون في السنة الثالثة في جامعة كيوتو. أنا من بوسان. أتمنى أن ننسجم بشكل جيد».

بدا وونغ جون صلبًا مثل الطريقة التي تحدّث بها. بدا سلوكه هادئًا وقويًا، لكن شخصيته لم تكن مميّزة. وبعده، قدّم الآخرون أنفسهم. لم يرقها الصبي الثاني لأنه لم ينظر إليها مباشرة، وكان طالب السنة الأولى مشابهاً. وسرعان ما أصيبت بخيبة أمل عندما قيّمت كل واحد منهما على حدة.

تحدّث الطالب الأخير، الذي كان يجلس قبالتها، بلطف بلهجة جنوبية غربية: «اسمي نام هوسوك. أنت ارتدتِ بمدرسة جينميونج الثانوية، أليس كذلك؟».

سألت باندهاش: «أوه، كيف تعرف ذلك؟».

أجاب: «أنا من مدرسة هيمون. سمعت عنك منذ أن كنت طالبًا في المدرسة الثانوية. أنا أيضًا أدرس في جامعة كيوتو. وأمل أن أراك في كثير من الأحيان في المستقبل».

شعرت تشيريونج بشيء غير ملموس معلق في الهواء، ربما حتّى شرارة، لكنها ما زالت تجدها ناقصة. كان كل شيء على ما يرام، لكن بدا الأمر برمته عاديًا وطبيعيًا. الحب الأول سيكون بالتأكيد أكثر حدّة، أليس كذلك؟

ثمّ تحدّث لي وونغجون مرّة أخرى: «بارك جيونجيو، لماذا تبدو متجهّمًا جدًّا؟ تبدو كما لو جرّرت عبر مسلخ! (ثمّ التفت إلى تشيريونج) سوف أقدمه بدلًا من ذلك لأنه بوذا الحجري. يرتاد جيونجيو جامعة دوشيشا ومسقط رأسه جايسيونج».

شعرت تشيريونج بالفضول على الفور بشأن بارك جيونجيو ذي الوجه المتجهّم، وحاولت النظر في اتجاهه، لكنه كان في الزاوية وحجب الطالب الجالس بجانبها رؤيتها.



عندما كتبت سونام عن السيد والسيدة برادلي إلى الفيكونت، لم تكن لديها أي فكرة عن أنها ستقف قريبًا عند باب منزلها الأمامي. كان بالفعل الشهر الثاني منذ أن بدأت سيدتها دراسة اللغة الإنجليزية، وقد كتبت تشيريونج رسالة قصيرة إلى السيدة برادلي أن شيئًا ما قد حدث فجأة وكان عليها أن تفوّت الدرس، وطلبت من سونام أن تسلّم المذكرة مكانها.

عندما قرعت سونام جرس الباب، فتحت خادمة يابانية عجوز الباب، وتبعتها سونام إلى الداخل.

كان الفناء عامرًا بالزهور الملونة، وكان الطابق الأرضي مكتظًا بالأثاث والستائر الخشبية والصور اليابانية، وكان الطابق الثاني الذي اصطحبتها الخادمة إليه يتكوّن من غرف مفروشة بحصير التاتامي، مزينة على الطراز الغربي. أُنشئ المنزل بشكل مشابه للمبنى ملحوق في قصر جايهوي-دونج، وكانت المائدة المستديرة مغطاة بمفرش مائدة حاكته السيدة سوزوكي.

نهضت السيدة برادلي من مكتبها وتقدّمت إليها، وكانت المرأة الإنجليزية أكبر حجمًا ممّا كانت تبدو عليه من مسافة بعيدة، وكان وجهها شاحبًا ومحمّرًا قليلًا ومرقطًا بالنمش. انحنت سونام ومدّت يدها برسالة تشيريونج فيما كانت المرأة تقترب منها بوجهها المخيف: عينان زرقاوان وأنف حادّ.

بعد قراءة الرسالة، نظرت السيدة برادلي إلى سونام وقالت شيئًا ما. لم تكن سونام تعرف كلمة واحدة في اللغة الإنجليزية ولكنها استطاعت تخمين المعنى العام من خلال تعبيراتها وإيماءاتها. ثمّة شيء يجعلها تشبه تشيريونج. عندما وصلا إلى كيوتو لأول مرّة، خلط بعض الناس بينها وبين السيدة الشابة. بصرف النظر عن عدد المرّات التي نظرت فيها إلى المرأة، لم تتمكّن سونام من العثور على أي تشابه بينهما، لذلك تركت الأمر يمرّ. لم يكن هناك ضرر في التشابه مع سيدة ذات مكانة عالية.

ونظرًا لعدم جدوى اللغة الإنجليزية، تحدّثت السيدة برادلي باللغة اليابانية: «دعينا نتناول فنجانًا من الشاي معًا، إذا لم يكن لديك مانع».

عندما أدركت سونام أن معرفة السيدة برادلي باللغة اليابانية كانت مشابهة لمعرفتها، وجدت الشجاعة للتحديث، وأبرز فضولها المكبوت رأسه وهي تجلس على الكرسي المقابل للمرأة.

نظرت الخادمة بفضول إلى سونام وهي تحضر الشاي المحلى بالحليب، والبسكويت الغربي، وكانت سونام سعيدة لأن السيدة برادلي بدت وكأنها تعاملها بصفتها ضيفة وليست خادمة تشيريونج.

بينما احتستا الشاي، تحدّثتا عن هذا وذاك، في الغالب كانت السيدة برادلي من تسأل، وكانت سونام من تجيب، ويبدو أن المرأة لديها الكثير من الأسئلة حول كوريا.

بعد بضعة أيام، ذهبت سونام لرؤية السيدة برادلي مرّة أخرى، هذه المرّة حاملة رسالة تفيد بأن تشيريونج ستتخلّى عن دراساتها للغة الإنجليزية تمامًا، كما أحضرت سونام بعض كعك الأرز على الطريقة الكورية التي صنعت مجموعة كبيرة منها لأن تشيريونج قالت إنها تشتتها. قبل مجيئها إلى كيوتو، علّمتها سورين كيفية طهي أطعمة تشيريونج المفضّلة، بما في ذلك كعك الأرز الدبق، مع رشّ مسحوق القرفة فوقه للحصول على النكهة وإلكسابها لونًا جميلًا. وقد أعدت سونام ما يكفي لمشاركة البعض منها مع السيدة سوزوكي والسيدة برادلي.

في ذلك اليوم أيضًا، أحضرت السيدة برادلي سونام إلى الداخل وقدمت لها الشاي والبسكويت، ثمّ سألت سونام عن كيفية طهي كعك الأرز، في أثناء تناول بعضها بمتعة جليّة. استخدمت سونام مزيجًا من اللغة اليابانية والإيماءات للشرح، وسرعان ما ضحكنا واستمتعا بوقتتهما معًا، وعندما أصبحت سونام أكثر راحة في حضورها، بدأت في طرح أسئلة بدورها: «أين إنجلترا؟ هل هي بعيدة عن هنا؟».

ذهبت السيدة برادلي إلى مكتبها وعادت حاملة شيئًا يشبه البطيخة المستديرة، ووضعت أمام سونام، قلبت الشيء الذي كان مغطى بأشكال معقّدة وأحرف صغيرة، وأشارت إلى مكان واحد.

قالت: «هذه اليابان. كوريا هنا».

ثم أدارت المرأة المجسم المستدير أكثر قليلاً، وأشارت إلى مكان آخر،
وقالت: «إنجلترا».

لم تستطع سونام معرفة ما الذي كانت تتحدث عنه، فأشارت إلى الشيء
وسألت: «ما هذا؟».

أوضحت السيدة برادلي أن الكرة الأرضية هي نموذج مصغر جداً للأرض،
حيث يعيش الناس، وكانت هذه المرة الأولى التي تسمع فيها سونام عنها، ولم
يسبق لها أن رأت ذكراً لها في الكتب التي قرأتها. فقط بعد أن كررت السيدة
برادلي تفسيرها، سألت سونام، التي لم تفهم سوى جزئياً، بأعين مفتوحة
على مصراعيها: «إذا كان العالم الذي نعيش فيه يبدو هكذا، فكيف يمكننا
الوقوف دون أن نتدحرج؟».

ضحكت السيدة برادلي على سؤال سونام ثم أحضرت كتاباً، حاولت به
أن تشرح الأمر ببساطة قدر الإمكان: «الأرض لديها القدرة على سحب كل
شيء نحو الأسفل. ولهذا السبب يمكننا أن نقف ساكنين دون أن نتدحرج أو
نطفو».

لم تكن يابانية السيدة برادلي ومعرفة سونام البسيطة كافيتين لفهم الأمر
بالكامل، لكن سونام لم تستطع أن ترفع عينيها عن الكرة الأرضية. كانت
الأماكن الزرقاء تمثل البحر. كان بإمكانها أن تتخيل ذلك لأنها عبرت البحر
عندما جاءت إلى كيوتو: على كوكب الأرض، احتل البحر مساحة أكبر بكثير
من مساحة اليابسة، وقد انقسمت اليابسة على الأرض إلى عدة قارات، كما
انقسمت القارات أيضاً إلى العديد من البلدان.

نظرت سونام إلى الكرة الأرضية بعناية. استغرق وصولهم يومين، ومع
ذلك كانت كيوتو على بعد أقل من عرض إصبع من سيول. دُهِشَتْ من أن
كوريا واليابان، الأراضي، يصعب على أي شخص اجتيازها طوال حياته،
تبدو هكذا. كانت الجزر اليابانية الطويلة مثل دودة قرّ مرفوعة الرأس، وكانت
كوريا تبدو مثل حيوان يرفع قدميه الأماميتين.

بعد أن عرفت مكانها بالتحديد في العالم، تساءلت سونام أين يمكن أن
يكون جانجهوي. وأرادت أيضاً معرفة الأماكن التي ظهرت في رواية «معدوم

القلب»، والتي قرأتها أكثر من اثنتي عشرة مرة منذ وصولها إلى اليابان؛ وقد حفظت رحلة تشوي سوك التي تضمّنت: شنيانج، شينجينج، هاربين، إيركوتسك، بحيرة بايكال.

رفعت السيدة برادلي عدسة مكبرة إلى الكرة الأرضية ووجدت العديد من الأماكن التي سألت عنها سونام، بالنسبة إلى بعض الأماكن، لم تستطع السيدة برادلي فهم نطق سونام أو لم تظهر على الكرة الأرضية، لكنها تمكّنت من الإشارة إلى مكان الصين وسيبيريا، وبحيرة بايكال كذلك.

مضت السيدة برادلي لتبيّن لها أن الصين أكبر مساحة بعدة مرّات من اليابان وكوريا وبريطانيا، ولكنها أصغر من روسيا. وكانت حدودها ملتصقة بكوريا مثل الجيران الذين يتقاسمون سياجًا. حدّقت سونام إلى الكرة الأرضية مثل شخص ممسوس، ثمّ التفتت إلى السيدة برادلي ورأت نفسها تنعكس في عينيها الزرقاوين الطيبتين، واللّتين بدتا غريبتين جدًّا في البداية.

تحدّثت السيدة برادلي أكثر عن نفسها أيضًا، فقالت إن زوجها كان يدرّس اللغة الإنجليزية في إحدى جامعات كيوتو، وأنها كاتبة، ونشرت أعمالها في الصحف والمجلات البريطانية، وكان الزوجان يقتربان من الأربعين، لكن لم يكن لديهما أي أطفال. قالت إنها تأمل أن تكتب مقدّمة عن العادات والثقافة التقليدية اليابانية، وكانت أيضًا مهتمّة جدًّا بكوريا. أجابت سونام بأفضل ما تستطيع، وقد لاحظ بين فينة وأخرى أن الخادمة اليابانية تراقبها هي والسيدة برادلي -امرأتين متباعدتين في المكانة والعمر- مع وجه مملوء بالدهشة عند رؤيتهما تتحدّثان بيابانية ركيكة مدّة طويلة.

بينما كانت سونام تغادر، دعته السيدة برادلي للمجيء مرةً أخرى، لكنّ بدا ذلك بمنزلة إجراء شكلي، وشعرت بالحزن لأنها على الأرجح لن تذهب إلى منزل السيدة برادلي مرةً أخرى. لكنّ تبيّن أن الأمر ليس كذلك. توقّفت بعد بضعة أيام لتطلب من السيدة سوزوكي العثور على شخص يعمل لديها، قائلة إن خادماتها عادت فجأةً إلى مسقط رأسها، وتطوّعت سونام، التي تصادف وجودها في المتجر، بالقول: «يمكنني مساعدتكِ إلى أن تجدي أحدهم، لمدة ساعة أو ساعتين، كل يوم».

قبلت السيدة برادلي بسعادة وعرضت عليها أن تدفع لها مقابل مجهوداتها، وفي اليوم الأول الذي ذهبت فيه سونام إلى العمل، قالت بعناية ما تريده حقًا: «هل يمكنك أن تعلميني اللغة الإنجليزية بدلًا من أن أتقاضى أجرًا؟».

مثلما كانت السيدة برادلي مهتمّة باليابان وكوريا، كانت سونام مهتمّة بإنجلترا ولغتها.

على الرغم من أن السيدة برادلي كانت سعيدة بتعليمها، فإن سونام شعرت بالقلق من أن تشيريونج قد تتراجع عن الإذن الذي أعطته لها في الليلة السابقة، فيما كانت تطوي الغسيل. سألتها بصورة عرضية فيما تشيريونج منهمكة في تقليم حواجبها: «سيدتي، هل يمكنني مساعدة السيدة برادلي في أعمالها المنزلية خلال النهار مقابل دروس في اللغة الإنجليزية؟».

قالت تشيريونج دون أن ترفع عينيها عن المرأة: «لماذا تريد أن تتعلمي اللغة الإنجليزية؟».

أجابت سونام: «الآن بعد أن تعلمت اللغة الكورية واليابانية، أعتقد أنه قد يكون من الممتع أن أتعلّم شيئًا آخر. من يدري؟ ربما ستذهبين إلى دولة ناطقة باللغة الإنجليزية في المستقبل، وسيكون من الرائع أن أعرف كيفية التحدّث باللغة مقدّمًا».

التفتت تشيريونج إلى سونام وأعطتها إيماءة مدروسة.

وقالت: «هذه فكرة جيدة. ادرسي بجدّ، ويمكنك حتّى أن تقومي بواجباتي المدرسية بالنيابة عني».

لم تعتقد سونام أنها بحاجة إلى الحصول على موافقة سيدتها، لأنه كان شيئًا ستفعله في وقتها الخاص، لكنّ مع التقارير السرية التي أرسلتها إلى الفيكونت، ومشاعرها تجاه جانجهوي، لم ترغب في وجود المزيد من الأسرار بينهما.

من ناحية أخرى، أخبرت تشيريونج سونام بكل شيء. حتّى إنها تحدّثت بصراحة عن الرجل الذي كانت مغرمة به. والمثير للدهشة أن الأمر كان حياّ من جانب واحد. لم تستطع سونام أن تفهم كيف يمكن لأي رجل حي أن

يرفض سيدتها. أصبح هذا الحب من طرف واحد تركيز تشيريونج الوحيد، لأنها لأول مرة في حياتها كانت تكتشف أن هناك أشياء لم تسر حسب هواها.

قالت: «انتظري وسترين. سأجعل جيونجيو يعجب بي».

كل ليلة، كانت تذكى روحها القتالية من خلال قراءة النصائح حول كيفية إغواء الرجال في المجلات. وفقاً لأعمدة النصائح، كان الأمر يتعلق بكيفية فتح عينيها المزججتين، أو التظاهر بالتقاط منديل بعد إسقاطه بطريقة تعطي إطلالة سريعة على مفرق ثدييها. واقفة بجانب تشيريونج بينما تتدرب في المرأة، حاولت سونام أن تتخيل نفسها تفعل الشيء نفسه أمام جانجهوي، لكن تلون وجهها بالأحمر الزاهي لمجرد التفكير في ذلك.

كان من المفترض أن تخبر سونام الفيكونت بكل شيء عن ابنته، لكنها لم تستطع أن تخبره أن تشيريونج كانت مغرمة برجل، ولا سيما طالباً فقيراً. لم يكن ذلك لحماية سيدتها أو لمنع الفيكونت من القلق من عدم احتفاظها بالسر، لكن بسبب طمعها. إذا اكتشف الفيكونت ذلك، فسوف يستدعي على الفور تشيريونج إلى سيول. بالنسبة إلى سونام، العودة إلى جاهوي-دونج ستكون بمنزلة الاستيقاظ من منتصف حلم رائع.

دُهِشَت السيدة برادلي من قدرة سونام على استيعاب المعرفة مثل الإسفنج في الماء.

قالت: «أنت ذكية جداً، ولديك موهبة طبيعية في تعلم اللغات».

احمرَّ وجه سونام التي قالت: «هذا لا يمكن أن يكون صحيحاً. ففي نهاية المطاف، لم يسبق لي أن كنت بالقرب من مدرسة حتى».

كانت سونام في حيرة من كلمات المرأة الرقيقة، والتي في ذهنها، لم يكن من الممكن اقترانها سوى بالطلاب الفعليين مثل تشيريونج. حتى تلك اللحظة عاشت سونام تعتقد أن أفضل مجاملة يمكنها أن تتلقاها كانت كلمات على غرار «مجتهدة» أو «ماهرة».

ضحكت السيدة برادلي، وقالت: «هذا ما يجعل الأمر أكثر إثارة للإعجاب، أنك قطعت هذا الشوط بمفردك. أنت رائعة للغاية».

بدا تعبيرها صادقًا، وانتشرت الفرحة التي ملأت قلب سونام على وجهها في صورة ابتسامة عريضة. وكانت هذه المرّة الأولى في حياتها التي تتلقّى فيها مثل هذا الثناء. عندما عادت إلى منزل السيدة سوزوكي لازمها هذا الشعور. كانت لا تزال سعيدة، لكنها ما زالت تعتقد أنها لا تستحقُّ مثل هذا الثناء بعد، وتعهّدت بأن تصبح شخصًا يمكنه حقًا قبول اعتراف المرأة بقدراتها.

خلال تلك الفترة، بدا كل يوم وكأنه عالم جديد من المعرفة والاحتمالات، واستمتعت سونام بكل يوم وتطلّعت إلى اليوم التالي. وفي الوقت نفسه، شعرت بالسوء لأن فرحتها جاءت على حساب خداع الفيكونت هيونجمان. في محاولة للتخفيف من ذنبها، قرّرت أنها ستعترف بالحقيقة لجانجهوي في رسالة لن تُرسلها إليه أبدًا، حيث يمكنها كتابة كل الأشياء التي تخشى مشاركتها مع والده.

«كيف حالك أيها السيد الشاب؟»

سيدتي واقعة في الحب هذه الأيام. طلبت منّي تحضير غداء وحزمه، وأخذته معها. قالت إنها سوف تعطيه إيّاه. لم أرها قط تحب شخصًا حقيقيًا، ليس نجمًا سينمائيًا أو شخصية في رواية. إنه مجرد طالب فقير أيضًا. إذا اكتشف والدها ذلك، فسوف تقع في مشكلة. على أية حال، أصبحت أجمل وأكثر لطفًا منذ أن بدأت تحبه.

كنت أتعلّم اللغة الإنجليزية على يد امرأة تدعى السيدة برادلي. أتعلّم الكثير من الكلمات، وما هو أبعد من الكلمات نفسها. في كل مرّة أتعلّم فيها أشياء جديدة، أدرك عدد الأشياء التي لا أعرفها. ثم يسعدني

أن أعرف أنني لا أعرف. كنت على حق عندما قلت إنني
أستطيع أن أجد طريقي من خلال الكلمات والكتب.
بفضل رؤية الكرة الأرضية، أعرف بشكل مبهم
مكانك. لكن الغريب، عندما أتخيلك، لا أستطيع إلا أن
أفكر فيك تمشي وحدك في حقل فارغ. يراودني المشهد
نفسه في أحلامي. كلما حدث ذلك، قلبي يؤلمني
وأبكي. أريد أن أركض إليك وأكون بجانبك. إذا درست
بجد، أعلم أنني سأجد سبيلاً للوصول إليك، والاعتناء
بك. هل سيأتي يوم أستطيع فيه الاعتراف بمشاعري
لك أيها السيد الشاب؟».

توقفت سونام عن الكتابة ونظرت إلى المرأة. تماماً كما أصبحت تشير يونج
أجمل يوماً بعد يوم، بدا انعكاسها أكثر جمالاً.

جميع الحقوق محفوظة ©



أمسح الكود وانضم لأسرة ضاد
<https://t.me/twinkling4>

الفصل التاسع

من الخريف إلى الشتاء

بحلول ميقات الاعتدال الخريفي، كانت حرارة شمس الظهيرة قد هدأت. كان جونباي غائبًا عن العمل منذ الصباح، حيث كان مسؤولًا عن المحاسبة ليس فقط لشركة موجيوك التجارية لكن أيضًا لشركة موجيوك للتعدين.

بفضل جونباي تمكّنت الشركة من البقاء فيما كرّس الفيكونت هيونجمان نفسه لعمل الاتحاد الكوري للتعبئة الوطنية. وفي أبريل 1938، أعلنت اليابان قانون التعبئة العامة الوطنية في كوريا. تولّى الفيكونت دور المدير التنفيذي للاتحاد وكان مشغولًا بالتركيز على ذلك بدلًا من عمله. كانت هناك العديد من الصعوبات في العمل مع الواردات والصادرات الخاضعة للرقابة، خاصة بالنسبة إلى شركة موجيوك للتجارة، حيث كانت تتاجر في السلع الفاخرة للأثرياء -مثل الأثاث الأوروبي الصنع، والديكور الداخلي، وأدوات المائدة الراقية- بدلًا من الضروريات اليومية للناس العاديين... أمّا بالنسبة إلى لمناجم، فقد سلّم كل الذهب إلى الحكومة العامة بمجرد استخراجِه.

لا يزال مكان وجود جانجهوي موضوع شائعات لا أساس لها من الصحة. يعتقد الفيكونت هيونجمان أن الحكومة العامة كانت تستخدم ابنه لتقييد نفوذه. لكنّ إذا قبض عليه، سواء كان ذلك صحيحًا أم لا، فسوف يسحقون

جانجهوي بالتهم التي فبركوها له. إذا حدث ذلك، فلن يكون هناك شيء يمكنه فعله.

كان جونباي هو الشخص الذي وضعه الفيكونت حتى يكون وسيطاً بينه وبين السلطة. تلاعب بالكتب وفقاً للتعليمات وأخفى شحنات من الذهب استخدمت بعد ذلك لرشوة المسؤولين الحكوميين أو كبار ضباط الشرطة. لم يكن هناك شيء لا يفعله جونباي في جهوده لتعزيز ثقة الفيكونت هيونجمان فيه حتى يتمكن من أن يصبح الرجل الثاني في الشركة، على أمل أن تراه تشيريونج على أنه شخص يستحق عاطفتها.

«هناك رسالة لك».

وضعت الأنسة تشا مظروفاً على مكتب جونباي. بمجرد أن رأى أنه بريد دولي، خفق قلبه. كانت رسالة من عمه جيرو.

عندما ذهب إلى كيوتو لمرافقة تشيريونج إلى سيول في مارس، تحدث جونباي إلى السيدة سوزوكي، في وقت متأخر من الليل. ثرثرت كثيراً بحيث لا يتذكر ما قالته، وكان جونباي يكافح للاستماع إليها فيما كان يحاول التغلب على نعاسه.

قالت: «بالمناسبة، هل أخبرتك بأخبار جيرو؟ تقول أختي في أوساكا إنه يتسكع مع أشخاص سيئين».

عبس جونباي، وسأل: «كيف تعرفين ذلك؟».

- كان أحد أصدقاء زوجها يعيش في الولايات المتحدة، وهذا ما قاله.

- ما فرص ذلك؟ فكّري في حجم أمريكا....

لم يكن جونباي معجباً حقاً بخالته من أوساكا، التي كانت قد أساءت إلى والدته ذات مرة، وكان يجد صعوبة في تصديق أي أخبار منها.

قالت: «قد يكون الأمر ضخماً، لكن الشعب الياباني يعيش معاً في مكان

واحد».

طلب جونباي من السيدة سوزوكي أن تعثر على عنوان عمه في سان فرانسيسكو لكنه لم يكتب حتى يونيو بسبب جدول عمله المزدحم. في رسالته

إلى العمّ جيرو، اعترف جونباي بوجود امرأة يحبها، وعلى الرغم من أنه أحبها دون علمها، فإنه كان متأكدًا من أنها المرأة التي كان مقدّرًا له أن يتزوَّجها. بشكل عام، يستغرق الأمر أكثر من شهر حتى تصل الرسائل من وإلى كوريا والولايات المتحدة، وكان جونباي ينتظر ردّ عمّه، بل وقد أرسل رسالة ثانية في الوقت الذي كان ينتظر فيه هذه الرسالة. فتح المظروف بأصابع مرتعشة.

بدأت الرسالة بالقول إن جيرو في حالة جيدة، دون أي توضيح لما كان يفعله أو كيف يعيش. وبدلاً من ذلك، انتقل بسرعة إلى النصيحة لابن أخيه:

«حُبُّ من طرف واحد؟ جونباي، لا يهّم مدى جودة العائلة التي تنتمي إليها المرأة. هل أنت ضعيف الإرادة؟ هذا لا يليق بابن أخي جيرو، الذي استجمع شجاعته وعبر المحيط الهادئ. لو كنت بالجوار، لكنت قد جعلت تلك الفتاة ملكك بالفعل. لأول مرّة، أشعر بالأسف لمغادرة اليابان. الآن، بعد قراءة هذه الرسالة، اركض إليها وأخبرها بفخر أن هذا قدرك. كما أنه لا توجد شجرة في هذا العالم لا يمكن تسلُّقها، فلا توجد امرأة لا يمكن أن تشمل بالحب. خاصّة إذا كنت ابن أخي تيراو جيرو. من النادر أن يلتقي الرجل امرأته المقدّرة له. تيراو جونباي، أنت محظوظ كما لم تكن من قبل في حياتك، لذا تحلّ بالشجاعة بكل ما أوتيت من قوة!».

كان الرجل في الرسالة مفعماً بالحيوية وصريحاً، كما يتذكّر جونباي، وكل سطر طعنه في صميم قلبه مثل سكين حادّ. لو كان قد استلم الرسالة في وقت سابق، هل كان سيُحدِّث ذلك فرقاً؟ تمنّى لو فعل كما قالت خالته في تلك الليلة: «جونباي، هل المرأة التي تحبها سيدة العائلة الشابة؟».

سأل وقد احمرَّ وجهه: «كيف عرفتِ؟».

كرّرت بابتسامة: «كيف عرفتِ؟ الناس يقولون إن الفقر والحب شيئان لا يمكن إخفاؤهما».

قال جونباي وهو يتنهَّد: «إذن لديّ شيئان لا أستطيع إخفاءهما».

قالت: «إذن لماذا تحب السيدة الشابة؟ بسبب وضعها الاجتماعي؟ (ونظرت إليه بتساؤل) لأنها غنية؟!».

قال: «كنت أفكّر في السبب كثيرًا، وأعتقد أنه بسبب أنها مشرقة الوجه، وصريحة. أشعر بتحسُّن عندما أرى تشيريونج، التي تعتقد أن كل شيء في العالم يتبع رغباتها. أعتقد في كثير من الأحيان أنني ولدت موبوءًا بسوء الحظ، لكن مع تشيريونج، أنا واثق من أنني يمكن أن أكون سعيدًا».

استمعت خالته في صمت ثم سألت: «إنها بالتأكيد سيدة رائعة بالنسبة إليك حتّى تفكّر بهذه الطريقة، لكنك لن تتزوَّج امرأة من شبه الجزيرة الكورية، أليس كذلك؟».

بدت فجأة قلقةً عندما لم يردّ على الفور.

سأل جونباي رافعًا صوته: «لماذا؟ لماذا لا أستطيع؟ هل تحتقرين الكوريين أيضًا؟».

ردّت: «حتّى لو تمكّنت من الظفر بها، فسيتعرّض أطفالك للنبت في اليابان».

ابتسم جونباي بمرارة، وقال: «لا يهمّ على أي حال. على الرغم من أن تشيريونج كورية، فإنها إحدى أغنى الناس في كوريا وابنة عائلة نبيلة، لذلك لن تكون من نصيبي قط».

قالت: «أنا سعيدة بذلك. لو تزوّجت كورية، تشوسينجين⁽¹⁾ فسوف أحجل من مواجهة جدّك وأبيك في الحياة الآخرة. لو فعلت ذلك، فلن نتحدّث مرّة أخرى أبدًا».

(1) اسم كان يطلق على الكوريين في اليابان إبان فترة الاحتلال الياباني لكوريا (المترجم).

فسألها: «إذن لماذا تؤجّرين غرفة للكوريين؟»، وقد وافق في قرارة نفسه على أنه سيقطع العلاقات بكل سرور إذا كان ذلك يعني أنه يمكنه الزواج من تشيريونج.

ردّت بحسم: «أنا سعيدة بإعطاء غرفة لفتاة من عائلة ثرية من شبه الجزيرة الكورية قادمة للدراسة. لا داعي للقلق بشأن دفع الإيجار. وفي وجودك وسيطاً، كنت أعلم أنني أستطيع الوثوق بهما».

فهم جونباي. كانت صفقة جيدة لكل الأطراف؛ عاملتهما بشكل جيد، وفي المقابل دفعا إيجاراً أكبر ممّا كان سيدفعه المستأجرون اليابانيون.

ثمّ استطرَدَتْ بصوتٍ هامسٍ: «ليس عيباً أن يلتقي الرجل عدّة نساء قبل الزواج. إذا كانت السيدة فاتنة حقاً، فلن تكون مواعدها أمراً سيئاً. إذن هل اعترفت لها بحبك؟».

أصبح وجه جونباي متجهماً، وقال: «ما زلت جديراً بما يكفي للاعتراف». هزّت خالته رأسها، وقالت: «كل ما ينقصك هو الشجاعة. إذا لم تعترف بعد، فافعل ذلك الآن. النساء الشابّات يشعرن بالهشاشة في الأماكن غير المألوفة، لذلك سوف تعتمد عليك كثيراً حتّى تشعر براحة أكبر في كيوتو. تأكّد من الاعتراف بحبك قبل أن تعود إلى كوريا».

عندما أعاد التفكير، أدرك جونباي أن شخصيّتي خالته وعمّه متشابهتان بشكل واضح.

قالت خالته: «سوف ترى. بمجرد مغادرتك، سيكون لديها رجل قريباً. ولن تعرف حتّى إنك معجب بها».

وبالرغم من نصيحتها، عاد جونباي إلى سيول دون الاعتراف. بدت الاستفادة من ضعفها سطحيّة.

غادر المكتب والرسالة في يده، ووجد مقعداً فارغاً بجوار البركة التي اعتاد زيارتها عندما يريد رؤية تشيريونج، التي استمتعت أيضاً بالمناظر الطبيعية. اشتاق إلى تلك الأوقات البسيطة.

جلس على المقعد وأعاد قراءة الرسالة بعناية، وعاد بتفكيره العاطفي إلى الذكريات السعيدة التي عاشها مع عمّه. وتساءل إن كان بإمكانه مقابلة عمّه

مرّة أخرى واستعادة تلك الأوقات الجيدة التي قضاها معه. هزّ رأسه. حتّى الرب ربما لا يستطيع إعادة ما غيره في الزمن إلى سابق عهده.

لم تعد تشيريونج إلى سيول لقضاء العطلة الصيفية، موضحةً في رسالة قصيرة أنه يتعيّن عليها متابعة دراستها خلال مدّة الإجازة. أصيب الفيكونت هيونجمان، الذي كان قد حدّد بالفعل ثلاثة أو أربعة شركاء زواج مناسبين بخيبة أمل. افتقد ابنته كثيرًا، حتّى بصرف النظر عن خطط زواجها. كما أصيبت الليدي جواك بالإحباط. بعد أن غادرت ابنتها، أصبحت أقل اجتماعية. وبدلاً من دعوة الناس للعب الورق، كانت تفتح باب غرفة ابنتها الفارغة وتجلس هناك بمفردها. أصبحت تقلباتها العاطفية أكثر حدّة، وكثيرًا ما كانت تنفجر فجأة مثل الصاعقة، التي لا تحرق خدماها فحسب، بل ضيوفها أيضًا.

عند تلقّي رسالة تشيريونج، أمر الفيكونت هيونجمان جونباي بالسفر إلى كوبي. كان يعلم جيدًا أنه لا يستطيع تغيير رأي تشيريونج عن طريق برقية أو رسالة. ولم يكن هناك الكثير ممّا يمكن لجونباي أن يفعله في كوبي لأن شركة سمسرة يابانية كانت تتصرّف نيابة عنه هناك. كانت مهمّة جونباي الرئيسة استخدام رحلة كوبي ذريعة لزيارة كيوتو، التي لم تكن بعيدة، وإقناع تشيريونج بالعودة إلى الوطن. كان الفيكونت قد خطّط لتزويج ابنته في غضون عام بمجرد رجوعها إلى كوريا.

أخرجه السمسار لتناول العشاء ولشرب جولة ثانية من المشروبات الكحولية، لكن قلب جونباي كان بالفعل في كيوتو. ومدفوعًا بالشجاعة والثقة اللتين وجدتهما حديثًا من جرّاء الثمالة، قرّر الاعتراف بمشاعره. السماح بتزويج الفيكونت تشيريونج كان ببساطة بمنزلة التخلّي عنها بين ذراعي شخص آخر. الدراسة في الخارج ستكون أفضل من ذلك المصير. بالنسبة إلى جونباي، كان من الضروري الفوز بقلب تشيريونج قبل عودتها إلى الوطن. إن قبلت اعترافه، فيمكن التغلّب على أي صعوبات من خلال توحيد جهودهما. كان جونباي بالفعل شخصًا لا غنى عنه بالنسبة إلى الفيكونت هيونجمان.

استقلَّ جونغباي القطار المسائي إلى كيوتو. كانت الساعة قد تجاوزت التاسعة مساءً، وكانت شجاعته وتفاؤله قد ازدادا قوة.

بمجرد أن أرى تشيريونج سأعترف لها. سأفوز بقلبها قبل أن يأتي الغد. استقلَّ جونغباي الترام من محطة كيوتو، ونزل منه في المحطة القريبة من محطة خالته. كانت جميع المحال التجارية مغلقة، وبسبب سياسة توفير الطاقة، أُشعل مصباح شارع واحد فقط. حتى النوافذ المواجهة للطريق كانت في الغالب من دون أنوار.

مشى جونغباي بخطوات بطيئة ومخمورة، لكنه توقّف عندما رأى تشيريونج تواجه شاباً عند مدخل الزقاق المؤدي إلى منزل السيدة سوزوكي. السيدة الشابة التي افتقدها كثيراً لدرجة أنه رسمها في كراسة رسمه كل ليلة كانت أمامه، لكن بدلاً من الركض إليها، اختبأ جونغباي في الظلال.

من خلال سلوكهما، استشفَّ جونغباي أن الاثنين يتحدثان عن شيء جدّي، لكنهما تحدّثا باللغة الكورية، التي لم يكن يعرف منها سوى بضع كلمات. وبالحكم على ملابس الشاب، كان أيضاً طالباً جامعياً. شتم جونغباي الرجل بصمت، لأنه منع امرأة من العودة إلى المنزل في هذا الوقت المتأخّر جداً من الليل. لكن تشيريونج هي التي بدت وكأنها تتوسّل إليه بشأن شيء ما. كان صوتها وإيماءاتها الحزينة شيئاً لم يره جونغباي من قبل، وتأصّلت الغيرة في قلبه.

استدار الطالب الجامعي وابتعد عنها. وكانت خطواته ثقيلة وبطيئة. انسحب جونغباي إلى الظل أكثر مع اقتراب الشاب. تردّدت صدى الخطوات التي تسارعت بسبب اتقاد العاطفة على طول الزقاق فيما كانت تشيريونج تطارده. ألقت ذراعيها حول خصر الرجل من الخلف. انحنى جونغباي على الجدار الخشبي، بالكاد يمنع نفسه من البكاء.

عندما تحدّثت مرّة أخرى، فهم جونغباي الكلمات الأجنبية من خلال حماسة صوتها ولغة جسدها.

«لا أريد أن انفصل عنك. أحبك».

عند سماع الكلمات التي كان يرغب في سماعها مدة طويلة، لكن موجّهة إلى شخص آخر، ارتفعت الغيرة داخل جونباي مثل الحمم البركانية المنبثقة من بركان. أراد القفز من الظل، وشدّ الرجل بعيدًا عن تشيريونج، وأن ينهال عليه ضربًا. لكن بدلًا من ذلك، شاهد الشاب وهو يستدير ويبادلها العناق. ضرب هوء الليل جونباي، وأطبق قبضتيه فيما قبل الاثنان بعضهما بشدة، كما لو كان كل منهما يبتلع كيان الآخر بالكامل.

بمجرد مغادرتهما، قضى جونباي ليلته بلا نوم في نزل قريب. في الصباح سلّم رسالة الفيكونت هيونجمان إلى سونام ثم عاد إلى سيول في اليوم التالي. عندها أرسل الرسالة الثانية إلى عمّه، في حين أنه لم يتلق ردًا على الرسالة الأولى بعد، وطلب منه إرسال دعوة إليه إلى أمريكا دون طرح أي أسئلة، وكلما كان ذلك أسرع كان أفضل. كره جونباي حقيقة أن هذا المشهد الذي شهده في تلك الليلة سيكون آخر صورة سيتذكّر لها لتشيريونج، لكن في الوقت نفسه، سمح له أخيرًا بتنحية تعلّقه المزمّن جانبًا.

إذا كانت أزهار الكرز قد طرّزت الربيع في كيوتو، فإن أوراق الشجر المتساقطة لوّنت الخريف، عندما ذهبت تشيريونج وجيونجيو في أول نزهة لهما إلى أراشيياما. قبل شهر، اكتشفت تشيريونج أن سونام كانت ترسل تقارير إلى والدها، ومنذ ذلك الحين كانت تتحقّق من الرسائل قبل إرسالها. لحسن الحظّ، أبقت سونام علاقة حب تشيريونج سرًا. عانقت خادمتها بحرارة قائلة: «شكرًا لك يا سونام. أنت الشخص الوحيد في العالم الذي يقف بجانبني».

سألت سونام: «ولكن هل من المقبول خداع أبك بهذه الطريقة؟ لو عرف الحقيقة، فسوف يطردني على الفور».

ردّت تشيريونج: «من يقول هذا؟ أنت هدية عيد ميلاد من بابا. هذا يعني أنك ملكي، لذلك ليس هناك ما يدعو للقلق. أعدك بأنني سأعوضك عن كل ما تفعلينه من أجلي».

خلق انعكاس الجبل المكسو بالأحمر على سطح النهر مشهدًا بديعًا. كانت أراشيياما مزدحمة بالناس الذين جاؤوا لرؤية أشجار القيقب. كان سائقو

عربات الريكاشة ينادون على الركاب، في هذا المكان الجميل، كأنما البلاد ليست في حالة حرب.

قالت تشيريونج وهي ترمق المشهد أمامها بنظرات الإعجاب: «أليس هذا رائعاً؟ كان مكاناً مشهوراً للأرستقراطيين منذ حقبة هيان⁽¹⁾». كانت ترتدي فستاناً أرجوانياً يصل إلى ركبتها وسترة صوفية سوداء، ما ميّز تشيريونج من على مبعده. نظر جيونجيو، الذي كان يرتدي زيه الدراسي كالمعتاد، حوله، وقد بدا أنه مفتون بالمناظر الجميلة. اقتربا من الجسر الذي يحتاجان إليه لعبور النهر، وتوقف جيونجيو لقراءة النقش على أعمدة الدرايزين.

«توجيتسوكيو، هذا يعني «ممر القمر»».

قالت تشيريونج: «اسم الجسر رومانسي، أليس كذلك؟ أخبرتني صديقتي بأسطورة عن الجسر عندما قلت إنني قادمة إلى هنا. الأطفال البالغون من العمر ثلاثة عشر عاماً يُقيمون حفل بلوغ سنّ الرشد في ذلك المعبد. لكنّ في أثناء عودتهم من الاحتفال، لو حدث أن نظروا إلى الورا قبل أن ينتهوا من عبور الجسر، فإن كل الحكمة التي اكتسبوها في المعبد سوف تختفي».

اقتربت تشيريونج من جيونجيو. وبتشجيع من الخصوصية التي وفّرها المكان لهما على هذا البعد من وسط مدينة كيوتو، لم تمنع في أن يلامس صدرها ذراع جيونجيو، وبالكاد لاحظت كيف بدا الزائرون الآخرون الذين يرتدون الكيمونو أو الهاكاما⁽²⁾ أو ملابس العمل مرتابين في أثناء مرورهما.

في أثناء عبورهما الجسر، سارا في صمت، وانغمس كلُّ منهما في أفكاره الخاصة.

كان جيونجيو مثقلاً بالكلمات التي يجب أن تقال. من قبل، كان فخوراً بامتلاك زيّ رسمي واحد فقط وزوج من الأحذية بنعل رقيق. وكان يعتقد

(1) حقبة هيان: فترة من التاريخ الياباني يمتدّ من 794 إلى 1185. سُميت الحقبة على اسم العاصمة الجديد هيان كيو (كيوتو حالياً) (المترجم).

(2) هاكاما: نوع من الملابس اليابانية التقليدية. كان ارتداء الهاكاما قديماً يقتصر على الرجال، لكن اليوم ترتديه النساء والرجال على حدّ سواء. والهاكاما لباس للنصف السفلي من الجسم، حيث يربط عند الخصر بواسطة أربعة حبال مثبتة به بالإضافة لربطه من الخلف (المترجم).

أن الشباب الكوريين لا بُدَّ وأن يقاوموا الحكم الاستعماري الياباني، وأنه في حين كانت بلاده تئنُّ تحت وطأة الاضطهاد الياباني، فمن العار أن يأكل المرء جيدًا. كان هذا الإرث الذي ورثه عن والده الذي توفي في حقول منشوريا خلال حركة الاستقلال. غالبًا ما انتقد الأعضاء الآخرون في منظَّمته علاقته مع تشيريونج، والتي بدت متعارضة مع كل مُثله ومُثلهم.

في اليوم الذي التقى فيه تشيريونج لأول مرَّة، نظر جيونجيو إلى ابنة أحد الفيكونتات الموالين لليابان بازدراء. حتَّى إنه فكَّر في التخلُّي عن اجتماعات الطلاب الكوريين التي كان يحضرها كغطاء لأنشطته المناهضة لليابان. بعد أسبوع، ظهرت تشيريونج في كليته، وكانت تبدو بريئة كطفلة، وأخبرت جيونجيو المتشكِّك بأنها جاءت لأنها أرادت رؤيته. يبدو أنها ليس لديها أي فكرة على الإطلاق عن أشياء مثل أدوار الرجال والنساء، أو كرامتها كامرأة، أو الكبرياء بشكل عام التي لا تحبُّ أن تبادر المرأة بالإعلان عن إعجابها. لكن الغريب أنه بدلًا من أن ينزعج، وجد نفسه يبتسم بشوق عندما يفكِّر بها، خاصَّة عندما يكون بمفرده أو في السرير قبل النوم.

وبمرور الوقت، زارت كليته بشكل متكرَّر لدرجة أنه شعر بالقلق إن كانت لا تزال تحضر إلى كليتها. وعندما سأل: «ألا ينبغي أن تكوني في الكلية؟»، قالت تشيريونج: «ربما. بفضلك، أنا على وشك أن أتعرَّض للطرد». الأمر الذي جعله يضحك. وفي بعض الأحيان كانت تحضر لهما أشياء ليأكلاها معًا، وتجبره على أخذها حتَّى عندما يرفض. كان جائعًا دائمًا واستسلم في النهاية. ومع استمرار زيارة تشيريونج، بدأ الطلاب اليابانيون، الذين كانوا ينظرون بازدراء إلى الطلاب الكوريين الفقراء الذين يعتمدون على أنفسهم، في إعادة النظر في أمر جيونجيو. وقد أعرب البعض علنًا عن اهتمامهم بتشيريونج، حيث كانت معروفة بأنها ابنة خائن كوري ثري مؤيد لليابان.

لم يكن لدى جيونجيو أي نية لمواعدة ابنة خائن، لكنه كان فخورًا إلى حدِّ ما بمدى إخلاصها له. لكنه كان خائفًا أيضًا من أنها قد تظفر به حقًّا في النهاية. سأله بعض الأصدقاء إن كانا يتواعدان، وطلب بعضهم منه أن يعرفهم إليها. في مرحلة ما، أدرك أنه كان يخرج معها بانتظام وفي الأماكن التي تختارها تشيريونج، وأنه كذب ليتملَّص من الذهاب إلى العمل قائلًا إنه

مريض لقضاء بعض الوقت معها. حاول جيونجيو إقناع نفسه بأن ازدراء ابنة الأرسطراطي الموالي لليابان كان أيضًا وسيلة حتى يكون وطنيًا.

في إحدى المرّات، تناولوا عشاءً مكوّنًا من الأودون والجياوزو⁽¹⁾ قبل الذهاب إلى متنزه ماروياما. وكانت الحديقة مزدحمة بالناس الذين يستمتعون بتفتُّح أزهار الكرز في ساعة باكراً من المساء. في السابق، خارج ساعات الدراسة، كان جيونجيو يغسل الأطباق في المطاعم، ويجرُّ عربات الريكاشة، ويوصل الصحف، ويعمل في مصنع صباغة محليّ خلال العطلات المدرسية. كما فجّرت خليته السرية قنبلة في أثناء زيارة الحاكم الياباني لمسقط رأسه، ما أثار ضجّة ليس فقط في اليابان، بل في كوريا أيضًا. ولم يتمكّن جيونجيو من تحمّل حياته القاسية إلا بسبب إخلاصه العاطفي لوطنه.

كلما قضيا وقتًا أطول في الحديقة، ازداد ثقل الذنب على أكتاف جيونجيو. التقى تشيريونج ليخبرها ألا تأتي مرّة أخرى، وأنه لم يكن مهتمًا على الإطلاق - لكنه لم يكن قادرًا على القيام بذلك. في المرّة التالية التي التقيا فيها، خطط جيونجيو أيضًا لقطع علاقتهما، لكن مرّة أخرى انهار عزمه بين أحضان تشيريونج.

بمجرد أن التقت أيديهما وتلامست شفاههما، أصبح داخل رأس جيونجيو خاليًا من أي أفكار. ولاحقًا فقط شعر بإحساس أعمق بالخجل، كما لو أن قبيلتها جعلته أسيرًا للرغبة. لكنّ جيونجيو لم يسمح لنفسه بالاعتراف بأنه كان يحب تشيريونج، امرأة تتحدّث اليابانية بطلاقة أكثر من الكورية؛ امرأة لم تفهم ألم العيش في ظل الحكم الاستعماري، ولم ترغب في فهمه؛ امرأة لم ينقصها شيء؛ ولكنها أيضًا امرأة قالت إنها تحبه.

قالت في كثير من الأحيان إنها ستخاطر بحياتها من أجل الحب. حقيقة أنها نشأت بمنأى عن هذا العصر المظلم كانت في حدّ ذاتها مثيرة للاشمئزاز، لكن جمال تشيريونج كان باهرًا مثل ثقب بحجم إبرة في ستارة سوداء، وقد

(1) جياوزو: نوع من الزلابية الصينية، وتؤكل عادة في الصين وأجزاء أخرى من شرق آسيا. ويعد من الأطباق الرئيسية التي تؤكل في رأس السنة الصينية في شمال الصين. وبالرغم من أنها جزء من المطبخ الصيني، فإنها تحظى بشعبية في أجزاء أخرى من شرق آسيا (المترجم).

جعل من مهمته أن يفتح عقلها وعينيها على حقائق ما يجري في كوريا، والقمع في ظل الحكم الياباني. لكن يبدو أن تشيريونج لم تفهم قط ما كان يحدث عنه، حتى عندما يتحدث عن أبسط الأشياء، مثل مؤلفيها المفضلين. كان من المثير للشفقة رؤية الطريقة التي ترى بها المنشق لي كوانج-سو⁽¹⁾ على أنه كاتبًا عظيمًا، ومواصلتها قراءة رواياته.

- لولا اليابان، كيف كان بإمكاننا أن نعيش بالنهج المتحضر الذي نتمتع به الآن؟ القطارات والسفن التي أتت بنا إلى كيوتو صنعتها اليابان حتى نتمكن من السفر بشكل مريح.

- هل تعتقد أنهم فعلوا ذلك من أجل الكوريين؟ كانت وسيلتهم لغزو كوريا، ومن هناك الصين والاتحاد السوفيتي. هل تعرفين لماذا أسماء السفن المتجهة إلى اليابان هي جيومجانج وهينجان؟ وهذا يعني أنهم يرغبون في امتلاك جبل جيومجانج في كوريا وسلسلة جبال هينجان في منشوريا. داس اليابانيون بالفعل على كوريا وانتهكوها. والآن نحن مضطرون إلى تكريس حياتنا لحرب طموحاتهم. هل لا يزال بإمكانك قول ذلك، حتى في وجود احتمال أن يُعتقل أخوك أو أختك أو يُجند إلزاميًا ويُقتل مثل الكلاب؟

كلما رفع جيونجيو صوته، كانت تشيريونج تنفجر بالبكاء.

أزعجه أن تشيريونج تنتمي إلى عالم مختلف تمامًا عن عالمه، لكن تشيريونج كانت أكثر قناعة بعلاقتها. في الروايات والأفلام، كلما ازدادت الحواجز، كبر الحب. كلما ارتفع الجدار، أصبح شغف تشيريونج أكثر اتقادًا. بدت أوراق الخريف الحمراء في وادي أراشيياما وكأنها تحترق مثل قلبها. بالمقارنة مع مشاعرها تجاه جيونجيو، تراءى لها الحب الذي قرأت عنه في الروايات وشاهدته في الأفلام تافهًا. وينطبق الشيء نفسه حتى على روايات

(1) لي كوانجسو: كاتب وشاعر كوري، وهو ناشط استقلال كوري بارز وناشط وطني حتى تحوّل بعد ذلك نحو التعاون مع اليابانيين. كانت الأسماء المستعارة له تشونون وغوجو. يشتهر لي بروايته موجونج، التي توصف أحيانًا بأنها أول رواية كورية (المترجم).

لي كوانج-سو. قد تكون أسبابها مغايرة عن أسباب جيونجيو لكنها توقفت عن قراءتها، وأعطت الكتب لسونام.

عندما وصلا إلى منتصف الجسر، امتلأت عينا تشيريونج بالدموع عندما اعترفت بمشاعرها.

- بصرف النظر عن مدى تفكيري في الأمر، أعتقد أنني أحبك أكثر من حبي لنفسي. لم أكن أعلم أن مثل هذا الحب ممكن.

بدا جيونجيو متجهماً، وقال: «إذا كانت الأسطورة حقيقية، فأودُّ أن أنظر إلى الورا قبل أن ننتهي من عبور هذا الجسر».

سألت تشيريونج وهي تكفكف دموعها: «ربما حينها أستطيع أن أنساك؟!». الألم الذي سمعته في كلماته تردّد صداه داخل قلبها.

ظلت سونام منشغلة في الشتاء. واصلت دراسة اللغة اليابانية والإنجليزية مع السيدة برادلي وتعلّم الحياكة من السيدة سوزوكي، رغم أنها كانت تحب حياكة الملابس والقفازات والأوشحة أكثر من صناعة الدانتيل لمفارش المائدة والوسائد.

كانت السيدة سوزوكي في العادة متواضعة، لكنها كانت فخورة للغاية بحياتها، وتفاخرت أحياناً كيف منحتها مهارتها حياة مزدهرة.

تقول: «عندما كنت أعيش في يوكوهاما، تعلّمت أنا وصديقاتي الحياكة على يد امرأة فرنسية. كنت الأسرع في التعلّم، ولديّ الموهبة الأكبر. وبفضل تلك المهارة الوحيدة، تمكّنت من تربية أطفالي وتحمل تكاليف دراستهم حتى بعد وفاة زوجي في الحرب. لا يعني ذلك أن الأمر لم يصبح أصعب على مرّ السنين. أصبحت الملابس المحبوكة يدوياً أقل شعبية منذ أن استبدلت المصانع العمال بآلات الحياكة. والآن أصبحت عينا تضعفان وكتفاني توجعاني، لكنني لا أستطيع التخلّي عن شيء كان بمنزلة صديق لي مدى الحياة. أنا مثل تاكيشي - أعني جدّ جونباي - الذي أصرّ على رسم أوكيو-

إي⁽¹⁾ على الرغم من أن الناس فقدوا الاهتمام به بمجرد وصول الكاميرا إلى اليابان».

فكّت السيدة سوزوكي حتّى الملابس الصوفية القديمة التي جلبها الناس إليها وأعدت حياكتها. انفرد الخيط المجدّد بسلاسة كورقة جديدة في البخار الساخن.

لم تستطع سونام إخفاء دهشتها عندما رأتها تفعل ذلك لأول مرّة: «هذا مذهل. تبدو جيدة كالجديدة. إذا خلطتِ الصوف الجديد مع القديم، فلن يتمكن الناس من معرفة الفرق».

ابتسمت المرأة وهي تغزل الخيوط، وتساءلت سونام إن كان من الممكن إعادة نسج مصيرها إلى شيء جديد.

عندما بدأت سونام في تعلّم اللغة اليابانية لأول مرّة، قالت سورين: «مهما تغيّر العالم، لا يمكنك تجذّب الحياة التي ولدت فيها، لذا عيشي ضمن حدودك. إذا كان هدفك عاليًا جدًّا، فسوف تسقطين وتنكسر رقبتك».

الآن بعد أن غادرت سونام قصر جايهوي-دونج وجربّت عالمًا مختلفًا وأوسع، تساءلت إن كان تغيير مصيرها ليس مستحيلًا كما بدا من قبل.

عندما رأت تشيريونج أن سونام تعلّمت الحياكة، طلبت منها أن تحيك وشاحًا من أجل جيونجو. كان الوشاح أقصى ما استطاعت سونام أن تنسجه حتّى الآن.

قالت: «أريد أن أقدمه له هدية. بالتأكيد، سوف يتأثر إذا قلت إنني من حكته! اصنعي لي وشاحًا أيضًا، حتّى نتمكن من ارتدائهما معًا».

عندما رأت مدى سعادة تشيريونج، فيما تلفّ الوشاح حول عنقها، قرّرت أن تهدي جانجهوي وشاحًا دافئًا أيضًا، وليس وشاحًا فحسب، لكن صديرية وكنزة. أرادت أن تمنحه هدية مثلما منحها الحلوى والجراب المعطر.

(1) حركة فنية تصويرية يابانية ظهرت في بداية القرن السابع عشر للميلاد، تقوم على الرسم، تُنحّت الرسومات على ألواح خشبية أولاً ثمّ تطبع على الورق. كلمة «أوكي-يو إه» تعني صورة العالم العائم، في إشارة إلى الطبيعة المتقلّبة، الظاهرية والمؤقتة للأشياء في العالم الدنيوي (المترجم).

عندما كانت سونام تقوم بالمأموريات، كانت السيدة سوزوكي تدفع لها حتى بعض العملات المعدنية. في المرة الأولى، سألت تشيريونج إذا كان بإمكانها الاحتفاظ بالمال، وتفاجأت عندما وافقت، دون حتى أن ترفع نظرها عن مجلتها.

حصلت سونام على مالها الخاص لأول مرة في حياتها، واحتفظت به في علبة حلوى تخلّصت منها تشيريونج بعد تناول الحلوى. كانت تفتح الغطاء عدّة مرّات في اليوم وتنظر داخل العلبة، أو تهزّها لتسمع صوت قعقة العملات المعدنية. قرّرت توفير المال لشراء صوف جديد لوشاح جانجهوي. سيأتي بالتأكيد اليوم الذي تستطيع فيه إعطاءه إياه.

في ذلك الشتاء، كانت سونام في أسعد حالاتها خلال ثمانية عشر عامًا من حياتها.

عندما حان موعد عودة عائلة برادلي إلى إنجلترا، شعرت سونام بالحزن الشديد والفراغ من فكرة الافتراق عن السيدة برادلي حتى إن المرأة قدّمت لها عرضًا رائعًا. قالت: «سونام، لماذا لا تأتين معي إلى إنجلترا؟ يمكنني أن أكون الوصيّة عليك وأساعدك في تلقّي التعليم المناسب».

كانت فرصة تشبه الحلم لدرجة أن سونام رفضتها مع أمانة صغيرة من التردد: «شكرًا لك على قول مثل هذا الشيء، لكنني لست في وضع يسمح لي بالمغادرة. بدلًا من ذلك، سأواصل الدراسة بمفردي، حتى أتمكّن من ردّ طبيبتك معي بمجهودي».

دون أن تقول كلمة أخرى، منحتها السيدة برادلي عناقًا كبيرًا. كما أعطت سونام العديد من الكتب باللغة الإنجليزية، بما في ذلك جين آير ومرتفعات ويدرينغ، كتبتهما شقيقتان بريطانيتان كلاهما روائيتان. وقالت إنها تحظى بشعبية هائلة في إنجلترا: «أنا أعطيك هذه الكتب على أمل أن تتمكني قريبًا من قراءتها».

كانت الروايات سميكة، وسونام، التي لا تستطيع سوى قراءة وكتابة الحروف الأبجدية، لم تتخيل حتى قراءتها. كما أعطت السيدة برادلي سونام قاموسًا يابانيًا-إنجليزيًا استخدمته في دروسها.

بالمال الذي ادخرته، اشترت سونام الصوف لحياكة وشاح للسيدة برادلي، بدلًا من الوشاح الذي رغبت في حياكته من أحل جانجهوي، وقد فكرت أنه يمكنها دومًا ادخار المال مرة أخرى. كانت هدية صغيرة مقارنة بكل ما تلقتّه من المرأة.

كانت سونام مسرورة بفرحة تقديم هدية لأحدهم، وحتى الطقس البارد كان يبدو أكثر اعتدالًا بسبب مزاجها.

مع اقتراب العام القمري الجديد، غابت سونام عن سيول.

في ظل الحكم الاستعماري الياباني، اضطرّ الكوريون إلى الاحتفال بيوم رأس السنة الجديدة وفقًا للتقويم الشمسي، ولكن أكبر عطلة في كوريا كانت لا تزال السنة القمرية الجديدة. كانت العطلة الشتوية بالنسبة إلى تشيريونج، والتي بدأت في أواخر ديسمبر، تمتدّ لعشرة أيام فقط. بعد عطلة رأس السنة الجديدة، ستبدأ الدراسة مرة أخرى، وينتهي العام الدراسي في أوائل فبراير -بعد الامتحانات النهائية. ومنذ ذلك الحين وحتى أبريل، حيث يبدأ العام الدراسي الجديد، كانت هناك عطلة أخرى. ولحسن الحظ، صادف حلول يوم رأس السنة القمرية الجديدة إجازتها.

كانت سونام تأمل أن تزور تشيريونج كوريا هذه المرة. الفيكونت هيونجمان هددها حتى بالتوقف عن دفع الرسوم الدراسية لها إن لم تحضر. هدأت سونام حماسها من خلال حياكة بعض الأوشحة الصغيرة لخادمت القصر بقطع من الصوف التي قدّمتها السيدة سوزوكي إليها. كانت تفتقد سورين، والأرضيات الدافئة في المنزل الرئيس وجناح الخادمت، وتشتاق إلى تناول الطعام الكوري المالح والحار.

كانت أيضًا حريصة على أن تُظهر للناس في قصر جايهوي-دونج مدى التغيير الذي طرأ عليها.

الفصل العاشر

تيراو هيكاري

وقف جونباي على رصيف الميناء في يوكوهاما فيما كانت مشاعره المكبوتة كلها ترفرف في رياح فبراير الباردة القارصة التي هبت عبر شعره وملابسه. ظلت يوكوهاما مشهدًا يفطر القلب، مكانًا قد ابتلع تقريبًا كل أثر لعائلة تيراو. وكما لو كان ذلك للسخرية من ذكريات جونباي، كانت منطقة وسط المدينة تعجُّ بالمباني المزخرفة جديدة الطراز، في حين ظلت أهوال الزلزال وجراحه في قلوب أولئك الذين نجوا منه فحسب.

تصطفُّ المباني والمستودعات الجمركية المبنية حديثًا على الرصيف المزدهم بسفن الركاب وسفن الشحن وقوارب الصيد الصغيرة التي تبحر من وإلى المحيط الهادئ. كان الرصيف صاخبًا وحيويًا، حيث العمال يفرغون السفن، ويهبط الركاب، وعربات الريكاشة تنطلق في الشوارع هنا وهناك، والباعة المتجولون يجتذبون الزبائن في النزل والمطاعم، والمتسولون والنشألون الذين يفترسون ضحايا مجهولين، وحتى الكلاب تتبع أطفال الحي، تتوسل للحصول على بقايا الطعام.

شاهد جونباي أساما، سفينة كانت تنتظر على بعد مسافة قصيرة من الرصيف. كانت سفينة رُكَّاب أكبر وأكثر فخامة من سفينة الشحن التي استقلها عمه جيرو عندما رحل بعيدًا قبل اثنتي عشرة سنة. كان جونباي

قد اشترى التذاكر بالفعل وأرسل رسالة إلى عمّه، لكن لا يزال من الصعب تصديق أنه سيغادر في اليوم التالي.

كان ذلك في نهاية شهر يناير عندما تلقى جونباي الدعوة أخيرًا من عمّه. انتقل العديد من المهاجرين اليابانيين الذين عملوا في مزارع قصب السكر في هاواي إلى البرّ الرئيس للولايات المتحدة للاستقرار بعد انتهاء مدّة عقدهم. ثمّ، في عام 1921، صدر قانون مناهض للهجرة اليابانية، وبعدئذ أصبح من الصعب الحصول على جواز سفر أو تأشيرة دون دعوة من أحد أفراد الأسرة الذين يعيشون بالفعل في البلاد. وحتىّ ذلك الحين، كان الدخول صعبًا. أرسل العمّ جيرو المستندات التي يحتاج إليها للحصول على جواز سفر وتصريح دخول للولايات المتحدة. أصاب الفزع جونباي عندما عثر على مذكرة من طبيب بين الوثائق تقول إن عمّه مصاب بسرطان في المعدة في مرحلته النهائية، لكن رسالة عمّه أوضحت الوضع بسرعة.

«أولًا، لا تتفاجأ بملاحظة الطبيب. نحن لسنا أغنياء، لذلك من الصعب الحصول على الموافقة على الدعوة. وعلى الرغم من أن العمّ بمنزلة الأب، فإن الأمريكيين لا يفهمون ذلك. على أية حال، بمساعدة بعض الأصدقاء، تمكّنت من الحصول على مذكرة الطبيب المزوّرة هذه. قبل أن يموت مريض السرطان في مرحلته النهائية، ستسمح الحكومة بدعوة كهذه إلى قريب الدم الوحيد المتبقي للعمّ. لكن لماذا، فجأة، تريد منّي أن أرسل إليك دعوات لا نهاية لها؟ هل تحاول الهرب مع عشيقتك؟ إذا كان الأمر كذلك، فمرحبًا بك، وفي هذه الحالة، أدرجت اسم زوجتك المستقبلية في الدعوة.

ضع في اعتبارك أن أمريكا في حالة اقتصادية مريّة للغاية في الوقت الحالي. كما أن المشاعر تجاه

الآسيويين ليست جيدة أيضًا. ومع ذلك، ستكون أفضل من اليابان أو كوريا. على أي حال، هذه أرض الفرص، لذا تعال ودعنا نجد طريقة لك لمواصلة الحياة. قد لا تدرك ذلك، لكن لدي الكثير من الأصدقاء الأقوياء».

هذه الرواية تم عملها عن طريق فيلق مكتبة ضاد الإلكترونية

قدم جونباي إلى الفيكونت هيونجمان دعوة عمه واستقال، محتفظًا بحقيقة مرض عمه لنفسه. عند رؤية الدعوة الإضافية، سأل الفيكونت جونباي إن كان سيتزوج.

تمتم بحرج: «لا، لكن إذا تزوجت في هذه الأثناء، يمكن لزوجتي أن ترافقني».

بعد أن دفع الفيكونت هيونجمان الاستقالة والدعوات عبر مكتبه تجاه جونباي، اقترح بديلًا: «بالطبع عليك الرحيل، لكن لا داعي للاستقالة. سأعطيك إجازة حتى تعود».

حاول جونباي الرفض، قائلاً إنه لا يعرف كم من الوقت سيبقى بعيدًا، وأن ذلك يعتمد على حالة عمه، لكن الفيكونت دفع الأوراق مرة أخرى قائلاً: «وجود جهة تنتمي إليها سيساعدك في الحصول على جواز سفر أو تصريح سفر. وبعد ذلك، في أثناء وجودك في الولايات المتحدة، يستطيع المدير يانج الاهتمام بالأمور».

كانت خطة الفيكونت جيدة، لكن جونباي لم يرغب في الذهاب بعيدًا في خداعه. كان قد بدأ في إنهاء الملفات العالقة في شؤون الشركة، وقرر أن ينتظر حتى وقت لاحق للعثور على عذر مناسب لعدم تمكنه من العودة.

في ذلك الوقت، كان يعتزم البقاء مع خالته في كيوتو فيما كان يستعد للمغادرة إلى أمريكا. عندما رأى التواريخ على الأوراق، توقع أنه سيقضي هو وتشيريونج بضعة أيام على الأقل في المنزل نفسه، وتسارعت دقات قلبه مع تخيل لقاتهما. كانت الأفكار عنها ألمًا مصحوبًا بحلاوة لا تطاق. في كل ليلة، كانت توقعات ومخاوف جونباي تبقى مستيقظًا. وفي كل ليلة كان يعيد كتابة الرسالة التي كان يعتزم تسليمها لتشيريونج عندما يغادر.

سيعترف بحبه لها في تلك الرسالة.

«كنت سأعترف لكِ وجهاً لوجه، لكن قلبي انفطر عندما علمت أنك تحبين رجلاً آخر، لدرجة أنني شعرت وكأنني أسقط من الهاوية».

في أثناء كتابته، كان متأثراً بتخيله أن تشيريونج ستكون حزينة جداً لرؤيته يرحل.

في ساعة متأخرة من تلك الليلة -وفي خضم إعادة كتابة الرسالة- بدأ يسمع الفيكونت هيونجمان يناديه بإلحاح من خارج الباب: «تيراو، أريد أن أراك».

كانت هذه المرة الأولى التي يزور فيها الفيكونت غرفة جونباي في جناح الرجال. دس على عجل الصفحات المجعدة والرسالة التي كان يكتبها تحت الفراش. عندما وصل جونباي إلى مقبض الباب، انفتح الباب ودخل الفيكونت مسرعاً.

قال الفيكونت ووجهه شاحب: «لدي شيء أودُّ أن أقوله لك، لذا اجلس».

هل قبضوا على ابنه؟ عرف جونباي مدى تأثير جانجهوي، الذي لم يلتقه قط، على الأسرة. فيما جلس الفيكونت هيونجمان على الأرض، دافعاً الفراش إلى الخلف بعنف، ما كشف عن الرسائل المجعدة، لكن يبدو أنه لم يلحظ ذلك.

كان جونباي يرتجف عندما جلس في مواجهة سيد قصر جوهاي-دونج. بدا أن الفيكونت قد استجمع قواه، وتحدث أخيراً: «سأكون مختصراً. تشيريونج في ورطة خطيرة. يبدو أن فتاتي المسكينة البريئة أصبحت متورطة مع مارق مثير للفتنة في كيوتو. في أثناء استجوابه، ثبت أن الأموال المخصصة لأنشطته جاءت من تشيريونج. ويبدو أن المجوهرات التي أعطتها إياها أمها قد انتقلت إليه. وسيصدر قريباً أمر اعتقال بحقها».

اخترقت كل جملة قلب جونباي مثل شوكة. كانت ثمّة أوقات كان يتمنى فيها إفلاس الأسرة، لكنه لم يتمن قط شيئاً كهذا. وتذكر جونباي المشهد الذي شهدته في الزقاق في تلك الليلة، فوضع قبضتيه على فخذه. أمسك الفيكونت هيونجمان بقبضة يد جونباي المطبقة، وقال: «تيراو جونباي، لدي طلب. خذ ابنتنا تشيريونج إلى أمريكا معك».

نظر جونباي إلى الفيكونت، وعيناه فارغتان من المفاجأة، وتمتم: «لا أعرف ماذا سيحدث لها إن بقيت، لذا من فضلك، تزوجا وارحلا معاً». كان صدق الفيكونت مكتوباً بوضوح على وجهه.

زواج؟ من تشيريونج؟ أصبح عقل جونباي فارغاً. لم يعترف قط بحبه لها، وكان يخطط لفراقهما الأخير، لكن فجأة... الزواج! حتى لو أصبح الحب موضة، فقد كان من المعتاد في كل من كوريا واليابان الزواج من الشخص الذي يختاره والداك. طلب منه والد تشيريونج الزواج من ابنته، وفي حالتها، لن تكون في وضع يسمح لها بالاعتراض والعناد. أصبح خياله حقيقة بطريقة أو بأخرى. غارقاً في فيض المشاعر، تمكن جونباي بالكاد من الإيماء بموافقته.

بعد أن وضع خطته موضع التنفيذ، تمكن الفيكونت هيونجمان من حل قضية ابنته في ثلاثة أيام، مستخدماً كل الوسائل المتاحة له لإرسال تشيريونج إلى الكتيبة النسائية لعزاء الجيش الإمبراطوري بدلاً من السجن. ولأن المجوهرات كانت دليلاً واضحاً، كان من المستحيل التظاهر بعدم حدوث شيء. عندما علم بالموقف لأول مرة، بالكاد قاوم الركض إلى المنزل الرئيس وقتل زوجته على الفور.

كان قانون التعبئة العامة الوطني -الذي سمح بتشكيل كتائب وطنية مقسمة إلى مدارس وقرى وحسب الجنس- مجرد اسم آخر للعمل القسري. وضغطت الحكومة العامة على الرابطة الكورية من أجل التعبئة الكاملة للروح الوطنية للتوصل إلى تدابير لتهدئة شكاوى وانتقادات الشعب الكوري.

بصفته الممثل التجاري للرابطة الكورية من أجل التعبئة الكاملة للروح الوطنية، تولّى الفيكونت هيونجمان زمام المبادرة في إنشاء الكتيبة النسائية لعزاء الجيش الإمبراطوري. بدأوا بهدف تجنيد الشابات، مع خطة لإرسال الدفعة الأولى المكونة من قرابة مئة وخمسين امرأة في ذكرى تأسيس مانشوكو⁽¹⁾. ولتبيد بعض الانتقادات والمخاوف العامة، أُعلن أن أولئك اللاتي

(1) مانشوكو: دولة منشوريا رسمياً قبل عام 1934 وإمبراطورية منشوريا بعد عام 1934، كانت دولةً دميةً لإمبراطورية اليابان في شمال شرق الصين ومنغوليا الداخلية منذ عام 1932 وحتى عام 1945.

انضممن إلى كتيبة النساء سيُزودن بالملابس بالإضافة إلى راتب، وأنه يمكنهن لاحقًا الحصول على وظيفة ممرضة بالمهارات الطبية التي سيتعلمنها. حُدد موعد توزيع النساء المنضمات إلى الكتيبة على جهات عملهن في السادس من مارس، أي بعد اكتمال القمر الأول في العام الجديد.

عندما قالت الليدي جواك لأول مرة أن تشيريونج وسونام متشابهتان، وصف الفيكونت ذلك بأنه هراء، ولم يرغب في الاعتراف بأن ابنته تشبه الفتاة الوضيعة. لكن الآن بعد أن أصبحت حياة ابنته على المحك، كانت الفكرة جوهر خطته بأكملها - كان يائسًا إلى هذا الحد. لم يكن فقط لأنهما متشابهتان ما جعل سونام قادرة على لعب دور تشيريونج، الطالبة الجامعية. لحسن الحظ، تعلمت سونام القراءة والكتابة باللغة الكورية، وتحديث اليابانية إلى حد ما. في السابق، لم يكن سعيدًا بهذا الأمر، معتقدًا أنها كانت تتجاوز مكانتها الاجتماعية، لكن الآن كان الأمر كما لو أنها أمضت حياتها في الاستعداد لهذه اللحظة. أعجب الفيكونت ببصيرته في شراء سونام وكان مقتنعًا بأن إله الحظ لا يزال في صفه.

سرعان ما اشترى سجل عائلة فتاة يابانية تعيش في كوريا اسمها ساتو هيكاري، والتي توفيت مؤخرًا، بحيث لم يُبلغ عن وفاتها بعد. كانت أكبر من ابنته بسنة واحدة. ستصبح تشيريونج هي ساتو هيكاري وتتزوج من جونباي. وبعد ذلك، وفقًا للعادات اليابانية المتمثلة في أخذ لقب زوجها، ستصبح تيراو هيكاري. وبمجرد أن تصبح زوجة جونباي رسميًا، سيكون من الأسهل عليها الحصول على جواز وتصريح السفر. مثل لواء عسكري اندفع إلى الأمام دون تردد في ساحة المعركة، شرع الفيكونت هيونجمان يتغلب على أي عقبة، سواء بالمال أو بالعلاقات الشخصية التي تراكت لديه على مر السنين.

بالنسبة إلى تشيريونج، نزلت عليها الواقعة مثل صاعقة برق في يوم صافٍ.

خرجت للقاء حبيبها قبل الامتحان النهائي، وعادت بوجه شاحب كلهب الشمعة. قبضت الشرطة اليابانية على جيونجيو في أثناء حملة قمع ضد منظمة مناهضة لليابان كان عضواً فيها.

ذهبت تشيريونج إلى مركز الشرطة لزيارته، لكن قيل لها إنه رُحِّل إلى مكان آخر. فقدت عقلها، وصُدمت سونام لرؤية سيدتها مستاءة للغاية.

كانت دائماً تستخفُّ بمشاعر تشيريونج تجاه جيونجيو، معتبرة إياها شيئاً متهوراً وعابراً، لكنّ بينما كانت سونام تشاهدها وهي تعاني حزناً عميقاً، شعرت بصدق مشاعرهما وتفهمت ألمها. لم يمضِ يوم لم تشعر فيه سونام بالقلق من احتمال اعتقال جانجهوي أيضاً في أي لحظة.

مجرّد التفكير في القبض عليه حطّم قلبها وجعل الدموع تنهمر على وجهها. عندما بكت تشيريونج، بكت سونام معها، وعندما لم تأكل تشيريونج، لم تستطع سونام ابتلاع لقمة. وفي الليل، كانت تعانق سيدتها التي كانت إمّا تعاني الكوابيس، إمّا تبكي بحرقة لدرجة أنها لا تستطيع النوم.

اعتمدت تشيريونج على سونام أكثر من أي وقت مضى.

في اليوم الخامس بعد اعتقال جيونجيو، وصل الفيكونت هيونجمان إلى كيوتو مع جونباي. عندما ظهر الفيكونت، أصيبت سونام بالصدمة بدلاً من الارتياح. مرّ أقل من عام منذ أن افترقوا في محطة سيول، لكن السيد أصبح فجأة رجلاً عجوزاً بشعر أبيض وخدين غائرين وعينين ميتتين تماماً.

بناء على أمره بعدم مغادرة المنزل، بقيت سونام في الطابق السفلي منهمكة في حياكتها. أرادت أن تسأل جونباي عمّا حدث، لكن لم يكن هناك أي أثر له بعد أن أوصل الأمتعة. عندما سألت السيدة سوزوكي، قيل لها فقط إنه غادر في مهمّة عاجلة. حاولت سونام التركيز على حياكتها لكنها استمرّت في إسقاط الغرزة واضطرت إلى البدء من جديد.

حكماً على الأمور من الأجواء المحيطة، كان من الواضح أنها كانت أسوأ ممّا عرفت.

كان الوقت متأخرًا في تلك الليلة عندما استدعى الفيكونت تشيريونج. هبَّت عاصفة من الطابق الأعلى، وأسرعت تشيريونج هابطةً الدرج بوجه منتفخ، وهي تحمل حقيبة صغيرة. عندما مرّت بها سونام في طريقها إلى الأعلى، لم تكن تعلم أن تلك لحظة فراقهما.

وصلت سونام إلى الطابق الثاني وهي تتوقَّع أنه بعد وصول الفيكونت، سيكون كل شيء على ما يرام. ركعت بجانبه وانكلمت عندما ضرب الرجل بقدمه على الأرض، وصاح: «أنتِ أيتها العاهرة الوقحة! هل تعلمين ماذا فعلت؟!».

بدا وكأن الغضب في صوته ينقضُّ عليها، وارتجفت سونام، ولم تعرف ما يعنيه.

واصل صراخه: «أنتِ أيتها البائسة! لو كنت قد كتبتِ الحقيقة في رسائلك، لما بقيتِ في الظلام فيما كانت تشيريونج متورّطة مع مارق يثير الفتنة. الآن ربما تتدمّر عائلتي وترسل تشيريونج إلى السجن!».

كادت سونام أن يغمى عليها وخرّت أرضًا أمام الفيكونت.

كانت خائفة من تدمير عائلة السيد أكثر من خوفها من العقاب الذي سيلحق بها، وارتجفت عندما تذكّرت الرسائل الكاذبة التي كتبتها. في البداية، كانت معظمها صحيحة، لكنّ بمجرد أن علمت تشيريونج بها، زيفتا معًا المحتوى كما لو كانتا تلعبان لعبة. كيف تجرأتا على فعل شيء كهذا بالفيكونت! كانت تشيريونج ابنته، لكنّ سونام كانت مجرد خادمة. نسيت مثل هذه الأشياء، وتصرّفت كما لو أن القواعد لا تنطبق عليها. لم تكن تشيريونج من يجب أن تُعاقب، بل هي.

شوشت الدموع رؤيتها، وبصوت ممتزج بالبكاء، قالت سونام إنها ستفعل أي شيء، ومرةً أخرى، انحنت أمام سيدها.

وبعد صمت بدا كأنه أبدية، تحدّث الفيكونت مرةً أخرى، بصوت أكثر ليونة، هادئًا تقريبًا، وقال: «هناك طريقة يمكنك من خلالها التكفير عن خطئك. سأسعى إلى انضمام تشيريونج إلى كتيبة النساء لعزاء الجيش الإمبراطوري لمدة عامين، بدلًا من الذهاب إلى السجن...».

قالت على الفور: «سيدي، أرسلني بدلاً منها. كل هذا خطأي أنا».

لم تكن لدى سونام أي فكرة عن نوع المكان الذي سترسل إليه، لكن إذا كان مكاناً يُرسل إليه الأشخاص بدلاً من السجن، فلن يكون مريحاً. لن تصمد تشيريونج لمدة ثلاثة أيام لو ذهبت.

سأل الفيكونت كأنه يشكُّ في صدقها: «هل تعنين أنك على استعداد للذهاب بدلاً من تشيريونج؟».

رفعت رأسها ونظرت إلى الفيكونت هيونجمان. ألقت عيناه الغائرتان ظللاً على وجهه، وعلى خلاف مظهره السابق الواثق والوقور، اخترق مزيج العصبية والقلق والبؤس قلب سونام.

في تلك اللحظة، كانت ستفعل أي شيء من أجل السيد، والسيدة الشابة. قالت سونام والعزم واضح في صوتها وعلى وجهها: «نعم، سأذهب بدلاً منها».

بدا الفيكونت مرتاحاً، وقال: «عندما أفكر في ما فعلته، يمكنني أن أطردك الآن ولن يكون ذلك كافياً، لكن بما أنني أصبحت مغرمًا بك بعد كل هذه السنوات، فسوف أعطيك فرصة. إذا ذهبت بدلاً من تشيريونج Chaeryeong، فإن الراتب الذي تتلقاه هناك سيكون لك لتحتفظي به. ليس هذا فحسب، بل سأعطيك ألف وون وحُرِّيَّتكَ عند عودتك».

حدّقت سونام إلى الفيكونت، والارتباك واضح على وجهها.

واصل حديثه: «عندما تعودين، يمكنك الذهاب إلى أي مكان تريدين. ستسمح لك ألف وون بشراء أرض لوالديك وتمكّنك أنت وإخوتك الصغار من الدراسة».

بالكاد استطاعت أن تستوعب ما يعنيه الحصول على مبلغ ألف وون والحرية، لكن أول ما تبادر إلى ذهنها عندما فكّرت في الحرية هو جانجهوي. قلبها الذي كان يرتجف من الخوف، يرتجف الآن لإمكانية الحياة التي كانت تحلم بها.

- شكراً لك أيها السيد. شكراً لك.

- منذ اللحظة التي تغادرين فيها هذا المنزل حتى عودتك، أنت يون تشيريونج.

سألت سونام مدهوشة من كلماته: «ماذا تقصد؟».

- كما قلت، ستحلين محل تشيريونج. من الآن لست كيم سونام، ولكن يون تشيريونج من ستتنضم إلى الكتيبة. يجب أن تكون يون تشيريونج، ويجب ألا ينفصح ذلك.

- لكن كيف يمكنني التظاهر بأنني سيدة؟

- سأجهّزك. كل ما عليك فعله هو اتباع تعليماتي. هل تفهمين؟

- نعم، سأفعل ذلك.

عندما أحنت سونام رأسها، كرّر الفيكونت هيونجمان كلامه، مؤكّداً على كل كلمة.

- سأقول ذلك مرّة أخرى. منذ اللحظة التي تغادرين فيها هذا المنزل حتى عودتك، أنت ابنة الفيكونت.

- نعم، أنا تشيريونج الآن - كرّرت بصمت - ابنة الفيكونت!

في صباح اليوم التالي، غادرت سونام كيوتو مرتدية ملابس تشيريونج. كانت تحمل في حقيبتها الجراب المعطر - وقد تلاشت الآن واختفت حتى أضعف رائحة له - والمزيد من ملابس سيدتها، والروايتين وقاموس السيدة برادلي، والنسخة الممزقة من رواية «معدوم القلب».

نهضت تشيريونج من السرير، وبدأت في تناول الطعام البارد الذي ترك من أجلها. امتدّ ميناء يوكوهاما ذو الإضاءة الساطعة إلى ما وراء نافذة الفندق الذي تقيم فيه، لكن لم يلفت أي شيء انتباهها.

ظهر والدها في لحظة حزنها الكبرى. في البداية، اعتقدت أنه جاء للمساعدة. أنه قد لا يكون شخصاً حنوناً جداً، لكنه بالتأكيد سينقذ الرجل الذي تحبه ابنته. حتى ذلك الحين، كان الفيكونت قد فعل كل ما طلبته منه تشيريونج. عندما وصل، كانت على وشك أن تظهر له قوة حبها لجيونجيو

وكيف أنه إذا اضطرَّ جيونجيو إلى البقاء في السجن، فإنها كانت مصممة على إحضار كل ما يحتاج إليه في السجن.

لكنه قاطعها، متجاهلاً الشكليات العادية للمُّ شمل أب بابنته الحبيبة، وأمرها فجأة بالزواج من جونباي والمغادرة إلى أمريكا، وتحت اسم مستعار. لم يمنحها حتى فرصة للتفكير أو المقاومة.

أضاف: «ليس هناك وقت لنضيعه. في أي لحظة، قد يأتون ويأخذونك بعيدًا. الأدلة واضحة وليس هناك ما يمكننا القيام به حيال ذلك».

في البداية جادلت: «لا يهمني ما يحدث لي. سأبقى بجانب جيونجيو. إنه يعني كل شيء لـ.....».

لطم الفيكونت ابنته الباكية على وجهها بشدة لدرجة أنها اصطدمت بالباب وانهارت. مندهشةً، توقفت تشيريونج عن البكاء على الفور وجلست مصدومة مما فعله والدها للتو.

وبدلاً من الاعتذار، راح الفيكونت يرتجف من فرط الغضب.

قال: «هذا الصبيُّ استغلك! كان يعرف من أنتِ وتقرَّب منك عمداً. وهو من كشف أنك مصدر تمويلهم، وقال إنه كان ينوي الاستمرار في استغلالك. ولهذا السبب، قد لا تدمرين أنت فقط، بل عائلتنا بأكملها أيضاً. ليس لديك خيار. من الآن فصاعداً، زوجك السيد تيراو. اذهبي معه إلى أمريكا، وإلا سيقبضون عليك ويستجوبونك حتى ينتزعون منه الإجابات التي يبحثون عنها. هل يمكنك تحمُّل أن يُكوى جلدك؟ هل تعتقدين أنك تستطيعين تحمُّل الطعن بالأسياخ؟».

غطت تشيريونج خدَّها الذي لا يزال يتألم، واستمعت إلى كلماته غير مصدِّقة. يستحيل أن جيونجيو فعل ذلك. حاول جاهداً ألا يُغرم بها -ابنة فيكونت. والشخص الذي أعطته المجوهرات لم يكن جيونجيو، بل زميله في الغرفة وصديقه. أعطتها إياها دون إخبار جيونجيو، وطلبت منه شراء الأرز واللحم ودفع الإيجار المتأخِّر. إذا كان جيونجيو مذنباً بارتكاب جريمة، فهي مجرد بقائه فقيراً وقلة نومه. كانت على وشك أن تُظهر لوالدها قوة إرادتها، عندما صدمتها كلماته التالية بقوة أكبر من اللطمة.

قال: «سوف تفعلين كما أقول. لا أستطيع إنقاذ هذا الصبي، لكن يمكنني التأكد من وفاته».

فهمت تشيريونج أخيرًا ليس فقط أن والدها يستطيع فعل ذلك، بل إنه سيفعل ذلك أيضًا. قبل كل شيء، أدركت أنه سيفعل أي شيء للحفاظ على الأسرة من الانهيار.

قالت وقد انخفض صوتها إلى همس مذعور: «سأذهب إلى أمريكا. لذا أرجوك تركه وشأنه. لكن بابا، لا أريد الزواج من السيد تيراو. دعني أذهب وحدي».

أجابها: «سيقبض عليك قبل أن تتمكني من إصدار جواز سفر باسمك، وبصفتك امرأة، سيكون من الصعب عليك الحصول على جواز أو تصريح سفر حتى مع هوية مزورة. في هذه اللحظة، لا يوجد عريس أفضل في العالم كله من تيراو جونباي. وعليك أن تغادري معه على الفور».

سألته وهي تخفض رأسها في قبول بائس: «ماذا عن سونام؟ هل يمكنني اصطحابها معي؟».

عبس، وقال: «يبدو أنك ما زلت لا تفهمين الوضع. من الآن فصاعدًا، أنت شخص لا علاقة له بي. لماذا ترافقك خادمة ابنتي؟».

أخيرًا، قبلت تشيريونج أنه ليس لديها خيار في هذا الأمر، وغادرت المنزل في تلك الليلة وسافرت إلى طوكيو برفقة جونباي. كانت طوكيو قريبة من يوكوهاما، حيث سيصعدان على متن السفينة. في طوكيو، التقطت لها الصور للحصول على جواز وتصريح سفر، كما التقطت لها هي وجونباي معًا صور زفاف دون إقامة حفل زفاف، حيث وثق أبوها الزواج مسبقًا.

عدة مرّات في اليوم، فكّرت في الهروب. كان بإمكانها فعل أي شيء لو كان جيونجيو معها، أو على الأقل لو كانت بصحبتها سونام، لكنها افتقرت إلى الشجاعة للقيام بذلك بمفردها. ربما لم تستطع دفع نفسها إلى الهروب، لكن عقلها كان يتسارع وهي تبحث عن مهرب من خطّة والدها، حتى خطرت لها فكرة جعلتها تبتسم. لن يصل جونباي إلى سان فرانسيسكو رفقة زوجته.

قبل ذلك، ستقفز في البحر. مثل يون سيم-ديوك⁽¹⁾؛ سترمي بنفسها في المحيط الهادئ، والشخص الذي تحبه في قلبها.
لا يمكن أن يكون ثمة انتقام أعظم من الرجلين اللذين فعلا ذلك بها.

(1) يون سيم-ديوك: مغنية كورية تعدُّ أول سوبرانو محترفة في البلاد. ولدت يون في بيونج يانج عام 1897. ودرست في مدارس بيونج يانج المتوسطة والثانوية للبنات، وتخرَّجت في كلية كيونج سونج لتعليم البنات في سيول عام 1914. وبعد التخرُّج أصبحت معلمة في مدرسة ابتدائية في وونجو. بعد التدريس لمدة عام واحد، ذهبت يون إلى اليابان، لتصبح أول كورية تدرس في مدرسة طوكيو للموسيقى. في اليابان، التقت طالب الأدب الإنجليزي المتزوج، كيم يو جين، ووقعت في حبه، وكانت على علاقة غرامية معه. بعد تخرُّجها في مدرسة الموسيقى، عادت يون إلى كوريا، حيث ظهرت لأول مرة بصفتها مغنية سوبرانو في عام 1923. وعلى الرغم من إعجاب الجمهور بصوتها القوي، إلا أنها لم تكن قادرة على كسب عيشها من أداء الموسيقى الكلاسيكية الغربية، لذا أصبحت مغنية بوب وممثلة لإعالة نفسها. انتحرت يون وكيم يو جين معًا في عام 1926، حيث قفزا من سفينة ركَّاب في طريقهما من سيمونوسيكي إلى بوسان. أحدثت الأخبار المروعة ضجةً كبيرة في كوريا، وبيع تسجيل يون لأغنية «ترنيمة الموت 찬미사» عام 1926 رقمًا قياسيًّا بلغ 100 ألف نسخة بعد وفاتها (المترجم).

جميع الحقوق محفوظة ©



أمسح الكود وانضم لأسرة ضاد
<https://t.me/twinkling4>

الفصل الحادي عشر

الابنة

قالت هينامي التي وصلت، ومعها الغداء: «يا آنسة، يبدو أن القارب سيغادر صباح الغد».

أضاء وجه سونام بخبر رحيلها. لمدة شهر تقريباً بعد مغادرة منزل السيدة سوزوكي، كانت سونام -التي أصبحت تشيريونج- محبوسة في نزل قرية بالقرب من ميناء شيمونوسيكي. تنفيذاً لأوامر الفيكونت التي اقتضت تظاهرها بالمرض، لم تفعل شيئاً سوى الاستلقاء في السرير أو التجول في ساحة النزل. وكان صبرها قد بدأ ينفد.

في أثناء إقامتها في النزل، رأت سونام الفيكونت مرّة واحدة فحسب. كان ذلك عندما جاء الطبيب والمحقّق لرؤيتها لأول مرّة. كان فحص الطبيب رسمياً، لكن عندما عرف المحقّق بنفسه، ارتعدت وامتقع وجهها بشتّى الألوان خوفاً من أن ينفضح أمرها. تطابق مظهرها المحزون مع تشخيص الطبيب ولم يثر شكوك المحقّق أيضاً. بخلاف هينامي، كان زوّارها الوحيدون هم الطبيب والمحقّق، اللذان كانا يأتیان ويذهبان بانتظام لتفقيدها.

بعد أن ظلت محبوسة في الداخل مدة طويلة، وجدت سونام نفسها تضعف وتصاب بالإعياء، ما جعل من الأسهل ادعاء المرض. كان من الصعب عليها أن تتحمّل ذلك لو لم تحصل على الكتب من السيدة برادلي التي

ساعدتها في تمضية الوقت. لم يشرح الفيكونت هيونجمان سبب اضطرارهم إلى الانتظار مدة شهر، لكن سونام افترضت أن ذلك كان لكسب الوقت حتى تهرب تشيريونج.

كانت سونام تتعجل رحيلها. كل يوم تمكث فيه في كيوتو كان يومًا آخر ستأخر فيه حُرَيْتِهَا النهائية -ومعها حلمها في لم شملها مع السيد الشاب. اكتشفت حتى أين قد يكون جانجهوي في مذكرة سلّمتها السيدة سوزوكي سرًا قائلة إنها من جونباي. كان مكتوبًا عليه الكلمات التالية: «من المفترض أنه يعيش في هاربين، بمانشوكو». في ذهن سونام، اختفت كلمة «مفترض» وبقي «العيش في هاربين». وتذكّرت السيدة برادلي وهي تشير إلى موقع الصين على الكرة الأرضية، وتخيلت ما يجب أن تكون عليه باستخدام معرفتها الضحلة وخيالها الثري.

لم تكن تعرف لماذا يرسل إليها جونباي هذه الرسالة، ولم تذكر قط مشاعرها تجاه جانجهوي لأي شخص قط، لكنها كانت سعيدة بمعرفة تلك المعلومة عن مكان وجوده المحتمل على أية حال.

قالت هينامي: «اتصل الفيكونت يون. قال إن الوقت قد حان لكي تستقلّي العبارة إلى كوريا».

الأخبار تعني أن تشيريونج لا بُدَّ وقد هربت بأمان، الأمر الذي جعل سونام أسعد ممّا كانت عليه عندما كانت تفكّر في السيد الشاب. وعندما لم تفارق الابتسامة شفّتي سونام، ابتسمت خادمتها أيضًا.

قالت: «هل أنت مسرورة جدًا؟ كنت تشعرين بضجر شديد، أليس كذلك؟». قالت سونام وهي تلتقط وعاء الأرز وعيدان تناول الطعام: «أتطلّع إلى بدء رحلتي. شكرًا لك على الاعتناء بي».

صبّت هينامي الشاي في فنجان صغير ووضعتة على صينية حتى تشربه، وقالت: «الوداع يمكن أن يتأجل قليلًا، لأنني سأرافقك على طول الطريق إلى بوسان».

قالت سونام: «حقًا؟ سيكون من الرائع السفر معًا».

كلمات سونام كانت صادقة. لعبت هينامي دورًا فعالًا في تمكينها من لعب دور تشيريونج. خلال الشهر الماضي، أصبحتا مقربتين.

- متى قال والدي إنه سيأتي؟

- غادر الفيكونت يون أولًا، أمس.

لم تعرف سونام مقدار ما تعرفه المرأة الأخرى وكانت خائفة جدًا من السؤال. يبدو أنها تعدُّ سونام ابنة الفيكونت هيونجمان الحقيقية، لكن عندما رأت سونام النظرة الحادة من زاوية عينها، تساءلت إن كانت تعرف كل شيء، وإذا كانت حارستها أكثر من كونها خادماتها.

كان نسيم البحر دافئًا. استراحت سونام في فناء النزل فيما حزمت هينامي حقائبها، وأجرت الاستعدادات النهائية. وبينما جلست هناك، فكَّرت سونام في ما قاله الفيكونت لها في منزل السيدة سوزوكي: «حتى تعودي من كتيبة النساء، عليك أن تتصرفي مثل يون تشيريونج. إذا كشفت سرَّك أو كشفت هويتك للآخرين، فسيكون اتفاقنا لاغياً وباطلاً، وسيتعين عليك سداد كل ما كلفني».

لم يكن من الصعب كما اعتقدت في البداية أن تبدو مثل تشيريونج. إذا كان هناك شخص واحد يمكن أن تقلده سونام -التي كانت بجانب تشيريونج لأكثر من عشر سنوات- فهو سيدتها. كان الأمر مُربكًا في البداية، لكن كلما عاملتها هينامي باحترام وتوقير، كما لو كانت في الواقع تشيريونج، أصبحت كلمات وأفعال سونام أكثر عفوية.

ستقام مراسم توديع كتيبة النساء في ساحة محطة بوسان، فيما ستقام مراسم المغادرة في محطة سيول.

في أثناء انتظارهما، أقامت سونام مع الفيكونت هيونجمان في جناح خاص في الطابق الثاني من فندق محطة بوسان لمدة أربعة أيام. واصلت هينامي، التي لم تترك جانبها قط طوال الوقت الذي وُجدتا فيه على متن العبارة، خدمتها في الفندق. كان الفيكونت مشغولًا بالتحضير لهذا الحدث، وكانت سونام منشغلة بالتحضير لمقابلة مع صحيفة «ماي شينبو»، الصحيفة الناطقة بلسان الحكومة العامة، والتدرب على خطابها في احتفال الوداع، حيث اختيرت للتحدث نيابة عن فتيات أخريات. كتب الفيكونت هيونجمان

الخطاب، لكن بينما كانت تتدرّب على إلقاء خطابها، سرى الدفء في قلبها كما لو أن المحتويات كانت أفكارها الخاصّة.

سُجّري المقابلة الصحفية في اليوم السابق لاحتفال الوداع. كان هذا أول حدث رسمي لها بصفتها تشيريونج، ولو أثار الشكوك هناك، فسيكون كل شيء عبثًا. كان الأمر يتعلّق فقط بالتحدّث بإجابات معدة مسبقًا على أسئلة معدة مسبقًا، لكنها ظلت مستيقظة طوال الليل تكرر مرارًا، رغبةً في عدم ارتكاب أي خطأ.

في يوم المقابلة، لم تتمكّن سونام من تناول وجبة الإفطار. كانت تفتقر في كثير من الأحيان إلى الطعام في حياتها، لكن هذه كانت المرّة الأولى التي تفتقر فيها إلى الشهية. جعلها ذلك تبتسم قليلاً لأنها كانت بالضبط من نوعية الشكاوى التي تستحق أن تتقدّم بها ابنة الفيكونت.

قال لها الفيكونت هيونجمان: «إذا كنتِ لا تستطيعين ابتلاع الأرز، فعلى الأقل تناولي بعض الحساء لتحافظي على قوتك». (ثمّ التفت إلى الخادمة) سيدة هينامي، أحضري لها بعض الحساء».

كان يجلس مقابل سونام، يقرأ الجريدة ويشرب القهوة. على الرغم من أن هينامي كانت تشاهد، وكان الفيكونت يلعب دور الأب فحسب، إلا أن سونام اختنقت عندما سمعت الفيكونت يتحدّث إليها بموَدّة شديدة.

بعد الإفطار، أخرجت هينامي ثوبًا من قطعتين من حقيبة تشيريونج، والتي أحضرتها سونام من كيوتو. كان شيئًا اشترته تشيريونج لأن جيونجيو لم يكن مرتاحًا لملابسها الفاخرة. تذكّرت المرّة الأولى التي ارتدت فيها سيدتها الفستان، وكيف غادرت المنزل ترفرف كالفراشة.

الفستان المكوّن من قطعتين مع بلوزة بيضاء كان يناسب سونام أيضًا. بعد شهر من تناول الطعام والنوم الجيد، أصبحت بشرتها فاتحة، ويدها ناعمتين، ولم تكن ثمة حاجة إلى وضعهما في الماء إلا عند الاغتسال. حدّقت سونام إلى انعكاسها في المرآة. رفعت يدها وربّبت خدّها الذي كان ناعمًا وورديًا مثل خوخة.

بعد ذلك، تدرّبت على تعبيرات وجه تشيريونج. تعبير فخور مع عيين منخففتين، تعبير رسمي، تعبير فاتر عند الغضب.

ظهر وجه هينامي فجأة في المرأة.

انتشرت ابتسامة مرحة على وجه سونام.

نادت: «سيدة هينامي!».

استدارت هينامي عند نداء سونام. في تلك اللحظة، تحوّل تعبير وجه سونام إلى تجعيدة، وقالت: «ألا ترين أن هذه البلوزة مجعّدة؟ بسرعة، أعطيني شيئاً آخر».

بدت المرأة مندهشة، وقالت: «هذا الثوب الأبسط. قال الفيكونت إن عليك ارتداء ملابس بسيطة».

ردّت سونام: «إذن اكويها جيداً. هل تريدين منّي أن أرتدي ملابس مجعّدة من أجل المقابلة؟».

انحنت هينامي، وبدا أنها مرتبكة من سلوك سونام البارد. في البداية، كانت سونام ستتظاهر بالغضب فحسب ثمّ تكشف أنها كانت تمزح، لكن رؤية ردّ فعل المرأة أعطاهما شعوراً بالمتعة لم يساورها سلفاً. خطر ببالها فجأة أنها كانت تعامل هينامي بوصفها رئيستها حتّى تلك اللحظة. حافظت سونام على تعبيرها البارد، وخلعت بلوزتها وناولتها إياها.

لأول مرّة منذ أن تولت دور ابنة الفيكونت، اعتقدت سونام أنها ربما يمكن أن تمثّل سيدتها، وتضائل قلقها بشأن مقابلة المراسل الصحفي.

خلال المقابلة، جلس الفيكونت هيونجمان بجانب سونام، واستطردت في إجاباتها عن الأسئلة. اعتقدت أنه سيكون من الصعب عليها وجود الفيكونت في أثناء المقابلة، لكنها بدلاً من ذلك، شعرت بالدعم، كما لو كان والدها الحقيقي بجانبها. عندما سألتها المراسل عن مشاعرها الراهنة، فاجأها السؤال؛ لأنها لم تكن إحدى الأسئلة المجهزة مسبقاً. خيم الصمت مدّة كافية حتّى إن المراسل كرّر سؤاله.

بعد أن استنشقت عدّة أنفاس عميقة لتجميع أفكارها، قالت سونام: «بالطبع أنا حزينة لترك والدي ومنزلي ومتوتّرة للذهاب إلى هذا المكان البعيد. ولكن، يسعدني ويشرفني أن أكون إحدى العضوات الأوّليات في الكتيبة النسائية لعزاء الجيش الإمبراطوري، المكرّسة لخدمة الإمبراطور والبلاد. وما دمت سأغادر من أجل الإمبراطورية اليابانية العظمى، ومن أجل والدي، وكذلك من أجل نفسي، فسوف أغادر بابتسامة على وجهي بدلًا من الدموع. سأبذل قصارى جهدي وأعود بصحة جيدة، حتّى أتمكّن من الاستمرار في خدمة الجيش الإمبراطوري في حربه المقدّسة».

هدأ صوتها المرتعش تدريجيًا، وغمرتها الثقة. في الواقع، بينما كانت سونام تتحدّث، لم تعد تشعر وكأنها تلعب دورًا - كانت تشير يونج. شاهدها الفيكونت هيونجمان بذهول. التقت عينا سونام وعيناها، وتجدّثت دون أن تشيح بعينيها بعيدًا: «أنا ممتنة لوالدي لمنحي هذه الفرصة. بابا، من فضلك ابقَ بصحة جيدة مدّة طويلة جدًّا حتّى أرجع».

في الثامنة صباحًا من يوم السادس من مارس 1939، بعد مراسم الوداع، استقلّت فتيات تتراوح أعمارهن حول السادسة والعشرين القطارَ السريع المتجه إلى سيول، مرتديات سراويل العمل السوداء والسترات المبطنّة التي تصل إلى خصورهن. كانت كل واحدة منهن ترتدي وشاحًا على كتفها، مطرّزًا بالكلمات: «الكتيبة النسائية لعزاء الجيش الإمبراطوري، الدفعة الأولى». وهتفت حشود من الناس وصفقت تعبيرًا عن تقديرهن.

ودّعت عضوات كتيبة النساء أفراد عائلاتهن الذين كانوا يتدلّون مثل عناقيد العنب من نوافذ القطارات. وكان مسألة المغادرة أصبحت الآن حقيقة، انفجرت الفتيات وعائلاتهن في النحيب. بكت الأمهات بشدّة كما لو أنهن يودّعن بناتهن إلى الأبد. جالت سونام بعينيها في المكان بحسد. لم يكن لديها أحد ليودّعها. هينامي ودّعتها ذلك الصباح في الفندق، والفيكونت الذي كان متوجّهًا معها إلى محطة سيول، كان قد استقلّ عربة الدرجة الأولى مع ضباط الرابطة الكورية للتعبئة الكاملة للروح الوطنية.

على الرصيف، أعرب الفيكونت هيونجمان عن ولائه للحكومة العامّة بإرسال ابنته بصفتها إحدى العضوات الأوّليات في كتيبة النساء، معلناً أنه لا يريد أي معاملة خاصّة لها. منذ تلك اللحظة فقد الاهتمام بـ «ابنته» وكأنه يُظهر أنه يضع عزمته موضع التنفيذ.

فتاة صغيرة تجلس في نهاية المقصورة لفتت انتباه سونام، فيما كانت تراقب الآخرين وهم يودّعون عائلاتهم. أمّا الفتاة، التي بدت أصغر منها بثلاث أو أربع سنوات، فبدت مألوفة. كانت ترتدي وشاحاً قطنياً ملفوفاً حول رقبتها، ويبدو -مثل سونام- أنه ليس لديها عائلة لتودعها. أين رأتها من قبل؟ بعد أن أجهدت عقلها، أدركت سونام أنها لمحتها على متن السفينة من شيمونوسيكي إلى بوسان قبل أيام قليلة.

على متن السفينة، تقاسم سونام وهيئامي قمرة من الدرجة الثانية مع سبع أو ثماني يابانيات كن قد دخلن أولاً وكن يسترحن في أنحاء القمرة. سونام، التي أبقت فمها مطبقاً خوفاً من أن تنكشف، صعدت إلى سطح السفينة، مستخدمة دوار البحر ذريعة.

بينما كانت سونام تراقب طيور النورس وهي تحلق حول السفينة، والأمواج تتصادم في رغوة بيضاء، شعرت بشخص يراقبها، والتفتت لتنظر. كانت تقف هناك فتاة تبلغ من العمر ستة عشر عاماً تقريباً، ترتدي وشاحاً قطنياً. نظرت سونام حولها لكنها لم تر أي عائلة رفقتها. هل هي على متن السفينة وحدها؟ ساورها الفضول، وفكّرت في التحدّث معها، لكنها قاومت رغبتها إذ تبعتها هيئامي إلى سطح السفينة. لن تتحدّث تشيريونج أبداً مع طفلة مثل هذه ترتدي ملابس رثة.

لا بدّ أنها كانت على متن السفينة في طريقها للانضمام إلى كتيبة النساء. هل كانت عائلتها في اليابان؟ تألم قلب سونام من النظرة الفارغة على وجه الفتاة. كانت نظرة تشبه الشعور داخل قلبها. لكنها سيطرت على نفسها. أنا لست كيم سونام، أنا ابنة الفيكونت، يون تشيريونج. يجب ألا أتخلّى عن حذري الآن، بعد أن سار كل شيء على ما يرام. أنا والفتاة مختلفتان، وتشيريونج لن تتعاطف مع مثل هذه الطفلة.

أعدت سونام تركيزها مرّة أخرى إلى الأشخاص خارج نافذتها، وجلست وظهرها مستقيم، متخيّلة تشيريونج في ذهنها. يجب ألا تقلقي بشأن الأشخاص من حولك كأنك وحيدة في العالم. رفعت ذقنها قليلاً وخفضت عينيها، وجفلت من رؤية فتاة أخرى تجلس الآن مقابلها وتحذّق إليها، ولم ترفع عينيها عن سونام مطلقاً.

سألت سونام: «لماذا تنظرين إليّ هكذا؟ هل لديّ شيء على وجهي؟».

قالت البنت: «إنه أنت، أليس كذلك؟ ألا تتذكّرينني؟» واحمرّ وجه الفتاة خجلاً. في حيرة من أمرها، تساءلت سونام إذا كان هناك من تعرف عليها بالفعل. سألت: «من أنت؟».

قالت الفتاة بحماس: «في مثل هذا الوقت من العام الماضي، في القطار المتجه إلى بوسان، أعطيتني بيضة ومشروب صودا».

تذكّرت سونام الأمر الآن. وتذكّرت أيضاً أن والدة الفتاة ظنّت خطأ أنها طالبة، وبما أنهما لم تتبادلا الأسماء مطلقاً، فلا بدّ من أن الفتاة تعتقد الآن أنها كانت تشيريونج من التقتها في القطار.

كانت الفتاة لا تزال قدرة المظهر، لكنها بدت أكبر سنّاً وأنظف، وأطول وأكثر اكتنازاً.

- أجل، أتذكّر. ما اسمك مرّة أخرى؟

- بوني.

- صحيح، يا بوني. كبرت كثيراً في عام واحد.

- لم أتعرف عليك عندما كنت تتحدّثين أمام الجميع سابقاً، لكن الآن، عندما جلست ورأيتك، تذكّرت. (وابتسمت بوني بسعادة). أنا سعيدة حقاً بلقائك مرّة أخرى بهذه الطريقة.

بفضل الوجه المألوف، عادت ثقة سونام. مع وجود بوني بصفتها شاهدة، فإن هويتها كطالبة في الخارج ستعود إلى عام كامل، وهو تأكيد إضافي على أنها كانت بالفعل يون تشيريونج، إذا بدأ أي شخص في الشك.

قالت بوني: «الآن، أشعر بالارتياح. إذا كان ثمة شخص مهم مثلك ذاهب للخدمة، فلا بدّ أن يكون الأمر على ما يرام».

استقامت كتفا سونام بكل فخر. سألت: «هل ودعتك أمتك؟». فجأة، بدت بوني متجهمه، وقالت: «أمي لا تعرف أنني هنا». سألتها سونام: «كيف ذلك؟».

انحنت بوني مقتربة منها، وهمست: «سأحلُّ محلَّ ابنة السيد الذي أخدمه». شعرت سونام بقلبيها وكأنه سقط من صدرها. في تلك اللحظة، اهتزَّ القطار عندما غادر المحطَّة. بوني، التي كان تميل إلى الأمام، ارتجفت إلى الوراء وسقطت. هرعت الفتيات الأخريات إلى النوافذ، ونظرت بوني، التي استعادت مقعدها، بحسد إلى الأخريات وهنَّ تودَّعن عائلاتهم. استخدمت سونام الإلهاء لتهدئة قلبها المضطرب. لم تكن تريد حتَّى معرفة كل تفاصيل وضع بوني، الذي كان يشبه وضعها تمامًا.

أفراد الأسرة الذين كانوا يتشبَّثون بالنوافذ طاردوا القطار ثمَّ تخلَّفوا تدريجيًّا عن الركب. وقد ترك الوداع جوًّا كثيبًا في عربة القطار. حتَّى يوم أمس، كانت معظم الفتيات بنات معدومات القيمة لأسر فقيرة. وقليل منهن قد عبرن عتبة مدرسة أو غادرن خارج حدود قراهنَّ.

دخل إلى المقصورة رجل يرتدي سترة وبنطلون ركوب خيل، ويحمل مسدسًا إلى جانبه، ويتبعه جنديان. وعندما ضرب الرجل، الذي كانت قبعته مضغوطة فوق رأسه، على الحائط بعصا، شاب التوتُّر الجوُّ الكثيب. ووقف بجانبه الجنديان المسلحان بالسيوف. يبدو أن الجنديين -لم يكن من الممكن معرفة إن كانا يابانيين أم كوريين لأنهما لم يتحدَّثا- في العشرينات من عمريهما، تقريبًا في عمر الفتيات الأكبر سنًّا.

أخاف ظهور المسلحين الفتيات، لكن بعد مدَّة هدأت الفتيات عندما سلَّم الجنود كل واحدة منهنَّ كرة أرز، رغم أنها كانت باردة مقارنة بالدفء الذي ساد حفل الوداع. استمرَّ الرجل الذي يرتدي ملابس ركوب الخيل في مراقبتهم وهنَّ يأكلن، حتَّى ذهب هو وأحد الجنديين إلى المقصورة التالية. أمَّا الجندي المتبقي، وهو شاب بدأ شعر وجهه ينبت منذ مدَّة قصيرة، فكان يحرس الباب وينظر نحو السقف بدلًا من النظر إليهنَّ.

في البداية كانت الفتيات هادئات، لأنهن كن خجولات وخائفات من الجندي، لكن بعد مدة، بدأت الفتيات يتحدثن معًا، ويسألن بعضهن بعضًا عن مسقط رأسهن وأسمائهن وأعمارهن. رفعت الفتيات اللاتي تهامسن في أذان بعضهن البعض أصواتهن عندما لم يتلقين أي تحذير من الجندي، وسرعان ما أصبح القطار صاخبًا مثل عش طيور السنونو في يوم ربيعي. حتى إن البعض مازح الجندي، ويبدو أن الشاب ذا الوجه الأحمر لم يمانع ذلك المزاح المرح. ومع مرور الوقت، هدا الحديث في النهاية فيما انجرفت الفتيات إلى النوم. لم ينامن إلا لمامًا في الليلة السابقة، وكان الجميع منهكات من التدرّب على الحفل منذ الفجر. جابت سونام بعينيها في أنحاء عربة القطار الساكنة. لم تنم سونام جيدًا في الليلة السابقة أيضًا، لكنها شعرت كما لو أن جسدها، الذي كان يعيش في ترف لأكثر من شهر، يمكن أن يبقى مستيقظًا بسهولة لعدة ليالٍ دون تعب.

نظرت سونام إلى بوني، التي بادلت مقعدها مع الفتاة التي تجلس بجانبها حتى تجلس بجانب سونام. كانت بوني نائمة ويدها متشققتان، مثل لحاء شجرة، بين سترتها وأكمامها. كانتا مثل يدي سونام عندما عملت سلفًا في قصر جايهوي-دونج. بلطف، أسندت رأس بوني، الذي كان يتمايل يمينًا ويسارًا، على كتفها.

وبدلاً من النوم، انبرت تفكر في المستقبل، لكنها بالكاد استطاعت أن تتخيل كيف سيكون الوضع بعد أن تظفر بحريتها. ماذا ستفعل حتى بمبلغ من المال أكبر من أي مبلغ رأتها على الإطلاق؟ لكن كان هناك شيء واحد كانت واضحة بشأنه، ألا وهو العثور على جانجهوي. ماذا سيقول السيد الشاب عندما تجده بصفتها امرأة حرة؟

بالنسبة إلى سونام، بدا أن القطار يعجل من لم شملها مع جانجهوي، لا يندفع بها نحو الجيش الإمبراطوري.

وصل القطار أخيرًا إلى وجهته، حيث غطى الثلج الأبيض العالم على مدّ البصر. لسبب ما، كانت سونام الشخص الوحيد الذي هبط. وفي المحطة،

اقترب منها رجل ملتح يرتدي قبعة من الفرو ومعطفًا، وقد غاصت قدماه في الثلج. وفجأة تعرفت على وجهه. جانجهوي!

نظر إلى سونام وصاح: «تشيريونج!».

«أنا سونام، ولست تشيريونج». أرادت أن تقول، لكن صوتها خذلها. وبينما كانت تكافح لإصدار صوت، كان قلبها ينبض بقوة مقابل صدرها. ثم أمسك أحدهم بذراعها.

مستغربة، فتحت عينيها. كانت يدها المشدودة تستريح فوق صدرها. كانت بوني تحدق إليها، يعلو وجهها القلق. كانت سونام جزعة أيضًا، على أمل أنها لم تتحدث في أثناء نومها.

سألت بوني: «هل راودك حلم سيئ؟».

سألت، تحاول تغيير الموضوع: «أين نحن؟».

ردت بوني: «اجتزنا جيونجسان منذ مدة».

تنهدت سونام ونظرت في أرجاء المقصورة. كانت بعض الفتيات ما زلن نائمات، وبعضهن كن يتحدثن مع أصدقائهن الجدد.

قالت سونام: «حلمت أنني كنت أتلو القَسَم في حفل الوداع ولكني لم أستطع إصدار صوت. لا بُدَّ أنني متوترة». تفاجأت سونام بمدى سهولة اختلاق الكذبة.

قالت بوني: «لم أعرف أي شخص عظيم مثلك يرتجف. لم أستطع حتى أن أتخيّل القيام بشيء كهذا الذي فعلته، لكنك كنت رائعة في الحفل». مرةً أخرى، وجدت سونام نفسها تستمتع بالثناء الذي تلقته بصفاتها تشيريونج.

قالت: «تدرّبت كثيرًا. إذا تدرّبت مثلي، يمكنك أن تفعلي الشيء نفسه».

ابتسمت بوني بإشراق، وقالت: «حقًا؟ وها أنا أجلس بجانب شخص درس في الخارج. أشعر كأنني بالفعل في طريقي إلى ذلك. ماذا درست؟».

كان سؤالًا غير متوقَّع، لكن الإجابة خطرت في رأسها دون تفكير: «الإنجليزية».

- ما هذه؟

- هذه اللغة التي يتحدثون بها في إنجلترا وأمريكا.

- هل يعني ذلك أنك تستطيعين التحدث باللغة اليابانية، ولغات أخرى أيضاً؟ أنت مذهلة!

احمرّ وجه سونام خجلاً من جرّاء الثناء المستمرّ.

قالت: «هذا لطف منك أن تقوليّه. من فضلك، ناديني أونى. لنكن مثل الأخوات».

أومأت بونى فى امتنان: «أنت محظوظة. عندما كنت أعيش فى مسقط رأسى، باعت أمى الشعر وأرسلتني إلى المدرسة، لكن والدي كان يشرب. اقتحم فصلي الدراسي، وجرّجرتني إلى الخارج قائلاً إنه لا فائدة من أن تدرس فتاة».

مع تغير دفة الموضوع، شعرت سونام بارتياح مشوب بالندم. كلما تحدّثت بونى عنها بصفقتها تشيريونج، شعرت بالقلق من أن يزل لسانها. تنهّدت بونى، وقالت: «هل تتذكّرين كيف وصفتني أمى بالفتاة الطيبة لأنني ذهبت للخدمة في منزل شخص آخر لدفع ثمن دواء أبيها؟ كانت تلك كذبة. لقد باعني أبي».

لم تفلح سونام فى التفكير فى شيء لتقوله. بيعت بدورها فى سن السابعة، حتّى لو رحلت بكامل حريتها - لكن تشيريونج لم تكن تعرف شيئاً عن ذلك.

سألت سونام وهى تغير الموضوع بلطف: «ماذا قصدت عندما قلت إنك أتيت بدلاً من ابنة سيدك؟».

- ابنة سيدي تدرس فى المدرسة الثانوية، لكنها متأخرة فى دراستها. أرادت أن تترك الدراسة فتطوّعت فى كتيبة النساء. كان المنزل فى حالة من الاضطراب، وقال السيد إنه ما دام دفع ثمن شرائي، فعليّ أن أفعل ذلك لأرُدّ له ذلك، وأنه سيُلغى الدين إن ذهبت. لم أخبر عائلتي، لأن أمى قد تكون ضد ذلك. أنا لا أمانع. كل المال الذي أكسبه هناك ملكي. وقالوا إنهم سيساعدونني فى الدراسة ويعلمونني مهارات التمريض. (وانداح

بصيص من الأمل على وجهها). إذا ذهبت إلى هناك ودرست، حتى لو لم أكن جيدة مثلك، فعلى الأقل سأكون قادرة على الهروب من الجهل. سونام، التي كان عليها أن تكذب حتى في ما يتعلق بأحلامها، غارت من شخص مثل بوني يمكن أن يكون على طبيعته دون تردد.

عاد الرجل الذي يرتدي بنطلون ركوب الخيل يظهر مرّة أخرى. وبعد التأكد من استيقاظ جميع الفتيات، أخبرهن أنه يتوقّع منهن تعلّم الكيمياء؛ النشيد الوطني الياباني، وتلاوة قَسَم الرعايا الإمبراطوريين، والتعهد بالولاء لليابان. وكانت الفتيات اللاتي التحقن بالمدرسة أو تلقين دروسًا على يد عُمدٍ قراهنّ يعرفن على الأقل الخطوط العريضة، لكن معظمهن لم يعرفنها على الإطلاق.

أضاف: «لقد تخطّينا تلك الإجراءات في حفل الوداع، لكن يجب ألا يحدث ذلك في حفل المغادرة. سأجري الاختبار الأول بعد أن نمرّ بمحطة دايجون. ومن لا تنجح، لن تحصل على الغداء».

تبدّى القلق على كل وجه.

فسأل بحزم: «من ستكون أول من تحاول؟ إن قمتم بعمل جيد، ستكافأ». وخزت بوني سونام في جنبها.

تذكّرت سونام بشكل مشوّش تشيريونج تتلو القَسَم، لكنها لم تتذكّر الكلمات بالضبط. بصفتها طالبة، كانت سيدتها بحاجة إلى حفظ النشيد الوطني والقَسَم، ولكن كل ما كان على سونام فعله الانحناء بشكل صحيح في الاتجاه الذي يعيش فيه إمبراطور اليابان.

حثتها بوني: «أوني، عليك أن تفعلي ذلك. سوف يعطون جائزة».

أصبح العالم مظلمًا أمام عيني سونام، والعرق يتقاطر على ظهرها. هل ستنفصح هويتها بهذه السرعة؟ تخيلت نفسها يجرّها الجنود بعيدًا أمام الفتيات الأخريات. بعد الطريقة التي نظرن بها إليها، ومدحنها، لم ترغب في أن يعرفن - لا سيما بوني - الحقيقة.

ثم وقفت إحداهن وتطوعت منقذة سونام من مخاوفها.

غنت إيكو، التي قالت إنها تخرّجت في المدرسة الابتدائية، النشيد الوطني وتلّت القسم بطريقة تليق بطفلة كورية اتخذت اسمًا يابانيًا. أوما الرجل الذي يرتدي بنطلون ركوب الخيل كما لو كان راضيًا. في ذهنها، انحنت سونام لإيكو، التي أنقذتها دون قصد.

سّم الجندي نسخًا من النشيد الوطني والقسم الإمبراطوري. كان ثمة ثلاث فتيات يعرفن اللغة اليابانية، بما في ذلك سونام، لذلك تجمّعت الأخريات حولهن. ولحسن الحظ، كانت سونام تعرف بالفعل لحن النشيد الوطني، وكانت قادرة على قراءة القسم بطلاقة، ما جنبها إثارة الشكوك.

أدركت لحظتها أنها كانت واثقة من نفسها أكثر من اللازم، وأنه سيكون هناك بالتأكيد المزيد من الأزمات الشبيهة في المستقبل. اعتقدت أنه سيكون من السهل التظاهر بأنها تشيريونج، لكن بالنظر إلى الوراء، أدركت أنها تمكّنت، بفضل الفيكونت، من الوصول إلى هذه النقطة دون أي مشكلات تذكر. من الآن فصاعدًا، سيتعيّن عليها أن تثبت مرارًا أنها يون تشيريونج، دون دعم الفيكونت. ولم تكن بوني شاهدة مثالية أيضًا. أي تفاصيل صغيرة قد تجعلها مصدر اشتباه. وفي النهاية، قرّرت أن أفضل طريق لها للمضي قدمًا هو التقليل من حديثها لتجنب ارتكاب الأخطاء.

امتلاً الجزء الداخلي من القطار بأصوات الفتيات اللاتي يحفظن للاختبار. تدربت سونام بصمت حتى شعرت بالثقة، وبدأت في غناء الكلمات وتلاوتها كما لو كانت تعرفها بالفعل طوال الوقت. وعندما وصلن إلى محطة سوون-المحطة الأخيرة قبل سيول- حتى الفتيات اللاتي عوقبن بعدم تناول الغداء كن قد اجتزن الاختبار، على الرغم من أن الأخريات قد تقاسمن سرًا بعضًا من كرات الأرز والفجل المخلّل حتى لا تجوع إحداهن.

عندما وصل القطار إلى المحطة، وضعت الفتيات الأوشحة التي فككتها سلفًا، على أكتاف بعضهن بعضًا مجددًا في أثناء ترديد النشيد الوطني والقسم بصوت خفيض. كانت معظم الفتيات متحمّسات لأن هذه ستكون المرّة الأولى التي تطأ فيها أقدامهن سيول.

وكانت سونام، التي كانت سيول مسقط رأسها، أسعد. كانت تشتاق لزيارة قصر جايهوي-دونج وتوديع الخادمت الأخریات. استحال ذلك. لكن ربما نُشر مقال حول مقابلتها في الصحيفة هذا الصباح، لذا ربما تأتي سيادتها إلى المحطة؟ أو بدلاً من الليدي جواك، التي نادراً ما تخرج، ربما سورين، التي كانت مربية تشيريونج. فكرة اللقاء وجهاً لوجه مع سورين جعلتها تشعر بمزيج من الرعب والأمل. خائفة من أن المرأة التي كانت مثل الأم ستكتشف الحيلة، لكنها تأمل أن تراها مرة أخرى أخيرة قبل المغادرة.

وحتى لو اكتشفت سورين الحقيقة، فستبقي الأمر سرّاً من أجل تشيريونج. كما اتضح لاحقاً، كانت كل تدريباتهن بلا جدوى. وعندما توقّف القطار، وردت أنباء عن إلغاء الحفل بسبب الانتشار الطارئ للطاغم العسكري. وبدلاً من ذلك، ترجّلت عضوات كتيبة النساء من عربات القطار لالتقاط صورة جماعية على الرصيف ثم نُقلن إلى قطار عسكري سيأخذهن شمالاً. هذه المرة، الأشخاص الوحيدون في المحطة الذين ودّعوهن هم الفيكونت هيونجمان وضباط آخرون من الاتحاد الكوري.

غادر القطار العسكري بعد مدّة وجيزة. نظرت سونام إلى النافذة، التي لا يمكن رؤية أي شيء خارجها من خلال الورقة الصفراء التي تغطّيها، وتعهّدت للفيكونت الذي لا بُدّ وأنه بالخارج:

أبي، سأقوم بدوري بأمان، وأعود.

الفصل الثاني عشر

صباح متقلِّبٌ

سأل جونباي تشيريونج: «هل حقًا لن تأتي إلى عرض عشاء تشيبا ميدوري؟».

تيراو هيكاري، وفقًا لأوراق سفرها، كانت تتكى على رأس سريرها، وتقلِّب في إحدى المجلات. كانت تشيبا ميدوري، الممثلة ومغنية الإنكا⁽¹⁾، تتمتع بشعبية كبيرة لدرجة أنه تمّ التفاوضي عن تاريخها السابق بصفتها امرأة غيشا. سيكون اليوم عرض العشاء الوحيد لها على متن السفينة، حيث كانت في طريقها لتقديم عروض للضيوف في سان فرانسيسكو ولوس أنجلوس. وبطبيعة الحال، كان هذا امتيازًا يُمنح فقط لرُكَّاب الدرجة الأولى.

ردَّت تشيريونج: «كم مرّة يجب أن أقول إنني لن أذهب؟ ومن يهتمُّ بتشيبا ميدوري؟».

(1) الإنكا: نوع من الموسيقى اليابانية مشابهًا للموسيقى اليابانية التقليدية من حيث الأسلوب. ومع ذلك، الإنكا الحديثة شكل موسيقي حديث نسبيًا، يتبنى أسلوبًا موسيقيًا أكثر تقليدية في غنائه من موسيقى الريوكوكا، التي كانت شائعة خلال سنوات ما قبل الحرب (المترجم).

كانت خيبة الأمل واضحة على وجهه. بصرف النظر عما قالته تشيريونج، لم يتساءل جونباي أو يحتج مطلقاً، لكنه ما انفك يكرّر السؤال نفسه. مراراً وتكراراً.

مع تنهيدة، نظر إلى المرأة وغسل يديه قبل أن يغادر.

حالما أصبحت تشيريونج بمفردها، ألقت المجلة على الأرض، ونهضت من السرير، وجلست إلى مائدة صغيرة، لكنها كبيرة بما يكفي لشخص واحد. أسندت رأسها إلى السطح، وضربت المائدة بكلتا قبضتيها وأطلقت بعضاً من إحباطها المكبوت. كانت التذكرة مكتوباً عليها الدرجة الأولى، لكن الغرفة كانت لا تزال متواضعة جداً. عُلق سريران مفردان على الجدران من كلا الطرفين، مع وجود مائدة بينهما. كان هناك مغسلة ومرآة على أحد الجدران، ولا توجد منضدة زينة منفصلة، حيث لعب الرف الموجود أسفل المرآة هذا الدور. في الجدار المقابل لسفح الأسرة، كانت ثمة خزانة لا تكاد توجد مساحة لفتحها، وكان المراض والحمام خارج الغرفة مشتركين.

عندما رأت القمرة في اليوم الأول على متن السفينة، استفردت بها الصدمة. نظراً لأنهما زوجان، كان تقاسم القمرة أمراً لا مفرّ منه، لكنها توقّعت الحصول على جناح به غرفة نوم منفصلة وغرفة معيشة، مجهّز بحوض استحمام ومرحاض خاصّين.

كان حجم السفينة ضعف حجم العبّارة التي أقلّتها رفقة سونام من سيول إلى كيوتو، لكن حجم القمرة كان أقل من الثلث. عندما فكّرت في العبّارة، اغرورقت عينا تشيريونج بالدموع. كم كانت متحمّسة وقتذاك لبدء حياتها الجديدة. كان ذلك قبل عام واحد فحسب، لكن تراءت لها المدّة أطول بكثير الآن. وبصرف النظر عن جيونجيو، لم يكن لديها أي ذكريات عن كيوتو، وأصبحت ذكريات حبهما إبراً تخطيط الجروح في قلبها، غرزة بعد غرزة.

ما مدى صعوبة الحياة بالنسبة إلى جيونجيو في السجن؟!

افتقدته بصورة لا تطاق.

وكان شوقها إلى صحبة سونام بالقوة نفسها تقريباً. تفتقد تشيريونج وجود صديقة تثق بها، تتحدّث معها عن مشكلاتها. حتّى إنها تحنّ إلى دوار البحر الذي تشاركنا المعاناة منه على متن العبّارة. بدا الفراغ الذي تركته

سونام، التي كانت ملتصقة بها مثل الظل منذ أن أحضرها أبيها من الريف،
واسعاً.

أين هي الآن؟

كلما تدمرت تشيريونج بشأن حجم المقصورة، بدا جونباي مرتبكاً، كما
لو أنه ارتكب جريمة خطيرة.

قال: «أنا أسف، لكن هذه القمرة باهظة الثمن بالفعل كما هي»، مذكراً إياها
بأن هناك أيضاً قمرات في الدرجة الثانية، حيث يتشارك العديد من الأشخاص
غرفة مفروشة بحصير، وقمرات في الدرجة الثالثة، حيث الأشخاص ينامون
ببساطة على أسرة معلقة مثل الرفوف على الجدران.

نظرت تشيريونج إلى جونباي بعينين متشككتين، وقالت: «ألم يمنحك أبي
ما يكفي من المال؟ هل أنت متأكد أن هذا كل ما بوسعك فعله؟».

بدا عليه الشعور بالإهانة وقال: «أنا لست من النوع الذي يفعل مثل هذا
الشيء». حجز قمرة بهذا الحجم غير معقول بالفعل بالنسبة إلى موظف بأجر
مثلي. بصفتك تيراو هيكاري، يجب أن تكوني على دراية بهذه الحقيقة. حتى
لو كان الأمر غير مريح، فقط تحلي بالصبر مدة من الوقت».

في حياتها بصفقتها يون تشيريونج، لم يكن جونباي قادراً على النظر
في عينيها مباشرة. الآن انبرى يعطي الأوامر لتيراو هيكاري، وبدأت دموعها
الغاضبة تتدفق مرة أخرى.

هل يعتقد أنه سيكون قادراً على التحكّم بي، فقط لأنني في سجلّ عائلته
وأحمل لقبه؟

أوضحت تشيريونج أن جونباي كان مخطئاً إذا اعتقد أنها الآن في مستواه.
ثم نظرت إليه مباشرة وفكّت أزرار بلوزتها، موضحة له كم الغرفة غير مريحة.
احمرّ خجلاً حتى أطراف أذنيه، وخرج من القمرة. بعد ذلك، فعلت تشيريونج
ما أرادت وتعاملت مع الغرفة إلى حدّ كبير كما لو كانت غرفتها وحدها.

بالنسبة إلى رُكّاب الدرجة الأولى، كانت هناك غرف اجتماعية مزينة جيداً،
وغرف تدخين، وغرف قراءة، وغرف أطفال، لكن نادراً ما غادرت تشيريونج

القمرة باستثناء وجبات الطعام. كان لعب دور زوجة جونباي مهيناً بدرجة كافية في أوقات الوجبات، وفي بعض الأحيان كانت تتظاهر بالمرض وتطلب منه إحضار طعامها. قضى جونباي معظم وقته خارج القمرة وكان يدخل بهدوء فقط لينام أو يستريح على السرير القريب من الباب.

نهضت تشيريونج من مجلسها عند المائدة، وذهبت إلى المغسلة، على بعد أقل من خطوتين. حدّقت إلى انعكاس صورتها في المرآة ولم تر نفسها، بل رأت هيكاري بوجه مسحوب وشعر مجعّد وملابس بسيطة رثّة. ندمت على عدم اغتنام الفرص العديدة التي أتاحت لها في كيوتو للهرب، وتخيّلت نفسها مختبئة في مكان ما فيما كانت تنتظر جيونجيو. كانت تكاد تسمع صوته المؤلم، وترى عينيه المشتاقتين، وتشعر بيديه المعوزتين فوق جسدها.

ومرّة أخرى اشتد غضبها تجاه والدها، وصرّت على أسنانها. سوف تنتقم منه. لن يكون قادراً حتّى على الحزن عليها علناً إن ماتت، لأنه لن تكون يون تشيريونج من ستموت بل تيراو هيكاري.

انقضت ثمانية أيام منذ أن صعدت على متن السفينة أساما، وسوف يستغرق الأمر ستّة أيام أخرى حتّى تصل إلى سان فرانسيسكو بفضل التعاون النشط من جانب الطقس. كل صباح منذ الصعود على متن السفينة، كانت تشيريونج تكرّر لنفسها بعصبية أن «اليوم آخر يوم في حياتي». الموت بطريقة عامّة صاخبة سيكون أفضل انتقام من والدها وجونباي، وبعد ذلك، سيعلم جيونجيو كم كانت مخلصّة إليه حتّى النهاية.

في حين اتخذت تشيريونج قرارها اليائس، صدر صوت هادر من بطنها. حدّقت إلى المرآة في المرآة واحتضنت بطنها. أحد أسباب عدم رغبتها في الذهاب إلى عرض عشاء تشيبا ميدوري هو أنها لم تكن لديها ملابس مناسبة لهذه المناسبة. في حالة اليأس التي كانت تعانيها، لم تحزم أيّاً من ملابسها أو مستحضرات التجميل. الملابس التي اشتراها لها جونباي في أثناء بقائها محصورة في غرفتها بالفندق أكّدت فقط كم أن حياتها بصفتها زوجته بسيطة ومثيرة للشفقة.

سألت نفسها ما إذا كانت حقاً تريد أن تموت.

قالت بصوت عالٍ وهي تجيب على أفكارها: «بالطبع».

كان منزل السيدة سوزوكي أيضًا ضيقًا وغير مريح، لكنه كان مصدر متعة وحبور عندما شاركته مع سونام، ومع وقت فراغها الذي كانت تقضيه مع سيدتها. لم تكن المشكلة تقتصر على القمرة فحسب، بل كانت تكمن فيمن تشاركها معه. إذا كانت هنا مع جيونجيو، فيمكنها حتى تحمّل حملها إلى قمرة في الدرجة الثالثة مثل قطعة من الأمتعة.

التقت وعيني المرأة في المرأة، وقالت: «سوف أقفز في البحر قبل أن أصل إلى سان فرانسيسكو، وسأقضي أيامي الأخيرة في قمرة مع جونباي. لماذا لا يجب أن أغضب؟».

في الأوقات النادرة التي كانت تغادر فيها المقصورة، كانت تشيريونج تنكمش متحاشية الأعين التي كانت تستدير نحوها. استمتعت ذات مرة بإحساس الأعين التي تتبعها في أثناء سيرها، لكنها الآن متأكدة من أنهم كانوا ينظرون إلى ملابسها المهلهلة التي لا تناسب راكبة من الدرجة الأولى، أو لأنها كانت متزوجة من جونباي الذي بدا غريبًا تمامًا عن المكان في حضرتهم.

كرهت جونباي، الرجل الذي تزوجها من أجل المال ثم تجاهلها إلى حد كبير. حتى جيونجيو، الذي عاش من أجل قضية أعظم من نفسه، كان يريد أن يضمّ تشيريونج إليه كلما التقيا، وكان يلين تحت تأثير قبلاقتها. كان هذا هو الحب. لكن جونباي لم يُظهر أي علامة على مثل هذه الأشياء، على الرغم من أنهما كانا يتشاركان الغرفة لأكثر من شهر، وكانا -على الورق- زوجين. سواء كانت سعيدة في الوضع الحالي أم لا، كانت تعلم أن الرجل يجب أن يشتهي امرأة عندما يكون بمفرده معها، وكان من الإهانة أنه لم يفعل ذلك.

خلال الرحلة التي استغرقت شهرًا، أرجأت تشيريونج نهاية حياتها يوميًا. في أحد الأيام كان الجو باردًا جدًا، وفي يوم آخر كانت الأمواج عالية جدًا، وفي أحد الأيام قدّمت تشيبا ميدوري عرضًا -رغم أنها لم تحضر- وفي يوم آخر كانت في مزاج سيئ. كان هناك دائمًا ما يمنع قفزها إلى البحر، وفي هذه الأثناء، أبحرت السفينة، ووصلت في النهاية إلى ميناء سان فرانسيسكو في اليوم المتوقع.

وقفت تشيريونج على سطح السفينة، مع جميع الأشخاص الذين عانوا من دوار البحر، وبكت فرحًا عند رؤية الأرض. حدّقت، مسحورة، إلى المدينة التي تدنو. مع التفاف الضباب حول وسطها، بدت المباني الشاهقة وكأنها مشهد من فيلم -أو ربما سراب. كان الأمر نفسه مع جسر البوابة الذهبية البعيد. بدا الجسر الأحمر الذي غمره الضباب وكأنه طريق يقود إلى الجنة. لم تتمكن تشيريونج من قمع حماسها. بدا الأمر رائعًا للغاية، ولا يضاهاى بأي شيء رآته في طوكيو، ناهيك بسيول.

ركضت عائدة إلى المقصورة، وأخرجت ما تبقى لديها من مستحضرات التجميل الضئيلة وتزيّنت بعناية بها، ثم ارتدت أفضل الملابس المتاحة من خزانها المخيبة للآمال. ونتيجة لاستعداداتها، كانا في نهاية صف رُكّاب الدرجة الأولى الذين يهبطون من السفينة.

سأل جونباي: «هيكاري، هل تتذكّرين ما قلته لك بالأمس؟».

ردّت تشيريونج على سؤال جونباي بوجه خالٍ من التعبير، وأخبرها أنه تلقى تحذيرًا من أن دخول الآسيويين كان صعبًا للغاية. في الماضي، كان الصينيون واليابانيون والكوريون يُنقلون بشكل منهجي إلى مكتب الهجرة في جزيرة أنجيل بمجرد نزولهم من السفينة، وكان من الممكن استجوابهم لعدّة أيام. حتّى إن بعضهم سُجنوا في معسكرات لعدّة أشهر قبل ترحيلهم.

قال: «يقولون إن الأمريكيين يفحصون ما إذا كانت الوثائق والعلاقة مع الشخص الذي وجّه إليهم الدعوة صحيحة. من المحتمل أن يطرحوا عليك الكثير من الأسئلة حول الأقارب الذين دعوك».

في الليلة السابقة، حاول جونباي تعليم تشيريونج ما تحتاج إلى معرفته للإجابة على الأسئلة التي من المحتمل أن تُطرح عليها. أن عمّه الذي كان بمنزلة الأب بالنسبة إليه كان مريضًا يحتضر. ولهذا السبب تزوّجا على عجل. كانت تشيريونج تستمتع إلى تلك المعلومات كلها للمرّة الأولى، ولم تعرف حتّى إذا كان أيٌّ منها صحيحًا أم لا، وبالكدّ أنصتت إليها. كانت لا تزال مقتنعة بأنها ستقفز أخيرًا إلى البحر، ولم تعتقد أن ذلك سيكون مهمًا. لكنّ عندما رأت المدينة البديعة للمرّة الأولى، أدركت أن العالم الذي كانت تحلم به أصبح ماثلاً أخيرًا أمام عينيها.

قال جونباي، وقد بدا كأنه يذكر نفسه ويذكرها أيضًا: «يجب ألا تنسي أنك تيراو هيكاري».

ضحكت تشيريونج بسخرية.

بمجرد مغادرتها السفينة، كانت تشيريونج متأكدة من أن جونباي سوف يهرب بأموال والدها. وبعد ذلك، ستعيش بصفتها يون تشيريونج. كيف؟ تساءلت في البداية، لكنها أدركت بعد ذلك الفرصة المتاحة لها: أن تصبح ممثلة في هوليوود. لم تكن تريد أو تتوقع النجاح الفوري. وبحسب ما قرأته في مجلاتها الترفيهية، فإن نجوم هوليوود لم يبدووا مشوارهم بالشهرة، بل اكتسبوها بالكفاح بأن يظهروا في أدوار صغيرة إلى أن يلفتوا انتباه المخرجين والمنتجين، ويصلوا في النهاية إلى القمة.

حتى تشيبا ميدوري كانت ذات يوم فتاة غيشا بسيطة تبيع الكحول وجسدها. إن تمكنت امرأة كهذه من النجاح، فلا يوجد سبب يمنع تشيريونج من فعل الشيء نفسه. ماذا لو كان مخرجو الأفلام أو المنتجون، الذين يبحثون عن ممثلة آسيوية جذابة مثلها، ينتظرون أمام مكتب الهجرة؟ وحتى فشلها في القفز في البحر، عدته تدخلًا من القدر من أجل الحياة الرائعة التي تنتظرها. وقف القبطان والطاقم في صفين من أجل توديع رُكاب الدرجة الأولى. في ذهنها، غدت تشيريونج مجددًا، وسارت في الممر بكرامة وأنفة، كما لو كانت ممثلة بالفعل. حمل جونباي أمتعته، وتبعته بعصبية، وبدا وكأنه خادمها أكثر منه زوجها.

وكانت المنطقة الواقعة أمام قاعة وصول الميناء ضاحجة بالناس. ومن بين رُكاب الدرجة الأولى الذين كانوا يغادرون السفينة أساما، أنهاوا إجراءات وصول الأمريكيين العائدين إلى ديارهم أولًا، يليهم الغربيين من جنسيات مختلفة، ثم الآسيويين.

هذه المرة، أخذ جونباي زمام القيادة.

كان مسؤول الهجرة رجلًا مملوء الجسم، ذا شعر ذهبي كثيف كالعشب يغطي ساعديه. استجوب المسؤول جونباي بالتفصيل عما كان يفعله في اليابان، وما الذي أتى به إلى أمريكا، ومتى سيعود، ثم تفحص بعناية المستندات قبل السماح له بالمرور.

الآن جاء دورها.

حيث تشير يونج المسؤول -الذي تخيلت أنه سيصبح قريباً أحد معجبيها- بابتسامة وسلّمت أوراقها. لم تشهد قط في حياتها موقفاً لم يكن لابتسامتها فيه التأثير المقصود، لكن يبدو أن المسؤول كان يفتقر إلى أي عضلات ابتسامة على الإطلاق، ونظر إلى المستندات متجاهلاً إياها تماماً. عندما رفع المسؤول أخيراً عينيه إلى الأعلى، تفادت تشير يونج عينيه من فرط الحرج. سألتها المسؤول عن شيء ما، لكنه تحدّث بسرعة كبيرة، وبلكنة لم تسمعها من قبل، لدرجة أنها لم تستطع فهمه على الإطلاق. أشار المسؤول إلى أوراق الزواج. يبدو أن هناك خطأ ما.

مذعورة، قالت تشير يونج بسرعة: «أنا زوجة تيراو جونباي، هيكاري». في المدرسة، كانت تنطق الإنجليزية جيداً وكانت إحدى أفضل المتحدثات باللغة الإنجليزية، لكن الآن، وهي واقفة أمام أمريكي، بدت الكلمات البسيطة مشوّهة في فمها.

وبعد أن استمرّت في تكرار الإجابة ذاتها بصرف النظر عن أسئلته، وقف المسؤول ممسكاً بأوراق تشير يونج، وطلب منها ومن جونباي أن يتبعاه. همست قائلة: «أعتقد أن هناك مشكلة في المستندات».

طلب جونباي استدعاء مترجم، وظهرت أعصابه المتوتّرة من خلال ساقيه المرتعشتين.

وسرعان ما علما أن المشكلة تكمن في تاريخ تسجيل الزواج، والذي كان بعد تلقّي جونباي دعوة عمّه، وأن اسم تيراو هيكاري لم يكن مذكوراً في الدعوة. استجوب المسؤول الاثنان بشكل منفصل، للتأكد من أنهما زوجان حقيقيان، لكن جونباي وتشير يونج، اللذين لم يستعدّا لأنواع الأسئلة الشخصية المطروحة، أعطيا إجابات مختلفة.

بعد أن قرّر المسؤول أن علاقتهما كانت احتيالية، أمر بإرسالهما على متن السفينة التالية إلى جزيرة أنجل.

من الأرض التي أبحرا لأسابيع للوصول إليها، كانا متجهين عائدين إلى البحر، ومن جزيرة أنجل، يمكن ترحيلهما في أي وقت. ساد صمت مخيف

على متن القارب، الذي كان معظمه من الآسيويين الذين كانوا رُكَّابًا من الدرجة الثالثة على متن السفينة أساما.

سألت تشيريونج جونباي: «ماذا يحدث هنا؟»، وقد وقف متجمدًا في مكانه بجانبها، غير مستجيب تمامًا.

على مسافة بعيدة، كانت أسود البحر تتشمس على الصخور تحت أشعة الشمس، فيما راحت الأمواج تتحطم من حولها. وكانت الطيور المائية تطفو هناك أيضًا. حسدت تشيريونج هذه الحيوانات التي لا يمكن نفيها أو ترحيلها. كان التيار قويًا للغاية، وقد استسلم الأشخاص الذين تحمّلوا الرحلة الطويلة من اليابان إلى الإرهاق ودوار البحر في الوقت القصير الذي استغرقه الوصول إلى الجزيرة. وعلى النقيض من اسم أنجل المفعم بالأمل، بدت الأرصفة والمباني التي يمكن رؤيتها من القارب غير ترحيبية.

كان مكتب الهجرة متصلًا مباشرة بالمرسى. كان من المقرر وضع تشيريونج وجونباي في الحجر الصحي واحتجازهما في غرف مختلفة. عندما افترقا، التفت إليها جونباي بتعبيرٍ جدّيٍّ للغاية وقال: «لا تنسي أنك زوجتي تيراو هيكاري. سأضحّي بحياتي لحمايتك».

الآن، وحيدةً وسط الناس القذرين وكريهي الرائحة، شعرت تشيريونج بالأسف لغياب جونباي للمرة الأولى.

خضع الجميع للفحص الجسدي في غرفة التحقيق. خلعت تشيريونج ملابسها أمام امرأة بيضاء، فيما تشعر بالخجل الشديد لدرجة أنها اعتقدت أنها ستموت. وبينما كانت واقفة هناك عارية، سألتها رجل برفقة مترجم سلسلة من الأسئلة. كانت هذه عملية أخرى مصممة لتأكيد ما إذا كانت وجونباي زوجين حقيقيين. عادت تشيريونج إلى رشدها وتذكّرت الكلمات التي قالها لها جونباي الليلة الماضية. ما كان على المحكّ هو ما إذا كان بإمكانها دخول المدينة التي يمكن أن تتحقّق فيها أحلامها أم سترحلّ.

قالت: «سارعت للزواج من زوجي الذي كان قادمًا إلى أمريكا لأن عمّه مريض. التقينا عدّة مرّات وتزوّجنا بعد مدّة وجيزة. في اليابان، الزيجات المرتبة تحدث هكذا».

أذهلت نفسها عندما تذكّرت على نحو مبهم بعض ما تحدّث عنه جونباي في القطار المتجه إلى بوسان قبل عام.

وواصلت حديثها: «يوكوهاما مسقط رأس زوجي. تُوفّي حماي منذ مدّة طويلة في زلزال، وتُوفيت حماتي لاحقًا بسبب المرض.. عمّه أقرب شخص لزوجي. بمنزلة الأب».

سأل المسؤول أيضًا عن المنزل الذي كان يعيش فيه الاثنان.

قالت: «كان علينا أن نغادر فور زواجنا، لذلك عشت مع خالة زوجي».

كانت تشير يونج تأمل أن تتطابق إجابتها مع ما يقوله جونباي.

سألها المسؤول عن طبيعة العلاقة الحميمة بينهما، انفجرت وقد أهانها السؤال الذي ترجمه المترجم بابتسامة متكلّفة: «العلاقات الزوجية؟! نحن عروسان. نفعل هذا كل يوم!».

خلال الأيام القليلة التالية، خضعت تشير يونج لعدّة جلسات استجواب، مكثت خلالها في النزل الواقع خلف مكتب الهجرة. في محاولة يائسة للسماح لها بدخول سان فرانسيسكو، ظلت ثابتة في إصرارها على أنها تيراو هيكاري، زوجة تيراو جونباي. وعلى الرغم من بذل قصارى جهدها، عدّ المسؤولون علاقتهما احتيالية. سُمح لجونباي، الذي كان بحوزته خطاب دعوة من عمّه، بدخول البلاد، في حين صدر أمر بترحيل تشير يونج.

جاء جونباي لرؤيتها قبل أن يغادر جزيرة أنجل، وقال: «لا تقلقي، يا هيكاري. سأتي لأخذك قبل تنفيذ قرار ترحيلك. أتعهّد بحياتي».

عضّت تشير يونج شفرتها حتّى تخفي دموعها. مذعورة وفي حيرة تامّة، اندلعت في داخلها سلسلة من الأسئلة والمخاوف.

ماذا لو أعادوني إلى كوريا؟ ماذا سيحدث لي؟

كما قال والدها، لم يكن لديها مكان حتّى تذهب إليه سوى السجن، وبعد تجربة نُزل المهاجرين، كانت لديها فكرة عمّا قد يكون عليه الأمر. وممّا زاد الوضع سوءًا، أن أملها الوحيد كان يكمن في رجل ياباني تمقته تمامًا.

الجزء الثاني

حياة تشابك

1945-1939



الفصل الثالث عشر

حلم لا ينكسر

استيقظت فتيات كتيبة النساء على صوت الجنود وهن ينادونهن. بوجوه منهكة، اتبعن تعليمات الرجال الذين يرتدون الزي الرسمي، ونزلن من القطار، وهن يحتضن حزمهن. كان الظلام لا يزال حالكا في الخارج، وكان هواء الفجر البارد يخترق ملابسهن الرقيقة. وقفت بوني بجانب سونام. أدركت الفتيات أنهن دخلن بين عشية وضحاها إلى بلد آخر؛ بلد بلغة مختلفة ومناظر طبيعية غير مألوفة. وأوضح جندي أن هذه كانت مانشوكو.

كانت مانشوكو نظامًا عميلًا أنشأته اليابان عام 1932 في لياونينج وجيلين وهيلونجيانج في شمال شرق الصين. وهو مصمم حتى يكون بمنزلة قاعدة للجنود ومن أجل توفير الإمدادات اللازمة لغزو الصين. لم تكن لدى سونام أي فكرة عن شكل مانشوكو أو حجمها، ولكن حقيقة أنها كانت أقرب إلى جانجهوي جعلها تشعر بالترحاب فيها، وتسارعت دقات قلبها. أرادت أن تسأل أحد الأشخاص عن المسافة حتى مدينة هاربين وفي أي اتجاه، لكنها علمت أن عليها أن تكون حذرة للغاية.

لن تسامح نفسها أبدًا إذا حدث شيء سيئ لجانجهوي بسببها. ويسري الشيء نفسه إذا انكشفت هويتها وما سيصاحب ذلك من فقدان الحرية والمكافأة المالية التي وعد بها الفيكونت.

عندما خرجن من المحطة، رأَت سونام مباني بُنية شاهقة على الجانب الآخر من الساحة الواسعة. وحتى في هذا الصباح الباكر، كانت ساحة المحطة مكتظة بالعربات الخشبية وعربات الريكاشة والسيارات والأشخاص الذين يحملون حقائب سفر وبائعي المواد الغذائية والباعة المتجولين. نشاز أصواتهم جعل المشهد مفعماً بالحياة. كانت الفتيات -وأغلبهن من الريف- يراقبن المشهد بتعجب، محاولاتٍ استيعاب كل شيء في أثناء تحركهن حيث يوجّههن الجنود. حتى سونام، التي عاشت في سيول مدة عشر سنوات وقطعت كل ذاك الطريق إلى كيوتو، وجدت المنظر رائعاً.

وعندما قرأت اللافتة وأدركت أنهن كن في محطة شنيانج، شعرت كما لو أن قلبها على وشك الانفجار. وفقاً لرواية لي كوانج سو، لم تكن هاربين بعيدة عن شنيانج. هل كان القدر يقودها نحو جانجهوي ولم شملها به في نهاية المطاف؟

صعدت الفتيات إلى ظهور عدة شاحنات مغطاة، مكدسات معاً مثل براعم فاصوليا في قدر بخارية. وبعد قرابة ساعة وصلت الشاحنات أمام قاعدة عسكرية. ذهبن أولاً إلى المقصف، حيث قدّم لهن الجنود الطعام. كان ثمة نوعان من الأطباق الجانبية، بالإضافة إلى الأرز الدافئ والحساء الساخن الذي يطفو فوقه الكثير من الدهون. الفتيات، اللاتي لم يأكلن شيئاً سوى كرات الأرز الباردة منذ صعودهن القطار، اصطففن على عجل في الطابور.

وفي الأيام الثلاثة التالية، تعلّمن كيفية قياس النبض، وتطهير الجروح، ووضع الضمادات. شرعن أيضاً في تعلّم اللغة اليابانية الأساسية وبعض الأغاني اليابانية. استمتعن بالعمل، وافتخرن به، وكان من دواعي سرورهن تعيينهن في وحدات الجيش، والعمل ممرضات، وعدم تفويت أي وجبة، وكسب أجورهن.

وبعد ثلاثة أيام من التدريب، بدأ انتشارهن في مختلف الوحدات. هذه المرّة، قسّموهن إلى مجموعات من عشرة إلى خمسة عشر شخصاً. تبادلن كلمات وداع لطيفة.

«كوني بخير».

«اكتبي لي».

«دعينا نلتقي لاحقًا في الوطن».

على الرغم من أنهم أمضين معًا مدة قصيرة، فإن الفتيات أصبحن مغرمات ببعضهن ببعض، وافترقن بوعود مستقبلية بدلًا من الحزن على انفصالهن. قفزت بوني من الفرحة عندما وضعوها في المجموعة ذاتها مع سونام، التي كانت سعيدة أيضًا بالبقاء بجانب شخص شعرت أنها أقرب إليه من أي شخص آخر، تقريبًا مثل أختها الحقيقية. فتاة أخرى في مجموعتهن كانت بيليو، التي أجادت الغناء وإلقاء النكات.

عندما لم تكن الأخريات يراقبن، تصرف بوني كأنها خادمة سونام -بغض النظر عن مدى محاولة سونام زجرها- قائلة: «أفعل ذلك لأنني أريد ذلك. متى كان على شخص نشأ في راحة ورغد أن يتحمل حياة كهذه؟». شعرت سونام بأنها مثقلة بكذبتها، لكن كان من الجيد أيضًا أن تُعامل باحترام. أمام الفيكونت أو هينامي، كان التظاهر بأنها تشيريونج أمرًا غريبًا ووقحًا، لكن أمام بوني، كانت طبيعية وواثقة من هذا الدور.

وفي ساعة مبكرة من صباح اليوم الرابع، استقلت مجموعتهن القطار من محطة شنيانج. هذه المرة، كان قطار شحن بدلًا من قطار ركاب. جلست الفتيات على أرضية عربة شحن مظلمة بلا نوافذ، تحت أعين جنديين مسلحين. كنَّ محاطات بالبضائع وكان عليهن الجلوس متلاصقات. من بين الفتيات، كانت سونام الأكبر. بينما بدأت عيناها تتعودان على العتمة، سألت أحد الجنود عن وجهتهم لكن جوابه الوحيد كان «باكايارو. اصمتي».

وبعد ليلة من السفر مع العديد من الانطلاقات والتوقيفات التي جعلت النوم صعبًا، وصل القطار أخيرًا إلى وجهته -محطة جيلين- حيث نقلوا الفتيات إلى سطح شاحنة نقل عسكرية.

وبينما كانت الشاحنة تسير على امتداد الطريق الوعر، هبَّت رياح باردة مشوبة بالغبار عبر شقوق غطاء القماش الممزق. حاولت الفتيات المكدسات، تثبت أجسادهن المرتجفة، فيما كن يغطين أفواههن بالأوشحة أو الأحزمة أو بأطراف ملابسهن. أصبحت المناظر الطبيعية التي يمكن رؤيتها من خلال الشقوق مقفرة باطراد مع بدء مغيب الشمس. كن يجتزن مباني محترقة ومتداعية، وفي بعض الأحيان كان صفٌّ من الجنود يقطعون الطريق،

ويتنحون جانباً للسماح للشاحنة بالمرور، فيما يطلقون صفيراً ناحية الفتيات أو يخلعون قبعاتهم ويلوحون إليهن. عندما رأت سونام جنوداً جرحى بينهم، أدركت أنهم كانوا يقودون سياراتهم عبر ساحة معركة واعتراها القلق من أن ثلاثة أيام من التدريب ربما لم تكن كافية للنساء لرعايتهم كما ينبغي.

في الأخير، أومأت بوني برأسها، وأسندت رأسها إلى كتف سونام. بينما كانت تنظر حولها لتتفقد بقية المجموعة، لاحظت سونام فتاة تجلس بشكل قطري مقابلها، مع وشاح قطني حول رقبتها. حين فكرت في الأمر، أدركت سونام أنهم لم يتحدثن مطلقاً خلال جلسة التدريب، ولم تعرف اسم هذه الفتاة أو عمرها. كانت سونام بعيدة جداً حتى تتحدث إليها، لذا ابتسمت. ظهرت ابتسامة باهتة على وجه الفتاة.

وعندما توقفت الشاحنة أخيراً، أمرهن جنديٌّ بالنزول إلى مكان حالك الظلمة بحيث لم يتمكن من رؤية أي شيء. وفجأة، أضاء مصباح يدوي في وجوههن. تخبط الفتيات الحائرات في أثناء هبوطهن من الشاحنة.

كانت صفوف المباني المترامية مثل حزم من أشجار الأرز مضاءة بالمصابيح الأمامية للشاحنة. لم تكن تبدو مثل ثكنة عسكرية. تبعت الفتيات صبيهاً بدا أنه بالكاد يبلغ من العمر ما يكفي ليكون جندياً في أحد المباني، حيث قادهن إلى غرفة ذات جدران طينية ومفروشة بحصير التاتامي. كان الضوء الوحيد صادراً عن مصباح زيتي مغطى بالسخام. لم تكن هناك تدفئة، باستثناء الجدران التي تصد الرياح.

وبمجرد دخوله، قدم الرجل نفسه على أنه كيمورا، موظف مدني في القاعدة العسكرية، وقال: «من الآن فصاعداً، سوف أعنتني بكُن».

ثم قارن أسماءهن بالقائمة التي تلقاها من الجنود الذين أحضروهن، وكأنه يقارن العناصر في قائمة جرد. تحدث كيمورا اليابانية بصرف النظر إن كانت الفتيات يفهمن أم لا، وكانت سونام تترجم.

«يريدكن أن تريه متعلقاتكن».

انتشرت محتويات حزم الفتيات على الأرضية. ومن بين متعلقاتهم -والتي كانت تتكوّن أساساً من بعض الثياب الإضافية وبعض الملابس الداخلية والجوارب والأمشاط والقفوظ الصحية- برزت كتب سونام. باتباع التعليمات

بحزم أقل قدر ممكن من الأمتعة عند المغادرة، اضطرت سونام إلى ترك الروائيتين الإنجليزيتين اللتين تلقتهما من السيدة برادلي. طلبت من هينامي، التي كانت تحزم بقية أمتعتها، أن ترسل الكتب إلى القصر في جاهوي-دونج، لكنها احتفظت بالقاموس الياباني الإنجليزي لتدرسه في وقت فراغها ورواية «معدوم القلب» لتستخدمها كخريطة تقودها إلى جانجهوي. من بين متعلقات الفتيات، الأشياء الوحيدة التي صودرت قاموس سنام وروايتها. اعتقدت أنه كان من الجيد الاحتفاظ بالجراب المعطر داخل كُمها.

أخبر كيمورا سونام أنه كان عليه التحقق من محتوى الكتب ثم قال لهن جميعاً أن يستيقظن في الصباح التالي عندما يسمعن صوت البوق وينتظرن التعليمات. وبمجرد مغادرته، توزعت الفتيات في أرجاء المكان، وفركن ظهورهن وأرجلهن المتوجعة مثل النساء المسنآت. بدا الأمر وكأن عدّة أيام مرّت منذ مغادرتهن شنيانج. كان عدد البطانيات الرقيقة قليلاً جداً، وكان الهواء في الخارج بارداً، لذلك لم يكن أمامهنّ خيارٌ سوى مقاومة البرد بالاحتماء بعضهن ببعض. نامت الفتيات وهنّ يحتضن بعضهنّ، وكُنّ يتأوّهنّ في نومهنّ.

جافى النوم سونام. شعرت أن كتبها قد تعرضت للسرقة. وتمنّت أن يكون الرجل قد قال الحقيقة، وأن تستردّهما في الصباح. التصقت بوني بها. كان الجو خانقاً وغير مريح، لكنه دافئ، لذا لم ترغب في دفعها بعيداً. ذكّرها ذلك بالنوم مع تشيريونج في غرفة التاتامي في كيوتو، وهو ما شعرت به وكأنه قد حدث منذ وقت طويل جداً.

هل كانت سيدتها بخير؟ كيف حال جيونجو؟ هل سيزعجها أم يمتعها حقيقة أن سونام تمثّل أنها هي؟ افتقدت سونام تشيريونج أكثر من أي وقت مضى.

في الصباح، عندما دوى صوت البوق، نهضت الفتيات ذوات الأذان الحادة أولاً وأيقظن البقية. بعد قضاء ليلة في الغرفة الباردة، كانت وجوههن شاحبة ومشدودة. طوين أفرشتهن، ثم اصطففن، وهنّ يتبادلن أطراف الحديث في

أثناء انتظارهن. عندما فتحت سونام، التي كانت فضولية بشأن القاعدة، الباب، اندفع هواء بارد إلى الداخل. تحلقت الفتيات كلهن خلفها ونظرن. كانت الأكواخ المكوّنة من طابقين والأكواخ المكوّنة من طابق واحد تقف في صفوف، وعلى مسافة بعيدة كان هناك جبل أعلى وأكثر انحدارًا من أي جبل رآته سونام من قبل، مغطى بمزيج من أشجار الصنوبر والأشجار عارية الفروع. وكانت الثكنات تمتد عند سفح هذا الجبل، وتحيط به مثل ستارة قابلة للطي.

وسرعان ما وصل عدد من الجنود لتناول وجبة الإفطار، ونظروا بشبق إلى الفتيات في أثناء توزيع الصحون وكرات الأرز بشكل أخرق، ما أدى إلى تساقط أجزاء عديدة على الأرض. يتكوّن الإفطار من الأرز المعجون بالدخن وحساء الميسو المائي وبعض المخلّلات. شعرت الفتيات، اللاتي توقّعن المستوى نفسه من الطعام الذي تلقّينه في أثناء التدريب، بخيبة أمل، لكن مع ذلك التهنّمن الطعام كله.

بينما كانت سونام تأكل، انتظرت وصول الرجل الذي صادر كتبها. وأخيرًا، ظهر كيمورا خالي الوفاض. في أثناء سيره، أعطى الفتيات أسماء يابانية. أكيكو، هاناكو، مياكو، يوكيكو، فوميكو.... شعرن بالحيرة عندما حصلن على أسماء جديدة كما لو كنّ كلابًا، لكن سرعان ما أصبحن يمزحن ويناكفن بعضهن بعضًا بسبب ذلك. منح سونام اسم هاروكو، وقد شعرت بخيبة أمل - بل وأسى - لأن وقتها بصفتها ابنة للفيكونت كان على وشك الانتهاء بهذه الطريقة، بعد أن استمتعت بالثقة التي غمرتها وهي تلعب دور سيدتها الشابّة. لكنها أعجبت باسمها الجديد لأنه يعني «الربيع»، وتمنّت أن تكون حياتها، كما يوحي الاسم، من الآن فصاعدًا عاجة بلحظات مشرقة مثل أشعة شمس الربيع.

قادهن كيمورا إلى مستوصف داخل الثكنات، حيث من المتوقع أن يبدأ العمل أخيرًا. وبعد أن أمرهنّ بالجلوس على مقاعد خشبية طويلة في غرفة الانتظار، دعا أكيكو. لم تتعرّف الفتاة على اسمها، لكنها أسرعت إلى الداخل لأن الأخباريات حثّنها على الذهاب. اعتقدت سونام أنه سيطلب منها الترجمة، لكن كيمورا ذهب خلفها بمفرده.

بعد مدّة من الوقت، خرجت أكيكو وهي تبدو مستعدّة للبكاء. وبينما انبرت الفتيات يتجمّعن حولها، أوقفهن الجنود وصوّبوا أسلحتهم نحوهن. تراجعن خائفات إلى مقاعدهن وظلن ساكنات، يتبادلن نظرات قلق صامتة. بدت وجوه الفتيات اللاتي غادرن المستوصف على التوالي مثل وجه أكيكو. سونام، التي كانت تمسك بيد بوني، وقفت مرتعشة عندما نُودي على اسمها. داخل المستوصف، كان هناك مكتب، وكُرسي مستدير من دون ظهر، وسرير يشبه طاولة الفحص، وستارة متحرّكة على أحد الجانبين، ومخطّط تشريحي لجسم الإنسان معلّق على الحائط. كانت غرفة متهالكة، وليست أفضل من المكان الذي نمن فيه الليلة الماضية.

كان أحد المسعفين وكيمورا يقفان بجوار طبيب بلا تعبير، يبدو أنه في الأربعين من عمره تقريبًا. سأل الجندي سونام عن اسمها وعمرها دون أن ينظر حتّى إلى وجهها. وعندما أجابت، أشار بذقنه أن تذهب خلف الستارة. سألت وصوتها يرتجف: «ماذا يحدث؟».

قال كيمورا من الجانب الآخر من الستارة: «سيُجري لك الطبيب فحصًا للتأكد من أنك بصحّة جيدة».

كان من المنطقي بالنسبة إليها أن تخضع الممرّضات لفحص طبي قبل علاج الجنود الجرحى. ذهبت سونام خلف الستارة وقد تقلّص قلقها قليلًا، لكنّ للحظة فقط. كان هناك رُكّاب على جانبي منتصف طاولة الفحص. وطلب منها المسعف الذي تبعها أن تخلع سروالها القطني الفضفاض وملابسها الداخلية، ثمّ تستلقي وتضع ساقها على الركاب. جأر الطبيب عندما لاحظ تردّدها: «بسرعة!».

سونام، التي لم يسبق لها الذهاب إلى المستشفى أو إجراء فحص طبي، اتبعت تعليماته دون طرح أي أسئلة أخرى. لم يكن بوسعها إلا أن تفترض أن جميع الفحوصات يجب أن تكون على هذا النحو. ومع ذلك، كان من العار أن تستلقي وساقها متباعدتان أمام رجل تقابله للمرّة الأولى. أغمضت عينيها بقوة، وارتجفت على طاولة الفحص. وبعد لحظة، شعرت باقتراب شخص ما منها، فتحت عينيها ورأت الطبيب يجلس على الكرسي بجانب الطاولة. ثمّ لمس شيءً باردٌ مهبلها. مرعوبة، صار جسد سونام مشدودًا كالحجر. عندما

دخلت أداة معدنية جسدها واستكشفت داخلها، أخذت تتلوى وترتجف كما لو كانت مصابة بالحمى. لم تشعر قط بمثل هذا الخجل والإحراج، لكن الطبيب بدا ضجرًا وغير مبالي، كما لو كان يفحص ثؤلولا على ظهر يدها.

نطق الطبيب: «لا توجد أمراض منقولة جنسيًا. بكر».

سجل المسعف كلمات الطبيب في مجلد الملفات.

أرادت سونام أن تسأل لماذا تحتاج إلى مثل هذا الفحص، لكنها لم تستطع أن تقول أي شيء.

بعد الانتهاء من الفحوصات، تبعت الفتيات كيمورا خارج المستوصف. تحطمت الحالة المزاجية المبهجة للمجموعة، وحل محلها شعور بعدم الارتياح لما سيأتي تاليًا. في تلك اللحظة، أسرع جندي وقال شيئًا لكيمورا، الذي التفت إلى سونام وسألها: «أنت الفتاة التي كانت بحوزتها الكتب بالأمس، أليس كذلك؟».

معتقدة أن كتبها الثمينة سترد إليها، أجابت سونام بقوة: «نعم، هذه أنا!».

فقال: «أنت، اذهبي مع هذا الجندي، أمّا بقيتكن؛ اتبعنني».

وقفت الفتيات الأخريات ساكنات، ينظرن بفراغ إلى سونام، وبوني بدت وكأنها طفلة انفصلت عن أمها، فربّبت سونام كتفها، وقالت: «لا تقلقي. سأتبعنك بمجرد أن أحصل على كتبي»، ومضت تتبع الجندي.

بعد أن سارت بضع خطوات، نظرت إلى الوراء ورأت أن الفتاة ذات الوشاح القطني كانت تقف بمفردها وتحديق خلفها. لا تزال سونام لا تعرف اسم الفتاة لكنها وعدت نفسها بأنها في المرة القادمة التي يلتقيان فيها، ستتحدث معها أولًا. لوحت لها لتتبع الأخريات بسرعة.

أخذ الجندي سونام إلى أحد الأكواخ. يبدو أنه مقر ضابط رفيع المستوى. افترضت سونام أنها جاءت لتلقي أوامر العمل بصفتها ممثلة للفتيات، وانحسرت المشاعر غير السارة الناجمة عن الفحص. بالتأكيد، لن يكون هناك المزيد من الأشياء المخزية من هذا القبيل.

عندما دخلت الغرفة وجدت رجلاً يرتدي نظارات يجلس إليّ مكتب. بمظهره البارد والأنيق، بدا كأنه كاتب أكثر من كونه جندياً. كان في الواقع قائد القاعدة الرائد موري. ألقى الجندي التحية العسكرية على الرائد، ووضع مجلد الملفات على المكتب. معتقدة أن محتويات الفحص قد تكون مكتوبة هناك، أصبح وجهها شاحباً. انحنى سونام، ولاحظت أن قاموسها وكتابها كانا فوق مكتبه. كانت سعيدة جداً برؤيتهما لدرجة أنها مدت يدها إليهما تلقائياً. الرائد موري، الذي كان يراقب سونام، التقط قاموسها ونظر إليه وسأل: «هل هذا كتابك؟».

وفي حماسها لاستعادتها كتابيها، أجابت بنبرة جازمة: «نعم!».

- من أين أتى هذا القاموس؟

- كان هدية من السيدة برادلي.

- من تلك المرأة؟

- امرأة إنجليزية كانت تعيش جوارنا.

وأطلت نظرة فضول على وجه الرائد موري، الذي سأل: «هل تتكلمين

الإنجليزية؟».

فقالت خوفاً من أن يختبروها ويجعلوها تبدو حمقاء: «قليلاً فحسب».

سألها: «كيف تعلمت الإنجليزية؟».

سجل الرائد معلومات تشيريونج الشخصية في ملفها. تساءلت في نفسها:

هل يختبرني؟ هل وجد شيئاً مريباً؟ خفق قلبها وارتعشت ساقاها. أحكمت

قبضتها على حزماتها، وركّزت على كونها تشيريونج التي كانت محترمة في

جميع الأوقات، أينما ذهبت. أنا ابنة الفيكونت. لم أرتكب أي خطأ، ولم أرتجف

قط في الأماكن العامة دون سبب. لو كانت يون تشيريونج، لطالبته بإعادة

كتابها بعد أن تفرغ من الاشتكاء من الفحص الغريب وغير السار، استلهمت

سونام شجاعة جديدة من هذه الأفكار، وقالت: «علمتني السيدة برادلي،

ودرسناها أيضاً في المدرسة».

- مدرسة؟ المدرسة الثانوية؟

- ذهبت إلى الكلية.

بالمقارنة مع تشيريونج، التي كانت تتحدث مثل يابانية أصلية، كانت إجابة سونام اليابانية أدنى بكثير. لكن الشخص الجالس أمامها لم يكن ليعرف ذلك.

- حقًا؟ في كوريا؟

- لا، في اليابان. جئت إلى هنا بعد عامي الأول في كيوتو.

ردًا على إجابة سونام، انحنى الرائد موري، في كرسيه، إلى الأمام، وقال: «أوه؟ كيف حدث وأتيت إلى هنا إذن؟». أظهر الرائد اهتمامًا صريحًا.

لأنها لا تستطيع أن تقول إنها جاءت بدلًا من سيدتها أو أنها كانت مذنبه بتهمة مواعدة كوري شارك في حركة الاستقلال، كررت سونام الخطاب الذي ألقته في حفل الوداع - بشعارات سامية مثل «جلالة الإمبراطور» و«الحرب المقدسة» و«مواطنة مخلص».

تجعدت جبهة الرائد.

هل لاحظ أنها تكذب؟

أخذت نفسًا عميقًا لتضبط أعصابها.

سأل الرائد: «هل تعلمين ماذا ستفعلين هنا؟».

ردت: «الكتيبة النسائية لعزاء الجيش الإمبراطوري تضطلع بمهمة علاج وتعزية الجنود الجرحى في الخطوط الأمامية».

للحظة، التوى فمه قليلًا، كما لو كان يحاول عدم السخرية.

واصلت الحديث: «تلقينا ثلاثة أيام من التدريب على التمريض في طريقنا إلى هنا. ما زلت غير احترافية، لكنني أعلم أنني سأتحسن مع الممارسة».

اعتدلت في وقفاتها، وشعرت كما لو أنها تمثل جميع الفتيات في مجموعتها.

بدأ أن الرائد ينظر إليها من كثب، وقال: «ما اسمك؟ باليابانية».

كانت سونام منزعة من حدة نظرتة.

قالت: «هاروكو».

ألقي الرائد نظرة خاطفة على ملفها، وقال: «هاروكو، ليس عليك الذهاب مع الأخريات».

بدأت سونام في حيرة.

أخذ الرائد جرسًا من مكتبه وقرعه مرّة واحدة قبل أن يأتي الجندي مهرولاً، فقال له الرائد: «ستعيش هاروكو في مسكني من الآن فصاعدًا. أرشدها إليه». والدهشة جلية على وجهه، نظر الجندي إلى سونام.

ثم تحدّث الرائد إلى سونام: «سأعطيك المزيد من التعليمات لاحقًا، لكن في الوقت الحالي، انهي مع الجندي». استدار الجندي نحو الباب، لكن سونام تردّدت أمام المكتب.

كانت الكتب لا تزال هناك، دفعها الرائد نحوها، وقال: «خذيها».

بابتسامة على وجهها، جمعت الكتب بسرعة، ثم انحنت، وتبعته الجندي.

نظر الرائد في الاتجاه الذي اختفت فيه سونام، ثم حول عينيه إلى مجلّد الملفات أمامه. تضمّن قائمة الإمدادات العسكرية التي وصلت حديثًا. الأسماء اليابانية وأعمار النساء، مع الإشارة إلى أشياء مثل الأمراض المنقولة جنسيًا والعُذرية وغيرها من المعلومات. بجوار اسم هاروكو كُتب «تجيد اللغة اليابانية» و«تمتلك كتبًا».

بدأت اليابان في إنشاء مراكز الراحة عندما ارتفع عدد الجنود الذين يغتصبون أو يختطفون النساء في الأراضي المحتلة إلى درجة أصبحت مشكلة. في البداية، جلبوا الفتيات اليابانيات بشكل رئيس من صناعة الترفيه والدعارة، لكن العديد منهن نشرن الأمراض الجنسية، وكان العدد الإجمالي غير كافٍ. والآن، زادوا العدد من خلال جلب شابات كوريات. لم يهتم الجنود بكيفية وصول الفتيات إلى هناك أو الأذى الذي يلحقونه بهن. رأوا ذلك بمنزلة استحقاق بعد قضاء الوقت في ساحة المعركة، حيث قتلوا، وشاهدوا أصدقاءهم يموتون، ولم يعرفوا مطلقًا متى سيأتي وقتهم.

في الأيام التي وصلت فيها الفتيات الجدد، كانت الوحدة العسكرية دائمًا في حالة من الضجّة. كانت معظم العذارى الكوريات، اللاتي لم يكن

لديهن أي خبرة مع الرجال بعد، من نصيب الضباط، لكن الرائد موري لم يستخدم محطة الراحة. وجد الكوريات منفرات. لم يتمكن من فهم لغته، وعَدَدَنَ الجنود حيوانات، وكنَّ يتمرِّدن دائماً. وبدلاً من ذلك، استعان بامرأة يابانية في مطعم في شينجينج لإشباع شهواته. بالنسبة إليه، كانت النساء مجرد إمدادات عسكرية، ولم يكن يهتم سواء قضين نحبهن بسبب المرض أو تعرّضن للضرب حتّى الموت في أثناء محاولتهن الهرب. كان فقدان سلاح واحد أصعب وأفدح من فقدان امرأة يمكن استبدالها بسهولة.

أصبح مهتماً فقط في الآونة الأخيرة لأن الهجمات المفاجئة المتكررة وتخریب السكك الحديدية من قبل وحدات حرب العصابات الصينية جعلت من الذهاب إلى شينجينج بالنسبة إلى المرأة مشكلة إن حدث خطأ ما في غيابه. كان مرأى شخص مثل هاروكو - بشخصيتها الاستثنائية - عرضاً مغرياً، حتّى إنها ذهبت إلى الكلية في مسقط رأسه في كيوتو.

دون معرفة السبب، انتظرت سونام وصول الرائد. في فترة ما بعد الظهر، أحضر الجندي وجبة غداء مكوّنة من حساء الميسو، ويخنة الأرقطيون، والفجل المخلّل. بالمقارنة مع وجبة الإفطار الرديئة التي تناولتها مع الفتيات في ذلك الصباح، كانت وجبة جيدة جداً.

بعد تناول الطعام، بحثت حولها عن أي أعمال منزلية تحتاج إلى القيام بها، ولكنّ الجزء الداخلي من المسكن كان منظماً بدقّة. فتحت أحد الأبواب، وأدركت أنها غرفة نوم الرائد، فأغلقتها بسرعة، ولم تجرؤ على فتح أي باب آخر. وبدلاً من ذلك، جلست رفقة قاموسها الياباني-الإنجليزي. كان من الممتع تعلّم كلمات جديدة وفهم معانيها. عندما بحثت في القاموس، تمكّنت من دراسة اللغة الإنجليزية واليابانية في الوقت نفسه، ومعرفة أشياء جديدة بمجرد قراءة التعريفات. والآن بعد أن لاحظها الرائد، سيتعيّن عليها أن تدرس بجديّة أكبر حتّى لا تنفضح قدرتها المحدودة.

وصل الرائد في ساعة متأخرة من المساء، بعد أن تناولت سونام العشاء الذي قدّمه لها الجندي. ومن دون تفكير، رحّبت به. لم تكن تعرف سبب عزلها عن

الفتيات الأخريات، لكنها افترضت أنها ستحصل الآن على تعليمات عمل دقيقة. بينما ذهب الرائد إلى غرفته، أخذ الجندي سونام إلى المطبخ، الذي كان عبارة عن مطبخ صغير به أواني طهي وأوانٍ فخّارية بسيطة. وأوضح لها كيفية تحضير شاي الرائد، وأعلمها أن الرائد يشربه دائماً في الصباح وقبل الخلود إلى الفراش. وبما أنها عاشت في اليابان لمدة عام تقريباً، لم يكن الأمر غير مألوف لها.

وضع الجندي منضدة الشاي الصغيرة على الأرضية ثم غادر.

بعد تغيير ملابسه، جلس الرائد أمام منضدة الشاي وطلب من سونام الجلوس بجانبه. وفجأة خطر لها أنها كانت بمفردها مع هذا الرجل، فأطبقت يديها بعصبية. لكن بدا كأنه يتجاهل قربيهما واستمرّ في إخبارها بما يتوقّعه منها.

«في السادسة صباحاً، عليك أن تحضري لي الشاي. ثم، بعد أن أغادر، عليك تنظيف المنزل وغسل الملابس. في الوقت الحالي، سيُحضر الجندي وجباتك. في المستقبل، بمجرد أن يصبح المطبخ جاهزاً، ستتولين أيضاً إعداد وجباتك الخاصّة. ستعيشين هنا أيضاً، وفي أثناء قيامك بذلك، لا يجوز لك المغادرة دون إذن، ويحظر عليك التواصل مع أي شخص في القاعدة باستثناء الجندي».

شعرت سونام بالحيرة من كلمات الرائد غير المتوقّعة. بعد أن قطعت كل هذه المسافة، كان عليها أن تعيش في مسكن صغير وتقوم بالأعمال المنزلية؟ كان ذلك أسهل من حياتها في كيوتو. هل سيؤثّر ذلك على أجرها؟ سألت: «هل لا يزال بإمكانني الحصول على راتب، حتّى لو كنت أعمل هنا فحسب؟».

ابتسم الرائد، وقال: «سيخضع ذلك للحساب لاحقاً من قبل الأشخاص الذين أرسلوك إلى هنا».

الأشخاص الذين أرسلوني إلى هنا؟ بالطبع، لا بُدّ أن يكون الفيكونت. لم يقل أي شيء عن ذلك، ولم يبدُ الأمر صحيحاً تماماً، لكنها لم تكن لديها الشجاعة لدفع الرائد للحصول منه على التفاصيل.

بعد شرب الشاي، وقف وقاد سونام إلى الباب، الذي فتحه لها حتّى تنظر داخله، وقال: «ستكون هذه غرفتك، ويمكنك استخدام الأثاث».

كانت الغرفة الصغيرة تحتوي على مكتب ورفٌّ كتب. انتقلت نظرات سونام من وجهه إلى الغرفة بالتناوب، وقد تملَّكتها الدهشة. وضعت يدها على صدرها المضطرب وانحنت إليه بشدَّة.

بدا الرائد راضياً واختفى داخل غرفته.

استلقت سونام على الفراش في غرفة التاتامي الصغيرة. بين غرفة الرائد وغرفتها كان المطبخ، لكن سونام حرصت مع ذلك على عدم إصدار أي ضجيج قد يزعجه. وبعد مدَّة من الصمت، نهضت بهدوء وأغلقت الباب. لم يكن يبدو شخصاً سيئاً، لكن مشاركة المساحة نفسها مع رجل جعلها تشعر بعدم الراحة والتوتر. ومع إغلاق الباب، تمكَّنت من الهدوء إلى حدِّ ما.

كان للفراش رائحة عفنٍ طفيفة، لكنه كان مريحاً بشكل لا يضاهي مقارنة بالليلة السابقة. أشرق ضوء القمر من خلال النوافذ الطويلة، فيما كانت سونام تفكِّر في أعمالها اليومية مقارنةً بالفتيات الأخريات، واعتقدت أن الرائد لا بدَّ وأن يمنح ابنة الفيكونت معاملة خاصَّة، أو ربما كان الفيكونت هيونجمان قد ربَّت الأمور مسبقاً. ألم يقل الرائد إن الشخص الذي أرسلها إلى هنا سيدفع راتبها؟ عجَّ قلبها بالامتنان، وشعرت بالاطمئنان إلى أن سيدها كان يحميها كما لو كانت ابنته الحقيقية، حتَّى في هذا المكان القِصِّي.

وسرعان ما تحوَّلت أفكارها إلى الفتيات الأخريات.

هل خلدن إلى الفراش الآن؟ لا بدَّ أنهن ينمن جميعاً معاً مرَّةً أخرى. هل ستكون الغرفة باردة؟ إذا بدأن العمل، فربما انتقلن إلى أماكن معيشة أفضل. لكنهن لا يستطعن فهم اللغة اليابانية... هل هناك أي شخص آخر يمكنه الترجمة؟ هل بوني بخير؟

افتقدتهن أكثر الآن بعد أن تفرَّقن، وإذا كانت صادقة مع نفسها، فقد فضَّلت تعلُّم مهارات التمريض مع الأخريات والعناية بهنَّ مثل أخت كبرى على القيام بالأعمال المنزلية وتقديم الشاي للرائد. هزَّت سونام رأسها عندما تخيَّلت فجأة جانجهوي مصاباً وهي تعتني به. يا لها من فكرة مشؤومة!

ولأنها لم تفعل شيئاً مرهقاً خلال النهار، كان النوم صعباً. وبدلاً من النعاس، أصبح عقلها أكثر صفاء. ولأنها لم يكن لديها الكثير لتفعله، فقد قرَّرت أن تدرس القاموس حتَّى تعبت. لو عملت بجدِّ على تحسين مهاراتها

اللغوية خلال العامين التاليين، كانت متأكّدة من أنها ستتحدّث. تفاجأ جانجهوي بأنها تعرف كيفية الكتابة باللغة الكورية، لذا كم سيكون مندهشاً أكثر عندما يبصرها تتحدّث اليابانية والإنجليزية.

تدريجياً، ثقلت جفونها.

ما بدا كأنه صرخة وحش بري كسر هدوء الليل. شعرت سونام، بعد أن نامت، بشخص يهزّها: «سونام، استيقظي. استيقظي واهربي!».

والمثير للدهشة أنه كان صوت شبح أختها الكبرى.

كان الحلم واضحاً، لكنها لم تر أحداً؛ سمعت الصوت فحسب.

وبدلاً من الردّ، كرّرت أختها الكلمات نفسها.. «استيقظي واهربي!».

هزّت سونام رأسها: «أوني، لا أستطيع. إن هربت، سوف تكون تشيريونج في خطر. وعندما أعود، الفيكونت سوف يعطيني المال والحرية. بعدئذٍ يمكنني مساعدة عائلتنا والعثور على السيد الشاب».

وعلى الرغم من أنها لم تتمكّن من رؤيتها، فإنها شعرت فجأة بقبضة أختها على ذراعها - بشكل واضح كما لو كانت حقيقية - وتكرّر تحذيرها.

قالت: «أوني، لا أعرف الطريق إلى المنزل وليس لديّ أي أموال. كيف يمكنني الهرب؟».

لم تكن أختها موجودة في أي مكان. سونام لم تستطع إلا أن تسمعها وتشعر بها.

قالت سونام: «أوني، لا تقلق بشأنني (على أمل طمأنة أختها الكبرى)، يبدو الأمر خطيراً لأننا قريبون من ساحة المعركة، لكنني مرتاحة هنا، والرائد موري لطيف للغاية».

في مساء اليوم التالي، طلب الرائد من الجندي إعداد كأس من النبيذ من أجله. أن غادر الجندي، طلب من سونام مرّة أخرى أن تجلس بجانبه وشرع في الشرب، وتذكّر كيوتو. شاركته سونام اجترار الذكريات بسعادة عندما تعرفت على المكان الذي ذكره. غالباً ما كانت هي وتشيريونج تذهبان لمشاهدة

المعالم السياحية معاً، وكانت كيوتو مكاناً يحمل الكثير من الذكريات الطيبة بالنسبة إليها.

وبعد أن بات الرائد في حالة ثمالة، تركها ودخل غرفته.

عادت أختها في تلك الليلة أيضاً، وأمسكتها وسحبت ذراعها بقوة. شعرت سونام وكأنها ستُسحب إلى العالم السفلي. قاومت سونام بكل قوتها، وأجبرت نفسها على الاستيقاظ في محاولة لتحرير نفسها من قبضة أختها. قال أحد الشامان ذات مرة أن شبح أختها الكبرى، التي ماتت في أثناء الولادة، اعتقد أن سونام طفلتها، وأن الطريقة الوحيدة لتحررها من الشبح أن تتظاهر بعدم التعرف عليها... لم تكن سونام قادرة على فعل ذلك مطلقاً. كانت أختها الكبرى الشخص الوحيد الذي اعتنى بها عندما كانت طفلة. لكن لأول مرة، كانت خائفة من شبح أختها. في المستقبل، تعهدت سونام بتجاهلها والاستيقاظ كلما ظهرت أختها في أحلامها.

الآن استيقظت تماماً، فتحت باب غرفتها وسمعت شخير الرائد. دون أن تصدر أي صوت، سارت على أطراف أصابعها إلى الخارج، حيث تساقط ضوء القمر الأبيض على الفناء. ربما يكون السيد الشاب ينظر إلى القمر ذاته؛ فكَرَّت وهي تنظر إلى سماء الليل.

صرخة حيوانٍ برِّيٍّ اخترقت حلم يقظتها في تلك اللحظة. ذكَّرتها بقربيتها حيث كان الثعلب يبكي كل ليلة. في مثل هذه اللحظات، أصبحت قصص جدتها القديمة أكثر واقعية. استمعت باهتمام، وهي تتذكر الذكريات التي نسيها في أثناء إقامتها في المدينة. لكن عندما سمعته مرة أخرى، لم يكن يشبه صرخة حيوان، بل صرخة امرأة - أشبه بصيحة ألم. انتصب شعر جسمها، وركضت إلى الداخل. غلفتها قشعريرة وتواصلت حتى عندما سحبت البطانية فوق رأسها.

هل كان هذا صوتاً بشرياً حقاً؟ لمن؟ ربما أطلق الجنود الجرحى صرخات، لكنه كان صوت امرأة. هل حدث شيء للفتيات، أم أن هناك نساء أخريات في القاعدة إلى جانب كتيبة النساء؟ ولماذا كنَّ يصرخن؟

هبت سونام فجأة، وقد استشعرت القلق والارتباك، وتجوَّلت في أرجاء الغرفة. في الصباح سوف تطلب من الرائد السماح لها بزيارة الأخريات. لن

تشعر بالارتياح إلا عندما ترى أنهم بخير. استعادت الجراب الذي كانت تحبُّه داخل حزمة ملابسها، وعادت إلى السرير ونامت وهو في يدها.

في صباح اليوم التالي، قال الرائد إنه سيخرج لقيادة الجنود في المناورات. لم تكن تعرف ما هي المناورات، لكنها اعتقدت أن هذه كانت فرصة جيدة لطلب زيارة صديقاتها.

سألت سونام بحذر: «هل يمكنني الذهاب لرؤية الفتيات اليوم؟ افترقنا دون أن نودَّع بعضنا بعضًا بطريقة مناسبة. وأريد أن أرى كيف حالهن».

وعلى نحو غير متوقَّع إلى حدِّ ما، وافق الرائد قائلاً إنه لا بأس أن تقوم بزيارة قصيرة. ثمَّ قال شيئًا بخفوت إلى الجندي لم تستطع سماعه، لكن الجندي ابتسم لها ابتسامة غريبة وهو يغادر.

بعد أن أنهت أعمالها المنزلية على عجل، عبرت سونام الفناء إلى المسكن الذي أرشدها إليه الجندي. ربما بسبب المناورات، لم يكن هناك أحد في الجوار باستثناء عدد قليل من الجنود في الحراسة. وكان مأوى الفتيات عبارة عن مبنى من طابقين بالقرب من البوابة الرئيسية. سونام كادت أن تجري، متحمَّسة للقاء صديقاتها، والتحدُّث باللغة الكورية. أرادت بشكل خاص أن ترى كيف كان حال بوني وبيليو والفتاة المجهولة ذات الوشاح.

كان المهجع عبارة عن مبنى طويل له أبواب كثيرة مغلقة بإحكام كأنه منزل فارغ. بينما كانت سونام تسير أمام المبنى، اقتربت منها فتاة تحمل سلَّة غسيل، ورأتها فتجمَّدت في مكانها. استغرق الأمر من سونام لحظة للتعرُّف على بيليو، التي قُصَّ شعرها. عندما سألت سونام إذا كان يمكنها أن تأخذها إلى الأخريات، نظرت الفتاة حولها بارتباك، ثمَّ قادتها إلى أحد الأبواب ونزلت مجموعة من السلالم. عندما كانا معًا آخر مرَّة، ساعدت بيليو سونام في التسرية عن الفتيات الصغيرات اللاتي كُنَّ بعيدًا عن منازلهن لأول مرَّة. أمَّا الآن، فقد كانت تتصرَّف بشكل مختلف تمامًا: هادئة وكئيبة.

عندما دخلتا الغرفة المظلمة، لم تتمكَّن سونام من رؤية أي شيء حتَّى تكيفت عيناها، لكنها سرعان ما التفتت إلى بيليو وطرحت سلسلة من الأسئلة التي كانت تدور في ذهنها لعدَّة أيام.

قالت: «أنا آسفة لمجيئي الآن فقط، لكن كان عليّ الحصول على إذن. كيف حالك؟ هل الأخريات قريبات؟ هل بدأت العمل؟ هل أنت بخير؟ يبدو أنك مريضة».

أخذت بيليو نفسًا عميقًا قبل الإجابة.

سألت بيليو بلهجة اتهامية لا استفهامية: «أوني، هل أنتِ حقًا لا تعرفين؟». ثم سحبت القماش عاليًا فوق الحائط، وكشفت عن نافذة مربعة صغيرة. أشرق الضوء القادم بوهنٍ داخل الغرفة. كان الأثاث الوحيد عبارة عن سرير خشبي صغير، وخزانة صغيرة، ودلو، في غرفة بالكاد تكفي لشخصين للنوم جنبًا إلى جنب، على الرغم من أنها بدت وكأنها تنام هنا بمفردها.

جالت سونام بعينيها في الغرفة البسيطة.

سألت: «ماذا تقصدين؟ لا أفهم». فجأة، انهارت بيليو على السرير، وهي تبكي، ووجهها بين ذراعيها. جلست سونام بسرعة بجانب الفتاة الأكبر سنًا منها، واحتضنتها.

- ماذا جرى؟ ماذا يحدث هنا؟

- أوني، لقد خدعونا. كذبوا بشأن توظيفنا ممرضات.

كان صوت سونام يرتجف: «م-ماذا تقصدين؟».

- أحضرونا إلى هنا حتى نكون نساء متعة لليابانيين.

كان من الصعب تصديق الأخبار.

كان المبنى الذي كنّ فيه يُسمّى محطة الراحة، وابتداءً من اليوم الأول، خدمت كلُّ منهن أكثر من عشرين جنديًا. تكرر الشيء نفسه كل يوم بعد ذلك. ارتجفت سونام عندما تذكّرت الشعور غير السار الذي شعرت به في أثناء الفحص، ولم تستطع تخيل ما كانت تمرُّ به الفتيات.

اهتزّت بيليو بسخط وهي تتحدّث: «إنهم مثل الحيوانات. يضاجعوننا حتى لو كنا ننزف. إذا لم تفعل ما يريدون، فسوف تتعرضين للضرب. إنه

جحيم يا أوني. فقدت بوني وعيها، تلك الفتاة المسكينة التي بدأت دورتها الشهرية للتو، كيف يمكن أن يحدث شيء كهذا؟».

ارتجفت سونام بقوة أكبر، وبالكاد تمكّنت من التفوه بأي كلمة: «بوني -أين هي الآن؟ في أي غرفة؟».

- الغرفة الأخيرة. الرب وحده يعلم ماذا سيحدث إذا كان هناك الكثير من الضوضاء، لذلك اذهبي بهدوء، وحدكِ. لا يسمح لنا بالتحدّث في ما بيننا. أوني، أرجوك عودي إليّ بعد أن تريها. علينا أن نفعل شيئاً. لا ينبغي أن يستمرّ الأمر هكذا.

كانت بيليو ثاني أكبر فتاة سنًا، وتولّت مسؤولية المجموعة عندما انتقلت سونام إلى مقرّ إقامة الرائد.

بدا العالم أمام عيني سونام مغايرًا بعد مغادرة غرفة النوم الصغيرة. شقّت طريقها مترنحة إلى غرفة بوني، لكنها توقفت خارجها، خائفة من فتح الباب. استجمعت شجاعته وطرقت الباب، لكن لم تتلقَ ردًا. فتحت الباب بسرعة ونظرت إلى الداخل. في غرفة مظلمة مثل القبر، رأت شخصًا على السرير، جاثمًا تحت بطانية. دخلت سونام وأغلقت الباب خلفها. في الظلام، خطت عبر الغرفة وأزاحت قطعة القماش التي تغطّي النافذة. عندما اقتربت سونام من الشخص الموجود تحت الأغطية، أطلقت بوني صرخة تأوّه -ربما توقّعت أن يكون القادم جنديًا يابانيًا.

همست سونام وهي تجلس بجانبها فوق السرير: «بوني، هذه أنا». توقّفت تأوّهات الفتاة وحركاتها، وبينما كانت سونام تربّت ظهرها، جلست ونظرت إليها بتعبير فارغ. في غضون أيام قليلة منذ وصولهن، لم تعد بوني أكثر من جلد وعظام.

اختنقت دموع سونام، وصاحت: «يا إلهي، كيف يمكن أن يحدث هذا؟ كيف...».

عانقتها سونام، وقد فقدت فجأة القدرة على الكلام. بوني التي كانت ترتجف مثل طائر صغير، انفجرت باكية. بعد النحيب لما بدا كأنه وقت طويل، باحت بوني إلى سونام بما حدث دون أن تتاح لها فرصة للتنفّس بين

الكلمات، كما لو كان وصول سونام قد استثناها، وقد استفرد بها القلق من أن وقتها معاً ينفد. رفعت أكمامها وكشفت عن الكدمات والخدوش فوق جسدها وكأنها تستنكر على الجناة.

مع شعور ملازم بالصدمة والغضب المتزايد، احترّ جسد سونام، كما لو كانت تحترق. أرادت خنق الجنود الذين ألحقوا الأذى ببوني والأخريات وتاقت إلى قتل قائدهم الرائد موري.

همست بوني بصوتٍ أجشّ: «الآن بعد أن تحطّم جسدي وتدنّس، لا أستطيع العودة إلى المنزل أبداً. ماذا سأفعل؟ كيف أستطيع أن أواجه عائلتي؟ ومن بين النساء اللاتي سبقونا، هناك مَنْ لديهن أمراض، وأخريات حقنوهن بمواد سامة وأصبحن نصف مشلولات، بل وهناك مَنْ أنجبن أطفالاً. ماذا سنفعل إذا حدث الشيء نفسه لنا؟ أنت من عائلة مهمّة، وقد درستِ كثيراً، لذا لا بدّ أنك تعرفين ما يحدث. من فضلك أخبريني كيف حدث هذا لنا؟».

لم تتمكّن سونام من رؤية العينين اللتين كانتا تنتظران إجابتها. واصلت بوني: «أبوك شخص رفيع المستوى جدّاً في كوريا، أليس كذلك؟ ألم يكن أحد الرجال الذين أرسلونا إلى هنا؟».

السؤال ذاته خطر ببال سونام في اللحظة التي عرفت فيها الهدف الحقيقي للكتيبة. هل عرف الفيكونت طبيعة هذا المكان؟ هل أرسلنا رغم معرفته بهذا؟ هل هذا السبب في أنني الوحيدة التي تعمل في مسكن الرائد؟

أمسكت بوني بكتفيّ سونام وهزتها: «هل يمكنك أن تتصلي بوالدك وتطلبي منه إنقاذنا؟ (ثمّ بترت عبارتها كما لو كان ثمة شيء قد حدث لها). بالمناسبة، يا أوني، هل تنامين حقّاً مع الرائد؟ بالتأكيد لا، أليس كذلك؟».

رمقت بوني سونام بنظرة تشي بأنها تفكّر في شيء واحد لكنّ تأمل في شيء آخر.

ردّت سونام بنبرة غير مصدّقة: «ماذا؟ كلا، لا أنام معه. مَنْ يقول ذلك؟ أستطيع التحدّث باليابانية. يطلب منّي تنظيف المنزل وغسل الملابس».

قالت بوني: «أهذا صحيح؟ حتّى عندما قالت الأخريات إنك تنامين مع الرائد، لم أصدّق ذلك. لن تفعلني ذلك أبداً».

بالنظر إلى عيني بوني الواثقتين، اتخذت سونام قرارها، وقالت: «عندما يعود الرائد، سأطلب منه إمّا أن يدرّبنا حتّى نصبح ممرضات كما وعدونا، وإمّا يرسلنا إلى الديار. اصمدي مدّة أطول قليلاً. عندما يعود الرائد من المناورات هذا المساء، سأطلب منه ذلك فوراً».

تجعّد وجه بوني من كلماتها، وقالت: «النساء اللاتي كن هنا من قبل يقُلنّ إنه بعد المناورات، يصبح الجنود شبه مجانين. أنا خائفة، ولا أعرف ماذا سيحدث لي إذا مكثت هنا مدّة أطول. أفضل الموت على الاستمرار في العيش هكذا. أوني، أرجوك، تحدّثي إلى الرائد. من فضلك استنجدي بأبيك».

أمسكت بوني بذراعها مثلما فعلت أختها الكبرى في حلمها. أصبح الآن السبب وراء حثّها لسونام على الهروب واضحاً، وسرت القشعريرة في جميع أنحاء جسدها.

كانت سونام مفضولة القلب لكنها أومأت برأسها بإصرار، وقالت: «سأكتب رسالة إلى والدي اليوم».

انداح بصيص من الأمل على وجه بوني، وقالت: «شكراً لك يا أوني. أنا أثق بك. سأقول للأخريات أن يبتهجن أيضاً. سأكون في انتظارك بمعنويات عالية».

رَبّبت سونام ظهرها، وقلبها يعجّ بالعزيمة، قبل أن تقف وتقول إنها ستري بوني مرّة أخرى قريباً. كان عليها أن تعود إلى منزل الرائد حتّى تتمكّن من كتابة الرسالة وإعداد ما ستقوله له.

بعد أن أغلقت الباب خلفها، نظرت نحو غرفة بيليو. وعدت بالمرور عليها مرّة أخرى، لكنها عرفت أنها إذا ذهبت، فلن يكون لديها ما تشاركه سوى الرثاء والغضب. سوف يتطلّب الأمر قوة الفيكونت أو الرائد لإنقاذ الفتيات من هذا الجحيم، وكان عامل الوقت جوهرياً.

بقلب مثقل، عادت سونام أدراجها عبر الطريق الذي كانت قد قطعتة سلفاً راكضة تقريباً متحمّسة لفكرة لقاء الفتيات. خلال النهار، لم يكن هناك حارس عند الباب. دخلت سونام، وتوجّهت إلى غرفتها لتكتب رسالة إلى الفيكونت.

كان هناك شيء ملفوف بقطعة قماش على المكتب. في حيرة، التقطت سونام قطعة الورق فوقها.

كان مكتوبًا «ارتدي ملابسك وانتظري». وتوقيع الرائد.

عاودتها القشعريرة عندما أزالَت سونام قطعة القماش ببطء، لتكشف عن كيمونو وصابون ومستحضرات تجميل. في تلك اللحظة تحوّل القلق إلى فزع، وانهارت على الكرسي عندما تذكّرت كلمات الرائد في ذلك الصباح.

«إذا رأيت ما حدث للأخريات، فسوف تكونين أكثر امتنانًا لوضعك الخاص. اليوم سيكون يومًا مميزًا، لذا تأكّدي من الاستعداد».

في ذلك الوقت، فهّمت كلماته على أنها تعني أن هذا كان يومًا مميزًا لأنها ستقابل صديقاتها. لكن لم يكن الأمر كذلك. الكيمونو والصابون ومستحضرات التجميل يعني أن التنظيف وغسيل الملابس لم تعد مهمتها الوحيدة بعد الآن. المهمة المفروضة على سونام ستكون المهمة نفسها المفروضة على الأخريات.

شحب وجهها عندما أدركت أن كل ما اعتقدته بشأن الفيكونت كان كذبة، وأنه أرسلها إلى هذا المكان وهو يعلم بالضبط ما سيحدث لها - لا بدّ أنه كان يعرف. منذ أن تولّت تمثيل دور ابنته، كانت مقتنعة بعدة طرائق بأنها يون تشيريونج - مع القوة والحماية المرتبطة بالاسم - لكنها الآن أدركت أخيرًا أنها في الحقيقة لا شيء.

لم يكن هناك فارق بينها وبين الأخريات في أنها ستتعامل مع ضابط واحد فقط رفيع المستوى. ومرّة أخرى، سمعت صوت أختها تطلب منها الهروب، وهذه المرّة استمعت وهبّت على قدميها. نعم، كان عليها أن تهرب. كانت مهتزة ومندفعة، وحزمت بعض الأشياء في لفّة، وانسلّت بسرعة إلى الخارج لكنها توقّفت عند رؤية المبنى الذي يؤوي الفتيات الأخريات - اللاتي كن ينتظرنها لإنقاذهن. الآن فقط، عرفت أنه كان حلمًا مستحيلًا.

هل أستطيع أن آخذ بوني معي؟

هزّت رأسها، ومسحت دموعها. كانت محطة الراحة قريبة جدًا من مركز الحراسة، وسيقبضون عليهما على الفور. أجبرت سونام نفسها على التحرك،

وركضت في الاتجاه المعاكس لمحطة الراحة. في أثناء فرارها، حاولت تحرير نفسها من ذكرى عيني بوني المترعة بالأمل، فضلًا عن الألم في قلبها عندما تخلت عن الفتيات اللواتي اعتقدت بغباء أنها تستطيع إنقاذهن. ركضت نحو الجبل وتسللت من خلال فجوة في سياج الأسلاك الشائكة، ودعت من أجل أن ينظر الجنود الموجودون في برج المراقبة إلى الاتجاه الآخر. شعرت سونام وكأن فرقة الأوراق تحت قدميها تتردد في كل مكان حولها.

كانت الأرض باردة وزلقة عندما ركضت نحو سفح الجبل، من الثلج والجليد بين طبقات الأوراق الذائبة. بدا أن وحشًا بريًا قد ينقض عليها في أي لحظة، لكنها كانت خائفة من الأهوال التي كانت تهرب منها أكثر من أي مخاطر قد تنتظرها. وصلت إلى قمة الجبل دون أن تتوقف للراحة على طول الطريق.

استدعت رائحة الغابة ذكريات قديمة. كان الجبل الواقع خلف مسقط رأسها بمنزلة ملعبها في السابق. كانت تركض وتلهو مع شبح أختها الكبرى في الوديان، التي تحتضنها سفوح التلال كأم. مع كل نفس كان خوفها يتضاءل ومعنوياتها ترتفع، ويصبح جسدها دافئًا وخفيفًا وهي تجري بين الشجيرات.

بعد أن ظلت سونام تركض مدة كافية حتى أصبحت القاعدة العسكرية بعيدة عن ناظريها تمامًا، بدأت في إبطاء وتيرتها، وهي تلهث بشدة. أذهلها صوت خلفها، فأدارت رأسها لتجد جنديين يلاحقانها. كان أحدهم حارس منزل الرائد. بدا أن العالم أصبح مظلمًا من حولها، وتخيّلت نفسها ترتدي الكيمونو، والرائد يغتصبها. نفضت الصورة من عقلها، وركضت حتى شهقت من أجل الهواء وألم صدرها. وفجأة تعثرت، وانزلقت فوق أوراق الشجر وبقع الجليد، ثم زلت قدميها وسقطت.

اقترب الجنديان وهما يضحكان ونظرا إليها مثل كلاب الصيد التي تسخر من فريستها. في تلك اللحظة، أدركت سونام نواياهما ولماذا تبعها بهدوء دون أن يطلقا جرس الإنذار. سمحا لها بالهروب عمدًا إلى مكان بعيد عن أنظار برج المراقبة. اقترب الحارس وفكّ حزامه.

صاحت سونام بكل السلطة التي استطاعت أن تستحضرها: «ابق بعيدًا عني. الرائد موري سوف يعاقبك إذا لمستني».

قال الحارس مبتسمًا: «أنت من ستعاقبين على هروبك».

حنَّ الجندي الآخر: «لا تقف هناك وتحدث، افعل ذلك بسرعة. نحن في عجلة من أمرنا».

عندما سقط الحارس على سونام، اندلعت صرخة من فميهما. تدحرج الحارس بعيدًا عنها وسرواله إلى الأسفل. كان الدم يتدفق من الجزء الخلفي من رأسه.

صاح الجندي الآخر: «من هناك!» ثم سقط على الأرض وهو يصرخ بالكيفية نفسها.

نهضت سونام بسرعة لتقف على قدميها، ثم دُهِشَتْ عندما رأت الفتاة ذات الوشاح القطني واقفة أمامها.

ركضت الفتاة إليها وأمسكت بيدها: «بسرعة، دعينا نرحل».

كان صوت أختها.

هتفت: «أوني؟ أنتِ أختي الكبرى، أليس كذلك؟ أوني!» انفجرت سونام في البكاء.

لم تتعرّف عليها لأن أختها ماتت وهي في الخامسة عشرة من عمرها، وكانت أصغر بكثير من سونام الآن. أختها الكبرى، التي ساعدت سونام في الخروج إلى العالم، أنقذت حياتها مرةً أخرى. كانت سونام تشعر بأنفاس أختها في مهبّ الريح، تمامًا كما كانت عندما كانت طفلة.

ركضتا يداً بيد، عندما سمعت فجأة طلقات نارية، وشهقت سونام عندما ضربها شيء من الخلف.

الفصل الرابع عشر

سان فرانسيسكو

كانت الأمواج لا تزال عاتية عندما غادر جونباي جزيرة أنجل. التفكير بأنه وقع في غرام تشيريونج في اللحظة التي رآها فيها لأول مرة، وأنه يترك الآن تلك المرأة التي أصبحت زوجته في النهاية، في مكان يشار إليه غالبًا بالجحيم - جعل قلب جونباي يتألم بمرارة.

كان جونباي قادرًا على وضع قدمه بأمان في سان فرانسيسكو بفضل عمه جيرو. عندما علم أن ابن أخيه كان في جزيرة أنجل، لم يترك الرجل أي حجر دون أن يقلبه لتحريره. لكن بدلًا من إلقاء التحية على عمه، الذي لم يره منذ ثمانية عشر عامًا، أمسك جونباي بتلابيبه، وانفجر في البكاء وتوسل إليه أن ينقذ زوجته.

صاح العم: «ما هذا يا جونباي؟ بدلًا من أن تكون رجلًا، هل الدموع تحيتك الأولى لي؟ كيف يمكنك أن تقول إنك ابن أخ جيرو وتتصرف بطريقة طفولية؟ (فربت جونباي على ظهره). على أية حال، لا تقلق الآن. عمك سوف يعتني بكل شيء، لذلك دعنا نعود إلى المنزل».

تحدث العم جيرو بلغة يابانية غريبة، لكنه وضع ذراعه حول كتفي جونباي، كما لو أنهما افترقا بالأمس فقط.

ونظرًا لأنه كان يمتلك سيارة، فقد اعتقد جونباي أن رسائل عمه المتفاخرة لم تكن مجرد هراء. ازدحمت حركة المرور وتوقفت السيارات باستمرار. عندما رأى هذا العدد الكبير من المركبات مصطفة، بدأ يتساءل إن كان كل شخص في أمريكا يمتلك واحدة - إذا لم يكن امتلاك سيارة شيئًا رائعًا أو مميزًا هنا. أعطته حركة المرور فرصة لرؤية المدينة من خلال نافذته، حيث كانت الشوارع تزخر بالمباني الشاهقة والمزدحمة بالناس.

تحدث العمُ جيرو في أثناء قيادته: «يقولون إنه منذ قرابة ثلاثين عامًا، وقع زلزال عظيم هنا، وكانت الأرض قاحلة. لا أعرف إذا كان هذا صحيحًا أم لا، لكن يُقال إن التلال تشكَّلت في أعقاب الزلزال. هناك الكثير من التلال اللعينة في سان فرانسيسكو. (وتذمَّر فيما كانت السيارة تنطلق في طريقها إلى منحدر حادّ). عندما تنظر الآن إلى أرجاء المكان، هل تصدِّق أن زلزالًا حدث هنا؟ كانت عملية إعادة الإعمار قد اكتملت بالفعل عندما وصلت.»

قال جونباي: «الأمر نفسه ينطبق على يوكوهاما. يبدو الأمر كما لو أن الزلزال لم يحدث قط.»

قال العمُ جيرو: «هذا صحيح. بعد زلزال كانتو، اعتدت أن أذهب إلى الشاطئ هنا كل يوم وأنظر صوب اليابان. بذلت قصارى جهدي لأظن أن يوكوهاما ستجتاز هذه الأزمة تمامًا كما فعل الناس هنا. أنت لا تعرف أبدًا ما قد يحدث، جونباي. من الجيد جدًا أنك أتيت. أنت مثل الابن بالنسبة إليّ. الآن، علينا إخراج زوجتك وجمع شمل عائلة تيراو معًا.»

غادرت السيارة وسط المدينة، وبعد مدة دخلت حيًا قذرًا تتناثر فيه القمامة على الطريق. كان كل شيء - المنازل والناس - قذرًا. انطلاقًا من مظهر الناس، لم يكن هذا حيًا يابانيًا. أوقف العمُ جيرو السيارة أمام مبنى مكوّن من ثلاثة طوابق.

نظر جونباي حوله عندما خرج.

فتح عمُه الباب الأمامي للمبنى، وأخذ إحدى الحقائق، وقاد الطريق صاعدًا درجًا ضيقًا شديد الانحدار، كان يصدر صريرًا مع كل خطوة. تبعه جونباي حاملاً بقية الحقائق. في البداية، كان يعتقد أن المبنى بأكمله منزل عمّه، لكن اتضح أن هناك عدّة عائلات تعيش فيه. وعندما قرع عمُه جرس باب إحدى

شق الطابق الثاني، انفتح على الفور. وقفت فتاة صغيرة داكنة اللون ذات عينين ضخمتين عند المدخل. وخلفها كانت الغرفة معتمة رغم أن الوقت كان نهارًا.

دفع العمُ جيرو الطفلة إلى الداخل: «هيا، هيا يا مارينا. اسمحي لنا بالدخول حتى نتمكن من تقديم أنفسنا».

أبصر جونباي أبواب ما يبدو أنه غرف مغلقة، في حين كانت المساحة الوحيدة المفتوحة هي المطبخ الذي بدا كأنه جزء من غرفة المعيشة، وكان يحتوي على مائدة طعام، ومنضدة صغيرة، ومغسلة. كانت هناك أيضًا أريكة كبيرة بما يكفي لشخصين فحسب. للوهلة الأولى، بدا المنزل صغيرًا جدًا عليهم، وكل شيء رخيصًا جدًا لدرجة أن الراديو الموجود على الرف ربما كان أغلى شيء في الشقة. كان المطبخ وغرفة المعيشة المشتركة، بالسجاد القديم المهترئ فوق أرضيتها، في حالة أسوأ من القمرة على متن السفينة أساما.

لم يكن بإمكانه إلا أن يتخيل وجه تشيريونج العابس عندما رأت القمر. قدّم العم جيرو مارينا بمرح، كما لو كان كل شيء كما ينبغي أن يكون: «إن، هذه ابنتي مارينا. عمرها أحد عشر عامًا. مارينا، هذا ابن أخي الذي تحدثت عنه. إنه ابن عمك، لكنه أكبر سنًا بكثير، أليس كذلك، لذا يمكنك مناداته بالعم».

لوت مارينا صغيرة شعرها بخجل.

لم تكن الطفلة تشبه العمُ جيرو، ولم تظهر عليها أي علامة على الدم الياباني. أوما لها جونباي برأسه على نحو مبهم، ونظر حوله بحثًا عن دليل على وجود والدتها - التي ستكون عمته - ولكن المكان الوحيد الذي وجدها فيه كان في بعض الصور. وجهها، الذي بدا كأنه نسخة ناضجة من وجه مارينا، لم يكن جميلًا جدًا. كان عمه مستهترًا في أوائل مراهقته، وكان جونباي يتوقع أن يتزوج عمه من جميلة يابانية أو شقراء ذات أعين زرقاء.

فتح العم جيرو أحد الأبواب وأخذ يفرّجه على المكان، وقال: «نقلت مارينا حتى تتمكن - أنت - من الحصول على الغرفة الأقرب إلى الحمام».

أول ما لفت انتباه جونباي السرير الصغير الذي من شأنه أن يجبرهم على التثبُّت ببعضهم بعضاً أو المخاطرة بالتدحرج والسقوط من فوق السرير. قال العمُّ: «شاركت هذا السرير مع أفيلا. إنه ضيق بعض الشيء، لكنه مثالي للعروسين، أليس كذلك؟ ولا تقلق، بُدِّلت الملاءات».

دلف عمُّه وراح يعدُّ الأشياء، فيما جلس جونباي بهدوء على حافة السرير الضيق. كان الأثاث الآخر الوحيد في الغرفة عبارة عن خزانة ملابس مدمجة ومنضدة صغيرة للزينة. وكان عمُّه قد أعاد طلاء الجدران باللون الأزرق الفاتح، مع وجود بقع من الألوان لا تزال مرئية على الأرض. بشكل عام، بالمقارنة مع الجو العام المتهالك للشقة، بدت الغرفة منعشة.

بينما كانت مارينا في الغرفة الأخرى، سأل جونباي عن والدتها. سرعان ما تحوَّلت لهجة عمُّه من مرحة إلى حزينة: «توفَّيت في حادث العام الماضي. لا نساء في حياتي الآن. كانت أفيلا الشخص الوحيد الذي جعلني أشعر برجولتي».

- لا بُدُّ أن الأمر كان صعباً جداً يا عمِّي.

دفعت المحادثة جونباي إلى التفكير في تشيريونج، والتفكير فيها أصابه بالجزع. ليس لديَّ الوقت للجلوس هكذا. لا بُدُّ لي من تحرير زوجتي!

- عمِّي، علينا أن نطلق سراح هيكاري قبل ترحيلها.

هزَّ العم جירו كتفيه بلا حول ولا قوة، وقال: «سيتطلب إطلاق سراح زوجتك أموالاً. كنت أتحدَّث مع بعض الناس، ولكنَّ الأمر سيستغرق بضعة أيام. عليك التحلِّي بالصبر، حسناً؟».

قال جونباي: «إذا كان المال ما نحتاج إليه، فأنا أملكه هنا. (مزق على عجل الجزء السفلي من حقيبته وسحب شذرات الذهب من المكان الذي كانت مخبأة فيه، فأضاء وجه عمُّه على الفور). أعطاني إياه حماي لكي أنفق على زوجتي. ذهبت هيكاري إلى الجامعة في كيوتو، وهي تريد مواصلة دراستها هنا، لكن إخراجها من تلك الجزيرة أهمُّ». أخذ العمُّ جירו إحدى سبائك الذهب وقلبها بين يديه، حتَّى إنه عضَّها. وقال: «ذهب خالص... ينبغي أن يكون هذا كافياً. انتظر هنا».

بعدئذ، ركض خارج الباب ونزل الدَّرَج. بادر جونباي إلى اللحاق به، لكنه أدرك أنه ترك بمفرده مع ابنة عمّه الصغيرة، التي أشارت إلى المنضدة التي وضعت فوقها الكولا وبعض البسكويت. لم يرغب جونباي في شرب حتّى رشفة من الماء حتّى تغادر تشيريونج جزيرة أنجل بأمان، بيدّ أنه لم يستطع تجاهل دعوة الطفلة وانضمّ إليها. جلست مارينا مقابله. بمجرد أن تناول رشفة من الكولا، لم يستطع كبح جماح نفسه وتجرّع الباقي -وبعد لحظة، تجشأ- ثمّ احمرّ خجلًا من الحرج.

سألته الفتاة: «هل تريد المزيد؟».

وبينما كانت تملأ كأسه، بدأ الاثنان في الحديث. أخذ جونباي في القول بأنه لا يتحدّث الإنجليزية جيدًا، لذلك كان يأمل أن تفهمه. ردّت: «لا تقلق، إنجليزيتك جيدة بالفعل. وستتحسّن قريبًا».

ضحك جونباي على مديحها وتشجيعها الطفولي. ابتسم ووجد أنه يشعر براحة أكبر. علم أن والدة مارينا، أفيلدا، كانت من المكسيك. أغلق المطعم المكسيكي الذي كانت تديره مع العمّ جيرو عندما توفّيت بعد إطلاق النار عليها في أثناء عملية سطو. لم تكن مارينا تعرف ما كان يفعله العمّ جيرو هذه الأيام. تأخّر الإيجار عدّة أشهر وكانت السيارة مستأجرة. كل هذا جعل جونباي قلقًا للغاية بشأن مستقبله في أمريكا.

قالت: «ومع ذلك، لم يتركني والدي قط أشعر بالجوع، أو يمنعني من الذهاب إلى المدرسة في المنزل». وأضافت مارينا ضاحكة: «ولم يضربني كما فعل أبي الحقيقي».

- هل لديك أب حقيقي؟

خمن ذلك كثيرًا من خلال نظرتها.

- عشت مع أبي الحقيقي حتّى بلغت الثامنة من عمري. وبعد وفاته عشت مع جدّتي لأبي، حتّى جاءت والدتي لاصطحابي. جيرو لطيف حقًا.

ومضت قائلة إنه بعد وفاة أمها، حاول جيرو إعادتها إلى منزل جدّتها، لكنها أصرّت على أنها لن تذهب. قالت له: «إذا ذهبت، فسوف أتعرّض للضرب، أو سأجبر على القيام بالأعمال المنزلية، أو حتّى سأطرد إلى الشوارع وأصير

متسولة». شعر بالتعاطف مع الفتاة التي تحدثت بشكل عرضي عن مثل هذه الاحتمالات الحزينة.

بحلول المساء، كان جونباي قد انتهى من تفريغ أمتعته. في هذه الأثناء، بدأ الخيال الأمريكي الذي كان ينميه داخل قلبه يتصدع شيئاً فشيئاً. ساورته سعادة غامرة لأن حياته وتشيريونج بصفتها زوجين ستبدأ قريباً، لكنه كان قلقاً أيضاً بشأن كيفية رد فعلها على الشقة، ناهيك بغرفتهما وسريتهما.

كان الوقت متأخراً، ولم يعد العمُ جيرو بعد. كان جونباي قد تناول العشاء الذي أعدته له مارينا. كانت جيدة في التدبير المنزلي، وهذا من حسن طالعه. وفي نهاية المطاف، ذهبت إلى فراشها، فيما كان هو يجلس على الأريكة ويستمع إلى الراديو، على الرغم من أنه لم يتمكن من فهم كلمة واحدة منه.

أعرب جونباي عن أسفه لإعطاء الذهب كله لعمه. ماذا لو استخدمه لأغراض أخرى غير إنقاذ تشيريونج؟ تتبادر إلى ذهنه ذكريات منسية -واحدة تلو الأخرى- منذ أن سرق العمُ جيرو لوحات أوكيبو-إي المملوكة لجده. كان عمه مرحاً ولطيفاً، لكن ممّا عرفه جونباي، لم يكن بالضرورة شخصاً جيداً. اتصل العديد من الأشخاص بوالد جونباي وجده لاستعادة الأموال التي اقترضها جيرو منهم. لكن كلما فكّر في الأمر أكثر، قلّ اهتمامه حول أخذ عمه الذهب كله، ما دام سيُحرّر تشيريونج.

انتظر حتى ساعة متأخرة من الليل، وكان يلعن نفسه مع كل ثانية تمرُّ لأن عمه لن يعود، حتى نام في النهاية على الأريكة. عندما استيقظ، كان الصباح قد حلّ، وكان على المائدة خبز مدهون بالمربي ورسالة تطلب منه أن يأكل جيداً، بالإضافة إلى المفتاح. بدا كأنه قد نام نوماً عميقاً لدرجة أن مارينا التي كانت تحضر وجبة الإفطار وتغادر إلى المدرسة لم توقظه حتى.

ومع نوم ليلة واحدة، تضاءلت شكوكه إلى عدم ثقة بسيط. لم يكن عمه رجلاً سيئاً، نظرًا لأنه احتفظ بمارينا، التي لم تكن حتى طفلته. ومع ذلك، كان يقلقه أن عمه، وفقاً لها، عاطل، ممّا يعني أنه ليس لديه مال. تساءل كيف سيتمكنون، حتى لو أعاد تشيريونج إلى المنزل، من تغطية نفقاتهم. لا يزال لدى جونباي بعض الأموال المتبقية ممّا خصّصه لتغطية نفقات السفر، والتي

نَسِيَ أمرها في اليوم السابق. لذا لحسن الحظ، لم يُعْطِها لعمّه. لكن حتى هذا المبلغ لن يكفي إلا لبضعة أيام على الأكثر.

وفي محاولته التزام الهدوء، ركّز على الأشياء الإيجابية: كم كان محظوظاً لأنه كان لديه مكان للنوم، وأن لديه عمّا يعرف الطريقة التي تسير بها الأمور في سان فرانسيسكو. وكانت هناك بطاقات العمل ومعلومات التواصل من السفينة. في الوقت الحالي، عليه أن يحاول العثور على وظيفة فيما يعيش على الأموال المتبقية لديه، لكنه لم يكن يعرف ما يكفي من اللغة الإنجليزية لقراءة البطاقات والعثور على الأمريكيين الذين عرضوا عليه العمل.

قرّر جونباي زيارة ساساكي، وهو رجل ياباني التقاه على متن السفينة، وطلب خطاب تعريف. بعد أن ركب الترام الخطأ وضلّ طريقه، وصل أخيراً إلى الحي الياباني وتأثّر برؤية الحروف اليابانية على اللافتات والشعب الياباني في الشارع. وعندما التقيا، رحّب به صديقه بحرارة، وشرح جونباي وضعه بإيجاز، وطلب مساعدته.

قال ساساكي: «لن تجد وظيفة هنا تشبه وظيفتك في الوطن. الحمّال الليلي في فندقنا استقال مؤخراً. هل تحب أن تجرب تلك الوظيفة؟».

لم يكن جونباي في وضع يتيح له الاختيار لكنه كان ممتناً لمعرفة أن ساعات العمل تمتدّ من الساعة العاشرة مساءً حتى السادسة صباحاً. سيحلّ ذلك مشكلة وجود سرير واحد فقط في الغرفة. وسيمنحه ساساكي عملاً نهارياً أيضاً على غرار غسل الصحون في مطعم الفندق. كثيراً ما تحدّث الرجل عن مدى صعوبة الأمر في سنوات هجرته الأولى، ولهذا السبب أراد أن يساعد جونباي. أضاف ساساكي أنه بمجرد أن تتحسنّ إنجليزية جونباي، سيعطي جونباي وظيفة مكتبية -محاسباً على سبيل المتاح- ما إن تصبح إحداها شاغرة.

في أثناء القيادة من مركز الهجرة إلى منزلها الجديد، شاهدت تشيريونج المشهد الصاخب خلف نافذة السيارة، وفكّرت في مركز الاحتجاز في الجزيرة. كان مكاناً به جبال وإطلالة جميلة على البحر، ولكنه كان أيضاً

سجنًا للأشخاص الذين حوِّسروا هناك. في غرفة كبيرة، وُضعت الأسرة ذات الطابقين متجاورة. أصابها الاستلقاء في الأعلى بالدوار، في حين كان الاستلقاء فوق السرير السفلي يسبب لها الاختناق - كما لو أن السرير الموجود في الأعلى يضغط عليها - وكان يصدر صريرًا مزعجًا في كل مرة يتحرك فيها أحد. كان الجو باردًا وموحشًا أيضًا، ويرجع ذلك جزئيًا إلى أن البطانيات كانت كريهة الرائحة ورطبة لدرجة أنها لم ترغب حتى في لمسها. كان المرحاض والحمام مشتركين - بالطبع - وكانت الوجبات سيئة للغاية.

تلقت خادمت قصر جانهوي - دونج معاملة أفضل.

ظلت تشيريونج منعزلة في مركز الاحتجاز. يتألف المعسكر في الغالب من المهاجرين اليابانيين والصينيين الذين قدموا إلى أمريكا بدعوة من عائلاتهم. فكرة ترحيلها بعد هذه المعاملة المهينة، حيث تقلصت إلى محض حالة تافهة تمامًا لحظة وصولها إلى سان فرانسيسكو، جعلتها غاضبة ومستاءة للغاية لدرجة أنها لم تتمكن من النوم. ومع مرور كل يوم، اختفى تدريجيًا توقع قدوم جونباي لإنقاذها، حيث أدركت أن اليابانيين - الذين اعتقدوا أنهم قادرون على السيطرة على السماء والأرض - يعاملون معاملة مثيرة للشفقة في الولايات المتحدة.

ولكن بشكل غير متوقع، أوفى جونباي بوعده، وتمكنت تشيريونج من مغادرة الجزيرة الجهنمية. والآن، شاءت أم أبت، لم يعد لديها من تعتمد عليه غيره. ولم ينقذها من هذا المكان الرهيب فحسب، بل جاء إليها يحمل الزهور. توقعت أن يكون العمُّ جירו رجلًا يابانيًا جامدًا، لكنها فوجئت بإيماءاته المفعمة بالحيوية ونبرة صوته في أثناء قيادته السيارة. بدأت توقعاتها للحياة في أمريكا ترتفع مع تدفق الحرية والرومانسية من الشوارع، وبدا المارة عصريين مثل سكان مدينة حقيقية. تعهدت تشيريونج بنسيان ذكرياتها عن المعسكر، ووضعت نصب عينها تخيل القصر الجميل الذي سيصلون إليه قريبًا.

وسرعان ما تبددت أحلام اليقظة تلك عندما وجدت نفسها في مواجهة حيٍّ فقير، وشقة صغيرة، وغرفة بها سرير واحد.

تبخرت أي فكرة عن البقاء مع جونباي مثل ضباب صباحي.

قالت: «سيد تيراو، لقد عملت بجد طوال هذا الوقت. سأخبر والدي وسيدفع لك المال لاحقًا، لكنني سأغادر، لذا يرجى إعادة أموال والدي. ولا تفكر حتى في الكذب أنك لم تتلقه. أعلم أن لديك أموالًا في الحقيبة التي كنت تحملها كل يوم».

بدا جونباي مكتئبًا، وارتجف صوته وهو يتحدث: «صحيح أن والدك أعطاني الذهب، وطلب مني أن أستخدمه من أجلك عندما نصل بأمان إلى سان فرانسيسكو. لكن أنفقته حتى أحررك من جزيرة أنجل».

سألت بصدمة كاملة: «ولم يتبق منه شيء؟».

أوما جونباي برأسه، فصدقته، لأنه لم يكن لديه أي مهارة في الكذب مطلقًا.

لم تضغط عليه أكثر من ذلك. بصرف النظر عن كمية الذهب الموجودة، لم يكن هناك شيء أهم من حرّيتها.

قالت: «إذن سأكتب إلى أبي رسالة عن كيفية سير الأمور هنا. سأكون مدينة لك حتى يأتي المال، لكنك تعلم أنه لا يمكننا أن نكون معًا في هذه الغرفة كل هذا الوقت، أليس كذلك؟»، وعقدت تشيريونج ذراعيها ونظرت مباشرة إلى الرجل.

بعد توقف طويل، تحدّث جونباي بسلطة أكبر ممّا تحدّث معها من قبل: «يجب ألا تكتبي إلى والدك. يجب ألا تكتب يون تشيريونج أي رسائل من الولايات المتحدة».

وسرعان ما شرح ما حدث قبل مغادرتها إلى سان فرانسيسكو -على الرغم من أنه تأكد من عدم ذكر جيونجيو- وذلك بالإشارة ببساطة إلى «تلك المشكلة».

أصبح وجهها شاحبًا عندما استمعت إلى الأخبار المفجعة تتزايد.

أوضح لها: «أقدم والدك على مخاطرة كبيرة لتجنّيبك دخول السجن. كان بالفعل تحت المراقبة بسبب أخيك، لكن هذه المشكلة عقّدت الأمر أكثر. إذا اكتشفوا أنك هربت إلى أمريكا باسم مستعار، فسترحّلين، ولن يكون والدك آمنًا أيضًا».

تدفقت الدموع من عيني تشيريونج فيما انهارت على السرير وأمسكت بالملاءات. لم تعتقد أن جونباي كان يحاول تخويفها. كانت كلماته صحيحة بالتأكيد. والآن يتعين عليها أن تعيش في منزل لا يبدو أفضل من مخيم المهاجرين. لو أنها كانت تحب جونباي فقط. لو كان هو جيونجيو، لكانت على استعداد لتحمل أي شيء بجانبه.

واصل جونباي حديثه بهدوء: «في كلتا الحالتين، نحن متزوجان، وعلينا أن نتشارك هذه الغرفة، لكنني وجدت وظيفة ليلية حتى تتمكني من النوم على راحتك».

الاحترام الذي شعرت به تجاهه عندما علمت أنه حصل بالفعل على وظيفة اختفت بعد لحظة عندما أخبرها أنه يعمل حملاً في الفندق ويغسل الأطباق في المطعم.

أمضت تشيريونج معظم صباحاتها جالسة على الأريكة القديمة القذرة، التي وجدتها مثيرة للاشمئزاز، ولكنها كانت المكان الوحيد المتاح للجلوس بخلاف السرير. لم يعجبها أي شيء في المنزل، وفضلت أن تغمض عينيها بعد أن حوّلت الراديو إلى محطة الموسيقى. ومع اختفاء المشاهد القذرة أمامها، وعزف الموسيقى، شعرت بالسلام، ووحدة مذهلة.

– عمّتي هيكاري؟

عندما فتحت عينيها، كانت مارينا واقفة أمامها مع حقيبة ظهرها. واصلت مارينا: «سأذهب إلى المدرسة الآن، لكن هل يمكننا دراسة اللغة اليابانية معاً لاحقاً؟».

أجبرت تشيريونج نفسها على الابتسامة، وهي تومئ برأسها. كانت الفتاة تطلب المساعدة في تعلم اللغة اليابانية منذ وصولها، وكثيراً ما كانت تتبعها في أنحاء الشقة قبل المدرسة وبعدها وفي عطلات نهاية الأسبوع. ربما كانت تحب وجود امرأة في المنزل بعد أن عاشت بمفردها مع زوج والدتها. وإذا كانت تشيريونج صديقة مع نفسها، فهي سعيدة أيضاً بوجود مارينا. لولا ابنة العمّ جيرو، لكانت بالتأكيد مضطرة إلى القيام بجميع الأعمال المنزلية. لم تكن مارينا سعيدة بالقيام بالأعمال المنزلية فحسب، بل كانت تؤدّي أيضاً بعض المهمّات من أجل تشيريونج.

عندما تلقى جونباي أجره الأسبوعي، أعطى تشيريونج مصروف جيب. كان مبلغًا زهيدًا مقارنة بما كانت تنفقه في حياتها السابقة، لكنها لم تكن في وضع يسمح لها بالشكوى. وفي مقابل العيش في منزل العم جيرو، يبدو أن جونباي مسؤول عن نفقات معيشة الأسرة بأكملها.

ازدرت تشيريونج حياتها الجديدة البائسة، لكن لم يكن هناك ما يمكنها فعله حيال ذلك. أجهض حلم أن تصبح ممثلة خلال مدة وجودها في جزيرة أنجل. وبعد أن شهدت مدى التمييز الذي يمارسه الأمريكيون ضد المهاجرين الآسيويين، أدركت أن مثل هذه الأشياء لا تحدث إلا في الأفلام.

كرهت شقة العم جيرو القديمة والمتهالكة، وكذلك الحي الذي يعيش فيه معظم المهاجرين من أمريكا اللاتينية. الآسيويون الوحيدون هنا كانوا ثلاثتهم. وعلى الرغم من أنه ادعى أنه توّدد إلى الناس عندما كانت والدة مارينا لا تزال على قيد الحياة، فإن العم جيرو حذر أيضًا تشيريونج من الخروج في ساعة متأخرة من الليل. وإذا خرجت أصلًا كان أطفال الحي يسخرون منها بالصفير، أو رمي الأشياء أو تضيق أعينهم بأصابعهم. الشيء الوحيد الذي شعرت بالنقص تجاهه في حياتها القديمة هو أنها ولدت كورية بدلًا من يابانية، لكن في أمريكا، كونها تيراو هيكاري، ابنة يابانية لعائلة فقيرة، وزوجة موظف في فندق، كان أسوأ بكثير.

خارج منزلهم وحيهم والحي الياباني، أحببت تشيريونج مدينة سان فرانسيسكو. وفقًا للعم جيرو، فقد استغرق الأمر أقل من مئة عام حتى يصل عدد السكان البالغ ألف شخص إلى حالته الحالية، وكان ذلك ممكنًا بسبب حمى الذهب⁽¹⁾. توافد الناس من جميع أنحاء البلاد -وحتى من الخارج- إلى هنا، يحدوهم حلم الثراء. ولأنها ابنة مالك شركة موجيوك للتعدين، فقد كانت على دراية بقوة الذهب.

خلال النهار، كانت تشيريونج تستكشف المدينة، وتزور المعالم أولًا. كانت تحب شارع ماركت أكثر من غيره، الذي يعج بالمباني الشاهقة الملونة

(1) اكتشاف جديد من الذهب عادة ما يؤدي إلى اندفاع من عمال المناجم بحثًا عن الثروة. وقعت فترات حمى الذهب الكبرى في القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين (المترجم).

والأشخاص الذين يرتدون ملابس أنيقة. أحببت أيضًا التلّ الروسي ونوب هيل، حيث كان ثمة العديد من القصور الفاخرة. وبينما كان الترام يتسلّق الطرق المنحدرة، كانت تفكّر كثيرًا في القصر الواقع على جانب التلّ في جاهوي-دونج، وكانت عيناها تغرورقان بالدموع.

بحلول هذا الوقت، كانت قد نسيت منذ مدّة طويلة مدى رغبتها في الهروب من هذا المنزل.

الفصل الخامس عشر

عبور

وقفت سونام أمام مرآة بحجم كف اليد تتدلى من عمود خشبي، وأخذت نفسها عميقًا واستخدمت المقص في يدها لقص شعرها الذي لمتته معًا في مؤخرة رقبتها. بالنسبة إلى أذنيها، بدا الأمر وكأن العظام تُنشر، وعندما نُهادى شعرها على الأرض، بدا الأمر كما لو أن قطعة منها قد مُزقت أيضًا. كان الشعور نفسه الذي شعرت به عندما حُلق رأسها في قصر جايهوي-دونج قبل تلك السنوات كلها. لكن بالنظر إلى المرأة، بدأت تلاحظ أنها بشعرها القصير، تبدو أكثر شبهاً بتشيريونج.

فكرت بمرارة: نعم، أنا ابنة الفيكونت.

قالت المرأة التي تدعى سيهوا فيما أخذت المقص وبدأت في قص الشعر على الجزء الخلفي من رأس سونام: «تبدين مثل شخص مختلف الآن. لن يتعرّف عليك أحد أبدًا».

أجالت سونام عينيها في أرجاء منزل السيد تشون العتيق، حيث قضت ما يقرب من أسبوعين. ذكّرها الفناء الضيق، والبوابة المنهارة، والمنزل المتهاك المكوّن من ثلاث غرف، بمنزل طفولتها، والسيد والسيدة تشيون بأبيها وأمها، اللذين لا بدّ أنهما الآن في العمر نفسه. سيهوا، ابنة الزوجين المسنين، تصرّفت مع سونام مثل أخت كبرى. كان من الغريب أنها في منشوريا البعيدة، يمكنها

أن تتذكر بوضوح مسقط رأسها، والتي كانت ذكرياتها عنه غير واضحة منذ مدة طويلة. ربما كان للأمر علاقة بشبح أختها الكبرى، والسيد تشيون العجوز الذي ظهر فجأة بجانب الجبل وأنقذها من الاغتصاب، وربما من القتل على يد الجنديين اليابانيين.

عندما أصابت الرصاصة كتفها وألقته على الأرض، شعرت كما لو أن جسدها كله قد انسحق. أفلتت يد أختها، وتدحرجت على جانب الوادي شديد الانحدار لدرجة أنها اقتربت من الهاوية.

لاحقًا، علمت أن السيد تشون على وشك تحميل الحطب في الجزء الخلفي من شاحنته عندما انطلق دوي الطلقات النارية من الأعلى، فاختمًا خلف إحدى الأكوام. صرخ شخص ما بشيء باللغة اليابانية. حبس السيد تشون العجوز أنفاسه، معتقدًا أن الجنود من القاعدة الواقعة خلف الجبل لا بد أنهم يطاردون أحد الهاربين أو المتمردين الصينيين. وبعد فترة، تدحرج شيء ما وتوقف في مكان قريب، وسرعان ما أعقبه وابل من الرصاص أبقاه متجمدًا في مكانه.

انتظر، وجلس القرفصاء خلف أكداش الحطب حتى استأنفت الطيور الدارجة صراخها، وركض يحمور عائدًا إلى العراء، وبدا أن الخطر قد انتهى. وكان الجنديان قد اختفيا. تنفس الرجل العجوز الصعداء، ووقف، واكتشف امرأة شابة ملقاة على الأرض عند قاعدة الجبل. وبالحكم على طريقة تجديد شعرها على ظهرها، ومظهرها، افترض أنها لا بد أن تكون كورية هاربة. كانت كتفها ملطخة بالدم. وضع يده على رقبتها، وتأكد من أنها لا تزال على قيد الحياة. كان يعلم أنه مع مغادرة الجنديين، لا بد أنهما ظنًا أنها ماتت.

لحسن الحظ، بدا كأن الرصاصة أصابت طرف كتفها وارتدت، وأخذت معها نتفة من اللحم. سقطت من علو، لكن لم يبد أن هناك شيئًا مكسورًا. خلع السيد تشون وشاحه، ولّف كتفها، لكنها لم تستيقظ، فبحث بين أوراق الشجر بجانب الجدول، فعثر على قطعة من الجليد، فوضعها فوق فمها.

انفتحت عينا سونام بسبب البرد المفاجئ.

سأل باللغة الكورية: «هل أنت مستيقظة؟».

سألت سونام: «أين أختي؟» صوتها خافت وعيناها مغرورتان بالدموع من فرط الألم، ومن فرحة سماع الرجل العجوز يتحدث بلغتها.

سألها: «هل كان هناك شخص آخر معك؟ سقطت وحدك. وفي كلتا الحالتين، هذا ليس الوقت المناسب للبقاء هنا. نحن بحاجة إلى المغادرة الآن تحسباً لعودة الجنود مع فريق بحث».

وضع السيد تشون سونام على ظهر الشاحنة المفتوح، وأخفاها باستخدام كومة من الخشب، وقادها إلى منزله في منطقة منعزلة، على بعد مسافة قصيرة خارج قرية كورية مجاورة. الزوجان المسنَّان، اللذان اعتقدا أن الهبات التي يمنحانها للآخرين ستعود إلى أطفالهما، اعتنيا بها بمنتهى الإخلاص. وعندما تمكَّنت أخيراً من التفكير بوضوح، كانت ممتنة لبقائها على قيد الحياة، ولكنها أيضاً كانت تشعر بالخجل الشديد لأنها تركت صديقاتها وراءها، وكانت حزينة لأنها فقدت الجراب المعطر، والحقيبة التي تحتوي على كتبها في أثناء هروبها. ومع ذلك، فقد عزَّت نفسها عندما أدركت أنها بذلت قصارى جهدها في سبيل إنقاذ حياتها.

أوضح الزوجان المسنَّان أنهما غادرا كوريا منذ قرابة عشرين عاماً.

قالت المرأة العجوز: «كان ذلك في الوقت الذي كانت فيه البلاد تعاني جنونَ غاندو. أعلنت السلطات أنها ستمنح الأراضي والمعدات الزراعية للأشخاص الذين ذهبوا إلى غاندو، وهو ما كانوا يطلقون عليه اسم منشوريا. في ذلك الوقت، اعتقدنا أن الوضع في غاندو لا بُدَّ وأنه أفضل من كوريا -حيث لم يكن هناك ما يكفي من الأراضي المتاحة لإدخال مثقاب زراعي- لذلك أخذنا أطفالنا الستة وانطلقنا. عندما أفكر في ما مررنا به في السنوات التالية، أشعر أن الأمر لا يزال يخيفني».

عندما استمعت سونام إلى قصة حياة المرأة العجوز المضطربة، هدأت مخاوفها ببطء. وبالمقارنة بمعاناة المرأة العجوز، فقد عاشت حياة مريحة وعدَّت نفسها محظوظة.

«الحياة قاسية، لكن ما دمنا نتنفس، فنحن أحياء».

كانت هذه كلمات امرأة عجوز اضطرت إلى إطعام أطفالها الباقين مباشرة بعد دفن جثة شخص مات على الأرض المتجمدة وتغطيتها بالحجارة لإقامة قبر. وبينما كانت تروي القصة، ظلت في حالة ذهول، وكأن دموعها قد جفت. كانت سونام من بكَّت إذ ذكَّرتها القصة ببوني والأخريات اللاتي تركتهن

وراءها. كل ليلة، كانت الفتيات يظهرن في أحلامها - وكان صوت بوني يتوسل إليها للمساعدة، يتردد في أذنيها - حتى تستيقظ وهي تتصبب عرقاً بارداً. تحولت صرخاتهم وصيحاتهم إلى شفرات قطعت قلبها.

لا بدُّ أنهن الآن يعرفن أنها هربت. كيف ستشعر بوني عندما تدرك أن سونام قد تخلت عنهن؟ ما مدى عمق شعورها بالخيانة، حتى أكثر من الأخريات. والأسوأ من ذلك، أن سونام شعرت بالقلق من أن الفتيات اللاتي تركتهن وراءها ربما تعرّضن لأذى أكبر بسبب هروبها - ولكن كان الوقت قد فات لمثل هذه المخاوف.

ولحسن الحظ، وصلت سيهوا، الابنة الصغرى للزوجين المسنين، دون سابق إنذار. لم تكن قادرة على الزيارة خلال رأس السنة القمرية الفائتة، لذلك خصّصت وقتاً للقيام برحلة قصيرة، حيث استقلت القطار من هاربين، حيث تعيش.

منذ هروبها، بذلت سونام قصارى جهدها حتى لا تفكر في جانجهوي، لكن تصميمها انهار في اللحظة التي سمعت فيها كلمة «هاربين».

لم توجه سيهوا أي سؤال إلى سونام بخصوص المكان الذي أتت منه أو سبب وجودها هناك. من المرجح أنها سمعت القصة من والدها. بدلاً من ذلك، استمرت سونام في طرح الأسئلة حول هاربين. سيهوا، التي جاءت إلى منشوريا عندما كانت في الثامنة من عمرها، لم يكن لديها أي مشكلة في التحدث معها باللغة الكورية، على الرغم من أنها كانت تتحدث بطريقة مهجّنة بعض الشيء.

قالت لسونام: «هل لديك أحد في هاربين؟ أوه، يجب أن يكون حبيبك». احمرَّ وجه سونام خجلاً، وقالت: «لا. إنه أخي. هل سيستغرق الأمر وقتاً طويلاً للوصول إلى هاربين من هنا؟».

قالت لسونام إن الأمر سيستغرق ست أو سبع ساعات بما في ذلك استقلال القطار في محطة شينجينج. عندما كانت تعيش في قصر جايهوي-دونج، لم تجرؤ على المغامرة بعبور البوابة إلى الخارج. أمّا الآن فقد ذهبت من سيول إلى كيوتو، ومن بوسان إلى منشوريا، بل إنها تجاوزت عتبة الموت. كان السيد الشاب قريباً جداً. كان عليها فقط أن تصل إليه!

سألت: «كم من الوقت سيستغرق المشي إلى هاربين؟».

- لماذا تريد المشي كل هذه المسافة؟ هل لأنك لا تملكين أجرة القطار؟

- أجل، لكنني أخاف أكثر من نقاط التفتيش.

انعكس الخوف في عيني سونام.

- لا يفحصون إلا الأشخاص الذين يبدوون مشبوهين - ومعظمهم من

الرجال - فلا داعي للقلق. وسوف أقرضك أجرة القطار.

قبلت سونام مساعدة المرأة دون تمنع، ووافقت على سداد المبلغ لها

لاحقًا.

بشعرها القصير، وبرفقة سيهوا ابنة السيد والسيدة تشيون، نزلت سونام

من القطار في محطة هاربين دون أي مشكلات. وكانت المنطقة المحيطة

بالمحطة تشبه صور الشوارع الأوروبية في إحدى المجلات التي أرتها السيدة

برادلي لها. كانت المباني زاهية الألوان أكثر من تلك الموجودة في سيول

أو كيوتو، وكانت ضاجة بالناس. بالكاد استطاعت سونام احتواء نفسها. ما

اعتقدت أنه سيستغرق عامين استغرق شهرين.

هبت ريح قوية حولها قادمة من النهر، كما لو كانت لتهدئة حماسة

سونام. كانت الريح قارصة البرودة، لكن سونام لم تشعر بالبرد.

أشارت سيهوا إلى النهر: «اسمه سونجهوا، وتتدفق مياهه من جبل بيكدو.

ويمرُّ النهر أيضًا عبر منطقتنا. الجو بارد الآن، لكن عندما يتحسن الطقس،

يمكننا عبوره بالقوارب».

كان لدى سيهوا قصة لكل شيء وكل مكان مرتا به؛ كانت بمنزلة مرشدة

سياحية لسونام إلى هاربين.

قالت: «هل تعلمين أنه في هذه المحطة، أطلق كوري يُدعى آن جونغ

جيون⁽¹⁾ النار على رجل ياباني يُدعى إيتو فقتله... أم أنه ساتو؟».

(1) آن جونج جيون: كان ناشطًا في مجال الاستقلال الكوري ومناصرًا لعموم آسيا. وكان

اسمه في المعمودية توما. يُذكر بصفته شهيدًا في كل من كوريا الجنوبية والشمالية

في خضمّ حماستها، بالكاد أنصتت سونام إلى أي شيء تقوله سيهوا، لكن تلك الكلمات لفتت انتباهها.

سألت: «متى؟».

في قرارة نفسها، كان الأمر كما لو أن جونج جيون عرف الفظائع التي ارتكبتها اليابانيون بحقّ بوني والنساء الأخريات وحققها، وانتقم لهن. قالت سيهوا وهي تهزُّ كتفيها: «حسنًا، حدث ذلك قبل ولادتي بثلاثين عامًا».

بالرغم من خيبة أملها لأن هذه لم تكن واقعة حدثت مؤخرًا، اختارت سونام الاعتقاد بأنه عاقب اليابانيين مسبقًا. جعلها ذلك تفكّر في جانجهوي - هل كان السيد الشاب يخطّط لشيء مماثل؟ - ونظرت حول المحطة بعينين جديدتين، باحثة في حشود المارة عن وجهه المألوف. لكن مقابلته هنا ستكون مثل العثور على إبرة في قاع نهر هان. كان يمرُّ بين المباني الجميلة طريق واسع مستقيم مرصوف بالحجارة، وكانت تسير على طوله مجموعة من السيارات والعربات الخشبية والخيول وعربات الريكاشة. لم يكن هناك آسيويون في هاربين فحسب، بل كان ثمة أيضًا العديد من الأشخاص ذوي الشعر والبشرة وألوان الأعين المختلفة - أشبه بالسيدة برادلي. أوضحت سيهوا أنهم روس. كانت هذه المرّة الأولى في حياة سونام التي ترى فيها العديد من الأجناس المختلفة في مكان واحد. عند رؤية الشوارع المزدهمة والناس المحتشدين، تلاشى قلقها من الكشف عن هويتها. لم يبدُ أحد مهتمًا بشخص مثلها.

قالت سيهوا إنها ستساعد سونام في العثور على عمل، وأنها تستطيع البقاء في منزلها في الوقت الراهن. لا يمكن أن تكون سونام أكثر امتنانًا. تزوّجت سيهوا من رجل صيني في سنّ العشرين، لكنه كان مدمنًا للأفيون ومقامرًا، وبعد وفاته تركت أطفالها مع أهل زوجها وذهبت إلى هاربين لكسب المال.

قالت: «الحيُّ الذي ترينه هناك حيُّ فقير يُدعى فوتشياتيان، حيث يعيش الكثير من الصينيين. المنطقة فوضوية وصاخبة وفيها الكثير من أوكار

لاغتياله السياسي الياباني إيتو هيروبومي عام 1909، الذي شغل سابقًا منصب المقيم العام لكوريا وأول رئيس وزراء لليابان (المترجم).

الأفيون. ألا يبدو حيُّ بوتو هناك غنيًا؟ فيه حديقة، وفندق، وبنك، وهو الحيُّ الأشهر في المدينة، لكن اليابانيين الذين يعيشون هناك لا ينظرون إلينا بصفتنا بشرًا».

سألت سونام: «أين يعيش الكوريون إذن؟».

عليها أن تعرف من أجل أن تعثر على جانجهوي.

أجابت سيهوا: «حسنًا، يعيش الكوريون في كل مكان، لكن لا تفكّري حتى في محاولة التعرّف عليهم. في الماضي، كان هناك الكثير من الأشخاص الذين ناضلوا من أجل الاستقلال، لكن الكوريين الذين يعيشون هنا الآن هم في الغالب مهزّبون أو متشرّدون أو سماسرة في السوق السوداء -أشياء من هذا القبيل. إذا كان أخوك هنا، فمن المرجح أنه يفعل الشيء نفسه».

بدلًا من الجدل، قررت سونام أنها ستجد جانجهوي، بنفسها وتثبت أن سيهوا مخطئة.

كان منزل سيهوا يقع في ماجياجو، حيث قالت إن معظم الروس يعيشون. وعندما غادرتا الشارع الرئيس بما فيه من معابد ومقابر وأديرة بوذية وأضرحة ومسارح، عبرتا إلى حي فقير رتيب. بدا الأمر وكأنه ظلّ للجزء الجديد من المدينة الأقرب إلى المحطة.

دخلتا مبنى حيث كان الطلاء متقشّرًا مثل سعفة. وفي حين يصعدا السلم الحلزوني، راحت سيهوا تحيي كل من تلتقي دون تردّد. هنا، كانت تدعى روزا، والتي تعني «الوردة» باللغة الروسية. عندما وصلتا إلى غرفتها، كان الأثاث الوحيد عبارة عن سرير يصدر صريرًا وخزانة صغيرة ذات أدراج؛ وملابس ملونة معلقة على خطافات مثبتة في الجدار.

أشعلت سيهوا سيجارة وأخبرت سونام المزيد عن قصّتها: «عندما أتيت إلى هنا لأول مرّة، عملت خادمة في منازل الأوغاد اليابانيين أو الصينيين. لكن زوجة الرجل الصيني الذي عملت معه آخر مرّة اتهمتني بالسرقة. طردوني دون أن أحصل على فلس واحد من مستحقّاتي. لم يكن لديّ مكان آخر أذهب إليه حينها، لذا ذهبت للعمل في مقهى. أحب العمل في المقاهي أكثر بكثير،

بما يقدّمه من بقشيش وحرّية وأجور منتظمة. لو عملت راقصة، فسوف أكسب المزيد، لكنني لا أجيد الرقص».

اختارت سيهوا زياً أقل بهرجة من الملابس المعلقة على الجدار، وسلمته إلى سونام، قائلة: «ارتدي هذا وتعالى. سأحصل على مقابلة عمل من أجلك». سألت سونام، وهي قلقة بشأن المكان الذي قد تذهب إليه وهي ترتدي مثل هذه الملابس: «أمم.. أين؟».

نفثت سيهوا دخان السجائر، وقالت: «مقهى سيفتح أبوابه بعد غد. كان لديّ عطلة قصيرة بين وظيفتين، لذلك ذهبت لزيارة الديار. طلب منّي المالك العثور على إحداهن للمساعدة، لذلك أعتقد أنه يوم حظك».

الشيء الوحيد الذي عرفت سونام أنها تستطيع القيام به بشكل جيد هو التدبير المنزلي. وصلت أخيراً إلى هاربين، لكن الآن، كان كسب لقمة العيش أكثر إلحاحاً من العثور على جانجهوي. المثل أمامه فجأة هاربة سيكون مخزياً. وبما أنها كانت هاربة، أرادت وظيفة حيث يمكنها البقاء مختبئة في الداخل وليس في مكان فيه الكثير من الناس، لذلك حتّى تجد مكاناً تعمل فيه خادمة، وافقت على العمل في مطبخ المقهى. ولأن سيهوا قدّمتها بوصفها قريبة أصغر سنّاً، فقد قبلها الناس دون أي أسئلة.

وبعد قرابة أسبوع، دخلت سيهوا إلى المطبخ وسألت: «أنتِ لا تتحدّثين الإنجليزية، أليس كذلك؟ هناك عائلة تبحث عن شخص يمكنه التحدّث باللغة الإنجليزية».

كانت سونام على وشك أن تقول لا، لكن شعوراً داخلياً أثنأها عن ذلك، ومن دون تردّد، لعبت دور تشيريونج مرّة أخرى، وقالت: «درست اللغة الإنجليزية في الكلية. أكملت السنة الأولى فقط، لذا فأنا لست جيدة جداً، لكن يمكنني التحدّث قليلاً. أستطيع القراءة والكتابة أيضاً. من فضلك قدّميني إليهم».

سألها سيهوا: «ذهبتِ إلى الكلية؟».

ليس فقط سيهوا، بل كل الأشخاص الآخرين في المطبخ بدوا مندهشين. حتّى الآن، احتفظت سونام بتفاصيل ماضيها -سواء الحقيقية أم الكاذبة- لنفسها، حتّى من الزوجين المسنّين. عندما رأت سونام الآخرين ينظرون إليها

بشكل مختلف فجأة، خفضت رأسها قليلاً، لكن في الوقت نفسه عدلت كتفها في اعتداد.

وفي اليوم التالي، ذهبت لإجراء مقابلة في منزل في منطقة بوتو السكنية الفاخرة. وكان المنزل يملكه السيد جونز، الذي كان السكرتير الأول في القنصلية الأمريكية في هاربين. كان مشابهاً لملحق قصر جايهوي-دونج، وكان يبدو مألوفاً على نحو سارٍ. المقابلة كانت مع السيدة جونز، وهي أم لولدين يبلغان من العمر سبعة أعوام وخمسة أعوام، وحامل بطفلها الثالث.

بدأت السيدة جونز متعبة عندما سألت سونام عن اسمها.

أجابت سونام: «أنا أدعى يون تشيريونج».

لم تستطع المرأة نطق اسمها بشكل صحيح، فكررت سونام حتى تتمكن من متابعة نطقها له. انفجرت ضاحكتين في محاولتها الثانية، وهذا جو التوتر. تذكرت سونام ذكرياتها الجميلة مع السيدة برادلي، ووجدت السيدة جونز ودودة بالمثل. لسبب ما، بدأت النساء الغربيات أناساً طيبين وصالحين.

سألت السيدة جونز: «من أين أنت؟ هل أنت يابانية؟ صينية؟».

أجابت سونام: «أنا كورية».

وشعرت بالقلق من أن قدومها من مستعمرة يابانية قد يكون ضدها لكن السيدة جونز اكتفت بسؤالها عن كيفية وصولها إلى هاربين وأين تعلمت اللغة الإنجليزية، دون أن تعلق بأي كلمة عن جنسيتها.

واصلت سونام كلامها: «جئت لرؤية أخي. أكملت سنتي الأولى في الكلية بدراسة اللغة الإنجليزية وآدابها. تعلمت أيضاً على يد سيدة إنجليزية».

كانت لغة سونام الإنجليزية غريبة، لكنها كانت تتحدث بتؤدة ووضوح.

ترددت السيدة جونز، ثم قالت: «حسناً، وافقت على تعيينك. لكن يجب أن أقول لك شيئاً مقدماً. سنعود إلى وطننا في أوائل أغسطس، لذا فإن هذه الوظيفة لمدة خمسة أشهر فحسب».

لم تكن سونام في وضع يسمح لها بالانتقاء، ولم تحب العمل في المقهى. كما أنها لم تكن تريد الاعتماد على سيهوا في كل شيء. ستمنحها الأشهر الخمسة وقتاً لتحسين لغتها الإنجليزية والتعود على الحياة في هاربين.

قالت: «لا بأس».

قالت السيدة جونز: «رائع، أنا سعيدة بلقائك». ومدت يدها لتصافحها.

في منزل آل جونز، أصبحت سونام شيري، بعد أن أخطأ الابن الأصغر، والتر، في نطق اسمها في اليوم الأول.

قالت السيدة جونز: «إنه اسم نستخدمه كثيرًا في بلدنا».

تنهت سونام في دخيلة نفسها.

بعد أن أمضت عدة أشهر في دور تشيريونج، أصبحت لمدة وجيزة هاروكو، والآن تُنادى باسم شيري. متى ستكون قادرة على أن تكون نفسها مجددًا؟ ومع ذلك، فهي لم تحب اسم سونام قط، كانت ترى أن اسم سون أفضل، لكنها ورثت هذا الاسم عن أختها المتوفاة.

على الرغم من أن لغة سونام الإنجليزية لم تكن جيدة جدًا، فإنها كانت سريعة في ملاحظة الأشياء والتصرف بناءً عليها. أطاعها الطفلان جيدًا، وشعرت أنه من المؤسف أن العائلة ستغادر قريبًا. الصعوبة الوحيدة التي واجهتها سونام كانت عندما يتعلق الأمر (بالطعام الغربي. ولحسن الحظ، كان تحضير الوجبات العائلية يقع بشكل رئيس على عاتق السيدة جونز، التي كانت تحب الطبخ - بمجرد انتهاء غثيانها الصباحي. كما كان زوجها يطبخ أحيانًا. في كوريا، سيكون من المشين أن يدخل رجل إلى المطبخ، لكن في الولايات المتحدة، يبدو أن حتى مشهد الرجل القوي وهو يطهو أمر مقبول.

أصبحت عائلة جونز أكثر مودة تجاه سونام عندما سقط الابن الأصغر من الدرج وتلقفته سونام - التي كانت واقفة بالأسفل - وأنقذته من الإصابة أو ما هو أسوأ.

بعد ذلك، مُنحت إجازة للخروج بعد ظهر يوم السبت، وهو الوقت الذي اعتادت فيه البحث عن جانجهوي في حي بوتو وفوتشيان على الجانب الآخر من المدينة. لم تستطع البحث عنه علنًا بسبب وضعيهما. تمامًا كما يُطلق عليها الآن اسم شيري، ربما يستخدم جانجهوي أيضًا اسمًا مختلفًا. الشيء الوحيد الذي يمكنها فعله هو السير في الشوارع والنظر في وجوه

الناس. لم يكن من النادر أن ترى شخصًا تعتقد أنه يشبه حبيبها، ما يجعل قلبها يخفق بسرعة.

لكنه لم يكن هو مطلقًا.

كلما تحوّلت خيبة أملها إلى وحدة اجتاحت عظامها، ذهبت لزيارة سيهوا وتحديث معها باللغة الكورية. ادخرت أجرها الأسبوعي لتسديد ثمن تذكرة القطار واشترت هدايا ليس لسيهوا فحسب، بل أيضًا لوالديها المسنين في غيلين. وبعد ذلك، راحت توفّر كل قرش كسبته.

في حياتها السالفة، لم تفكّر سونام مطلقًا في الوطنية أو الاستقلال الكوري. كان تفكيرها الوحيد أن تفعل ما يُقال لها، وإذا لم تجع، فسيكون كل شيء على ما يرام. أمّا بالنسبة إلى ما كان يفعله جانجهوي، فقد كانت مهتمة فقط بسلامته ولم تفكّر في صميم ذلك طويلًا. لكن ما حدث في القاعدة العسكرية جعلها تنظر إليه في ضوء جديد. كانت خادمت قصر جايهوي-دونج يحبين الثروة حول السيد الشاب، وفي قصصهن، كان جانجهوي مثل هونج جيلدونج، بعيد المنال ولا يقهر. كانت سونام تخجل من نفسها لأنها كانت منزعة عندما أوقع نفسه في المشكلات.

الآن أصبحت فخورة به، وقرّرت أنه عندما يجتمع شملهما، أنها ستبذل كل ما في وسعها لنصرة قضيته. سيساعد ذلك أيضًا في تخفيف ذنبها تجاه بوني والأخريات اللاتي تركتهن وراءها. لا تزال سونام تعاني الكوابيس حيث يعود صراخ الفتاة ورعب هروبها إلى الحياة مرّة أخرى. استيقظت وهي تتصبّب عرقًا، وتساءلت عن مقدار ما عرفه الفيكونت. لم يكن بإمكانه أن يعرف، أليس كذلك؟ لم تكن تريد أن تكره الفيكونت هيونجمان، الذي كان والد جانجهوي وتشيريونج، والذي كان -خلال لعبها دور سيدتها- بمنزلة والدها.

كان العثور على جانجهوي عسيرًا مثل العثور على شخص يُدعى السيد كيم في وسط مدينة سيول. تجاهلت سونام عمدًا احتمال عدم وجوده في هارين على الإطلاق. حتّى إنها كانت تخشى في أحد أركان قلبها أن يكون

متزوجًا بالفعل، أو أنه قد لا يرحب بلمّ شملهما. هل كان فقدان الجراب، أول هدية تلقّتها على الإطلاق، علامة على ضرورة استسلامها؟

عندما علمت السيدة جونز أن سونام كانت تبحث عن شقيقها، طلبت من زوجها المساعدة. بعد لحظة من التردد استغرقتها من أجل التفكير في مقدار ما يجب أن تقوله، أخبرتها سونام بالإشاعات التي سمعتها عن جانجهوي في الوطن -سواء كانت صحيحة أم لا- ووصفت ملامحه. لم تسمح لنفسها بأن تكون متفائلة هذه المرة، بل كانت تتوقع المزيد من خيبة الأمل.

بحلول شهر يونيو، كانت درجة الحرارة قد ارتفعت بدرجة كافية بحيث أصبحت شديدة القيظ في منتصف النهار. يبدو أن البرد الذي أصاب قلب سونام بعد مجيئها إلى الصين قد تلاشى. ذات يوم طلب السيد جونز منها تحضير العشاء، قائلاً إن ضيفاً سيأتي في المساء. نظرًا لأن الحفلات الصغيرة تقام أحيانًا في المنزل، لم تفكر سونام كثيرًا في ذلك، لكن بينما كانتا تعدّان الطعام معًا، بدا أن السيدة جونز على وشك أن تقول شيئًا ما عدّة مرات، ثمّ تراجعت. فعلت ذلك كثيرًا لدرجة أن سونام شعرت بالقلق من أنها فعلت شيئًا أزعج المرأة.

عندما وصل الضيف، طُلب منها إحضار الشاي إلى حجرة الجلوس. قالت السيدة جونز وهي تلوّح إلى سونام بحماس: «شيرى، انظري من هنا».

لم تتعرّف على الرجل النحيل ذي اللحية الكثيفة والنظارات، فالتفت لتتنظر إلى السيد والسيدة جونز بتعبير حائر. أشار السيد جونز في اتجاه الرجل، فيما بدت السيدة جونز تبتسم في ترقّب لردّ فوري. أدارت سونام رأسها نحو الرجل مرّة أخرى. وقف الرجل والتقت عيناه ونظراتها. جاء التعرف أولاً من الأعين. شهقت وكادت أن تسقط صينية الشاي.

كان جانجهوي.

وقفت سونام هناك بتعبير خاو، بالكاد واعية بالسيدة جونز وهي تتناول الصينية من يديها. شعر جسدها كله بالتيبّس، ولم تعد قادرة على الحركة أو الكلام. لكن دهشتها كانت أكبر من فرحتها. بالكاد تمكّنت من التعرف على السيد الشاب، الذي لم تنسه أبدًا حتّى في أحلامها. تغيّر الرجل الذي وقعت في

حبه كثيرًا عن الصورة التي كانت تحملها في قلبها طوال هذا الوقت. في قصر جايهوي-دونج، اعتاد ظلُّه على جعلها ترفرف. حتَّى بعد أن غادر المنزل، كان بالنسبة إلى سونام مثل مصباح الزيت المشتعل الذي أضاء حياتها. لكن الرجل الذي أمامها الآن كان أشبه بمصباح بعد شروق الشمس، عندما ينبلج النهار وينطفئ اللهب - وكل ما يبقى هو السخام على الزجاج وحافته الصدئة المهترئة.

قبل كل شيء، كان جانجهوي دائمًا طويلًا بما يكفي لتتمكَّن سونام من رفع رأسها والنظر إليه، لكنه الآن أطول قليلًا منها فحسب. لا بُدَّ أنها كبرت في السنوات التي تلت آخر لقاء بينهما. كل هذه الأفكار والمشاعر جاءت في لحظة التعرُّف. وسرعان ما تحوَّلت الصدمة إلى خيبة أمل عندما أدركت أن الرجل الذي كانت تنتظره وتبحث عنه ربما لم يعد موجودًا.

تحدَّث جانجهوي أولًا: «تشيريونج، هل هذه أنتِ؟».

بدا صوته أخفض، وأجشًّا من ذي قبل، لكنه كان بالتأكيد صوت جانجهوي. كلماته أخرجت سونام، التي تخيلت لقاءهما مرَّات لا تحصى، وفي تلك الأحلام، وخيالات اليقظة، كان دائمًا يتعرَّف على سونام في الحال. لكنه الآن كان يسأل سونام إن كانت أخته. كانا يبتعدان كثيرًا عن لم الشمل العاطفي الذي تصوَّرتَه. أرادت أن تكون صديقة بشأن هويتها، لكن مع وجود السيد والسيدة جونز، لم يكن أمامها خيار سوى الإيماء برأسها.

سأل: «كيف وصلت إلى هنا؟...» وتراجع صوته وهو يمسك بيدها.

لم يكن جانجهوي قط أخًا لطيفًا لتشيريونج، لكنه بدا متأثرًا لرؤيتها في هذه الأرض الأجنبية البعيدة. تساءلت سونام عن مدى خيبة أمل جانجهوي عندما يعلم أنها ليست أخته.

على الرغم من أنها عادة ما تأكل بشكل منفصل في المطبخ، فإن سونام كانت مدعوَّة لتناول الطعام مع الجميع على مائدة العائلة. كان ذلك بمنزلة الاعتبار الخاص لوجود السيد الشاب، لكنها كانت تتوق إلى الهروب من الوضع غير المريح.

علمت أن السيد جونز وجانجهوي قد تعارفا من خلال كنيسة تديرها جمعية تبشيرية أمريكية في فوشياتيان. كان جانجهوي، الذي كان يُدعى الآن جانج دونج جون، معلماً في مدرسة ليلية تديرها الكنيسة. ومؤخراً، طلب اليابانيون من القنصلية الأمريكية إغلاق المدرسة الليلية، متهمين إياها بتحريض دوائر سرّية تخريبية وسط الطلاب الكوريين والصينيين. وقد التقاه القنصل جونز، المكلف بحل المشكلة، مرّتين أو ثلاث مرّات. عندما تحدثت سونام عن أخيها، قال إن جانج دونج جون خطر على ذهنه على الفور.

بعد العشاء، تمكّنت سونام أخيراً من التحدّث مع جانجهوي بمفردها في غرفتها الصغيرة. كانت غرفة بسيطة لا تحتوي إلا على سرير، وخزانة صغيرة ذات أدراج، ومرآة صغيرة معلقة على الحائط. جعل جانجهوي سونام تجلس على السرير، وبعد أن جلس على الخزانة ذات الأدراج مقابلها، تدفّقت منه الأسئلة التي احتفظ بها في أثناء العشاء: «كيف وصلتِ إلى هنا؟ متى وصلتِ؟ ماذا حدث في الديار؟ لماذا تعملين هكذا؟ أبي وأمي، هل هما بخير؟ هل أتيت وحدك؟ ألم تأتي سونام معك؟».

عندما نطقت شفتاه باسمها، كان الأمر كما لو كانا يجتمعان الآن للمرّة الأولى. السيد الشاب لم ينسها! انزلت سونام من فوق السرير وركعت أمام جانجهوي الحائر. أغمضت عينيها بقوة من الحرج وقالت الحقيقة: «سيدي، أرجوك سامحني. أنا سونام، ولست السيدة الشابة. أنا آسفة جداً».

جانجهوي، الذي فزّ في زهول، انهار مرّة أخرى فوق الخزانة ذات الأدراج. وبعد النظر إليها مدّة من الوقت، بالكاد تمكّن من التحدّث: «أنت لستِ تشيريونج، لكن سونام؟ لكنك تشبهينها كثيراً (جعلها تقف على قدميها ثمّ أجلسها على السرير مرّة أخرى). والآن أخبريني ماذا حدث؟ وكيف وصلت إلى هنا».

بينما كان جانجهوي يستجوبها، بدأت سونام تسرد القصّة التي كانت تتوق إلى روايتها. بدءاً من سيدتها التي كانت تدرس في الخارج، وقضية تشيريونج وجيونجيو، ثمّ أخذها مكان تشيريونج في كتيبة النساء، وما حدث في قاعدة الجيش، وتفاصيل هروبها. أخبرته بكل شيء باستثناء السبب الحقيقي لمجيئها إلى هاربين: «جنّت إلى هاربين مع ابنة الرجل العجوز في

غيلين الذي أنقذني. قالت إنها ستساعدني في البحث عن عمل. لم يكن هناك مكان آخر يمكنني الذهاب إليه، ولم أتمكن من الرجوع إلى الديار».

وقد بدا أنه فقد القدرة على الكلمات، حدّق جانجهوي إليها مدّة طويلة قبل أن يتكلّم أخيرًا، هذه المرّة بلهجة أكثر ليونة: «لا بدّ أنك عانيت كثيرًا. يجب أن أكون الشخص الذي يعتذر نيابةً عن عائلتي. أنا آسف جدًّا».

اغرورقت عينا سونام بالدموع. كان السيد الشابُّ لا يزال في صفّها. ربما تغيّر مظهره. لكن قلبه لم يتغيّر. شعلة مصباح الزيت، التي اعتقدت أنها انطفأت، اتقدت أكثر إشراقًا وأقوى من أي وقت مضى. تحوّلت الدموع إلى تنهّجات حيث تدفّقت من خلالها كل المشاعر التي حبستها في قلبها.

وبعد مرور بعض الوقت، تمكّنت من تهدئة نفسها إلى حدّ كبير. وبينما تفرك دموعها، تحدّثت بين الشهقات. قالت وهي تدافع عن الفيكونت: «ليس خطأ السيد. قلت برضا إنني سأذهب إلى كتيبة النساء. الرائد موري الشرير».

تنهّد جانجهوي وغير دفة الحديث: «أليس هناك أي أخبار عن تشيريونج؟». هزّت رأسها، وقالت: «لم أسمع أي شيء منذ أن افترقنا في كيوتو. من المحتمل أنها مختبئة في مكان ما، لذا يجب أن أستمّر في العيش تحت اسمها. لا يمكن التنبؤ بما سيحدث لها إذا انفضحت حقيقة هويتي».

بدا جانجهوي مذعورًا وقال: «حتّى الآن، ما زلت قلقة بشأن تشيريونج؟ هل جننت؟ بماذا كنت تفكرين عندما قبلت هذه الخطّة الغبية؟».

كان سماع كلماته الحنونة بمنزلة بلسم مهدئ.

قالت: «فعلت ذلك من أجل فرصة الحرّية. قال السيد إنه سيطلق سراحني عندما أعود، وسيدفع لي ألف قطعة ذهبية. وبهذا المال، كان بإمكانني مساعدة عائلتي وحتّى الذهاب إلى المدرسة. لكنني هربت، لذا فقد سار كل شيء بشكل خاطئ الآن».

أضاءت عيناها فجأة عندما خطرت فكرة في ذهنها، وقالت: «عندما أعود –وتكون سيدتي آمنة– أستطيع أن أطلب منها حرّيتي، أليس كذلك؟ بالتأكيد سوف يستمع الفيكونت لها؟».

ضحك جانجهوي كما لو كانت الفكرة سخيّة، وابتسم الاثنان وتبادلا النظرات الصريحة. لأول مرّة منذ اللقاء، وقال: «بغضّ النظر عمّا تقوله أختي، أنت حرّة بالفعل. امتلاك أي شخص لشخص آخر بالفعل مفهوم سخيّف. لكنّ كيف عرفت أنّي كنت هنا؟ أنا أعيش تحت اسم آخر منذ عدّة سنوات».

قالت: «كما قلت، جنّت مع سيهوا. لكنّ بعد ذلك تذكّرت أنّي سمعت شائعات في الوطن بأنك كنت في هاربين. لذلك حدث أن ذكرت ذلك للسيدة جونز، بعدئذٍ ساعد السيد جونز أيضًا. لم أتوقّع حقًا أن يجداك».

دون أن ينبس ببنت شفة، رفع جانجهوي يده، ومسّد على شعر سونام. مرّت كفّه فوق رأسها ثمّ داعبت كتفيها وظهرها. احمرّت خجلًا، لكنها لم تبتعد.

قالت: «لا أعتقد... (وتحوّل لون وجهها إلى حمرة فاتحة).. أنت لست متزوّجًا... أليس كذلك؟».

الفصل السادس عشر

حياة الضباب

تشيرونج، التي عاشت في سان فرانسيسكو لمدة شهر، سرعان ما تعرّفت على وسط المدينة والأحياء المحيطة بها. ومع مرور الوقت، اختفت الإثارة التي شعرت بها، وفقدت زياراتها للمدينة رونقها تدريجياً، وأصبحت بمنزلة تذكير يومي بأنها كانت فقيرة وغير ناطقة باللغة الإنجليزية. ومع ذلك، كان السؤال نفسه يتبادر إلى ذهنها وهي تفتح عينيها كل صباح.

كيف سأقضي يومي؟

بعد مدّة من الاكتئاب والخمول، قرّرت تشيرونج أنه يتعيّن عليها كسب مالها الخاص إن أرادت مغادرة المنزل. لكنها كانت في حيرة من أمرها في ما يتعلّق بكيفية العثور على عمل. عندما كانت تسير في الشوارع، رأت لافتات «مطلوب مساعدة»، لكنها كانت متوتّرة للغاية لدرجة أنها لم تطلب إجراء مقابلة. أخيراً، ابتلعت تشيرونج كبرياءها وطلبت من جونباي أن يجد لها وظيفة، لكنّ ليس في متجر ياباني. لم تُرد أن يعرف صاحب العمل من زوجها، أو أنها زوجة حَمّال الفندق.

قال جونباي إنه سيحاول لكن الأمر سيكون صعباً، وأوضح: «هناك نقص في الوظائف للأمريكيين أيضاً. لماذا لا تمنحين نفسك بعض الوقت وتقوين من لغتك الإنجليزية؟».

لم يعجبها الوضع المحرج في غرفتهما المشتركة والسرير الفردي، ولم تعجبها نكات عمّه المستمرّة حول كونهما متزوَّجَيْن حديثًا. لا، لم تُرد الانتظار، لذلك استجمعت شجاعته وقرّرت البحث عن عمل بنفسها. الأشياء الوحيدة التي يمكن أن يفعلها المهاجر الذي يمتلك لغة إنجليزية ضعيفة هي العمل في مطبخ مطعم، أو عامل نظافة في فندق، أو في مغسلة ملابس. إذا كان ذلك ممكنًا، فقد أرادت العمل في مطعم راقٍ أو متجر متعدّد الأقسام. اشتاقت على الأقل إلى الرضا البديل المتمثّل في رؤية أفراد الطبقة العليا في أماكن ساحرة.

بعد أن رفضوها في مقابلة تلو الأخرى، إمّا لكونها غير مؤهلة وإمّا لأن لغتها الإنجليزية لم تكن جيدة بما فيه الكفاية، استسلمت وطلبت المساعدة من العمّ جيرو. توصلت قائلة: «من فضلك أبقِ الأمر سرًّا عن جونباي».

عرف جونباي أن تشيريونج تكره عمّه. إذا اكتشف أنها طلبت منه مساعدتها في العثور على عمل، فسيعتقد أنها لا تملك أي عزّة نفس. لم تستطع تحمّل فكرة أن ينظر إليها شخص مثل جونباي بازدراء.

أول مكان وجد لها العمّ جيرو وظيفة فيه كان مطعمًا على رصيف الميناء، لكنها كسرت طبقًا وسكبت الطعام على أحد الزبائن، وتعرّضت للطرْد من العمل في غضون يوم واحد. وفي المطعم الثاني، أخطأت في تقديم الطلبات، فاستقالت وخرجت بعد أن تشاجرت مع زبونٍ فظّ. ثمّ جرّبت التنظيف في فندق، لكنه كان عملاً شاقًا ومقرّزًا لدرجة أن مجرد تغيير ملاءة سرير واحدة جعلها ترغب في التقبُّو. بعدئذٍ استمرّت وظيفتها في إحدى الحانات حتّى سكبت الماء على أحد الزبائن الذي نعتها بـ «قردة».

في المطعم الذي عملت فيه بعد ذلك، صمدت لمُدّة ثلاثة أيام.

تنبّهت عينا تشيريونج عندما ذهبت لتأخذ طلبًا من زبون جديد. كان من الواضح أنه كوري. كان بإمكانها التمييز بسهولة بين الكوريين واليابانيين والصينيين، وكان هذا أول كوري تراه منذ قدومها إلى سان فرانسيسكو. وفقًا للعمّ جيرو، كان هناك كوريون ذهبوا إلى هاواي بصفتهم عمالًا ثمّ استقرُّوا في كاليفورنيا، لكنها لم تر أيًا منهم قط. خفق قلبها وهي تضع القائمة فوق المائدة، غير متيقّنة إن كانت سعيدة أم خائفة من مقابلة شخص من وطنها.

نظر إليها الرجل وهو يطلب الطعام بإنجليزية طليقة، وربما شعر بالقرابة التي شعرت بها.

بعد تسليم طلب الزبون إلى المطبخ، خرجت تشيريونج ومعها زجاجة بيرة لإحدى الموائد الخارجية. كانوا ثلاثة رجال، يبدو أنهم عمال في رصيف الميناء. وكانوا يتحدثون لغة لا تفقهها. قال أحدهم شيئاً وأمسك بمعصم تشيريونج وهي تضع زجاجته. بينما أبعدت تشيريونج يده، ضحك الرجل الجالس بجانبه وربّت مؤخرتها. وبينما صفعت يده بعيداً، وقف الرجل الثالث وأمسكها من كتفها.

وفي اللحظة التي صرخت فيها، ظهر الرجل الكوري، وأمسك بمعصم الرجل ولواه. على الرغم من وجود ثلاثة منهم، لم يُرد الآخرون إثارة أي مشكلة. تركوا المال على المائدة ولانوا بالفرار، وهم يلعنون مُنقذها. وقد شعرت بالارتياح، كانت تشيريونج على وشك أن تشكره عندما سألتها: «هل أنت كورية، بأي حال من الأحوال؟».

تأثرت عندما سمعت الرجل الذي أنقذها يتحدث الكورية، وكانت على وشك أن تقول نعم، أنا كورية، عندما تذكّرت أن اسمها كان تيراو هيكاري. ولم تعرف العواقب إن هي كشفت عن هويتها الحقيقية لهذا الرجل. بدلاً من الإجابة، انحنت تشيريونج عدّة مرّات مثل امرأة يابانية وكرّرت: «شكراً جزيلاً»⁽¹⁾.

بصق منقذها الكوري على الأرضية، واستدار مبتعداً، وصاح: «يا لحظّي العاثر حتّى أساعد عاهرة يابانية».

صدمتها عبارة «عاهرة يابانية» المنطوقة باللغة الكورية باعتبارها وصمة عار أعظم بما لا يقاس ممّا شعرت به عندما أُطلقَ عليها اسم هيكاري، زوجة جونباي. كان الأمر مختلفاً عمّا كانت عليه عندما سخر منها الغربيون باستخدام كلمات مثل «قردة» أو «موزة». وفي اليوم نفسه استقالت من وظيفتها، وقرّرت أنها لن تبحث عن وظيفة أخرى.

(1) باليابانية في الأصل (المترجم).

في صباح أحد الأيام، استدعى ساساكي جونباي إلى مكتبه عندما كان على وشك مغادرة العمل، وسأله: «هل تعرف شخصًا يدعى جيرو؟».

ما إن سمع جونباي هذه الكلمات، حتى اعتراه شعور مشؤوم. هل يمكن أن يقول إنه لا يعرفه؟ لكن من وجه ساساكي، تراءى له أنه على علم بالفعل بعلاقتهما.

قال: «إن كنت تتحدث عن تيراو جيرو، فهو عمي».

عقد ساساكي حاجبيه، وظل صامتًا للحظة.

قال أخيرًا: «إذن لم يعد بإمكانني الاستمرار في توظيفك».

عرف جونباي أن عمه قد نجا في أمريكا من خلال اقتراح أشياء سيئة، لكنه لم يتوقع شيئًا مثل هذا. كان صوت ساساكي باردًا وحازمًا. لم تكن هناك أي علامة على المراعاة والاهتمام الذي أظهره لجونباي حتى تلك اللحظة. الآن، بدا حتى غاضبًا.

قال ساساكي: «فقدت والدي بسبب جيرو، وهناك العديد من اليابانيين الآخرين الذين تضرروا أيضًا بسببه وبسبب عصابته. لن يكون من السهل عليك العثور على عمل في الحي الياباني في المستقبل».

إذن لم يفقد جونباي وظيفته فحسب، بل سيكون من الصعب عليه العثور على وظيفة أخرى في الحي الياباني؟ شعر كما لو أن الأرض تتداعى تحت قدميه. ومع ذلك، لم يكن يريد التسؤل، ولذلك حاول التفاوض على خروج مشرف.

قال: «جيد جدًا يا سيدي. سأواصل العمل فقط حتى تجد شخصًا آخر».

هز ساساكي رأسه، وعقب ببرود: «لا، إذا لم أطرده على الفور، فسوف يضر ذلك بسمعتي. ها هو راتبك حتى اليوم».

التقط مظهرًا أصفر من الدرج، ووضع على المكتب بينهما، وقال: «أنا أسف، لكن أرجو منك أن تتفهم».

بينما يخوض وسط اندفاع الناس في طريقهم إلى العمل، ركب جونباي الترام إلى منزله. في اللحظة التي فتح فيها الباب الأمامي، سمع مارينا وتشيريونج تضحكان، كما لو أن العم جيرو ألقى نكتة. في أي وقت آخر، كان

سيسعد برؤية زوجته وعمه متآلفين، لكنه الآن أصبح غاضبًا. تناول جونباي وجبة الإفطار، وانتظر مغادرة مارينا إلى المدرسة. ثم، بدلًا من الذهاب إلى السرير، طلب من تشيريونج أن تذهب إلى غرفتهما وتغلق الباب، فأطاعته بكل خنوع.

لم يحاول تلطيف كلامه مع عمه الذي كان يجلس قبالة. بعد أن فقد وظيفته بسبب هذا الرجل، لم يظهر أي اعتبار أو توقير له كالمعتاد.

قال: «طُردتُ اليوم من العمل. قال السيد ساساكي إنه فقد والده بسببك، وأنه سيكون من الصعب بالنسبة إليّ أن أحصل على وظيفة في الحي الياباني لأنني ابن أخيك. ماذا كنت تفعل بحق السماء؟».

بعد أن التقت عينا العمّ ونظرات جونباي للحظة، نكّس عينيه وأخبره بالحقيقة عندما جاء إلى أمريكا لأول مرّة.

جيرو، الذي كان مختبئًا في سفينة شحن أمريكية راسية في يوكوهاما، اكتشفه أحد البحارة عندما كانوا بعيدًا في قيب البحر. جرّه البحار أمام القبطان واعتقد أنه سيأمر بإلقائه في البحر. وفي أثناء تفتيشه هو وحقيبته اكتشفوا بعض اللوحات التي سرقها جيرو. وكما اتضح في ما بعد، كان مالك السفينة، رجل أعمال يدعى سانشيز، شغوفًا بجمع الأعمال الفنية. انجذب بشكل خاص إلى الفن التقليدي في الشرق الأقصى. أنقذته لوحات أوكيو-إي. وباستخدام حركات اليد ولغة الجسد، أقنعهم جيرو بأنه رسّام أوكيو-إي مشهور في اليابان. وبفضل ذلك، منحوه هوية مزيفة كبخّار، ودخل سان فرانسيسكو بأمان، حيث أحضروه أمام سانشيز هذا. جاء مالك السفينة من تشيلي في أثناء حمى الذهب واستقرّ في سان فرانسيسكو بعد أن حقق ثراءً فاحشًا. كان لدى سانشيز العديد من التجارات، وكان أكثرها ربحًا بيع الفواكه والخضروات لتجار الجملة في جميع أنحاء سان فرانسيسكو. في ذلك الوقت تقريبًا، بدأ اليابانيون في تأسيس المزارع وبيع منتجاتهم بأسعار أقل. نظرًا إلى عدم رضاه عن تعدياتهم على السوق، فقد عهد سانشيز إلى جيرو بحل المشكلات.

قال: «بالطبع، كان عليّ مناصرة الرجل الذي سمح لي بالعيش وأتى بي إلى هذه البلاد. نعم، اقترفت أشياء سيئة. كنت أتجسّس لصالحه على

الشركات اليابانية، وفي بعض الأحيان كنا ننحرف أنا وبعض أصدقائي إلى أعمال عنف. لكنني لم أقتل والد رئيسك».

- إذن، هؤلاء الأشخاص الذين تسميهم أصدقاءك هم من قتلوه؟

- بعد وفاة سانشيز فجأة، تولّى ابنه سانشيز جونيور إدارة العمل، وطردنا جميعًا. أراد في الواقع أن يبقيني بجانبه - كنت ألعب معه كثيرًا عندما كان صغيرًا - لكن الولاء كان على المحك، ولم أستطع أن أكون الوحيد الذي يبقى. أصبحت بالفعل سيئ السمعة بين الجالية الكورية هنا، لذلك لم أتمكن من العودة إلى الحي الياباني. وكان أصدقائي، ومعظمهم من أمريكا اللاتينية، مشتتين. في ذلك الوقت، كان الاقتصاد مزدهرًا، لذلك كان من السهل كسب لقمة العيش. حقق بعضهم نجاحًا كبيرًا، وبفضلهم تمكنت من اجتياز أزمة الكساد العظيم الرهيبة. وحتى الآن، تتاح لي بعض الوظائف بين حين وآخر.

- هل هذه الوظائف غير قانونية أيضًا؟

هزّ عُمه كتفيه.

- إنها أشياء لا تمثل مشكلة كبيرة حتى لو قبض عليك.

- أريدك أن تتوقف عن ذلك الآن. سأعمل بجديّة أكبر وأكسب المزيد.

تحدّث جونيبي بنبرة مُقنعة، لكن لم يكن لديه أي فكرة عن كيفية تحقيق ذلك أيضًا.

لكسب المال، راح جونيبي يرسم بورتريهات في الحدائق والشوارع. كان ثمة رسّامون ومصوِّرون آخرون، لكنه كان الرّسام الياباني الوحيد. كان معظم زبائنه يابانيين، ما زالوا يشعرون بالحنين إلى الماضي بعد مدّة طويلة من مغادرتهم ديارهم، بالإضافة إلى أشخاص من أعراق أخرى لديهم فضول تجاه الرسم الياباني. كان يرسم بورتريهات شخصية في النهار، وفي الليل يعمل حارس مستودع على رصيف الميناء - وهي الوظيفة التي حصل عليها العمّ جيرو - حيث لم يحدث شيء، ولم يقم أحد بالتحقق منه، لذلك غالبًا ما كان يقضي الليل نائمًا على سرير ضيق في زاوية غرفة الحراسة.

وفي الأيام الضبابية، التي كانت شائعة جدًا، لم يتمكن حتى من رؤية أنفه، ولم يكن هناك زبائن يريدون رسم بوتريهات لهم. وفي أحد هذه الأيام، كان يتناول ساندويتشًا في حديقة جولدن جيت، ويفكر في حياته، وكيف أن المستقبل له ولعائلته كان مغيبًا مثل الضباب. بعد أن فرغ من تناول الطعام، وشعر بالامتلاء. راح يرسم حديقة الشاي اليابانية التي كانت بالكاد مرئية وراء السياج حيث كانت أزهار الكرز تتفتح.

وسط الضباب، بدت حديقة الشاي، التي تضم مقهى يبيعون فيه الشاي التقليدي، أكثر رومانسية من المعتاد. كان جونباي مستغرقًا في الرسم لدرجة أنه لم يلحظ امرأة يابانية في منتصف العمر تتوقف لمشاهدته، باستثناء التفكير المجرد في أن شكل المرأة التي ترتدي الكيمونو كان جميلًا. خطرت في ذهنه صورة وتحدث جونباي دون تفكير: «هل يمكنني رسم صورة لك؟ لن آخذ أي أموال مقابل ذلك».

قالت: «حسنًا، حسنًا، إذا كنت ستعطيني إياها».

نظرًا لأنه لم يتقاض أجرًا، استرخى جونباي، ولم يفكر في ما قد ترغب الزبونة فيه، كأنما يرسم من أجل المتعة فحسب. في تلك الأثناء، انقشع الضباب لكنه كان منشغلًا في الرسم لدرجة أنه لم يلحظ أن الناس قد تجمعوا من حوله وراحوا يشاهدونه وهو يرسم. كان سعيدًا للغاية بالصورة النهائية لدرجة أنه كان مترددًا في التخلي عنها، لكنه استسلم دون جدال لأنه عقد صفقة، وماذا يمكنه أن يفعل غير ذلك.

بعد بضعة أيام، عندما عاد إلى الحديقة، رأى جونباي المرأة مرة أخرى. هذه المرة، كان برفقتها رجل ياباني كبير السن، وحياهما جونباي. قال الرجل إنه السيد هاجيوارا، مدير حديقة الشاي، وسأل إن كان بإمكانهما التحدث. حزم جونباي أدوات الرسم، وتبعهما، متسائلًا ماذا يريد الرجل منه، ومتوترًا من أنه قد يكون متعلقًا بعمه، وربما لن يكون مرحبًا به هنا أيضًا.

في حديقة الشاي، كانت أشجار الكرز في حالة إزهار كامل وسط أشجار الصنوبر الكثيفة، والصفصاف المتدلّية، والشجيرات المزدهرة. وفي المقهى، استمتع الناس بالشاي الياباني وبسكويت «الحظ»، والحلويات اليابانية بجانب بركة شاعرية المنظر تعجُّ بسمك الشبوط الملون طويل الزعانف.

ضحكوا عندما فتحوا قصاصات الورق المحشوة داخل البسكويت. عندما رأى جونغباي البركة التي تسبح فيها أسماك الشبوط، فكَّر في قصر جايهوي-دونج. ذكَّره سمك الشبوط هناك بمدى فقره، لكنَّ هنا ذكَّرته بأن تشيريونج كانت زوجته.

بدأت مخاوف جونغباي تهدأ.

داخل حديقة الشاي، دعيا جونغباي إلى المسكن الخاص لعائلة هاجيوارا. كان الطابق السفلي يخضع للإصلاحات، واقتاداه إلى غرفة الرسم في الطابق الثاني. أحضرت له المرأة التي في منتصف العمر، والتي رسم جونغباي صورة لها سلفاً، الشاي. في حين أخبره السيد هاجيوارا بتاريخ حديقة الشاي.

وأوضح قائلاً: «كان هذا في الأصل موقع الجناح الياباني للمعرض العالمي الذي أقيم عام 1894. كان والدي المصمِّم». وبعد انتهاء المعرض، وبإذن من السلطات، واصل والد هاجيوارا تطوير الموقع وتحويله إلى حديقة يابانية تقليدية.

أكمل الرجل: «أصبحت الحديقة الآن أضخم بخمس مرَّات ممَّا كانت عليه في المعرض. نحن نفخر بحديقتنا، وتقديمنا الثقافة اليابانية للأمريكيين». لم يستطع جونغباي إلا أن يتأثر بالقصة، فقد حافظت عائلة الرجل على ثقافة وطنه ورعايتها في بلد آخر.

شرح السيد هاجيوارا سبب دعوة جونغباي إلى منزلهما: «بحثنا طرائق مختلفة للترويج لحديقة الشاي على نطاق أوسع. شاهدتك عدَّة مرَّات في الحديقة، ولديك موهبة في رسم اللوحات بأسلوب أوكيو-إي».

فسَّر جونغباي قائلاً: «كان لدى جدِّي استوديو أوكيو-إي في يوكوهاما. عمل والدي معه أيضاً. نشأت وأنا أشاهدهما حتَّى أكون مساعداً لهما يوماً ما».

قال الرجل: «لا عجب إذن. الإصلاحات في الطابق السفلي لأننا سنحوّل الطابق الأول إلى متجر للهدايا التذكارية. عندما نفتتحة، أرغب في صنع وبيع بطاقات بريدية تجسّد المناظر الطبيعية لحديقة الشاي واللوحات اليابانية التقليدية. نحن نفكِّر أيضاً في إقامة مناسبة يمكن فيها لأي من الزبائن الذين

يجدون تذكرة فائزة في بسكويت الحظ، أن ينالوا فرصة رسم بوتريه لهم -وأودُّ أن تكون أول رسام حصري لدينا».

كان العرض غير متوقَّع على الإطلاق، لكن حماسة جونباي سرعان ما استحالت إلى هلع عندما فكَّر في عمِّه. نظرًا لعدم رغبته في الكذب على رجل يحترمه ويريد حقًّا العمل معه، فقد تحدَّث بصراحة مع السيد هاجيوارا. سمع الرجل عن جيرو، وتفاجأ بأن جونباي ابن أخيه. ولحسن الحظِّ، قال إنه لن تكون ثمة مشكلة.

كانت مواعيد العمل من الساعة التاسعة صباحًا حتَّى الساعة السادسة مساءً، حتَّى لا يضطرَّ جونباي إلى ترك وظيفته الثانية في رصيف الميناء. لم تكن حديقة الشاي تدفع له راتبًا مرتفعًا جدًّا، لكنه كان دخلًا ثابتًا، وكان يفخر بتقدير مهارته.

في تلك الليلة، اصطحب تشيريونج لتناول العشاء، وأراد أن يخبرها بالأخبار السارة أولًا. بدت محتارة عندما توقَّفا خارج مطعم باهظ الثمن، ونطقت: «هل نحن حقًّا سنأكل هنا؟ هل وجدت بعض المال في الشارع أو شيء من هذا القبيل؟».

هزَّ رأسه، وقال: «هيكاري، أنا آسف لأنني جعلت الحياة صعبة عليك طوال هذا الوقت. يجب أن تبدأ الأمور في التحسُّن قليلًا الآن».

نظرت إلى النساء الأخريات في المطعم، ووبَّخته بخفة قائلة: «لو أخبرتني مسبقًا، كنت سأرتدي ملابس سي».

ضحك جونباي، وقال: «لا تقلقي، أنتِ ما زلتِ أجمل امرأة هنا».

بدا أن تشيريونج تقدَّر الإطراء.

بينما كانا ينتظران قدوم العشاء، أخبرها جونباي عن حديقة الشاي، التي كانت تشيريونج قد ذهبت إليها من قبل في إحدى جولاتها حول المدينة. فوجئت بأنهم عرضوا على جونباي وظيفة. كانت تعلم أنه كان يرسم بوتريهات، لكنها لم تفكِّر في الأمر كثيرًا.

ووعد قائلاً: «سأكون قادرًا على إعطائك المزيد من مصروف الجيب الآن».

يبدو أنها تقدَّر ذلك أكثر من الإطراء.

كان جونباي سعيدًا لأنه يجني ما يكفي من المال حتى يعول عائلته، وارتاح أن تشيريونج لم تعد ترغب في العمل. كان يعلم أنها ستهجره في اللحظة التي تسنح لها الفرصة، كان من المهم أن يبقيا معتمدة عليه بشكل كامل، إذا أراد الاحتفاظ بها زوجة.

امتنعت تشيريونج فجأة عن الأكل، وسألته: «ولكن لماذا أنت لطيف معي؟».

فجأة بدا الأمر وكأنه فرصة مثالية له للاعتراف بمشاعره الحقيقية؛ أن زواجهما لم يكن مجرد خدعة فُكر بها والدها، بل شيئًا كان يمني به نفسه طوال الوقت. وبينما كان يبحث عن الكلمات الصحيحة، قاطعت أفكاره -وأفسدت مزاجه- بما كان عليها أن تقوله بعد ذلك: «عندما يكون الاتصال به آمنًا، سأخبر والدي بالتأكيد أن يدفع لك أكثر مما وعد به».

تخلّى جونباي عن فكرة الاعتراف برؤيتها.

بدأت تشيريونج في القيام بالأعمال المنزلية، وفي بعض الأحيان كانت تعدّ وجبات الطعام. وعندما كانت تجري محادثة مع مارينا باللغة الإنجليزية، كانتا تضحكان معًا. كان جونباي يفكر في ضحك زوجته وهو يرسم صورًا للبطاقات البريدية في استوديو صغير في زاوية حديقة الشاي. في منتصف الليل، حتى في المستودع، فُكر أن ابتسامتها من شأنها أن تعدل مزاجه. في بعض الأحيان كان يتساءل كيف يمكنه أن يحب تشيريونج بهذا القدر من الجدية في حين أنها لا تبدو مهتمة به على الإطلاق، لكنه لم يستطع منع حبه لها.

ذات ليلة، جاء عمه إلى المستودع وهو يعجّ بالإثارة. كان أول ما فُكر فيه جونباي أن شيئًا ما قد حدث لتشيريونج. بدأ العمُ جيرو، دون أن يأخذ ثانية واحدة للجلوس، يتحدث على عجل: «لم أستطع الانتظار حتى الصباح. هل تستطيع أن تخمّن ما الذي حدث؟».

هل هربت تشيريونج بعيدًا؟ امتقع وجه جونباي من جراءة الفكرة. من دون تشيريونج، سيغدو كل شيء بلا معنى. في الآونة الأخيرة، كان جونباي

سعيدًا ومرتاحًا، لكن لأنه يري نفسه رجلًا وُلِدَ سيئ الحظ، عرف أنه لم يخلق للسعادة.

وتابع عمه: «اليوم، أخبرني سانشيز جونيور أنهم كانوا يفعلون شيئًا ما بالفن الذي جمعه والده، وأنه عليّ إلقاء نظرة. وها هي بعض لوحات أوكيو-إي التي صنعها والدي تيراو تاكيشي معلقة في المعرض. واليوم، أجرى أحد المراسلين مقابلة معي، بصفتي ابن الفنان، وشرحت له كيفية صنع فن أوكيو-إي. أصبحوا أكثر اهتمامًا عندما قلت إنني طبعت اللوحات».

قفز جونيبي على قدميه: «هل هذا صحيح حقًا؟ اعتقدت أن لوحات جدّي قد دُمّرت كلها في أثناء الزلزال، ولم تنجُ أي واحدة منها. أين المعرض؟ أريد أن أراها!».

قال جيرو: «لهذا السبب يقول الناس إنك لا تعرف أبدًا ما يمكن أن يحدث. في ذلك الوقت، كنت ابنًا عاقًا سرق لوحات والده وهرب، لكن الآن أنا الابن الصالح الذي جعل أعمال والده معروفة في الولايات المتحدة».

حلّت الابتسامة محل العبوس الذي انتشر على وجه جونيبي عندما ظنّ أن تشيريونج قد رحلت. وضع العمُ جيرو ذراعه على كتف جونيبي وتحدّث بحماس، ولم يتوقّف حتّى لالتقاط أنفاسه: «لنفترض أننا أنشأنا استوديو أوكيو-إي؟ إذا رسمت الصور، يمكنني الاهتمام بطباعتها. كان الأمر مملًا في ذلك الوقت، لكن هذه العملية كانت محفورة في عظامي لدرجة أنني ما زلت أتذكّرها. إذا تكفّلت أنت بالرسم والتلوين، فسوف أطبعها وأرّوج لها. يمكننا إعادة فتح استوديو أوكيو-إي طوكيو في سان فرانسيسكو».

كان جونيبي، الذي لم يثق في عمه، متشككًا بقدر ما كان جيرو متحمسًا. - أين ستجد المال لفتح متجر؟ وقد فقدت أوكيو-إي شعبيتها حتّى في يوكوهاما. ما زلت أتذكّر أنك كنت تتذمّر طوال الوقت عندما كنت صغيرًا.

- الصيحات تأتي وتذهب. وهذه ليست يوكوهاما، إنها أمريكا. الأشياء التي ننظر إليها بازدراء ونحتقرها - مثل الصينيين الذين يصنعون الخزف أو اليابانيون الذين يصنعون الحرير - لا يستطيع الأمريكيون الاكتفاء منها.

وارتفع صوت عمه وهو يتحدث.

- سأطلب من سانشيز جونيور. عرض عليّ ذات مرّة مساعدتي بعد وفاة والده. حتّى الآن، لم أمدّ يدي قط -بصرفِ النظر عن مدى صعوبة الأمور- ولكنّ هذه الفرصة التي كنت أنتظرها. يمتلك الكثير من المباني، لذا لن يكون أمرًا كبيرًا بالنسبة إليه أن يمنحنا مكانًا لإنشاء متجر. وسيكون مهتمًا لأنه يعلم جيدًا أن لوحات أوكييو-إي القطع الأكثر شعبية بين مجموعات والده. أخبرتك من قبل، أليس كذلك؟ كم أنني وهو مقرّبين!

- ماذا لو فشل ذلك المشروع يا عمّي؟ سأفقد وظيفتي المستقرّة في حديقة الشاي، ولن يتبقّى لي سوى الديون.

- جونغباي، على الرجل أن يدرك الفرصة عندما تأتي، ويجب أن ينتهزها بجرأة. هذه فرصتك لكسب المال الحقيقي. فكّر في زوجتك المزيّفة الثرية. إذا كسبت الكثير من المال، فسوف تغدو مجنونة بك.

قال جونغباي بمرارة: «ليست هذه الطريقة التي أريد أن أجعل بها هيكاري امرأتي».

ردّ العم جيرو: «حسنًا.. حسنًا. الأمر متروك لكما لحلّ الأمور بنفسيكما. لكنّ مع ذلك، دعنا نتفق على إنشاء المتجر فحسب».

رحّبت حديقة الشاي بافتتاح استوديو تيروا وقالت إنها ستستمرّ في توظيفه لرسم البطاقات البريدية. كما شجّع انضمام شريك تجاري في الحديقة -حتى قبل الافتتاح الكبير- جونغباي بشكل كبير. حتّى إن عمّه تمكّن من توفير متجر لهما في وسط المدينة -وهو ما كان موقعًا رائعًا- بشروط جيدة سمحت لهما بدفع الإيجار من أرباح اللوحات في السنة الأولى.

جنبًا إلى جنب مع لوحات أوكييو-إي، رسم جونغباي أيضًا مناظر طبيعية ومبانٍ تاريخية في سان فرانسيسكو والتي كان يرسمها كلما كان لديه وقت فراغ. كانت لوحاته تحظى بشعبية كبيرة. الرغبة في توفير ما يكفي من المال لإخراج تشيريونج من الشقّة القديمة والضيقة والحي الخطر والقذر في أقرب وقت ممكن، دفعته إلى العمل لساعات طويلة، وغالبًا ما كان يقضي الليل فوق السرير الضيق داخل استوديو الرسم.

عندما طلبت تشيريونج العمل في المتجر، رحَّب جونباي بفرصة قضاء المزيد من اليوم معها. وبصفتها ابنة أحد النبلاء الأثرياء، فقد طُوِّرت عيناٌ مميزة وكان لديها إحساس فريد بالجمال. إذا كانت هي الشخص الذي يعرض إحدى اللوحات، كانت اللوحة تبدو جذابة أكثر لزبائنه. بدت وكأنها تستمتع بالعمل، وبدت سعيدة في حضوره.

لأول مرَّة منذ وصولهما إلى سان فرانسيسكو، كان جونباي سعيدًا حقًا بحالة حياته.

الفصل السابع عشر

ليلة ساطعة

بعد لمّ شملهما، أدركت سونام أنها كانت تفكر في جانجهوي كنجم ساطع وليس كمصباح. لا يمكن رؤية النجوم إلا من بعيد، لكن لا يمكن لمسها أبدًا. كان المصباح مختلفًا. يمكنك رفع الفتيل ومسح السخام عن الزجاج، ولكن الأهم من ذلك كله، يمكن للمصباح أن يجاورك.

يبدو أن الأسبوع موجود من أجل فترة ما بعد الظهر يوم السبت، موعد لقائهما. بحلول يوم الجمعة، كان قلبها بالفعل مع جانجهوي، لذا لم تتمكن من التركيز على عملها. بعد الغداء في أحد أيام السبت، كسرت سونام فنجان الشاي المفضل لدى السيدة جونز وهي في عجلة من أمرها للخروج. اعتذرت بشدة، ولكن السيدة جونز لم تكن مستاءة، قالت: «ما دمت لم تتأذي، فلا بأس. لكن إن رآك أحدهم، فقد يعتقد أنك ستقابلين حبيبك، وليس أخاك».

عند سماع ذلك، وعدت سونام نفسها بأنها ستكون أكثر حذرًا. بالنسبة إلى كل من عرفهما في هاربين، كان جانجهوي شقيقها الأكبر. ويجب ألا تتصرف بطريقة تثير شكوك الناس.

قالت للسيدة: «من الجيد جدًا رؤيته مرة أخرى بعد هذه المدة الطويلة. كنا نحن الاثنين بمفردنا، وكان أخًا لطيفًا وطيبًا. كان يعتني بي ويلعب معي، ولطالما أحضر لي الهدايا عندما يعود إلى الديار من طوكيو في إجازة».

أجبرت سونام نفسها على التوقُّف عن الثرثرة.

قالت السيدة جونز ضاحكة: «أنا غيورة. كنت بمفردي عندما نشأت، لأنني كنت طفلة وحيدة. هيا إذن، استعدِّي وانطلقِي».

عندما علمت سونام أن جانجهوي لم يتزوَّج، بذلت قصارى جهدها لإخفاء فرحتها. إن علم بمشاعرها الحقيقية، فهي متأكَّدة من أنه سيرتعب. كانت تتخيَّلهما كل ليلة يجلسان متقابلين، ويتناولان العشاء الذي أعدته. لكن حتَّى الآن، لم يأخذها جانجهوي مطلقًا لرؤية منزله.

عرضت عليه وهي خجولة جدًا من أن تقترح عليه أن يتناولوا الطعام معًا: «من الآن فصاعدًا، أستطيع أن أقوم بكل أعمال التنظيف والغسيل».

قال: «غرفتي ليست أكبر من حجم يدي، لذا ليس هناك ما يستدعي التنظيف. وأنت تعملين بكثِّ في منزل شخص آخر طوال الأسبوع. أنت بحاجة إلى الراحة في إجازتك».

عندما التقيا لأول مرَّة، أخذ جانجهوي سونام إلى حديقة نهر سونجهوا. ومع ارتفاع حرارة الأيام، ازداد عدد المتنزهين في الحديقة لمشاهدة القوارب وهي تطفو على سطح النهر. بالنسبة إليهما، كان الخروج مثل زوجين فعليين بمنزلة حلم أصبح حقيقة.

- سيدي الشاب.

استدار جانجهوي، وقد بات متحفِّزًا فجأة.

قالت سونام بابتسامة خجولة: «أتحدِّث إليك».

صرخ جانجهوي: «لا تناديني بهذا بعد الآن».

مندهشة، توقفت سونام عن المشي، وسألت: «ماذا تقصد؟».

- تقولين إنك تشيريونج. بماذا تناديني تشيريونج؟

- أوبا، بالطبع.

- إذن ناديني بذلك (وابتسم بمكر). من الآن فصاعدًا، كل مرَّة تدعيني

فيها بالسيد، ستحصلين على فركة هولندية⁽¹⁾.

(1) فرك فروة الرأس بمفصل الإصبع بخشونة ما يسبِّب الألم (المترجم).

فكرت سونام ملياً في ما قاله، فيما تتدرب بعناية في دخيلة نفسها: أوبا..
أوبا.

كان التغيير الوحيد في اللقب، لكنها شعرت كما لو أن جداراً بينهما لا
يمكن التغلب عليه - قد تلاشى.

هتفت سونام: «أوبا!» وركضت خلف جانجهوي، الذي توقّف وانتظر
بابتسامة على محيائه.

بدوره، انتظر جانجهوي بفارغ الصبر فترة ما بعد الظهر من كل يوم
سبت.

منذ لمّ شملهما، كان يشعر بالدفء في زاوية قلبه التي كانت باردة مثل
سيبيريا في عزّ الشتاء. الآن فقط أدرك أنه كان وحيداً طوال حياته، وقد شعر
وكأنه غريب أينما ذهب. في النوادي التي أرادها والده أن يرتادها، كانت والدته
محظية ما جعله غريباً. كان وضعه بوصفه ابن الفيكونت أيضاً سبباً كافياً
لابتعاد الناس عنه. كان جانجسو الصديق الوحيد الذي جعل جانجهوي يشعر
بأنه لا يزال ينتمي إلى هذا العالم. عندما تهدم الحي الفقير الذي يعيش فيه
صديقه، أعاد جانجسو إلى المنزل، لكن والده لم يحبه لأنه كان من عائلة
فقيرة. غادر جانجسو بعد مدة، قائلاً إنه حصل على وظيفة معيد مقيم، في
حين أنه في الحقيقة كان مجرد ساعٍ يقوم بمأموريات. بالكاد تخرّج جانجسو
من المدرسة الثانوية، لكنه لم يستطع تحمل تكاليف الالتحاق بالجامعة. كان
جانجهوي هو من أحضر صديقه إلى طوكيو، بعد زيارة إلى منزله في أثناء
العطلة الصيفية.

يومها قال له: «إن استخدمت مصروف الجيب الذي يرسله إليّ والدي
بتدبر، فسوف يتمكن كلانا من العيش بشكل جيد بما فيه الكفاية. تعال معي
ويمكننا أن نفكر في ما سيأتي بعد ذلك.»

سمحت له فكرة الذهاب إلى طوكيو مع جانجسو بقضاء الإجازة
بمزاج جيد. لإرضاء والده، لم يرفض الحفلات وسمح لنفسه بالتعرّف على
العرائس المحتملات، لكن جانجهوي لم يعبأ بالنساء اللاتي أظهرن اهتماماً

بعائلته وثروته أكثر من اهتمامهن بشخصه. عندما فكّر في وفاة جده أو انتحار والدته، لم تكن لديه رغبة كبيرة في المواعدة أو الزواج على الإطلاق. بعد العطلة الصيفية، انضم إليه جانجسو في طوكيو ومكث في غرفته. ولدفع تكاليف تسجيل صديقه في الكلية، ضخم من تكلفة كتبه ودروسه الخصوصية. كان كل شيء على ما يرام في البداية، لكن لم يمض وقت طويل قبل أن يبدأ جانجسو في التصرف بشكل غريب.

في البداية، اعتقد جانجهوي أن صديقه كان يواعد امرأة سرًا. في كل مرة يعتذر جانجسو عن شيء لا يستطيع التحدث عنه، يشعر جانجهوي بالسوء. كان يود أن يهنئ صديقه بصدق على علاقته.

في أحد الأيام، رأى جانجسو في الشارع بعد أن قال إنه ذاهب إلى العمل، ومن باب الفضول، تبعه. فكّر أنه عندما يصادفه مع المرأة، سيتظاهر بأنه لقاء مصادفة، وبالتالي يسهّل الأمور على جانجسو لتقديمهما. ابتسم جانجهوي وهو يتخيّل المشهد. ومع ذلك، ما وجدته لم يكن عشيقة جانجسو، بل طلابًا كوريين آخرين. وكان من بينهم زميل لهم في المدرسة الثانوية والذي كان العقل المدبّر في كل عمل سياسي يتعلّق بالطلاب، والذي كان ينظر دائمًا إلى جانجهوي بازدراء.

فهم جانجهوي الآن سبب احتفاظ جانجسو بسرّه تمامًا. بصفته ابن الفيكونت هيونجمان، كان عليهم أن يكونوا حذرين منه تمامًا كما كانوا حذرين من الشرطة. ومع ذلك، كان من المؤلم أن صديقه الحقيقي الوحيد لم يتمكن من الوثوق به، وشعر كما لو أن الأرض تحت قدميه قد انهارت.

أحسّ جانجهوي بالمرارة والخيانة، فكّر في طرق للانتقام من صديقه بسبب كل الأكاذيب والخداع. كل ما فعله جانجسو كان بفضل الغرفة والطعام الذي كان يوفّرهما له. أراد أن يجعله يدرك أن العمل الذي كان يفتخر به - سواء كان باسم الوطنية أم باسم حركة الاستقلال - لم يكن ممكنًا إلا بفضل ابن خائن. تخلّى عن تلك الخطط بعد مدّة وجيزة من بدايتها، وكره نفسه حتّى لأنه فكّر في ممارسة تلك السلطة على جانجسو.

بدلًا من ذلك، كتب جانجهوي رسالة إلى والده، ودفعت إيجار شهرين لجانجسو قبل مغادرة طوكيو. ثمّ أمضى السنوات الخمس التالية أو نحو

ذلك يتجول في أنحاء الصين. وفي ذلك الوقت، كان قد ساعد الحكومة المؤقتة في منصب بسيط للغاية وشارك أيضًا في ميليشيا مسلحة مناهضة لليابان. لكن حتى العمل من أجل قضية نبيلة أصبح مرهقًا ومستنزفًا؛ وجد في كثير من الأحيان أن الأشخاص أنفسهم الذين تحدثوا بصوت عالٍ عن الحرية والمساواة سوف يمارسون العنصرية بسهولة ضد الأشخاص الذين يعدونهم في حياتهم اليومية ضعفاء أو أقل منهم شأنًا. قبل كل شيء، لم يكن لدى جانجهوي أي قناعة أو طموح بشأن استقلال بلاده من الاستعمار الياباني. لم يكن ذلك بسبب قلقه على سلامة والده. ببساطة، لم يكن هناك أي شيء يريد الدفاع عنه، لا في كوريا ولا في صميم نفسه. امتدت رحلاته، التي بدأت من منشوريا، على طول الطريق نزولًا إلى جنوب الصين، ثم اتجهت شمالًا مرة أخرى قبل أن تنتهي في هاربين.

كان ذلك قبل عام.

قالت سونام فيما كانا يلحقان بالركب: «أنا مندهشة لأنك أصبحت معلمًا. تواترت شائعات في سيول بأنك كنت في مهام خطيرة ومهمة. دفع أبوك الكثير من الرشاوى لمحققين رفيعي المستوى لدرجة أننا اعتقدنا أنه قد يفلس».

قال: «ذهبت إلى الصين لقطع علاقاتي مع عائلتي، لكن من المؤسف أن تحدث مثل هذه الأمور. هل بفضل أبي ما زلت على قيد الحياة؟».

قالت سونام: «هذا محتمل. أنت لا تدرك مدى اهتمامه بأطفاله». ابتسم جانجهوي بمرارة.

سألت وهي تحاول تغيير الموضوع: «كيف أصبحت معلمًا؟».

أجابها: «في البداية، لم أخطئ إلا لتعليم الأطفال الكوريين، ولكن بعض الطلاب الصينيين أتوا أيضًا. كلهم أطفال، لذا تساءلت ما الحاجة إلى التمييز. حتى رجال الشرطة الذين كانوا يراقبونني استسلموا في النهاية عندما أدركوا أنني كنت أعدُّ طلابي لامتحانات القبول. أعتقد أن هذا أفضل شيء قمت به على الإطلاق، لكن ربما يبدو تافهًا بالنسبة إليك».

لوّحت سونام بيديها في حرج، وقالت: «أوه لا، أعتقد أن كونك معلمًا يناسبك. حقًا».

لفترة من الوقت، وقع جانجهوي في براثن الاكتئاب، حيث كان يأمل في البداية أن يغيّر التعليم مستقبل طلابه. عمل بجدّ لجمع الأموال، لكنه فقد حماسه عندما التقى طلابًا سابقين عادوا للعمل في أوكار الأفيون أو بيوت الدعارة بسبب مصاعب الحياة. وبما أن هذا حدث مرارًا، فقد كان على وشك الاستسلام وترك التدريس عندما ظهرت سونام، ما منحه قوة متجدّدة.

كان جانجهوي مهتمًا أيضًا بقصة سونام. انبهر ممّا أنجزته بنفسها، قبل أن تظهر أمامه امرأة ناضجة. وكان من الصعب تصديق أن الخادمة السابقة الأمية لم تكن تعرف الآن الأبجدية الكورية فحسب، بل تعرف أيضًا اليابانية والإنجليزية.

قالت: «لم أفعل ذلك وحدي. تعلّمت الكورية منك وتايسول. واليابانية من السيد تيراو والسيدة سوزوكي، والإنجليزية من السيدة برادلي. ساعدني الكثير من الناس في الوصول إلى هنا. الشيء الأكثر إثارة للدهشة بالنسبة إليّ على الإطلاق أنني وجدتك. في بعض الأحيان أعتقد أن هذا كله حلم سأستيقظ منه في النهاية».

وكانها تتأكّد من أنه لم يكن حلمًا، فتحت سونام عينيها على اتساعهما، وحدّقت إليه حتّى انفجر ضاحكًا، وقال: «أحيانًا يساورني شعور مماثل. أنا سعيد جدًا بوجودك هنا لدرجة أنني أحيانًا أقرص ذراعي لأتيقن أنني مستيقظ».

سألها ما الذي أثار رغبتها في الدراسة، وأخبرته عن المشكلة التي واجهتها في المعرض عندما لم تتمكّن من قراءة اللافتات. وتذكّر أنه أخذها وأخته إلى أرض المعرض، لكنه لم يتذكّر أي تفاصيل - فقط أنها تاهت مدّة وجيزة.

قالت: «لهذا السبب بدأت، لكنني واصلت لأنني أردت قراءة الكتب في غرفتك. كنت فضولية جدًا بشأن محتواها».

- حقًا؟ هل سبق لك أن قرأتها؟ أي كتاب أحببته أكثر؟

- كانت كتبك عويصة للغاية لدرجة أن قراءتها لم تكن ممتعة، لكنها كانت كلها تستحقّ القراءة. من بينها، كانت رواية معدوم القلب الأكثر تشويقًا، هل تتذكّرها؟

- معدوم القلب؟ ما هذا؟

بدت سونام مندهشة.

- هل تقصد أنك لا تعرف الرواية الشهيرة؟

عبس جانجهوي.

سأل: «هل تتحدثين عن لي جوانج سو؟».

أجابت: «نعم! إنه حقًا عظيم. لا أستطيع أن أخبرك كم مرّة قرأتها أنا وسيدتي الشابة. وكان لديها نسخة أيضًا. فقدت نسختي. لو كانت معي، لأعطيها إياك حتى تقرأها. ذلك مؤسف».

ابتسم جانجهوي لتعبير سونام عن ندم صادق. كان على وشك أن يخبرها أن لي جوانج سو الذي كانت معجبة به كثيرًا كان خائنًا؛ خان الأمة، لكنه تمكّن من كبح نفسه. لم يكن لي جوانج سو الخائن الوحيد. أصبح تشوي نام سيون، الذي كان معجبًا به ذات يوم، أستاذًا في جامعة في منشوريا التي أنشأها جيش جواندونج الياباني. وبما أنه هو نفسه لم يكن مهتمًا بشكل خاص بالتححرر، فلم يعتقد أن لديه الحق في الحكم عليهما، ولكن ما وجدته جانجهوي مخيبًا للآمال هو الطريقة التي تنازلا بها واستسلما لليابان من أجل منفعة شخصية، في حين يجدان طرائق لتبرير سلوكهما. وكانت هذه هي الحال مع معظم المثقفين الكوريين. علاوة على ذلك، كانت رواية «معدوم القلب» رواية رومانسية رائجة، وليست من نوعية الكتب التي كان مهتمًا بقراءتها.

قالت سونام فجأة: «أريد حقًا الذهاب إلى بحيرة بايكال».

سأل جانجهوي: «ما الذي جعلك تقولين هذا؟». كان يحلم أيضًا بزيارة بحيرة بايكال -التي يُعتقد أنها أصل الشعب الكوري- عندما كان يقرأ كتب التاريخ لتشوي نام سيون.

قالت: «يَرِدُ ذكرها في الرواية. هاربين موجودة أيضًا. قبل أن يذهب تشوي سيوك إلى بحيرة بايكال، يبقى في هاربين».

استمتع أكثر فأكثر بوجوده مع سونام، ومنذ اللحظة التي يعيدها فيها إلى منزلها وتغلق البوابة خلفها، كان يتطلّع بالفعل إلى بعد ظهر يوم السبت

التالي. تفاجأ بالقوة والراحة التي تلقاها من سونام، التي كان يعدّها في الماضي مجرد فتاة صغيرة. جعلته يدرك أن ما أراده في الحياة كان مقابلة أشخاص حقّقوا مُثلاً نبيلة وعالية. لكن لم يكن أحد خاليًا من العيوب، حتّى هو نفسه كان مملوءًا بالعيوب، وبعد العديد من خيبات الأمل، أصبح جيدًا في الاستسلام والمضي قدمًا.

لكنه الآن فهم كم كانت تلك فكرة غير ناضجة. ما كان يتخيّل أنه تجوّل في برية بعد أن تخلّى عن واقعه المريح لمتابعة مُثله العليا. كان في الواقع شكلاً جبانًا من أشكال الهروب. كان يتوق إلى الابتعاد عن والده وقصر جايهوي-دونج، وكان الوضع مع جانجسو ذريعة للهروب.

في أحد الأيام، بينما يتجهان إلى أحد المطاعم بعد مشاهدة فيلم، التفتت سونام إلى جانجهوي، وسألته: «ألا يمكننا الذهاب إلى غرفتك وتناول الطعام؟».

كانت قد طلبت منه عدّة مرّات في السابق أن يسمح لها برؤية غرفته، لكنه رفض قائلاً إنها صغيرة جدًا ولا تتسع لشخصين.
حُثته: «ربما تخفي أحدهم في غرفتك؟».

- في غرفة صغيرة جدًا بالكاد تسعني وحدي؟ حقًا؟
- إذن لماذا لا تأخذني؟ أريد فقط أن أرى كيف تعيش.
هزّ جانجهوي كتفيه.

- لا أعرف ما الذي تتوقّعين رؤيته، لكن حسنًا. لنذهب إذن.

كانت غرفته في الطابق الثاني من بناية متهالكة، فدخل مسرعًا وراح يرتب الملابس والكتب المتناثرة في أنحاء الغرفة. انتظرت سونام عند الباب ونظرت إلى الداخل. كان السرير الصغير -الذي بدا ضيقًا جدًا حتّى بالنسبة إلى شخص واحد- والمكتب هما الأثاث الوحيد في الغرفة الصغيرة. كان منزلًا فقيرًا، لا يوجد به ما يمكن تنظيفه أو غسله. لماذا تخلّى السيد الشاب عن منزله الفخم الفسيح في سيول ليعيش هكذا في أرض أجنبية نائية؟ ليس الأمر وكأنه كان يختبئ بصفته عضوًا في حركة الاستقلال. هل من الممكن أنه

لا يريد أن يعيش في دعة لأن ذلك سيذكّره بالمنزل؟ عندما رأت غرفة تتناقض بشكل كبير مع جناح الرجال في قصر جايهوي-دونج، توجّع قلبها.

وبعد وقت قصير من دخولها، بدأ المطر يهطل، وكانت القطرات تنقر على النافذة. كان من المريح وجودهما معاً في غرفته الصغيرة، كما لو كانا نصفي جوزة واحدة، محكمتين في قشرتها. أحضر جانجهوي منضدة صغيرة ووضع فوقها حساء الزلابية والشعيرية المقلية التي اشتروها من السوق. كانت المنضدة صغيرة جداً بحيث تلامست ركبهما تحتها، وإذا انحنيا في اللحظة نفسها، تلامست رأسهما أيضاً.

سألت سونام عرضياً فيما تحتسي شايها: «لماذا لم تتزوج بعد؟». هزّ كتفيه، وقال: «أنا لست شخصاً يمكنه تحمّل مسؤولية شخص آخر، والأكثر من ذلك، لا أريد أن أحضر طفلاً إلى هذا العالم. لا شيء أفعله سيبتز الصلات التي تربطني بأبي».

مع توطد علاقتها بجانجهوي، نمت رغبات سونام، وبات قضاء بضع ساعات معاً في عطلة نهاية الأسبوع لا يرضيها. كل مرة يفترقان فيها كانت أصعب من سابقتها، وكان عليها أن تجبر نفسها على المغادرة، دائماً مع خوف من أنهما قد لا يجتمعان مرة أخرى قط. بعد عودتها إلى المنزل في الليلة التي زارت فيها غرفته للمرة الأولى، استحمّت سونام ثم وقفت أمام المرأة، حيث كان انعكاس صورتها يلمع بالسعادة.

في وقت لاحق من تلك الليلة، حلمت بتقبيل جانجهوي عندما أصبح الشعور بالنعيم بارداً إذ فجأة. فتحت عينيها، ووجدت بوني واقفة فوقهما، تغطّيها الدماء. خلف بوني، وقفت الفتيات الأخريات كظلال لأنفسهن، ودفع شعورٌ ما -يشبه أن قطيعاً من الغربان الجائعة ينقر على قلبها- سونام إلى الصراخ حتى استيقظت مفزوعة.

خارج نافذتها، كان المطر يهطل، مع ومضات من البرق أيقظت أسوأ ذكرياتها. مثل كابوس يقظة، أضاء البرق صور ظليّة مبهمّة أقسمت أنها بوني وبيليو.

ما فعله الجنود اليابانيون بهنَّ كان بمنزلة جريمة قتل في نظر النساء وعائلاتهن. انتهكوا أجساد الفتيات التي تشبه البتلات، وداسوا على أرواحهن. كل ليلة، كانت سونام تتعذَّب بسبب شوقها إلى جانجهوي والشعور بالذنب والعار لكونها على قيد الحياة وبصحة جيدة، فيما ظلت الفتيات الأخريات في جحيم حية.

تحول الربيع إلى الصيف، وفي المساء توافد الناس على الحديقة، أو شربوا في المقاهي في الهواء الطلق، أو ركبوا القوارب في نهر سونجهوا. أصبحت مشاعر سونام تجاه جانجهوي محتدمة بشكل متزايد، لكنها كانت تخشى من أن اعترافها بحبها قد يدمر علاقتها. ماذا لو قال إنه لن يتزوج أبدًا لأنه لاحظ مشاعرها، وكان يرسم خطأ فاصلاً بينهما حتى لا تتخطى علاقتها حدود الصداقة؟

لا يهم، ما دمت أستطيع أن أكون قريبة منه.

بمجرد مغادرة عائلة جونز إلى أمريكا، خطَّطت سونام للبحث عن وظيفة أخرى غير خادمة مقيمة. أرادت المزيد من الوقت لقضائه مع جانجهوي، وربما يمكنها العمل معه، في تدريس اللغة الإنجليزية للأطفال في المدرسة الليلية. ثم رنَّ الهاتف في منزل آل جونز، وسرعان ما أصبحت خطط سونام في حالة من الفوضى. مرَّرت السيدة جونز الهاتف إلى سونام، التي كانت تنظف الصالة. اعتقدت أنه جانجهوي، فسارعت إلى الردِّ على المكالمة، لكن سيهوا التي هاتفتها في منزل جونز من قبل، كانت المتصلة.

سألت سيهوا بصوت أقرب إلى الهمس: «هل أنت ابنة عائلة عظيمة في كوريا؟».

صدمت سونام من السؤال المفاجئ.

- ماذا؟ لماذا؟

- إذن ذلك صحيح؟ وإلا كيف يمكنك الذهاب إلى الكلية وتحدُّث الإنجليزية؟ بالأمس، جاء رجل مشبوه إلى المقهى قائلاً إنه يبحث عن

شخص ما، واعتقدت أنه قد يكون أنت. فبركتُ شيئاً وأرسلته بعيداً، لكن من الممكن أن يكون شخصاً من الجيش، لذا عليك توخّي الحذر. انفرَدَ خوفٌ شاملٌ بسونام، وارتجفت وكادت أن تُسقط سماعة الهاتف. لازمها الخوف كظلاً منذ أن هربت. كانت قادرة على نسيان الأمر لبعض الوقت، بعد لمّ شملها مع جانجهوي، لكن الأمر عاد الآن مضاعفاً. بعد مكالمة سيهوا، فزّت سونام من فرط الهلع كلما رنَّ جرس الباب. والأكثر رعباً أن الرجل الذي تحبه قد يتعرّض للخطر بسببها. إذا انكشفت هويته، سوف تستخدم كل الشائعات التي سمعتها في سيول، ضده. وكانت مساعدة حركة الاستقلال تهمة أشنع من القتل والسرقة. كل ليلة، كانت سونام تتناوب بين كوابيس القبض على جانجهوي، واعتقالها وتعذيبها حتى تتخلى عنه.

جعلتها هجمات الليل تتساءل إن كانت تستحقُّ أن تكون بجانبه في حين لا تستطيع حمايته حتى في أحلامها. وسرعان ما أصبح واضحاً أن عليها مغادرة هاربين -وهجر جانجهوي- لحمايته من نفسها. لم تكن متأكّدة إلى أين ستذهب، أو كيف، لكن فكرة الرحيل ذكّرتها بالسيدة برادلي في كيوتو ودعوتها إياها للذهاب معهم إلى إنجلترا. وقتذاك، اعتقدت أن ذلك مستحيل، لكنها الآن لا تمنع الذهاب إلى أي مكان.

بعد أن بحثت في رأسها كل الطرائق التي اعتقدت أن المحادثة يمكن أن تسلكها، استجمعت سونام الشجاعة للتحدّث مع السيدة جونز. قالت: «سيدتي، هل يمكنك أن تأخذيني معكم إلى أمريكا؟ سأدفع تكلفة الرحلة بالمال الذي ادخرته، وإذا لم يكن ذلك كافياً، فيمكنك خصمه من راتبي».

لم ترفض السيدة جونز، لكنها قالت إنها ستحتاج إلى مناقشة الأمر مع زوجها. وبعد بضعة أيام، في المساء، استدعى السيد والسيدة جونز سونام إلى غرفة الجلوس.

ابتسمت السيدة جونز بحرارة قبل أن تتحدّث: «شيري، يمكنك أن تأتي معنا إلى أمريكا، وتعيشي معنا فيما تنتظرين نيل بلدك استقلاله. وإذا

كنتِ ترغيبين في ذلك، يمكننا مساعدتك في الذهاب إلى المدرسة واستئناف دراستك».

كان ذلك يفوق توقُّعاتها، لكن سونام لم تشعر بالسعادة الحقيقية فيما ذلك يعني الانفصال عن جانجهوي -الذي كانت قد جمع القدر بينهما منذ مدة وجيزة فحسب- ووضع مسافة فاصلة تبلغ نصف العالم بينهما. عندما أعلمته بالخبر يوم السبت التالي، رحَّب جانجهوي بقرارها.

قال: «هذا عظيم حقًا. لا يمكنك معرفة ما قد يحدث لو بقيت، وهي فرصة لك للحصول على التعليم، كما حلمت دائمًا».

على الرغم من أن ذلك كان اختيارها، فإن سونام شعرت بخيبة أمل لأنه لم يطلب منها البقاء.

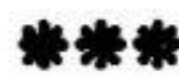
سأل جانجهوي: «ولكن ماذا عن اسمك؟ هؤلاء الناس يعرفونك باسم تشيريونج. لماذا لا تغتربين هذه الفرصة حتى تصبحي نفسك من جديد؟».

هزَّت سونام رأسها: «لا، لا أستطيع. إن قلت الحقيقة، فقد يعرِّض ذلك السيدة الشابة للخطر».

كانت كلماتها صحيحة، لكن أيضًا، ومع أنها هربت من كتيبة النساء، شعرت بالتزام تجاه الفيكونت بأنها يجب أن تعيش بصفتها يون تشيريونج حتى رجوعها إلى كوريا.

تنهَّد جانجهوي، لكنه أومأ برأسه، وقال: «أتمنى لو لم يكن الأمر كذلك، لكنني أتفهم. وبما أنك تحتاجين إلى شهادة الدراسة الثانوية للذهاب إلى الجامعة، فليس لديك خيار سوى استخدام اسم أختي. اكتبي لي رسالة بمجرد وصولك. بمجرد أن أعرف العنوان، سأطلب من مدارسها أن ترسل إليك نسخًا من أوراقها».

الكلمات الوحيدة التي سمعتها سونام من فيض كلامه كانت «اكتبي لي رسالة».



كان موعد المغادرة يدنو بسرعة. كانت الخطَّة أن تتوجه عائلة جونز وسونام شمالًا من محطة هاربين ثمَّ ينتقلوا إلى القطار العابر لسيبيريا في

طريقهم إلى موسكو. ومن هناك، كان ثمة تحوُّل آخر في المسار، ورحلة غربًا عبر بولندا وألمانيا، ثمَّ إلى ميناء مرسيليا في فرنسا، حيث سيستقلُّون سفينة عبر المحيط الأطلسي إلى مدينة نيويورك. قال السيد والسيدة جونز لها إن الأمر سيستغرق خمسة أيام فحسب. ستغادر سفينة ميناء ساوثهامبتون في إنجلترا، وتصل إلى ميناء مرسيليا في فرنسا، ثمَّ منه إلى نيويورك.

كانت سونام منشغلة بتجهيز المنزل للرحلة. أصرت السيدة جونز على حزم الأواني الفخارية الصينية التي اشترتها في هاربين والأثاث الروسي الصنع من أجل شحنها مسبقًا إلى نيويورك، لكن سونام لم تمنع، لأن ذلك جعل عقلها مشغولًا. كان ذلك أفضل من التفكير في اليوم التالي، حيث ستودِّع جانجهوي.. ربما إلى الأبد.

قبل أربعة أيام من الموعد المحدد للمغادرة، انتهت تعبئة الأغراض الكبيرة وشحنها، ولم يتبقَّ سوى حقائب اليد لأخذها معهم. بعد الإفطار فاجأت السيدة جونز سونام بهدية.

قالت: «شيري، لديَّ هدية لك. طلب أخوك قضاء بضعة أيام معك قبل أن تغادر. اذهبي واستمتعي بإجازتك».

بعد أن تساءلت إن كانت ستتمكَّن من رؤيته قبل يوم مغادرتها، تضخَّم قلب سونام من فرط السرور، وهتفت: «شكرا يا سيدتي. شكرا لك!».

قالت السيدة: «ليس هناك ما تشكريني عليه. بمجرد وصولنا إلى أمريكا، لن يكون ثمة وقت لقضاء العطلات. استمتعي بقضاء وقت ممتع مع أخيك، وانضمِّي إلينا في محطة إيركوتسك. إن تركت معظم أمتعتك هنا، فسوف نحزمها مع أمتعتنا».

في تلك اللحظة بالتحديد، وصل جانجهوي لاصطحابها.

كانت سونام سعيدة جدًا لدرجة أن كل ما أمكنها فعله حينذاك هو منع نفسها من الاعتراف بمكنون مشاعرها.

سألت: «إلى أين نحن ذاهبان؟».

أجابها: «قلت إنك تريدان الذهاب إلى بحيرة بايكال. لو لم تذهبي الآن، فمن يدري ما إذا كانت ستتاح لك فرصة أخرى أم لا. فلتكن هذه الهدية الأخيرة من أوبا».

كلماته جعلت قلبها يغوص في مكانه بقدر ما أبهجتها: «شكرًا جزيلاً لك، لكن تراجع عن كلمة «الأخيرة». إذا لم تفعل ذلك، فلن أذهب».

ضحك جانجهوي، وقال: «حسنًا.. حسنًا. أتراجع عنها. هنا، ارتدي هذه الملابس قبل أن تذهبي. (ناولها شيونجسامًا). ليس لدينا وقت كافٍ، لذا سأخبرك بالتفاصيل في الطريق».

سرعان ما بدلت ملابسها إلى الزي الصيني الذي كان يناسبها تمامًا. أخذ جانجهوي زمام القيادة، وهو يحمل حقيبة صغيرة بها ملابس تكفي لبضعة أيام.

في هذه الرحلة، استخدم جانجهوي كل العلاقات والأفضال التي اكتسبها خلال مدة وجوده في هاربين. كانت بحيرة بايكال تابعة للاتحاد السوفييتي، وكاننا بحاجة إلى تصريح لعبور الحدود. تورطت اليابان، التي احتلت منشوريا وأنشأت مانشوكو، في نزاعات حدودية متكررة مع الاتحاد السوفييتي، ولم يكن السوفييت معادين لليابانيين فحسب، بل للكوريين أيضًا. لعبور الحدود بأمان، تنكرا في هيئة زوجين صينيين واستقلًا القطار - أوضح جانجهوي أن الأمر سيبدو أكثر إثارة للريبة إذا قالا إنهما أخ وأخت.

كان القطار الوحيد المقرر له أن يتوقف صباحًا عند محطة مانتشولي -الحدود بين الاتحاد السوفييتي والصين- يحتوي على مقصورات للنوم. كل حجرة تضم أربعة أشخاص. كان ثمة مقعد طويل وسريران بطابقين على جانبي منضدة صغيرة في المنتصف. تبادل سونام وجانجهوي الإيماءات البسيطة مع الزوجين الفرنسيين اللذين تقاسما معهما المقصورة، لأنهما لم يستطيعا التواصل بلغتيهما.

قبل وضع حقبيتهما في خزانة الأمتعة تحت المقعد، أخرج جانجهوي كتابًا وسأل إن كانت سونام بحاجة إلى أي شيء. أخرجت على عجل أدوات الحياكة من حقبيتها. أرادت أن تحيك له وشاحًا، واشترت الخيط، لكنها كانت منشغلة جدًا بحزم الأغراض لدرجة أنه لم يكن لديها الوقت لذلك.

ألقى جانجهوي نظرة مدروسة على إبر الحياكة.

- هل تجيدين الحياكة؟ ماذا تصنعين؟

- إنه وشاح لك، ليبقيك دافئاً في الشتاء.

قال مماًزحاً بنبرة توبيخ مصطنعة: «هذه رحلة كنت تفكرين فيها مدة طويلة. دعينا نأخذ الأمور ببساطة، ونشاهد المنظر في الخارج».

قالت وقد احمرَّ خداهما من شدة الحياء وهي تتحدّث: «الانتهاى من هذا الوشاح أيضاً إحدى أمنياتي». كان حلمها أن تحيك له شيئاً منذ أن تعلّمت الحياكة في كيوتو.

قال جانجهوي بابتسامة دافئة: «أمنيتك بسيطة جداً».

لبعض الوقت، راح أحدهما يقرأ كتاباً والآخر يحوك. في بعض الأحيان، كانت سونام تنظر خارج النافذة، حيث تتناوب الأراضي العشبية والبرية إلى ما لا نهاية. تراءى لها ذلك قريباً؛ رؤية مساحات شاسعة من الأراضي الثمينة التي لم يعتن بها أحد، في حين باعها والدها مقابل بضعة حقول أرز.

نظرت إلى جانجهوي، الذي لم يرفع عينيه عن الكتاب، فقط لتذكير نفسها بأنهما كانا يسافران معاً حقاً. حلمًا تلو الأخرى، أمست الأحلام التي اعتقدت أنها كانت أشبه بالأوهام حقيقة، ولكن فراقاً آخر يلوح في الأفق. لعدم رغبتها في قول وداعاً من دون وعد بقاء مرة أخرى، قررت أنها ستعترف بمشاعرها قبل مغادرتها.

لتهديئة أعصابها، ركّزت سونام على حياكتها.

في المساء -عندما توقّف القطار في استراحة طويلة قبل استئناف الرحلة- اشترى جانجهوي الخبز والزلابية وأسياخ اللحم من بائعي طعام متجولين في الخارج. كما اشترى شايًا ساخناً من رجل يدفع عربة في الممر الأوسط. ذهب الزوجان الفرنسيان لتناول وجبة في عربة الطعام، فيما وزع هو وسونام طعامهما على المنضدة.

قال جانجهوي معتذراً: «سيكون من اللطيف الذهاب إلى عربة المطعم أيضاً، لكن أعتقد أنه من الأفضل تجنب الأماكن التي بها الكثير من الناس». هزت سونام رأسها: «لا، أفضل تناول الطعام هنا».

كانت سعيدة جداً لدرجة أنها بالكاد كانت لديها شهية، لكن الطعام كان شهياً. عندما أزال جانجهوي بعض فتات الخبز من زاوية فم سونام، اعتقدت أن قلبها سينفجر. بينما كانا يأكلان، انطلق القطار بهزة مفاجئة، وتناثر شاي سونام الساخن على حاشية قميص جانجهوي.

قالت: «يا عزيزي! أنا آسفة. أهو ساخن؟».

مسحت سونام حاشية قميصه بمنديلها.

قال جانجهوي: «لا بأس، لا بأس تمامًا».

أمسك جانجهوي بيدها ليووقفها، وتجمعت حركات سونام. كانت هذه هي اللحظة التي حلمت بها منذ لم شملهما. مع موجة من الثقة، استدارت بحيث أنه بدلاً من أن يمسك بيدها، أمسك كل منهما بيد الآخر. ظلًا على هذا الحال -صامتين على نحو محرج- حتى انتهيا من تناول الوجبة.

عندما ترك كل منهما يد الآخر لتنظيف المنضدة، بدا جانجهوي متردداً مثلها. عندما غادر المقصورة للتخلص من القمامة، فحصت سونام يدها التي كانت في يده. على الرغم من أنها كانت قاسية وقبيحة مثل أقدام الدجاج مقارنة بيديه الناعمتين، فإنها عدتها أثمن جزء من جسدها.

عندما حلّ الليل، أضاءت الأنوار، وازدادت سرعة القطار فجأة. كان الداخل مشرقاً، ولم يعد بإمكانهما رؤية الخارج حيث أصبح أكثر قتامة، غارقاً في الوهج الأحمر لغروب الشمس. أمعنت سونام النظر في الظلام، فيما كان جانجهوي يحدّق إلى كتابه لكن يبدو أنه لم يقلب الصفحة مطلقاً.

عاد الزوجان الفرنسيان، اللذان بدا أنهما كانا يشربان مع وجبتهما، بوجهين متوردين وتبادلا قبلة عاطفية قبل الخلود إلى النوم، كما لو كانا يستعدان لوداع طويل. بسبب الحرج، نظر سونام وجانجهوي إلى مكان آخر، وعندما التقت أعينهما بالمصادفة، نظر كلاهما جانباً.

همس جانجهوي: «إذا كنت متعبة، استلقي قليلاً. سأخذ السرير العلوي». هزّت سونام رأسها: «أنا بخير، لكن إذا كنت متعباً، يمكنك الذهاب إلى السرير أولاً».

ظلا جالسين، دون أن يتحرّكا نحو الأُسرة، وفي كل مرّة اهتزّ فيها القطار، اقتربا أكثر من بعضهما بعضاً حتّى تلامس جسداهما.

قالت: «أليس من المفترض أن نطفئ الضوء في أثناء نومنا؟».

بعد كلمات سونام، نهض جانجهوي وأطفأ النور.

عندئذ عمّ الظلام داخل المقصورة، وتبدّى المشهد في الخارج بشكل باهت. وفي نهاية المطاف، صعد جانجهوي إلى السرير العلوي، قائلاً: «من أجل الغد، دعينا نغمض أعيننا ونغفو مدّة وجيزة».

لم تتمكّن سونام من النوم حتّى بعد أن بدأ بالشخير. كانت هذه اللحظات معاً بمنزلة حلم، وكانت تشعر بالقلق من أنها قد تستيقظ بالفعل من هذا الحلم إذا نامت.

وصلا إلى ميناء بايكال بعد ثلاثة أيام من مغادرة هاربين. قبل الهبوط من القطار، سلّمت سونام جانجهوي الوشاح الذي انتهت من حياكته.

قال وهو يدسّه في حقيبته: «شكراً لك، سأشعر بالدفء هذا الشتاء».

نزل الاثنان من القطار، حيث كانا الراكبين الآسيويين الوحيدين المغادرين. وفي محيط المحطّة، كانت النساء يبعن الطعام، والأطفال يبيعون الزهور. غادرا المحطّة الصغيرة ودخلا قرية خلابة، حيث بدت المنازل والأسوار الخشبية وكأنها جزء من المناظر الطبيعية. في المناطق المحيطة، كان الجبل الصخري الصغير مكسوّاً باللون الأخضر، وكانت جذوع أشجار البتولا البيضاء تتلألأ باللون الفضي في ضوء الشمس. وكانت الأبقار المرقّطة ترعى على جانب الطريق، حيث كان الأطفال يلاحقون السياح بوجوه بريئة مثل الزهور البريّة المتفتحة.

كان ثمة عدّة منازل في القرية تستخدم مسكنًا للسياح. لم تكن تلك نزلًا رسمية، لذا كان الأمر يتعلّق فقط بإيجاد غرفة للإيجار. تحدّث جانجهوي مع امرأة عجوز بروسية ركيكة. لم تكن هناك سوى غرفة واحدة شاغرة، وقالت إنه سيكون من الصعب الحصول على غرفة ثانية خلال الموسم السياحي. كانت الغرفة، بسجادتها الملونة، بسيطة وأنيقة، وتنفّس كلاهما الصعداء عندما رأيا أن الحجرة تضمُّ سريرين.

عندما غادرت المرأة العجوز، سأل جانجهوي: «ماذا تريدان أن تفعلين؟ هل تحتاجين إلى قسط من الراحة؟».

عند سماع كلمة «الراحة»، قبلت سونام تمامًا أنهما سيتشاركان غرفة واحدة، وأصبح وجهها ساخناً كما لو أنها دخلت إلى حمام بخار. اقترحت قائلة: «دعنا نخرج ونلقي نظرة سريعة في الأنحاء»، وهو عكس ما أرادت فعله حقًا.

بعد أن وضعا حقائبهما جانبًا، غادرا الغرفة واتجها نحو البحيرة، حيث جلسا بجانب الماء وأكلا التفّاح الذي اشتراه جانجهوي من صبيّ على قارعة الطريق. وحول بحيرة بايكال، كانت الزهور البريئة الصفراء والبيضاء تتمايل في مهبّ الريح. كانت المياه شديدة البرودة، وحتىّ شمس منتصف الصيف لم تدفئ بشرتهما. منظر الغرباء، رجالًا ونساءً، وهم يسبحون في مثل هذه المياه الباردة، أصابهما بالقشعريرة لمجرّد مشاهدته.

عادت سونام بذاكرتها إلى المرّة الأولى التي رأت فيها البحيرة الطويلة النحيلة -مثل الهلال- على سطح الكرة الأرضية في بيت السيدة برادلي، ولكنّ المياه أمامها كانت شاسعة مثل محيط. وكان من المستحيل تحديد شكلها من الشاطئ. ثمّ انجذبت عيناها إلى الحجارة المستديرة اللامعة على الشاطئ بينما كانت الأمواج الناعمة تغمرها. التقطت واحدة وأمسكت بها في راحة يدها. كم من الوقت استغرقت حتىّ تصبح هكذا؟ بدا أن الأمواج التي جعلت المستحيل ممكنًا تجري في ذهنها أيضًا -وكما لو أن بابًا قد فُتح- فاضت من قلبها فرحة مشاركة منظر بحيرة بايكال مع جانجهوي.

في ذلك المساء، جلست سونام وجانجهوي جنبًا إلى جنب على مقعد في الفناء أمام مسكنهما. ثلاثة أجيال كانوا يعيشون في المنزل. تناولا العشاء مع العائلة. على الرغم من أنهم لم يتمكنوا من التواصل بالكلمات، فإن المضيفين كانوا ودودين ولطيفين. ظلت الحفيدتان تحومان حولهما حتى أخذتهما والدتهما إلى السرير.

كانت سونام وجانجهوي الوحيدتين اللذين بقيا مستيقظين.

وكانها تفهم قلب سونام الحزين، لم تغرب الشمس بعد، ولأنها كانت لا تزال في السماء، لم تكن النجوم مرئية، ما استحضرت أفكارًا حزينة إلى ذهنها. مثلما كان من المستحيل رؤية الخارج من قطار مضاء، لا تشرق النجوم تشرق إلا عندما يسود ظلام الليل.

سألت سونام كاسرة الصمت: «هل تتذكّر عندما عدت لأول مرة من طوكيو وأعطيتني جرابًا معطرًا؟».

- هل فعلت ذلك؟

- أوه، لا بد أنك نسيت. على أي حال، أخبرتني تشيريونج ذات مرة أنها هدية تربط بين الناس، لذلك عندما يعترف الأزواج بحبهم، فإنهم يقدمون الجرابات المعطرة كهدايا. تحدثت بصوت أهدأ بكثير مما شعرت به.

ابتسم جانجهوي، وقال: «يبدو أن هذا هراء اختلقوه لبيع المزيد من الجرابات».

قالت: «قد يكون هذا صحيحًا، لكن منذ أن تلقيت تلك الهدية منك، احتفظت بها قريبة مني - مؤمنة وراغبة في أن يكون صحيحًا. لكن بعد ذلك، في خضم كل ما حدث في العام الماضي، ضاع مني الجراب. هل تعتقد أن هذا يعني أن حبي لن يُبادل بالحب؟».

ومن دون انتظار إجابة، التفتت إلى جانجهوي، وتحدثت بصوت مرتعش: «إذا لم أقل هذا الآن، أعتقد أنني سوف أندم عليه إلى الأبد. أحبك، يا جانجهوي. منذ اللحظة التي رأيتك فيها لأول مرة وحتى الآن، لم تغادر قلبي قط».

استنشق جانجهوي نفسًا عميقًا، ونطق: «إذا كنتِ ستتحدثين بمثل هذا الهراء، فمن الأفضل أن تذهبي وتنامي. ربما أنت عاطفية من الرحلة، ولأنك ستفادين قريبًا».

لكنها لم تتراجع: «صحيح أنني لو لم أكن مغادرة، لم أكن لأجرؤ على الاعتراف. لا أريد قلبك الآن، ولا أبحث عن إجابة».

قال: «أستطيع أن أجيبك الآن يا سونام. لم أفكر فيك مطلقًا على أنك أكثر من مجرد أخت. ما دمتِ تَرِينِي أَخًا لك، فسوف أراكِ أيضًا أختي، لكن ليس أكثر من ذلك».

تنهدت سونام بحزن، وقالت: «أنت لم تأخذ الوقت الكافي للتفكير في الأمر. هذا دليل على أنني غير كفاء لك».

قال جانجهوي وهو ينظر في عينيها: «الأمر ليس كذلك، أقسم لك. شكرًا لك على إخباري. أشعر بالفخر لأنك اعترفت لي -حقًا- وأنا أحترمك كثيرًا لأنك وصلت إلى هذا الحد».

جلسا في صمت مدة طويلة حتى بدأت سونام في النوم. لم تنم كثيرًا في القطار، وبمجرد اعترافها، تحررت مما بدا كأنه خزان من التوتر والقلق. وفي النهاية تغلب عليها الإرهاق، ونامت على كتف جانجهوي.

لقمع رغبته في الجلوس هناك إلى الأبد، رفع جانجهوي سونام، وحملها إلى الداخل، حيث وضعها بلطف على السرير. كانت خفيفة جدًا لدرجة أن قلبه كان يتألم. كيف قطعت كل هذا الطريق بمثل هذا الجسد الضئيل؟ وغداً ستنتقل في رحلة طويلة إلى أرض بعيدة.

جلس بجانب السرير، وأمسك بيد سونام النائمة، التي عليها آثار حياتها الصعبة. ناجى آلهة بايكال الجبارة، وطلب منهم أن يحرسوها، ثم قبلها بهدوء على جبهتها.

الفصل الثامن عشر

زهور أوركيد بلا أشجار

مع الغزو الألماني لبولندا في الأول من سبتمبر عام 1939، انقسم العالم واندلع القتال مرة أخرى، بعد مرور ما يزيد قليلاً عن عشرين عاماً على انتهاء الحرب العظمى. أعلنت الولايات المتحدة أنها لن تشارك في حرب في قارة بعيدة. وبدلاً من ذلك، أصبحت البلاد بأكملها مصنعاً عملاقاً للذخيرة، ينشغل بإنتاج الإمدادات الحربية وإنعاش الاقتصاد. استفاد استوديو جونباي أيضاً من الازدهار في زمن الحرب. لم يَبِعِ المتجر لوحات أوكيو-إي فحسب، بل كان يبيع أيضاً القرطاسية والأظرف والبطاقات البريدية والدفاتر المزينة بالرسومات. كانت تلك الأغراض شائعة لدى النساء اللاتي أحبين الأشياء اللطيفة والجميلة. وكان المصدر الأكبر للدخل اللوحات المرسومة لنساء يرتدين ملابس ضيقة تظهر مفاتنهن -مع تعبيرات وإيماءات موحية- والتي كان يشتريها الشباب إلى حدٍ كبير.

كانت فكرة تشيريونج هي بيعها، وقد أقنعتة في النهاية بأنها ستكون مصدرًا هائلاً للمال، قائلة: «اللوحات الموجودة الآن جميعها متطابقة إلى حدٍ ما. إذا رسمت بعضها بأسلوب مختلف، فسوف تبرز وتلفت الأنظار إليها». جمعت صورًا لفتيات صغيرات موجودات بالفعل في السوق وعرضتها على جونباي، وقدمت اقتراحات مختلفة. وكانت على حق. كانت رسوماته جذابة

ومرهفة على حدٍ سواء، وكما اتضح في ما بعد، فقد حظيت بشعبية كبيرة. حتى إنه تلقى طلبات رسومات من المجلات والناشرين.

في خريف عام 1940، بعد عام ونصف من بدء عائلة تيراو حياتهم معاً في سان فرانسيسكو، تمكّنوا من الانتقال إلى الشقة الواقعة فوق الاستوديو. كانت تشيريونج ومارينا سعيدتين بالهروب من حيّهما القذر إلى وسط المدينة النابض بالحياة، ومقارنة بالشقة السابقة، كانت الشقة الجديدة فسيحة ونظيفة، وقبل كل شيء - آمنة.

في منزلهم الجديد، أخبرهم العمُ جيرو أنه -نظرًا إلى أنهما زوج وزوجة- يجب أن يأخذا غرفة النوم الرئيسة. في البداية، اعتقدت تشيريونج أنهما سيعيشان أخيرًا كزوجين حقيقيين، لكن بعد ذلك اشترى جونباي سريرًا ثانيًا. كان فخماً مع مجموعة الأدرج المدمجة التي أرادتتها تشيريونج. بدا سعيدًا عندما نظر إلى السريرين جنبًا إلى جنب.

- السرير الجديد لك. سأقضي معظم وقتي في الاستوديو، لذا خذي راحتك.

- لماذا لا تنام في المنزل بدلًا من ذلك، لأنه الآن في الطابق العلوي مباشرة. لا يوجد شيء غير مريح في ذلك، لأننا مثل صديقين، أليس كذلك؟

كان ثمّة تلميح من خيبة الأمل في صوتها.

مرّ عام آخر، وبدأ العمُ جيرو في التشكيك في علاقتهما بشكل جدّي، وأخبر تشيريونج أنها يجب أن تكون زوجة حقيقية لابن أخيه أو تترك الرجل يرحل. لكنه أخطأ في كل شيء. خلال فترة وجودهما في سان فرانسيسكو، نمت مشاعرها تجاه جونباي، لكنه ظلّ ثابتًا في الحفاظ على مسافة بينهما. وتساءلت: ربما سئم من زواجه الزائف من امرأة لا يهتم بها. هل وجد صعوبة بالغة في القول بأننا يجب أن ننفصل، لذلك كلّف عمّه بهذه المهمة؟

وفي خضمّ هذه الأفكار أصبحت مشاعر تشيريونج واضحة لها -كانت مغرمة بجونباي. استغرق الأمر وقتًا طويلًا قبل أن تدرك ذلك، لأنه لا يتطابق

مع ما قرأته في الكتب، أو شاهدته في الأفلام، أو شعرت به في العاطفة الطائشة التي كانت تَكُنُّها لجيونجيو.

في تلك الليلة، أعدت الشاي على المنضدة الصغيرة، وجلست مقابل زوجها. أمضت اليوم كله في ترتيب أفكارها، والآن حان الوقت لتُفسي بها، بصرفِ النظر عن العواقب.

قالت: «أعتقد أنني كنت أنانية جدًا خلال السنوات القليلة الماضية. عندما تجد امرأة صالحة -لتكون زوجة حقيقية لك- سأغادر على الفور. أو هل وجدت واحدة بالفعل؟ إذا كنت قد وجدتها، سأحزم حقائبي الآن».

اتسعت عينا جونباي من المفاجأة، لكنها واصلت الحديث، خائفة من التوقُّف قبل أن تنتهي: «ومع ذلك، أعتقد أنني ساعدت في نجاحك في الاستوديو، وأمل ألا تتركني أغادر خالية الوفاض».

ضغط جونباي يديه في قبضتين، وتحدَّث من خلال أسنانه المطبقة: «ابقي بجانبني».

تلك كانت الكلمات التي أرادت تشيريونج سماعها بشدَّة، وبطريقة ما جعلتها نبرته الأمرة بأنها أقرب إليه من أي وقت مضى.

وقف وتوجَّه نحوها بأن دار حول المنضدة، وقال وهو يقترب منها: «لا يمكنك المغادرة دون إذني».

بالنسبة إلى تشيريونج، كانت كلماته بمنزلة اعتراف بالحب. توقَّعت قبلة عذبة، أغمضت عينيها عند اقترابه، لكنها فتحتها مصدومة عندما احتضنها بقوة. على بعد بوصات، احمرَّ وجه جونباي بالعاطفة، وصرخت في مفاجأة. كانت غريزتها الأولى هي التراجع، لكن الارتياح عندما قيل لها: «ابقي»، طغى على شعورها المبهم بالغضب، وبدلاً من ذلك، أغمضت عينيها مرَّة أخرى.

كان ذلك في شهر مارس، وكانت درجات الحرارة دافئة بما يكفي لارتداء الأكمام القصيرة. دخل العمُّ جيرو إلى الاستوديو وهو متعرق وبنظرة غريبة على وجهه. تبعته تشيريونج، التي كانت تنظف المتجر المجاور، وهو يسلم صحيفة إلى جونباي. وقرأوا معاً الإعلان الصادم: «بحلول ظهر يوم الثلاثاء

7 أبريل 1942، تلقى جميع المقيمين اليابانيين في واشنطن وأوريجون وكاليفورنيا أوامر بمغادرة منازلهم».

لم يتبق سوى أقل من ثلاثة أسابيع حتى 7 أبريل.

كانت أخبار الهجوم الياباني على بيرل هاربر في ديسمبر من العام السابق قد صدم الأمريكيين. كان جونباي قلقًا بشأن كيفية تأثير رد فعل البلاد على السكان اليابانيين وتوقع نوعًا من الانتقام. ومن ناحية أخرى، كان عمه يأمل أنه إذا فازت اليابان في الحرب، فسوف يدفعون ثمن عقود من التمييز والإذلال الذي عاناه شعبهم في الولايات المتحدة.

فاقت النتيجة أسوأ توقعاتهم. وانتشر العداء تجاه اليابانيين في جميع أنحاء البلاد، وكتب السياسيون والمشاهير أعمدة في الصحف وظهروا في البرامج الإذاعية يطالبون بعزلهم. حتى إن البعض حثَّ الرئيس على التصرف بشكل مباشر.

قرأت تشيريونج العنوان والمقالة بعناية قبل أن تسأل: «ماذا يعني هذا؟». تنهد كلاهما وتجنبًا نظراتها. ظلوا صامتين لبضع لحظات قبل أن يتحدث العمُ جيرو أخيرًا.

قال: «الحي الياباني أرض قاحلة. اعتقل مكتب التحقيقات الفيدرالي الكثير من الأشخاص. الحسابات المصرفية مجمدة، وهناك العديد من عمليات تصفية الأعمال. يجب أن نجد حلًا قبل فوات الأوان».

شمل الاحتجاز القسري للمقيمين في الولايات المتحدة من أصل ياباني، مهاجري الجيل الأول الذين لم يغيروا جنسيتهم، والمقيمين من الجيل الثاني الذين يحملون الجنسية، والجيل الثاني من الأسر المختلطة الأعراق التي كان أبواها يابانيين. كانت الأمتعة الوحيدة التي يمكن لليابانيين أخذها معهم قبل المغادرة هي حقيبتين لكل شخص. ذهب العمُ جيرو إلى المكتب للتسجيل نيابة عن عائلة تيراو. استبعدوا مارينا، التي لم يكن لها أي علاقة دم فعلية به. بكت وتوسلت أن يسمحوا لها بالذهاب معهم، لكن لم يُسمح لها بذلك.

قال العمُّ جيرو وهو يحاول تهدئتها: «لن يدوم الأمر طويلاً. ابقِي مع جدتك، وسأحرص على الكتابة إليك».

إلى جانب مئات آخرين، رُحلت عائلة تيراو المكوّنة من العمُّ جيرو وجونباي وهيكاري في مركز مانزانار لإعادة توطين الحرب، الواقع في المناطق الداخلية من كاليفورنيا. مانزانار تعني «بستان التفاح» باللغة الإسبانية. كانت ذات يوم أرضاً خصبة ولكنها أصبحت الآن صحراء قاحلة. بناءً على الأمر، ركب الناس القطار بحقيبتين فقط. تعرّف جونباي على العديد من أصحاب العمل السابقين وعائلاتهم في القطار. تهامس الجميع بتوتّر وهم تحت حراسة الجنود الأمريكيين.

داخل القطار، كانت النوافذ مغطاة والهواء ثقيل. شعرت تشيريونج كما لو أنها سوف تتقيأ في أي لحظة، واضطرت إلى إمساك نفسها عدّة مرّات في أثناء الرحلة عندما كادت ركبتيها أن تتداعيا.

وبعد أكثر من عشر ساعات، توقّف القطار أخيراً في المحطّة الأقرب للمخيم. سُيّد مركز إعادة التوطين في صحراء فارغة. واصطفت الأكواخ في الأراضي القاحلة المحاطة بالأسلاك الشائكة، وبدأ أنها مرتجلة بسرعة. حتّى مرافق المراحيض والاستحمام لم تكن مجهزة بشكل لائق بعد. بمجرد نزولهم من القطار، خضع المعتقلون اليابانيون للاختبار لأول مرّة للتأكد من عدم إصابتهم بالأمراض وتلقوا التطعيمات، فيما فحص الجنود أمتعتهم بحثاً عن البضائع المهرّبة، بما في ذلك الكاميرات والكتب باللغة اليابانية والتي كانت محرّمة.

كانت الظروف في مركز إعادة التوطين أشبه بالسجن، وكان التحدّث باللغة اليابانية محظوراً داخلها. على الرغم من أن الجيلين الثاني والثالث من المهاجرين يمكنهم التحدّث باللغة الإنجليزية، فإن كبار السنّ من الجيل الأول لا يمكنهم ذلك. كان العديد من الشباب غاضبين من معاملتهم، فيما حاول الكبار تهدئتهم. وكان الجنود المسلّحون يجوسون في كل مكان.

أودعوا جونباي، والعمُّ جيرو، وتشيريونج في الغرفة السابعة عشرة في الثكنات، جنباً إلى جنب مع السيد والسيدة واتانابي وابنهما يوتو البالغ من العمر أربع سنوات. كانت الغرفة المستطيلة تحتوي فقط على عدد قليل من

البطانيات ومصباح متوهج منخفض الطاقة. كان من الواضح أنهم جميعًا يشعرون بالإهانة والعار من العيش في مثل هذه الغرفة الصغيرة، دون أي خصوصية، ومع عائلة أخرى التقوا بها للتو. ومع ذلك، فقد عرفوا أنهم محظوظون، إذ تقاسم ما يصل إلى عشرة أشخاص بعض الغرف الأخرى.

ناقش العمُ جيرو، وجونباي، والسيد واتانابي كيفية تقسيم الغرفة.

سأل جونباي عن رأي تشيريونج، لكنها كانت مرهقة من غثيانها المستمر وأرادت الاستلقاء فحسب. بينما اعتنى بها جونباي، سألت السيدة واتانابي إن كانت حاملاً. تجمّدت تشيريونج، ثم أحصت الأيام في رأسها. عندما أومأت برأسها، كان تعبير جونباي يكشف عن مشاعر مختلطة. تقيأت تشيريونج مرّة أخرى، فيما ذرف العمُ جيرو دموع الفرح وصرخ: «فليباركني أسلافي حتى أتمكن من تحمّل هذه المحنة!».

عند سماع كلماته، انفجرت تشيريونج أيضًا في البكاء، فيما جمع جونباي بسرعة كل البطانيات معًا ووضعها على الأرض. حتى إنه بدا دامعًا وهو يساعدها على الاستلقاء على الفراش المرتجل.

قال العمُ جيرو: «لا تقلقي بشأن أي شيء. فقط ارتاحي وفكّري في أشياء جيدة. جونباي، دعنا نسرع، قبل نفاذ الخشب». شدّ ابن أخيه معه إلى الخارج وبرفقتهما السيد واتانابي. ترك تشيريونج مع السيدة واتانابي، ويوتو الذي لم يرغب في ترك جانب والدته.

سألت السيدة واتانابي بنظرة قلقة: «هل أخذت الحقنة؟».

اضطرّ الجميع إلى التطعيم قبل دخول المخيم. كان الخوف يعتصر قلبها، فأومأت برأسها مرّة أخرى. ارتجفت تشيريونج فيما بدأت السيدة واتانابي تفرك أطرافها بقوة لتهدئتها.

قالت: «أنا آسفة، قلت شيئًا سخيًا. لا تقلقي كثيرًا؛ من المحتمل ألا يكون ضارًا بالجنين. لماذا لا أذهب وأستدعي السيد تيراو».

وبينما كانت المرأة على وشك الوقوف، أمسكت تشيريونج بذراعها، وهزّت رأسها، وقالت في همس: «من فضلك لا تخبري زوجي. وأنا آسفة، لكن هل يمكنك أن تسألني الطبيب إذا كان الطفل سيكون على ما يرام؟».

غادرت السيدة واتانابي، لكنها عادت بسرعة وكرّرت كلام الطبيب بأن الحقنة لن تكون ضارة. هدأ هذا الخبر مخاوف تشيريونج في البداية، لكنها تساءلت لاحقاً إن كانت المرأة قد كذبت لتهدئتها.

خلال الأيام القليلة التالية، استخدموا ألواحاً خشبية رديئة الجودة لتحويل الغرفة السابعة عشرة إلى ثلاث غرف، واحدة لكل زوجين، وواحدة للعمّ جيرو، الذي تطوّع لأخذ أصغر غرفة. لا تزال الغرفة المقسّمة تحتوي على مصدر ضوء واحد فحسب، وضعه السيد واتانابي وجونباي فوق الحاجز الفاصل بينهما لمشاركته. بات الوضع أفضل، لكن ليس مريحاً بأي حال من الأحوال. لم يتمكّن أي من الجانبين من تشغيل أو إطفاء الضوء حسب الرغبة، وحتى الأصوات الخافتة يمكن سماعها من خلال الجدران الرقيقة المرتجلة. في كل ليلة، راودت تشيريونج كوابيس بأن جنيناً مشوّهاً ينمو في رحمها، وأنها تلد مخلوقاً بشعاً وغير بشري. استولت عليها المخاوف. ودعت بصمت من أجل أن يختفي الطفل الذي في أحشائها.

سرعان ما تحوّل مانزانار من منطقة احتجاج مؤقتة إلى معسكر اعتقال رسمي. مع مرور الوقت وعدم تحسّن المرافق والوضع عمومًا، بدأ المعتقلون الذين لم يعد بإمكانهم التحمّل -في الاحتجاج، أو حاولوا الهروب حتّى. أطلق الحراس النار دون تردّد، وكان من بين الضحايا العمّ جيرو، الذي لم يقابل الحفيد الذي كان ينتظره.

أقيمت الجنازة الأولى في المخيم تحت حراسة مشدّدة. كانت مناسبة غير لائقة، حيث لم تكن هناك معاول أو فؤوس مناسبة للحفر في الأرض، ولا شواهد قبور لتمييز القبور، ولا زهور لتزيينها. في تلك الليلة، ابتلع جونباي دموعه عندما قرأ رسالة إلى مارينا كانت في جيب عمّه.

وبعد قرابة شهر، بدأ المخيم برنامج التوظيف. عمل جونباي في مزرعة دواجن، فيما عملت تشيريونج -على الرغم من غثيانها الصباحي- طوال اليوم في مخبز في عجن الخبيز. وفي ديسمبر من ذلك العام، أنجبت في مستشفى

المخيم. وعندما بكى طفلها للمرة الأولى، كانت خائفة للغاية لدرجة أنها رفضت فتح عينيها.

سمعت الممرضة تفتح الباب وتقول لجونباي: «مبروك يا سيد تيراو. إنها ابنة، والأم والطفلة بصحة جيدة».

هتف: «هيكاري، لقد قمت بعمل عظيم. شكرًا لك!».

فتحت تشيريونج عينيها فقط بعد سماع صوت جونباي العاطفي. حدثت إلى ابنتها الصغيرة -التي دعت من أجل أن تختفي- ووجدت صعوبة في تصديق أنها بخير تمامًا.

أطلق جونباي على الطفلة اسم يوريكو، وتعني «زنبق».

في نوفمبر 1944، ألغى الرئيس روزفلت، الذي فاز بولاية رابعة، أوامر الاعتقال الصادرة بحق اليابانيين في غرب الولايات المتحدة. أعلنت إدارة المخيم أن أي شخص يرغب في المغادرة يمكنه ذلك، لكن الأمر لم يكن بهذه البساطة كما صوروه. كان ذلك في منتصف فصل الشتاء، ولم يهدأ عداؤ المجتمع الأمريكي لليابانيين حيث كان الرأي العام مناهضًا بأغلبية ساحقة لتحرير اليابانيين من المعسكرات. وفقدت العديد من العائلات المحتجزة حساباتها المصرفية، فضلًا عن منازلهم ومتاجرهم ومزارعهم. علاوة على ذلك، وصلت أخبار تفيد بأن مجتمعات أخرى قد استولت على الحي الياباني بالكامل.

مهما كانت الظروف في الخارج، أرادت تشيريونج مغادرة مانزانار في أسرع وقت ممكن. كانت عائلة تيراو وواتانابي لا تزالان تعيشان في الغرفة نفسها، وكانت يوريكو قد بلغت من العمر ثلاثة وعشرين شهرًا، وهي طفلة صعبة المراس، ولا تستطيع الجلوس ساكنة، وتحبُّ الركض. كانت حساسة ومتطلبة، وكانت العناية بها في المعسكر تثقل كاهل تشيريونج. وفي الوقت نفسه، أنجبت السيدة واتانابي أختًا صغيرى ليوتو، وكانت الطفلتان توقضان بعضهما بعضًا كل ليلة، كما لو كانتا في مسابقة بكاء.

كتب جونباي رسالة إلى سانشيز جونيور، الذي عهدوا إليه باللوحات والحسابات المصرفية وممتلكاتهم المنزلية قبل مغادرتهم. أبلغه بوفاة جيرو ووضعهم الراهن وطلب المساعدة. أجاب الرجل بسرعة أنه واصل بيع لوحات الفتيات التي رسمها جونباي في أثناء الحرب، وكانت مبيعاتها جيدة للغاية. حزن على وفاة جيرو وعرض على جونباي فرصة العمل في شركته: «أفكر في بدء عمل تجاري في مجال القرطاسية. مع مشروع إعادة التأهيل العسكري هذا، سيذهب الكثير من الجنود إلى المدرسة، ومن المرجح أن يرتفع الطلب على القرطاسية. لماذا لا تدير قسم التصميم؟ إذا كنت تفضل العودة إلى الاستوديو، فسأساعدك بكل سرور على البدء من جديد».

قبل جونباي عرض العمل الذي قدمه سانشيز. لم يكن يريد إدارة الاستوديو من دون عمه، وباعتباره رب أسرة يعول طفلة، فقد اختار الاستقرار على المصادفة.

وقبل وقت قصير من حلول العام الجديد، كانت عائلة تيراو من بين أول من غادروا المخيم. أعارهم سانشيز جونيور منزلاً من طابقين مزوداً بحديقة صغيرة في منطقة سكنية نظيفة وهادئة، بالإضافة إلى سيارة. انهمرت دموع الفرخ على وجه تشيريونج عندما دخلوا المنزل، الذي كان مجهزاً بالأجهزة المنزلية بما في ذلك ثلاجة وغسالة. بالمقارنة مع المخيم، كان منزلهم الجديد مثل جنة أرضية. بالنسبة إلى جونباي، كانت السيارة على ما يرام، لكن قبل كل شيء كان يرغب في توفير بيئة آمنة لابنته للركض واللعب.

من منطلق الولاء لعمه الراحل، أحضر جونباي مارينا لتعيش معهم. وأعرب أيضاً عن أمله في أن تكون مفيدة في شؤون المنزل، حيث ثبت أن العثور على خادمة مستعدة للعمل في منزل ياباني أمر شبه مستحيل. مارينا، التي تركت المدرسة، شعرت بسعادة غامرة للدعوة، وانتقلت للعيش معهم على الفور. كانت سريعة في ملاحظة ما يجب القيام به، وتولت الأعمال المنزلية ورعاية الطفلة. لحسن الحظ، انسجمت يوريكو مع ماريا، الأمر الذي أسعد تشيريونج، التي تمكنت أخيراً من أخذ استراحة من رعاية ابنتها المنهكة.

في غرفة النوم الرئيسة، كان ثمة سرير كبير بما يكفي لكي تنام يوريكو جنباً إلى جنب مع جونباي وتشيريونج، لكنها فضّلت النوم مع مارينا. كانا سعيدين بالوقت الذي يقضيانه بمفردهما -فالسنوات التي قضياها في المخيم جعلتهما أقرب من بعضهما بعضاً ممّا كانا عليه عندما غادرا- ومارسا الحب بشغف في السرير الجديد داخل منزلهما الجديد، كما لو كانا متزوّجين حديثاً.

ولم يمض وقت طويل قبل أن تحمل تشيريونج بطفلها الثاني.

في صباح أحد الأيام، بينما كان جونباي في سيارته، في طريقه إلى العمل، فكّر في عمّه جيرو. عندما وصل لأول مرّة، قال له عمّه أن يثق به، ولم يكن الأمر مجرد خدعة. كل ما أصبح جيداً في حياته كان بفضل عمّه، وكان يأمل أن يكون طفلهما الثاني ابناً يشبهه. لحظتذاك لاحظ مدى صفاء السماء -دون أي أثر للضباب- وشعر أن سنوات حظه السيئ قد ولّت، وأنه من الآن فصاعداً، ستعمُّ السعادة.

- لي دونجيين؟ أوه، تقصدين رئيس قسم التدريب والدعاية؟ لكن من أنت؟

ارتفع صوتها بحماس.

- هل هو هنا؟ هل هو حقاً هنا؟ من فضلك أخبره أن سونام هنا. كيم سونام.

وسرعان ما اصطحب الرجل سونام إلى مكتب صغير داخل المقر حيث وجدت نفسها وجهاً لوجه مع الرجل الذي سافرت بعيداً لرؤيته. للحظة طويلة، وقفا صامتتين، ينظر كل منهما إلى الآخر. برزت عظام وجنتيه على وجهه النحيف، وبدا قاسياً ومرتاباً. لم تتفاجأ سونام من أنه لم يتعرّف عليها في البداية.

بعد أن أمضت ما يقرب من شهرين على الطريق، أصيبت بحروق شمس، وتقلّصت إلى جلد على عظم بسبب الوجبات الهزيلة التي تناولتها في الطريق. بالكاد تصدّق أنهما يقفان أخيراً كل منهما أمام الآخر بعد كل هذا الوقت.

تحدّث جانجهوي أولاً، وكان صوته يرتجف: «هل أنتِ حقاً سونام؟».
قالت: «نعم، أنا سونام خاصّتك».

ركضت إليه وألقت ذراعيها حول رقبته. الدموع التي كانت تكبحها، تدفّقت فوق وجهها. جانجهوي، الذي كان يقف هناك كما لو كان يرى شبحاً، أمسك بها على مسافة منه، وفحصها من كثب، وعيناه ملآنَتان بالدموع: «هل أنتِ حقاً سونام؟ هل قطعتِ حقاً كل هذه المسافة إلى هنا من أمريكا؟».

أومات برأسها، ووجهها المخضّب بالدموع يثير العاطفة. تبادلنا نظرات طويلة، وبقوة بدا أنها تهدف إلى جذب كلٍّ منهما إلى عيني الآخر. عندما كسرت سونام نظراتهما الحادّة بابتسامة خجلى، ابتسم جانجهوي.
قال: «إنها أنتِ حقاً».

التقط الحقيبة التي أسقطتها، وقادها متجاوزاً الحارس، الذي كان يراقبهما بفضول، إلى غرفة صغيرة في الطابق الثاني من مبنى متهدّم على بعد مسافة قصيرة من المقرّ الرئيس. في زاوية الردهة كان يوجد مطبخ مشترك وحمّام. وحتّى هنا، كانت غرفته لا تزال متهاكّة، وضيقة بما يكفي لتملئ تماماً عندما صار الاثنان بالداخل. أخذ جانجهوي منشفة معلّقة إلى الحائط، وأعطاهما لها مع بعض الصابون، وقال: «انذهبي للاغتسال أولاً، وسأحضر لنا شيئاً لنأكله».

تحوّل وجه سونام إلى اللون الأحمر الفاتح، وأدركت فجأة كيف لا بدّ وأن رائحتها كريهة بعد عدم الاغتسال لأسابيع، وتعرّضها للعرق بسبب الحرارة والرطوبة. بمجرد مغادرته، هرعت إلى الحمّام، وبعد الاغتسال، بدّلت ثيابها إلى أنظف الملابس القليلة التي أحضرتها معها، وأسرعت عائدة إلى الغرفة من دون أن تكلف نفسها عناء غسل ملابسها القذرة - لكن جانجهوي لم يكن قد عاد. وبينما كانت تجفّف شعرها، نظرت حولها في الغرفة. لم يكن هناك سوى سرير ومكتب عتيق، مع ذلك غمرتها العواطف لوجودها في مكان يذكّرهما بالوقت الذي قضته في هاربين، عندما كان عليهما أن ينحنيا بحيث يكاد رأساهما يتلامسان لتناول الطعام في غرفته الصغيرة. كانت تلك ذكرياتها المفضّلة التي لطالما فكّرت فيها خلال فترة وجودها في أمريكا.

العديد من الكتب باللغة الصينية كانت موضوعة فوق المكتب. التقطت سونام أحدها، وفتحته ثم توقفت. كانت الصورة التي التقطتها معًا في استوديو التصوير في إيركوتسك مدسوسة بين الصفحات. بالمقارنة مع الصورة التي كانت لدى سونام، والتي وضعتها في إطار بمجرد استلامها، بدت تلك مهترئة للغاية.

بخلاف ما كانت تخشى، بدت سونام جميلة جدًا وهي تقف مبتسمة بجانب جانجهوي. كانت تبلغ من العمر تسعة عشر عامًا وقتذاك، وبدأ جانجهوي أصغر سنًا بكثير من الآن. عندما سمعت صوت خطوات شخص قادم، أعادت الصورة إلى مكانها على عجل، وابتعدت عن المكتب. جاء جانجهوي وهو يلهث، لكنه سرعان ما أشاح بعينه بعيدًا عندما رأى شعرها المبلل. دفع كل شيء على المكتب جانبا، وبدأ يُخرج مقرمشات مقلية وبطيخ وسيقان قصب السكر من الكيس الورقي، وقال: «مع حصص الطعام الشحيحة، ليس هناك الكثير لنأكله. أعلم أن هذا قليل، لكن دعينا نتناول وجبة خفيفة قبل حلول موعد العشاء».

بدأت سونام، التي كانت تتناول ما يكفي للبقاء بالكاد حية منذ أن غادرت الولايات المتحدة، في تناول الطعام بسرعة.

وقالت بين لقمة وأخرى: «بالمناسبة، يجب أن أرى رئيس الوزراء. جمعت الجالية الكورية في مدينة نيويورك الأموال وأعطتها إيأي لتوصيلها إليه، وأرسلوا تحياتهم. ليست رسالة مكتوبة، حفظتها، لذا يجب أن أقابله وأخبره بها شخصيًا».

الفصل التاسع عشر

نيويورك

«عزيزي جانجهوي،

كيف حالك؟ أعلم أنني لم أكتب منذ مدّة، ولكنّ اليوم، 25 مايو 1945، يوم له معنّى عظيم في حياتي. تخرّجت أخيرًا في كلية هانتر! عندما بدأت الدراسة قبل أربع سنوات، اعتقدت أن هذه اللحظة لن تأتي أبدًا. حقيقة أنني أنجزت هذا على الإطلاق لم يكن نتاج جهودي وحدها، لكن بفضل مساعدة العديد من الأشخاص، بما فيهم أنت، الذي أرسلت إليّ شهادة تخرج تشيريونج الثانوية.

أخذت اليوم إجازة من المطعم لمكافأة نفسي. أردت بعض الوقت لنفسي حتّى أتمكّن من التفكير في كل ما قادني إلى هذه اللحظة والاستمتاع برفاهية الانغماس في الذكريات الجميلة. يبدو الأمر وكأنني بالأمس فقط خطوت خطواتي الأولى فوق الأراضي الأمريكية.»

في 1 سبتمبر 1939، بعد الهبوط من السفينة كوين ماري مع عائلة جونز، خضعت سونام لفحص المستندات والتفتيش البدني في مكتب الهجرة في جزيرة إليس. لم تأتِ بتأشيرة رسمية، لكن القنصل جونز تقدّم بطلب اللجوء على أساس أنها «امرأة متعة» سابقة هربت من الجيش الياباني، وهو ما أسرّت به للسيدة جونز في أثناء تحضير المستندات الخاصة بقبولها.

لم تصدّق سونام أن المدينة -بتمثالها الضخم لإلهة الحرية وناطحات السحاب الشاهقة- يمكن أن تكون من صنع الإنسان. تسارعت دقات قلبها وهي تتخيّل كل التجارب الجديدة التي ستكون مفتوحة لها. ولأنها لم تكن على علم بوجود تشيريونج على الساحل الغربي، فقد شعرت أيضًا أنها -بطريقة ما- تحقّق حلم سيدتها السابقة، التي كانت ترغب دائمًا في زيارة الولايات المتحدة. كان الأول من سبتمبر عام 1939 أيضًا هو اليوم الذي بدأت فيه الحرب العالمية الثانية. لم تعرف سونام سوى أن اليابان كانت تقاتل ضد الصين، ولم تعرف أن هذه كانت بالفعل الحرب الثانية التي سينقسم فيها العالم كله في المعركة.

بمجرّد نزول الركاب، لم تتمكّن السفينة كوين ماري من العودة إلى إنجلترا، وبقيت في ميناء نيويورك. عندما سمعت القصة، شعرت سونام بارتباطها بالسفينة التي لم تتمكّن من العودة إلى الوطن. في نهاية المطاف، طُلي الجزء الخارجي لكوين ماري باللون الرمادي، ومُزّق تصميمها الداخلي المزخرف، وجُهّزت بأسرة لتكون بمنزلة وسيلة نقل لقوّة الحلفاء.

كان منزل عائلة جونز الجديد في مانهاتن عبارة عن شقّة فاخرة تطل على سنترال بارك. قدّمه إليهم والد السيدة جونز، وهو رجل ثري من فلوريدا. يتكوّن طاقم العمل المنزلي من طبّاخة وخادمة وسونام التي تقوم ببعض الأعمال المنزلية وتعتني بالطفلين. كان منصب السيد جونز في هاربيّن آخر منصب رسمي له، حيث استقال من وظيفته كدبلوماسي للترشّح من أجل الانتخابات. استعدادًا لانتخابات الكونجرس القادمة، تغلّغت عائلة جونز داخل المجتمع الراقى في نيويورك، حيث استضافوا الحفلات في المنزل فيما كانوا يشيدون شبكة علاقاتهم.

كان ضيوفهم يتهامسون في كثير من الأحيان عن مدى الصدمة التي شعروا بها تجاه الزوجين الفظيّن اللذين عهدا برعاية طفليهما إلى همجية آسيوية بربرية لكن عائلة جونز استخدمت هذه الحقيقة لتحقيق مكاسب سياسية.

قالت السيدة: «زوجي محبٌ للخير، وقد أحضر شيري من آسيا لوضع هذه الروح موضع التنفيذ. شيري فتاة من أرض مستعمرة، وأنا وزوجي نرى أن مجيئها إلينا مشيئة الرب. سنكون بكل سرور وصيين عليها، ونساعدنا في تحقيق أحلامها في أمريكا، أرض الفرص. وقريباً سوف نسجلها للدراسة في الكلية».

كانت هذه كلمات السيدة جونز في مقابلة مع زوجات مرشحي الكونجرس، نشرت في إحدى الصحف المحلية.

أرسلت عائلة جونز سونام إلى مدرسة خاصة للغات، حيث كانت بحاجة إلى تحسين لغتها الإنجليزية قبل أن تتمكن من الالتحاق بالجامعة. على الرغم من أنها كانت مجرد أكاديمية، فقد كان حلمًا بالنسبة إلى سونام أن تصبح طالبة رسمياً لأول مرة في حياتها. وكانت معظم زميلاتها في الفصل من المهاجرات من الشرق الأقصى، ومعظمهن من الصين. كان المدير، الذي أسس الأكاديمية أيضاً، من الجيل الثالث من الصينيين، وُلِدَ ونشأ في نيويورك. بعد تخرجه في الكلية، أنشأ أكاديمية للغات عندما لم يتمكن من الحصول على وظيفة لائقة بشهادته، وكثيراً ما جعل الظلم العنصري موضوعاً لفصوله الدراسية.

يقول: «عندما جاء جدّي إلى أمريكا لأول مرة، كان يعمل في منزل عائلة بيضاء، وكانت زوجة المالك تتجول عارية دون احتراز. وتساءل إن كانت هذه عادة في أمريكا، لكن اتضح أن المرأة ببساطة لم تر الخادم الصيني إنساناً على الإطلاق. عُومِلَ مثل حشرة أو حيوان. مرّت عقود منذ ذاك الحين، لكن موقف الأمريكيين تجاه الآسيويين لم يتغير على الإطلاق».

شاركت العديد من الطالبات تجارب مماثلة في حياتهن اليومية، وأصبح الفصل الدراسي أحياناً منتدًى آمناً لانتقاد الأشخاص البيض.

في البداية، شعرت سونام بعدم الارتياح هناك. كانت محرجة للغاية من التحدث عن سيدها الشاب الطيب أمام الأشخاص الذين عوملوا بشكل سيئ للغاية، إن لم يكن بعنف، لكنها أيضًا لم تكن تريد أن تكون الشخص الوحيد الذي لا يشارك. مع مرور الوقت، سماع قصص زميلاتها الأخريات جعلها أكثر وعيًا بالحالات التي تعرّضت فيها للتمييز، دون أن تلاحظ ذلك.

قالت ذات يوم في الفصل دون تفكير: «الكلاب تعيش في ترف هنا».

بمجرد وصولهم إلى نيويورك، حصل الزوجان على كلبين أليفين، أطلقا عليهما اسم ماكس ولوسي. ومن الأشياء التي فاجأت سونام عند وصولها إلى أمريكا رؤية الكلاب داخل المنزل تعيش مع أصحابها، ويعاملونها كأنها من أفراد العائلة.

سألته السيدة جونز عن العادات في الوطن، وعندما ذكرت سونام أنه في كوريا، يتناولون الكلاب في كثير من الأحيان خلال أيام الصيف الحارة بعد تسمينها على بقايا الطعام في الفناء، أثارت السيدة ضجة كبيرة كما لو أنها قالت إن الكوريين أكلة لحوم بشر. منذ ذلك الحين، أصبح أفراد عائلة جونز يطلقون نكاتًا لا تبدو تمامًا مثل النكات: «شيرى، هل من الآمن أن نطلب منك اصطحاب ماكس ولوسي في نزهة على الأقدام؟»، أو «شيرى، تناولي شريحة اللحم التي تركتها لك. إذا كنت جائعة، فقد يكون ماكس ولوسي في خطر».

على الرغم من أن سونام فهمت أن هذه كانت محاولتهم للمزاح، فإن ذلك جعلها تشعر بعدم الارتياح. في بعض الأحيان، كانت تشعر وكأنها كلبة رفيقة مُلاك لطيفين، ثم يتبع ذلك إحساس بالذنب لأنها جحدت فضل عائلة جونز عليها لكن هذا الشعور لم يتبدد مطلقًا.

وبالنظر إلى الوراء، أدركت سونام أنها تعرّضت للتمييز منذ ولادتها. لأنها كانت ابنة، لأنها كانت فقيرة، بسبب وضعها المتدنّي، لأنها لم تحصل على تعليم، لأنها كورية.... حتى الآن، لم تعتقد سونام أن أيًا من هذا غير عادل. عدت أنه من المسلّم به أن يتعرّض النساء للتجاهل ويعاملن على نحو سيئ من قبل الرجال، والفقراء من قبل الأغنياء، والمنحطّين شأنًا من قبل الراقين، والجهلاء من قبل المتعلّمين، والكوريين من قبل اليابانيين.

في المدرسة، تعلّمت أن أمريكا دولة أسسها الأوروبيون الذين طردوا السكان الأصليين بالبنادق والسكاكين. ثم جلبوا الأفارقة الذين أخذوا قسرًا من ديارهم ليستعبدهم. الآن، باتت العبودية وشراء وبيع الناس محظورًا بموجب القانون، ولكن الإهمال والتمييز ضد السود لا يزال قائمًا. وتلقّى الآسيويون الشرقيون الذين جلبوا إلى البلاد لبناء السكك الحديدية والجسور والعمل في مزارع قصب السكر، معاملة مماثلة. وكانت ثمة مطاعم لا يسمح للسود والآسيويين بدخولها، وأبواب ومقاعد منفصلة لهم في الحافلات. لا يمكن للرجل الأسود أن يتزوَّج امرأة بيضاء، وكان عليه أن ينادي الرجل الأبيض بـ «سيدي». ويبدو أن البيض في أمريكا يعتقدون أنهم متفوقون على الأجناس الأخرى وأكثر تحضرًا.

فقط عندما تحسّنت لغة سونام الإنجليزية، أدركت أن الأسماء التي استخدمها الجيران عند الإشارة إلى الأقليات العرقية كانت مهينة ومستخفة. وكلما تعلّمت أكثر، شعرت أنه لم يتغيّر شيء عمّا كان عليه الحال في كوريا تحت الحكم الإمبراطوري الياباني.

في ربيع عام 1941، في سنّ الحادية والعشرين، تلّقت سونام خطاب قبول من كلية هانتر، وهي كلية تموّلها الدولة للنساء تحمل اسم مؤسّستها، وهي مهاجرة أيرلندية. كانت الكلية قريبة، على بعد عشرين دقيقة فقط سيرًا على الأقدام من الشقة المقابلة لسنترال بارك. قبلتها الكلية إلى حدّ كبير بفضل خطاب توصية السيد جونز السخي إلى حدّ ما، وكان ذلك أيضًا بفضل شهادة تخرّج تشيريونج التي ربّب جانجهوي استلامها لها. وعرضت السيدة جونز حتّى تقليل عبء عملها خلال العام الدراسي.

كان كل شيء في مكانه الصحيح بالنسبة إلى سونام عندما حدث ما هو غير متوقّع. بعد فشله في الفوز بمقعد في الانتخابات الأخيرة، كان السيد جونز يستعدّ للترشّح مرّة أخرى، لكنّ عندما شُخّص الابن الأصغر -الذي وُلِدَ في نيويورك- بالربو الحاد، نصّحهما الأطباء بالانتقال إلى مكان أكثر دفتًا جيد التهوية. لذلك، انسحب من الانتخابات وقرّر إعادة العائلة إلى ولاية فلوريدا، مسقط رأس زوجته.

سونام -التي كانت على وشك بدء الدراسة- كادت تفقد وعيها عندما أخبروها.

قالت السيدة جونز: «شيري، يجب أن تأتي معنا. ثمّة كلية بدأت بتبرّعات والدي. سأساعدك في الحصول على القبول فيها بمنحة دراسية كاملة. الهواء أفضل بكثير في فلوريدا، والناس أكثر ودّيّة ممّا هم عليه في مانهاتن».

رافقت سونام السيدة جونز مرّتين من قبل إلى ولايتها الأصلية: مرّة في عيد الشكر ومرّة في فترة الكريسماس. كان الهواء والطقس أفضل، لكنها لم تجد الناس ودودين على الإطلاق. خلال الرحلات، رأت سونام الطريقة التي ينظرون بها إليها، يحدّقون إليها بها، وكيف يتجاهلونها. حتّى والدا السيدة جونز استهجنّا مدى قرب ابنتهما منها. وقبل كل شيء، كانت تعلم أنها ستكون الشخص الآسيوي الوحيد في الحي.

كانت سونام أكثر راحة في نيويورك، حيث يعيش الناس من شتّى بقاع العالم، بما في ذلك أولئك الذين يشبهونها. ومع ذلك كان اقتراح السيدة جونز مغرياً. من خلال منحة دراسية كاملة، يمكنها توفير راتبها بالكامل. استبعدت أي فكرة عن تلقّي الأموال من الفيكونت، لكنها ما زالت ترغب في إرسال الأموال إلى عائلتها في كوريا بمجرد تخرّجها في الكلية، وكسب لقمة عيشها.

إن بقيت في نيويورك، فسيتعيّن عليها كسب المال لتغطية الرسوم الدراسية، بالإضافة إلى تكاليف الإيجار والمعيشة بنفسها. كما ستفقد حماية عائلة جونز. منذ وصولها، تحسّنت لغتها الإنجليزية بشكل كبير، وأصبحت على دراية بشعاب المدينة، لكنها ما زالت غير واثقة من العيش بمفردها. وفي الوقت نفسه، إذا اختارت أن ترافق عائلة جونز، فقد تساءلت إن كانت ستتوقّف عن الشعور بأنها الكلب الثالث للعائلة.

وفي خضمّ حالة من الحيرة والخوف من نتيجة قرارها، أمدّتها الكلمات التي قالها جانجهوي لها على شاطئ بحيرة بايكال بالشجاعة.

أنا أجتزمك كثيراً لأنك وصلت إلى هذا الحدّ.

كلما واجهت صعوبة، كانت تلك الكلمات بمنزلة مصدر راحة كبيرة لها. اعتقدت أن هذا الحدّ يعني هاربيين فحسب، لكنّ ربما لم يكن ذلك صحيحاً. ماذا

لو كان يقصد الأشياء المذهلة التي أنجزتها والتي بدت ذات يوم مستحيلة؟ إذا كان الأمر كذلك، فالبقاء في نيويورك والعيش بمفردها أيضًا هذا الحد.

تمكنت سونام أخيرًا من اتخاذ قرارها.

قالت للسيدة: «سيدتي، أنا أقدر عرضك الكريم، ولكنني أريد البقاء. اعتنيت بي طوال هذا الوقت، لكن الآن أريد أن أحاول أن أعيش بمفردي. لن أنسى أبدًا اللطف الذي أظهرته لي.»

قبلت السيدة جونز قرارها، بالرغم من أنه يبدو أنه يحزنها، في حين بدا السيد جونز مرحبًا به.

غادرت عائلة جونز إلى فلوريدا في منتصف شهر مايو، وبعد توديعهم، شعرت سونام بالفراغ لكونها وحيدة مرة أخرى. قبل المغادرة، وجدت سونام غرفة صغيرة في الحي الصيني، على الطرف الجنوبي لمانهاتن. كان تأجير غرفة قرب الكلية باهظ الثمن، ولن يكون بوسعها العمل حتى ساعة متأخرة إن عاشت في مهجع داخل الكلية مع وجود موعد معين لحظر التجول ليلاً.

ذكرها الحي الصيني بالكابوس الذي بدأ في منشوريا، لكنه ذكرها أيضًا بعائلة تشيون التي أنقذت حياتها، وبالوقت الذي قضته في هاربين مع جانجهوي. شعرت سونام بالراحة في العيش محاطة بأشخاص يشبهونها. في مدينة نيويورك، كان لون البشرة الوسيلة الأولى لتحديد الهوية. وقيل إن أول الآسيويين الذين هاجروا إلى الولايات المتحدة كانوا صينيين، وأنهم أقاموا وعاشوا في أكبر بلدة بين أحياء الشرق الأقصى في المدينة. كان الصينيون في نيويورك يكرهون اليابانيين لأن وطنهم تعرّض للغزو وكانوا في حالة حرب معهم. ومع ذلك، فقد تعاملوا بشكل جيد مع الكوريين، الذين عدّوا اليابان أيضًا عدوًا لهم. كانت هناك ملصقات تدعو إلى مقاطعة المنتجات اليابانية في جميع أنحاء الحي الصيني، وخاصة الجوارب الحريرية.. «عندما تشتري منتجات يابانية، فإن الأموال تستعمل لقتل شعبنا».

غرفة سونام، التي تضم مطبخًا مشتركًا ومرحاضًا، خلت من النوافذ، وكانت ضيقة ومتهاكة مثل غرفة جانجهوي في هاربين. ومع ذلك، كانت فخورة جدًا بحيازة مكان يخصها لأول مرة في حياتها. حتى إنه كان لديها سرير ومنضدة صغيرة أعطتهما السيدة جونز لها.

وضعت سونام صورة مؤطرة لها مُلتقطة في استوديو الصور في إيركوتسك على المائدة. جانجهوي، الذي جاء مع سونام إلى إيركوتسك من القرية الواقعة على شاطئ بحيرة بايكال، اصطحبها إلى استوديو التصوير قبل أن تستقلّ القطار. هناك التقطت صورة واحدة بمفردها وواحدة لهما معًا. كانت حزينة للغاية، في البداية، عندما أرسل إليها جانجهوي صورتها فقط، لكنها شعرت لاحقًا بالسعادة عندما اعتقدت أنه احتفظ بصورتها معًا لنفسه، ربما لينظر إليها كلما اشتاق إليها.

على الرغم من أنها كانت تتقن اللغة الإنجليزية الدارجة، فإن الوظائف الوحيدة التي تمكّنت من العثور عليها كانت في مطابخ المطاعم، مثل إعداد الطعام وغسل الصحون. كان العديد من العمال في المطعم الذي عملت فيه سونام من أصل صيني، وكانت تمارس اللغة الصينية معهم، وتحاول أن تتعلم كلمة أو كلمتين في اليوم. كما هو الحال دائمًا، لم تعرف ما يخبئه المستقبل. حتى لو أنهت دراستها، فليس هناك ما يضمن أنها ستجد وظيفة في الولايات المتحدة. بصفتها يون تشيريونج، كانت حريصة على العودة إلى كوريا، لكن بصفتها كيم سونام، كان من الصعب الهروب من منصب الخادمة التي بيعت مقابل بضعة من حقول الأرز. بعد التخرُّج، كانت رغبة سونام الأكثر إلحاحًا العودة إلى الصين، حيث كان جانجهوي.

اعتزّت بحقيقة أنها تمتلك القوة للاستمرار في العيش من أجل نفسها، دون الحاجة إلى دفاء أو نور جانجهوي مثل نجم أو مصباح لكن مشاعرها نحوه ظلت قائمة، وبعد الانتهاء من دراستها، أرادت أن تصبح شريكته وزوجته المستحقة.

وبسبب الحرب، ازدهر الاقتصاد، وكانت المطاعم مزدحمة كل ليلة. كانت أعمال المطبخ متاحة دائمًا، لذلك لم يكن من الصعب على سونام دفع الرسوم الدراسية ونفقات المعيشة. وفي الليل، يمكنها أن ترتاح بسلام دون القلق بشأن استدعائها للقيام بمهمة أو أخرى. كانت حُرِّيَّة أكثر واقعية على النقيض من الحُرِّيَّة التي شعرت بها لأول مرّة في القطار عندما كانت تتبع تشيريونج في طريقها للدراسة في الخارج.

نمت ثقة سونام بذاتها لأنها تمكّنت بيسرٍ من العيش بمفردها. لم يسبق لها الالتحاق بالمدرسة الابتدائية، لكنها لم تكن قلقة أو خائفة بشأن الذهاب إلى الكلية. ولم يحدث أن رأت تشيريونج تدرس بجدّ، ونظرت باهتمام أكبر بكثير إلى كتب سيدتها الدراسية. فكّرت: إذا كانت السيدة الشابة قادرة على التخرُّج في المدرسة الثانوية والالتحاق بالجامعة في الخارج، فمن المؤكّد أنها تستطيع ذلك.

في يومها الأول في كلية هانتر، وجدت سونام أنها بالكاد تستطيع فهم أي شيء يقوله معلّموها في الفصل. كانت هذه ضربة فادحة لثقتها بنفسها، واضطرت إلى الاعتراف بأنها ربما كانت متعجرفة إلى حدّ ما بشأن مدى سهولة حياتها.

كانت دروسها صعبة حتّى لو أنها لم تفعل شيئاً سوى الدراسة طوال اليوم، لكنّ كان عليها أيضاً أن تعمل. على الرغم من أنها خفّضت مجال وظائفها إلى مطعم واحد بالقرب من المدرسة، فإن الليل يكون قد انتصف بحلول ساعة عودتها إلى المنزل. وحتّى في ذلك الوقت، كانت تتجه مباشرة إلى مكتبها للدراسة، دون أن تأخذ وقتاً للاغتسال. كان الأمر مرهقاً، لكن مع ذلك شعرت بمتعة تعلّم شيء جديد، المتعة التي قادتها إلى هذه اللحظة في المقام الأول.

تماشياً مع الرؤية التأسيسية للكلية والتي تنصّ على أنه لا ينبغي أن تكون ثمة قيود عنصرية أو دينية أو سياسية عند اختيار الطلاب، كانت كلية سونام تضمّ طلاباً متعدّدي الأعراق والثقافات، لكن سونام كانت الكورية الوحيدة. عاش عدد قليل جدّاً من الكوريين في المدينة لدرجة أنها لم تقابل أحداً بعد، وهو الأمر الذي اعتقدت أنه ربما يكون خطأ ساراً. غالباً ما تنتقل الشائعات مثل الريح، ولم تكن تريد أن يُعرف أنها بعد هروبها من كتيبة النساء، سافرت بوقاحة حتّى ترتاد كلية في مدينة نيويورك.

كانت مدّة الخدمة في كتيبة النساء عامين، لذا لو لم تهرب، لكانت ستعود إلى سيول في ذلك الربيع. في هذه الحالة، لكنت السيدة الشابة حرّة، وكنت

سأحظى بالحُرِّيَّة والمال أيضًا. بعد أن فكَّرت في ذلك، ارتجفت وهزَّت رأسها، وتذكَّرت ما كانت ستعايشه لو لم تهرب. كان شيئًا فظيعةً لا يمكن تعويضه أو التراجع عنه.

اتخذت القرار الصحيح.

في شتاء سنتها الأولى، هاجمت اليابان بيرل هاربر. بعدئذ الولايات المتحدة، التي عانت أضرارًا جسيمة وجرحًا أكبر لكبرياتها، دخلت الحرب. وعلى الفور، صدرت أوامر التجنيد الإجباري للرجال، وافتخر الأمريكيون بوطنيتهم. كان الاشمئزاز والكراهية تجاه الشعب الياباني متفشياً، وعُرضت ملصقات على لوحات الإعلانات المدرسية تحثُّ اليابانيين على مغادرة البلاد. كان الطلاب من الصين ودول جنوب شرق آسيا التي غزتها اليابان يكرهون اليابانيين بقدر ما يكرهون الأمريكيين، ويأملون أن تعاقبهم الولايات المتحدة. وفي أبريل التالي، أصبح اعتقال السكان اليابانيين الذين يقيمون في الولايات الغربية بمنزلة خبر جلل. وبعد بضعة أيام، وُضع ملصق يشكُّك في مبرر حبس الأبرياء من اليابانيين والأمريكيين اليابانيين في المعسكرات بجانب ملصق آخر كتب عليه أن عليهم مغادرة البلاد. وبحلول فترة ما بعد الظهر، رسم أحدهم علامة «X» عليها ومزَّقها، لكنُّ نُبِت الملصق مرَّة أخرى في اليوم التالي.

من ناحية، لم يكن بوسع سونام إلا أن تشعر بالسعادة لأن اليابانيين يعاملون بالطريقة نفسها التي عاملوا بها بوني والفتيات الأخريات وكوريا عموماً. لكنها فكَّرت أيضاً في حياتها الصعبة. لم يكن ذنبها أنها وُلدت فقيرة، ذات مكانة متدنِّية، وامرأة. فهل من العدل إلقاء اللوم على المنحدرين من أصل ياباني في الولايات المتحدة بسبب أفعال بلد لم يَعِش بعضهم فيه قط؟

في الفصل، قدَّم الأستاذ عرضاً تقديمياً مع الملصق كموضوع أساسي للنقاش. وسأل الطلاب إن كانوا يشعرون أن الولايات المتحدة تمتلك مبرراً مقنعاً لقيامها باعتقال الشعب الياباني. ولم يُصرَّ الطلاب البيض فقط، بل الطلاب الآسيويون أيضاً، على أن ذلك مقبول.

قال أحد الطلاب: «أعتقد أن الدولة والشعب لا ينفصلان. هاجمت اليابان أمريكا دون إعلان الحرب، ما أدى إلى إلحاق أضرار وسقوط العديد من الضحايا. وعلى اليابانيين الذين يعيشون في الولايات المتحدة أن يدفعوا ثمن أخطاء بلادهم».

قال آخر: «اليابان دولة معتدية استعمرت العديد من البلدان في آسيا. إنهم بحاجة إلى أن يدركوا ما فعلوه بالدول الأخرى من خلال رؤية شعبهم يعاني». على الرغم من أن سونام وافقت على هذه الكلمات، فإنها في الوقت نفسه شعرت بوجود خطأ فيها.

نظر الأستاذ حوله وسأل: «هل هناك أي طلاب لديهم آراء مختلفة حول هذه المسألة؟».

الكلمات التي أرادت سونام أن تقولها نبعت من قلبها، لكنها كانت خائفة، ولكي تتمكن من لفت انتباه البروفيسور، أحنّت رأسها. ثم رفع أحدهم يده. اتجهت كل الأنظار في الفصل نحو آيلينج، طالبة من أصل صيني. كانت تحضر صفين دراسيين مع سونام، وبينما حيت كل منهما الأخرى على نحو عابر، لم تتحدثا قط.

عندما دعاها البروفيسور للتحدث، وقفت آيلينج، وقالت: «وطن والدي، الصين، في حالة حرب مع اليابان في الوقت الحالي. ارتكبت اليابان فظائع في نانجينج، حيث قتلت مئات الآلاف من المدنيين. كما قُتل العديد من أقاربي، بما في ذلك جدّي، في القصف الياباني. واليابان عدو الصين. ومع ذلك، فأنا لست سعيدة بترحيل اليابانيين الذين يعيشون في الولايات المتحدة إلى المعسكرات، لأن هذه حالة صارخة من التمييز ضد الآسيويين. خلال الحرب العالمية الأولى، حاربت الولايات المتحدة ضد ألمانيا، لكن الألمان الذين يعيشون هنا لم يعانون أي ضرر أو عقاب جماعي فلماذا إذن يُرحّل اليابانيون، حتى الجيل الثاني الذي يحمل الجنسية الأمريكية، إلى معسكرات الاعتقال؟ وفي هذه الأيام، تعمل الإذاعة والتلفزيون والصحف على نشر فكرة مفادها أن اليابانيين غير شرفاء وأدنى شأنًا. وهذا ليس مجرد شيء قاصر على اليابانيين. تلك فكرة أمريكية شائعة عن كل الآسيويين. ويمكن القول إن الإجراءات المتخذة ضد اليابانيين في هذا الوقت تُظهر التحيزات والقولبة

النمطية عميقة الجذور في ما يتعلق بالأجناس أو الأديان الأخرى التي يتبناها البروتستانت الأنجلوسكسونيون الأمريكيون البيض».

سرى الدفء في قلب سونام عندما استمعت إلى حجة آيلينج المتماسكة. كانت مشابهة للأفكار التي راودتها عندما قرّرت البقاء بمفردها في نيويورك، لكنها عبّرت عنها بكلمات وطريقة لم تكن قادرة عليها. لكن آيلينج تلقت صيحات استهجان أكثر من التصفيق.

رفعت سونام يدها، وفاجأت نفسها، وندمت على الفور على ذلك، لكن الأستاذ كان قد أشار إليها بالفعل. وقفت، وثبّتت ساقها المرتعشتين، وأخذت نفساً عميقاً عندما أصبحت مركز انتباه الفصل. وبسبب فهمها المحدود للسياسة وضعف مهاراتها في اللغة الإنجليزية، تحدّثت ببطء فيما كانت تحاول العثور على الكلمات الصحيحة: «أنا.. أفكاري مشابهة لأفكار الأنسة آيلينج. وُلدتُ في مستعمرة يابانية. على مدار الأعوام الثلاثة والثلاثين الماضية، فقدَ شعب كوريا لغته وأبجديته... كما استولت اليابان على أرضه. وهذا ليس كل شيء. جُنّد الكوريون في حروب اليابان وفقدوا كل شيء.. الحقيقة أنهم فقدوا أرواحهم. لا يكفون عن اقتراح أفعال غير إنسانية. وأنا أيضاً كنت ضحية».

لم تكن سونام قادرة على التحدّث مدّة من الوقت. صورة آخر مرّة رأت فيها بوني ملأت عقلها. أرادت تغيير ما كانت تحاول قوله. أرادت أن تردّ لليابانيين ثمن ما عانتته هي والأخريات لمجرّد أنهن كوريات. أرادت أن ترمي الحجارة وتبصق على الناس في معسكرات الاعتقال.

لكن..

كانت قاعة المحاضرات هادئة كما لو كانت مغطّاة بالصمت. تمكّنت سونام من تهدئة مشاعرها واستأنفت كلامها. كان صوتها، وهي تنطق كلمة تلو الأخرى، باكيًا: «أستطيع أن أتحدّث لأنني شهدت ذلك. اليابانيون الذين لم يرتكبوا أي خطأ... ليس من الصواب أن يُحبسوا في معسكر اعتقال. يقال إن أمريكا أقوى دولة في العالم. وتسمّى أرض الحرية والمساواة. أعتقد أن الولايات المتحدة يجب أن تستخدم هذه القوة... للقضاء على التمييز على أساس الدين والعرق والجنس... وأعتقد أنه يجب استخدامها في المقابل من

أجل السلام والحرية والمساواة للبشرية جمعاء. وعندها فقط سنكون قادرين على أن نطلق عليها أمة قوية حقاً».

ملأ التصفيق الحارُّ الغرفة فيما تراجعت سونام إلى مقعدها، ودفنت وجهها بين راحتها، وابتلعت دموعها. ظنت أنها قد تصاب بالإغماء، لكنها شعرت بالارتياح أيضاً لأنها عبّرت أخيراً عن الأفكار التي كانت مكبوتة بداخلها مدّة طويلة.

بعد انتهاء الدرس، اقتربت آيلينج من منضدة دراسة سونام، وقالت: «ما قلته اليوم كان مثيراً للإعجاب».

أجابت سونام باستحياء: «بفضل كلماتك امتلكت الشجاعة للتحدُّث». قالت آيلينج: «أسست مؤخرًا مجلسًا للطلاب الآسيويين. هل تؤيد الانضمام إلينا؟».

كانت الأنشطة خارج المنهج الدراسي وتكوين الصداقات بمنزلة رفاهية بالنسبة إلى سونام. لم تكن قادرة على فعل ذلك، وأوضحت أنها لا تملك الوقت. أومأت آيلينج برأسها، وقالت: «أفهم، لكن أرجوك، فكري ملياً في ذلك. أيضاً، ربما لا تعرفين، لكن توجد كنيسة كورية في شارع 115 الغربي. ويبدو أن الجالية الكورية في مانهاتن تتمحور حول تلك الكنيسة، بل إن لديهم منظمة. يجب أن تتفرّغي بعض الوقت وتذهبي لرؤيتها».

بعد صمت طويل، قالت سونام أخيراً: «بالتأكيد».

كانت أفكارها الأولى تصبغها الحماسة، لأن ذلك سيجب لها التحدُّث باللغة الكورية والوجود حول أشخاص يتحدّثون الكورية. لكنها كانت قلقة أيضاً من أن يكون من بينهم شخص يعرف تشيريونج، وأن يفضح أمرها وتُدان بوصفها محتالة، فقالت: «شكراً لإخباري بذلك، لكن يجب أن أذهب إلى العمل. اعذريني».

جمعت سونام أغراضها على عجل، وغادرت.

كان العيش في مدينة نيويورك بصفتها فتاة كورية دون أن تعتمد على أحد تجربة شاقة ومرعبة، مثل المشي على جليد رقيق. من أجل توفير المال للفصل الدراسي التالي من إيجار ونفقات معيشة ورسوم دراسية، نعتت سونام الخبز القديم المتحجّر في الماء وفي بعض الأحيان كانت تكتفي بالملفوف المحمّص لعدّة وجبات. عندما لم تُطق الجوع، كانت تتناول سرًّا بقايا طعام زبائن المطعم. أرادت الكتابة إلى جانجهوي، لكنها قلّما استطاعت تحمّل رسوم البريد. في الرسائل القليلة التي تمكّنت من إرسالها، احتفظت سونام بمصاعبها لنفسها، ولم ترغب في إثارة قلقه.

كان الشتاء الفصل الأصعب، مع العواصف الثلجية الهائلة والرياح العاتية. الشتاء الثاني الذي قضته سونام بمفردها، ارتدت جميع ملابسها في طبقات، في غرفة غير مُدفأة، وكانت ترتعش، ولبعض الوقت ندمت على عدم مرافقتها عائلة جونز. أصابتها الوحدة والخوف عندما أدركت أنه لن يعرف أحد إن ماتت وحيدة في غرفتها من البرد أو الجوع أو المرض.

عندما كانت بمفردها، كانت سونام تستحضر أحياناً صورة أختها الكبرى وتتحدّث إليها، لكنها لم ترها منذ هروب شبحها فوق الجبل، ولا حتّى في أحلامها. كانت معزولة تماماً لأول مرّة في حياتها، وكثيراً ما كانت تتوق إلى الركض بأسرع ما يمكن إلى الكنيسة الكورية، لتستمتع بوجودهم، وتستمع إلى الآخرين الذين يتحدّثون لغتها. كانت تتساءل: هل سيكون الأمر سيئاً للغاية إذا انفضحت هويتي؟ وفي إحدى المرّات، وصلت إلى حي الكنيسة قبل أن تعود أدراجها، لكنها قرّرت بدلاً من ذلك البحث عن أي صحف كورية.

وكما قالت آيلينج، كانت الكنيسة مركزاً مجتمعياً لمختلف المنظمات الكورية. حتّى إنهم وفّروا المسكن والطعام في الطوابق العليا من المبنى للطلاب الكوريين المعوزين، ونشطاء الاستقلال الذين يزورون المدينة، والذين جاؤوا إلى الكنيسة للاتكال على بعضهم بعضاً، ومشاركة دفاء أصلهم المشترك. حلمت سونام بالانضمام إليهم والعيش جنباً إلى جنب مع أهل بلدها.

كانت المنظمات الكورية التي يديرها الكوريون في أمريكا تقاتل من أجل تحرير بلادهم منذ اندلاع الحرب العالمية الثانية، وكان تركيزها الأساسي على حشد التأييد للقضية. نظّمت حملات جمع التبرّعات لدعم الحكومة

المؤقتة وجيش الإصلاح الكوري، الذي تأسس لاستعادة السيطرة على بلادهم بأيديهم. عندما قرأت سونام الصحف الكورية، فقدت كل الثقة في قدرتها على الانضمام إلى هؤلاء الأشخاص. لم تكن قادرة على تحمّل تكاليف التبرعات ولم يكن لديها الوقت للتطوُّع. علاوة على ذلك، كانت يون تشيريونج ابنة خائن موالٍ لليابان، وهو كل ما حاربت هذه المنظمات ضده. ومع وضع تشيريونج، كان من المستحيل عليها أن تقترب من الكوريين الآخرين.

فكرت سونام في جانجهوي، الذي أخبرها في رسالة أنه سيغادر هاربين. وكما هو الحال دائماً، كانت الرسالة مقتضبة وجافة، مع تحية قصيرة تليها تعليمات بعدم إرسال رسائل إلى عنوان هاربين في المستقبل. في كل مرة تتلقّى فيها سونام رسالة من جانجهوي -مرة أو مرتين في السنة- بدت لها مضيعة للورق والبريد، واعتراها الحزن.

إن كان سيكتب شيئاً، فيجب على الأقل أن يملأ صفحة كاملة. أليس لديه شيء ليقوله؟

كانت تشتاق إلى كلمات دافئة من المواساة والثناء والتشجيع. لولا عبارة «سأكتب مرة أخرى لاحقاً» في نهاية الأسطر الخمسة أو الستة من كل رسالة، لانفجرت باكية من شدة الإحباط.

وكما قالت المرأة العجوز في غيلين: «ما دمت تتنفس، فأنت حيٌّ». بعد أن تحمّلت أياماً شداداً، ظنت أنها ستموت، بدا من المفاجئ جداً أن تصبح سونام طالبة في السنة الثالثة. وكما كانت ثمّة أيام سيئة، شهدت سونام أيضاً أياماً جيدة -الأولى في شكل منحة دراسية للطلاب الأجانب المحتاجين. كان عليها أن تحافظ على درجاتها مرتفعة، وإلا ستُجرّد منها، لكن مع هذا المال، تمكّنت من تخصيص عطلات نهاية الأسبوع للدراسة واستكشاف المدينة بدلاً من العمل فيها.

بعد الانتهاء من الدورات العامة، قرّرت سونام الحصول على درجة البكالوريوس في تعليم اللغة الإنجليزية. كانت أيضاً مهتمة بعلم الاجتماع والتاريخ والفلسفة، والتي اتخذتها موضوعاً للدراسة في مجال الفنون الحرّة، لكنها كانت قلقة من أن مهاراتها اللغوية لم تكن جيدة بما يكفي من أجل استيعاب القراءات المطلوبة لتلك التخصصات.

كانت آيلينج أيضًا تسعى إلى الحصول على درجة البكالوريوس في تعليم اللغة الإنجليزية، وقد تشاركتنا في عدّة فصول دراسية، وقضتنا وقتًا أطول معًا، وغالبًا ما كانتا تتحدثان في أثناء تناول وجبة غداء. كلما توطّدت علاقتهما أكثر، شعرت سونام بالسوء تجاه خداع صديقتها بشأن حقيقتها. لكن كيف يمكنها أن تخبر رئيسة مجلس الطلاب الآسيويين، التي كانت تشارك بفعالية في الأنشطة الدولية، عن محنتها؟ كان الأمر ينطوي على الكثير من المخاطرة. بدلًا من ذلك، تحدّثت بحُرّيّة عن علاقتها مع جانجهوي، على الرغم من أنها تجاهلت حقيقة أنه شقيق تشيريونج.

قالت آيلينج: «يا إلهي، اعترفتِ بأنكِ أحببته منذ سنوات، ولكنه رفض حبكِ؟ ولا تزالين مغرمة به؟ لم ير أيُّ منكما الآخر منذ أربع سنوات، ومضى عام منذ أن فقدت الاتصال به كليًا، لكنك لم تغيّري رأيك؟ هل أنت مجنونة!». كانت آيلينج تحب مناقفتها بشأن جانجهوي، لكن مجرد وجود أحدهم للتحدّث معه ساعد في تخفيف مخاوف سونام وندمها.

بدأ العام الجديد عام 1944.

في كل ساحة أو حديقة، طوال الشهر، كانت ثمّة شجرة كريسماس كبيرة تقف مزينة بالأضواء المتلألئة، والمتاجر الكبرى والمحال التجارية صاخبة احتفالًا بموسم الكريسماس. بالنسبة إلى الأمريكيين -قدامى المحاربين الآن- أصبح الوداع الأبدي للأحباء والعائلة والعشاق والأصدقاء والجيران روتينًا يوميًا. كان الناس يعطون معنى أكبر للمهرجانات المألوفة مثل عيد الشكر والكريسماس ورأس السنة الجديدة، لكن بالنسبة إلى شخص غريب مثل سونام، كانت تلك فترة من الوحدة العميقة.

سأل تشين بعد إفراع سلّة القمامة وتنظيفها: «شيري، ماذا ستفعلين في نهاية هذا الأسبوع؟».

كان تشين، الذي يعمل في المطعم نفسه، من مسقط رأس والدي آيلينج، لذا كانا مقربين جدًا. حتّى قبل أن تعرف ذلك، كانت سونام تعدّ تشين زميلًا جيدًا يمكنه أن يخفّف من عبء عملها خلسة حتّى يكون لديها المزيد من

الوقت للدراسة. وبعد أن اكتشفت أنه يعرف آيلينج أيضًا، أصبحا صديقين سريعًا. الوجود مع تشين، الذي كان يتمتع بمزاج متفائل وسهل المعشر، ساعد سونام على شعور سونام براحة البال.

قالت: «سأنام. أعتقد أن بوسعي النوم طوال عطلة نهاية الأسبوع. ماذا عنك؟». سألتها باللغة الصينية، وقد واظبت على التدرّب على الحديث بالصينية، وعرفت ما يكفي لإجراء محادثة عادية.

كان ذلك في العطلة الشتوية، لكن لم يكن لديها الكثير من الوقت لأنها تعيش عملياً في مكتبة الكلية، وأنفها مدسوس في ثنايا كتبها، باستثناء الأوقات التي كانت تعمل فيها. لكنها كانت متعبة جداً لدرجة أنها لم تتمكن من العمل لساعات إضافية طوال ذلك الأسبوع وكانت بحاجة إلى مدة راحة.

ضحك تشين وأجاب باللغة الصينية أيضاً: «نقتل أنفسنا في أثناء العمل في ساعات العطلة هذه، فلماذا لا نحظى ببعض المرح. هل تجيدين التزلج؟ إن كنت لا تعرفين التزلج، سأعلمك. دعينا نذهب إلى حلبة التزلج في سنترال بارك».

كان أكثر طلاقة من آيلينج، وكان معلماً جيداً للغة الصينية.

كانت سونام على وشك أن تقول إن قضاء وقت ممتع هو أمرٌ مبالغ فيه، لكنها غيرت رأيها بسرعة. كانت تعرف حلبة التزلج جيداً، إذ كانت تعيش بجوار سنترال بارك، وكانت تذهب إلى هناك مع طفلي عائلة جونز كل يوم تقريباً في الشتاء. وتذكّرت بوضوح المتعة التي ساورتها وهي تنزلق عبر الجليد، ووافقت على الذهاب بابتسامة.

قال: «عظيم. يمكننا استئجار الزلاجات من هناك. هل يجب أن أتصل بآيلينج وأطلب منها أن ترافقنا؟».

هزّت سونام رأسها، وقالت: «لا تستطيع التزلج، وسيكون علينا أن نتدرّب على المشي على الجليد أولاً. لماذا لا نذهب، نحن الاثنان فحسب، هذه المرّة؟».

التقت سونام وتشين عند مدخل حلبة التزلج، وهي المرّة الأولى التي التقيا فيها خارج المطعم، أو في ضوء الشمس الساطع. تردّدت سونام بين مجموعتين أو ثلاثة من ملابسها، ثمّ تساءلت عن سبب اهتمامها بذلك إذ

لم يكن كما لو أنها ستقابل حبيبها، وخرجت بملابسها المعتادة. عند رؤية تشين، الذي كان من الواضح أنه اهتم بمظهره، تساءلت إن كانت قد أخطأت. كانت حلبة التزلج تتلأأ في ضوء شمس الشتاء. أصبحت الأجواء أكثر مرحًا بسبب الموسيقى التي تردّد صداها عبره. استأجرت سونام وتشين الزلاجات، ودخلا حلبة التزلج. بعد دورة أو اثنتين، استعادت سونام مهاراتها القديمة، وانطلقت بسرعة عبر الحشد، وتبعها تشين. تظاهرت بالاندفاع بعيدًا، قبل أن تستدير بشكلٍ حادٍّ، وتنتثر مسحوق الثلج. راح الاثنان يطاردان بعضهما بعضًا، وكلما اصطدم أحدهما بشخص آخر، يلحق بهما الآخر وهما على وشك السقوط، أو استلقيا متجاورين حتى يرتاحا. عندما قفز تشين ومدّ يده تجاهها، أخذتها دون تردّد. وبينما كانت تسير بسرعة وقد غمرها الفرح، تضحك وتفهقه، احمرّت وجنتا سونام. يبدو أن كل المخاوف التي كانت متشبّثة بها مثل الظلال قد تلاشت.

مرّ الوقت بسرعة، وقبل أن تدرك ذلك، أضاءت مصابيح سنترال بارك. وعندما بدأت المباني المحيطة تضيء أيضًا، تراءت لها كمشهد خيالي، مثل عالم في قصة خرافية. لكنّ حان الوقت أيضًا للعودة إلى المنزل والرجوع إلى الواقع.

أوقفها تشين، الذي رافقها إلى منزلها، عند وصولهما أمام المبنى، وقال: «دعينا نتناول العشاء قبل أن تدخلني. سأدفع أنا».

وافقت سونام، لعدم رغبتها في إنهاء يوم سعيد وحدها في غرفتها، وتناول الخبز القديم المتحجّر، لكنها قالت: «ليس لديك أي أموال أيضًا. فليدفع كل واحد منّا ثمن ما سيتناوله».

ذهب الاثنان إلى مطعم شعيرية قريب في الحي الصيني.

اقترح تشين: «فلنتناول كأسًا من البيرة لكلّ منّا. سأدفع ثمن المشروبات على الأقل».

طلب زجاجتين. كانت هذه المرّة الأولى في حياتها التي تقضي فيها سونام عطلة نهاية الأسبوع في الاستمتاع وشرب البيرة في أحد المطاعم. بالنسبة إليها، كان ذلك أعلى مستوى من الرفاهية التي تقدّمها مدينة نيويورك.

أخذ تشين رشفة طويلة من مشروبه، ثم وضع الكأس جانبًا وقال: «ما رأيك إن تواعدنا؟».

أخذت سونام رشفة من البيرة ثم ضحكت، وسألته: «ماذا؟ هل أنت ثمل بالفعل؟».

أجابها: «أنا لست مخمورًا. أنا جادٌ. مرّت مدّة من الوقت وأنا معجب بك. أردت أن أخبرك سابقًا، ولكنني أحجمت عن ذلك لأنني كنت أخشى أن يجعلك ذلك تشعرين بالحرَج».

إثر اعترافه المفاجئ، أخذت سونام رشفتين إضافيتين من البيرة. ومع سريان الكحول في جسدها، أصبحت تشعر بالنعاس قليلًا، وأصبحت أكثر خفةً. لم يكن اعتراف تشين غير مرحّب به، وفجأة بدا صديقها، الذي كانت تراه حتّى الآن مجرد زميل، رجلًا.

نظرت سونام إلى الأسفل، محرّجة من قلّة ما لديها لتقدّمه، قبل الردّ: «كان عليك الاستمرار في الإحجام عن البوح إليّ بذلك. أنا لست في وضعية تسمح لي بمواعدة أي شخص في الوقت الحالي. لا بدّ لي من العمل وكسب المال. وبعد ذلك، عندما أتخرّج، قد أضطرّ إلى مغادرة البلاد».

إخبار تشين بأنها معجبة بشخص آخر بالفعل هو السبب الأكثر وضوحًا وصدقًا، ولكنّ الغريب أن هذه الكلمات لم تصل إلى شفّتها. بمجرد أن تناولت رشفات قليلة من الكحول، طفت إلى السطح مشاعر مريرة تجاه جانجهوي، الذي لم يرسل أي كلمة إليها لمدّة عام، وأرادت قضاء الوقت مع تشين، كأنما بذلك تثير غيرة جانجهوي من الآن فصاعدًا.

التقت نظرات تشين وعينا سونام، وقال: «أعلم أنك معجبة بشخص آخر، لكنه ليس هنا الآن. إنها مجرد مواعدة لذا، في حالة فقط أنك غير معجبة بي، فكّرني مليًا في الأمر (لا بدّ أنه سمع عن جانجهوي من آيلينج). ليس عليك الإجابة الآن، لكنني أردت أن تعرفني أنني معجب بك».

انتهى فصل الشتاء الطويل أخيرًا، وأشرقت شمس الربيع على مانهاتن. كان ذلك يوم السبت. نظرت سونام، التي كانت تستذكر دروسها في مكتبة

الكلية منذ الصباح الباكر، إلى ساعة الجدار، وأمسكت بحقيبتها. كان قلبها يتسارع بالفعل إلى مسرح شارع 42.

سألته آيلينج في أثناء عبورهما الردهة وهي تتأمل ملابس صديقتها بابتسامة عارفة: «هل أنت ذاهبة في موعد غرامي؟».

قالت سونام وقد احمرَّ وجهها خجلًا للفت تنويرتها الربيعية الجديدة أنظار صديقتها: «حسنًا، ليس موعدًا غراميًا».

- حسنًا.. حسنًا، ليس موعدًا غراميًا، إن ارتداء ملابس جميلة في يوم سبت ربيعي هو شيء مثالي لموعد غرامي، وسوف تقابلين تشين. بالتأكيد ليس موعدًا غراميًا!

وبضحكة، ركض آيلينج إلى المكتبة.

ابتسمت سونام لكلمة «جميلة» وانطلقت إلى مواعدها. لم تقبل اعتراف تشين في تلك الليلة الشتوية، لكنهما أصبحا أقرب وأقرب، وأمضيا معًا من الوقت ما يكفي حتى يعتقد أصدقاؤهما وزملاؤهما أنهما يتواعدان. كل ليلة بعد العمل، كان تشين يرافق سونام إلى منزلها، وصارا يجتمعان أيضًا في عطلات نهاية الأسبوع.

تشين، مثل سونام، لم يتبقَّ له سوى عام واحد في دراسته الجامعية، وكثيرًا ما كان يمزح بشأن الزواج. استهواها سماعه يتحدث عن مستقبلهما معًا، واستمتعت بقضاء الوقت معه، لكنها ما زالت تُصرُّ في حديثها لنفسها وللأشخاص من حولها على أنهما مجرد صديقين. ومع ذلك، كانت مشاعرها تجاهه مختلفة بشكل واضح عن مشاعرها تجاه آيلينج وأصدقائها ومعارفها الآخرين.

شيئًا فشيئًا، شقَّ تشين طريقه إلى قلبها. ومع ذلك، كلما فكَّرت سونام في التخلّي عن مشاعرها تجاه جانجهوي، كان قلبها يؤلمها. بدأت مشاعرها تجاهه بإعجابها به في مرحلة الطفولة، وتطوّرت إلى عشق عندما كبرت. طوال تلك السنوات الطويلة، لم تترك سونام جانجهوي يرحل مطلقًا. إن طردَ جانجهوي من قلبها سيكون مثل إزالة عضو من أعضاء جسدها.

لكن جانجهوي بعيد جدًا، وقد سئمت سونام من طمأنة نفسها بمجرد اجترار الذكريات. كانت بالفعل في الرابعة والعشرين من عمرها بالطريقة الكورية لحساب العمر، وهو ما يتجاوز السنّ المتوقع للزواج. ولم تكن المرأة المتقدّمة في السنّ من نوعية العرائس اللاتي يرغب فيهن الرجال، ليس فقط في كوريا، بل أيضًا في الولايات المتحدة. بصرف النظر إن كانت ترغب في الزواج أم لا، كانت سونام تودُّ أن يكون لديها شخص يمكن أن تكون معه جسديًا، وليس فقط في أحلامها. كم من الوقت يمكن أن تقضيه في الاشتياق إلى شخص غير ملموس مثل الريح أو الغيوم؟

ثبّطتها هذه المشاعر المعقدة عن قبول العلاقة مع تشين كليًا.

في ذلك اليوم، التقيا لمشاهدة فيلم «لَمَنْ تَقْرَعُ الأجراس» المقتبس عن رواية لهيمنجواي، وقرّرت أنها ستعطي تشين أخيرًا الإجابة على السؤال، والتي انتظرها بفارغ الصبر. كان الفيلم من بطولة غاري كوبر وإنجريد بيرجمان. وفيه يشارك روبرت جوردان، شاب أمريكي، في الحرب الأهلية الإسبانية ويحارب الفاشيين من أجل الحرية والعدالة. في أثناء مشاركته في أنشطة حرب العصابات، وقع في حب فتاة ريفية إسبانية تدعى ماريًا.

طيلة الفيلم، انبثقت أشجان وأشواق سونام تجاه جانجهوي مثل فيضان. عند رؤية روبرت الجريح يرسل ماريًا بالقوة بعيدًا، فهمت سونام أخيرًا سبب رفض جانجهوي اعترافها. بكت طوال الوقت، وحتى بعد انتهاء الفيلم وإنارة أضواء المسرح، لم تستطع إيقاف دموعها. وعلى الرغم من أنها أرادت الماضي قدمًا، كان عليها أن تعترف لنفسها بأنها لم تكن مستعدّة بعد لإزالة جانجهوي من حياتها.

عندما خرجا من القاعة، كانت الشمس أكثر إبهارًا من ذي قبل، ولاحظت سونام أن تشين كان لديه موقف مختلف تجاهها عمّا كان عليه عندما دخلا. فهم كلاهما أنه لم يعد بوسعهما الاستمرار كما كانا من قبل. كذبت وقالت إنها تركت شيئًا ما في مكتبة الكلية، وإنها مضطّرة إلى العودة، فيما تذكر تشين فجأة موعدًا نسيه.

افترق الاثنان بشكل محرج في الشارع.

مع عدم وجود مكان آخر تذهب إليه، حوّلت سونام الكذبة إلى حقيقة وتوجّهت إلى المكتبة. في طريقها إلى القاعة استقلّت الحافلة، لكنها قرّرت الآن المشي، وتساءلت إن كان من الممكن أن تظل صديقة تشين بعد الآن. على الرغم من أنها لم تتمكّن من الانفصال عن جانجهوي، فإنها كانت لا تزال حزينة وفارغة بعد ذلك الانفصال، كما لو كانا يتواعدان حقًا.

وقد اجتاحتها الكآبة، كما لو أن ضوء الشمس الساطع يجافئها، توقفت سونام عندما لاحظت مجموعة من النساء يرتدين فساتين طويلة ورجال يرتدون بدلات يمشون بجانبهن، وأدركت فجأة أنهم كوريون. اختبأت سونام بسرعة خلف كشك مشروبات. المرّة الوحيدة التي رأت فيها كوريين آخرين خلال السنوات الخمس التي عاشتها في مدينة نيويورك كانت عندما سارت عمدًا أمام الكنيسة الكورية. لكنها الآن تشاهد أكثر من اثني عشر شخصًا يسيرون معًا في وسط مانهاتن. وبدا معظمهم أكبر سنًا منها، وساروا وهم يغنون ويلوحون بالأعلام.

ساروا مباشرة إلى قلب سونام.

وبينما عبرت المجموعة، راح الناس يشاهدونهم كما لو كانوا يشكّلون موكبًا. وكان الكوريون يرتدون أحزمة حول أكتافهم مكتوب عليها عبارة «جمعية نيويورك الموحدة الكورية» و«جمعية دعم مشروع تحرير الوطن الأم». كان بعضهم يحمل صناديق التبرّعات، وكان آخرون يوزعون الصحف المنشورة باللغة الإنجليزية التي تصدرها الجمعيات. ألقت امرأة في منتصف العمر كلمة قصيرة حول الوضع في كوريا المستعمرة، وحول شراء شاحنات لجيش إعادة الإعمار الكوري، وإرسال التبرّعات إلى الحكومة المؤقتة بفضل مشاركة الأمريكيين والمواطنين في جمع التبرّعات. ذرفوا الدموع وغنوا النشيد الوطني الكوري وهتفوا «عاش استقلال كوريا!» وصفق المتفرّجون، ووضع بعض المارّة المال في صندوق التبرّعات.

تأثرت سونام بشدّة بما رآته، لكنها كانت أيضًا نادمة. عندما سمعت لأول مرّة عن أنشطة الجمعية الكورية، منعها نقص المال والوقت من الانضمام والمساهمة. كما أنها استخدمت مكانة تشيريونج ذريعة. الآن أدركت أن

الطريقة الوحيدة التي يمكن أن تكون بها حقًا مع جانجهوي أن تصبح كوريا مستقلة حتى تتمكن من الرجوع لتكون كيم سونام.

تشيريونج، التي كانت مختبئة في مكان ما بسبب علاقتها المجرمة مع جيونجيو، لن تتمكن من العيش بشكل علني إلا عندما تتحرر كوريا من الحكم الياباني. وبغض النظر عن مدى علاقة الفيكونت المقرّبة من اليابان، فاستقلال كوريا سيكون أفضل من إخفاء ابنته إلى الأبد. ولو انسحبت اليابان، فسيختفي الأشخاص الذين استخدموا جانجهوي كوسيلة لابتزاز الأموال منه. لم يعد تحرير بلدها شيئًا تشعر بأنها لا علاقة لها به.

ولرغبتها في التعويض عن لا مبالاتها السابقة، تبرعت سونام مرة في الشهر بالمال؛ المبلغ القليل الذي يمكنها توفيره من أجرها الأسبوعي. تساءلت إن كان ثمة أي شيء آخر يمكنها القيام به، وتحديثت إلى آيلينج بشأن القيام بشيء ما في الكلية. وقد مضت في التخطيط لذلك.

تعرفت سونام على المزيد عن الوضع في كوريا من خلال الصحيفة التي تصدرها رابطة الطلاب الكوريين. في وقت مبكر، بررت اليابان عدوانها على كوريا والصين بالدفاع عن مبدأ «آسيا واحدة». أطلقوا على حرب المحيط الهادئ اسم حرب شرق آسيا الكبرى، زاعمين أنها كانت تهدف إلى تحرير جنوب شرق آسيا من سيطرة القوى الغربية. وعلمت أيضًا أن الإمبرياليين اليابانيين كانوا يخنقون كوريا ويبيطشون بالكوريين الآن بصورة أكثر شراسة مما كانوا يفعلون عندما غادرت سونام. اضطرّ الكوريون إلى تغيير أسماء عائلاتهم إلى أسماء يابانية، ومنعوا من استخدام اللغة والأبجدية الكورية في المدرسة، ومنعت جميع الصحف الصادرة باللغة الكورية. كما صادروا أوعية وملاعق وأغطية قُودور برونزية لاستخدامها من قبل الجيش، بالإضافة إلى معظم محاصيل الحبوب المنتجة في كوريا. والأسوأ من ذلك كله أن عشرات الآلاف من الكوريين، صغارًا وكبارًا، جُنِدوا إجباريًا جنودًا، و«نساء متعة» في الجيش الياباني، وعمّالًا في مواقع البناء، ومناجم الفحم، والمرافق الحربية. كانت سونام تخجل من نفسها لعدم اكتراثها وتجاهلها الوضع في وطنها، كل ذلك بحجة كسب قوت يومها.

أخذت آيلينج زمام المبادرة ورتبت من أجل يوم دعم كوريا الذي استضافه مجلس الطلاب الآسيويين. وبفضل ترويجهما الحماسي، حضر الطلاب من عدة كليات وجامعات، بالإضافة إلى العديد من الأساتذة. في ذلك اليوم، وقفت سونام أمام الجمهور لتلقي خطبة. كانت لغتها الإنجليزية متوترة ومرتعشة، ولم تكن مثالية، لكنها راحت تتحدث بشغف عن الوضع في كوريا. كانت كلماتها نابغة من القلب، وتضمنت تجربتها الشخصية بصفتها «امرأة متعة» هاربة. ذرف العديد من الطلاب الدموع عندما تحدثت عن بوني والفتيات اللاتي أرغمت على تركهن وراءها.

وبعد الخطاب أجرى مراسل صحيفة المدرسة مقابلة معها. حققت فعالية يوم كوريا نجاحًا كبيرًا، وجمعوا مبلغًا كبيرًا من المال في صورة تبرعات. في اليوم التالي، زارت سونام الكنيسة الكورية في شارع 115 الغربي للمرأة الأولى، حيث رحبوا بها كما لو كانت قريبة أو صديقة.

الصباح الباكر من يوم 26 مايو 1945، سونام

«جانجهوي،

الأيام تزداد إشراقًا. عندما أنظر إلى البوراء وأفكر في حياتي في مدينة نيويورك، فقد كانت الليلة الماضية ساطعة مثل شمس منتصف الليل التي رأيناها معًا في القرية الواقعة على شاطئ بحيرة بايكال.

وفي اللحظة التي زرت فيها الكنيسة الكورية وتعرفت على أبناء وطني، ذابت وحدة الماضي وأحزانه مثل الثلج. وبعد بضعة أيام، وصلت منك رسالة وكأنها تُثني على عملي الجيد. من المثير للدهشة أن الرسالة حملت إليّ الأخبار التي تفيد بانضمامك إلى جيش الاستقلال. كان الأمر كما لو كنت قد أرسلت أبناء جلدتنا إلى الشارع 42 في ذلك اليوم. في العام الماضي،

كان عملي مع جمعية دعم التحرير الوطني العمل الأكثر متعة ومكافأة منذ وصولي. أنا فخورة جدًا بأنني أصبحت جزءًا من حركة هادفة وقوية من أجل التغيير. منذ وقت ليس ببعيد، في اليوم الذي استسلمت فيه ألمانيا لقوات الحلفاء، أقيم مهرجان في ميدان تايمز. وكان الحرب قد انتهت، خرج الناس وهم يهتفون ويرقصون ويغنون، وكان الأمر رائعًا. هل سيأتي يوم نقيم فيه نحن الكوريون أيضًا مهرجانًا يعجُّ بفرح مماثل؟

بمجرد أن أحصل على تذكرة، أمل أن أنضمَّ إليك أينما كنت. وإلى أن يأتي اليوم الذي يأتي فيه التحرير، أريد أن أقدم لك قدرًا صغيرًا من الدعم الذي أستطيعه.

أتمنى لك كل التوفيق حتى نلتقي مرة أخرى.»

الفصل العشرون

بيت ملعون

أشرقت شمس يونيو على تشيريونج فيما كانت تجلس في الحديقة -حيث اكتمل ازدهار الورود- وتراقب يوريكو والأطفال الآخرين وهم يركضون بين زخات الماء البارد التي تتدفق من النافورة المركزية. كانت مارينا تعتني بيوريكو، وتلاحقها بحماس، وجسدها كله مبلل. جاؤوا إلى وسط المدينة للانضمام إلى جونباي من أجل تناول طعام الغداء، ثم ذهبوا للتسوق في متجر متعدد الأقسام. عاد إلى العمل، فيما توقفت تشيريونج ويوريكو ومارينا في الحديقة القريبة من منزلهم.

كان بطن تشيريونج -التي كانت في شهرها الخامس من الحمل- مستديرًا. على خلاف يوريكو، حيث عاشت تجربة الحمل والولادة في معسكر الاعتقال، كانت هذه المرة هادئة الأعصاب، ومرتاحة. هذه المرة اشترت كل الأشياء التي سيحتاج إليها المولود الجديد، وكأنها تعوّض تربية يوريكو دون حفّاضات أو ملابس أو بطّانيات مناسبة. أخيرًا، أصبحت مقتنعة بأنها ستلد بطريقة تليق بطبقتها الاجتماعية، وكانت تتطلّع إلى يوم الولادة بفارغ الصبر.

شعرت تشيريونج بحركة طفيفة فدعت بطنها. كانت تأمل أن يكون الطفل الذي في بطنها ولدًا هذه المرة. بعد أن وقعت في غرام جونباي تمامًا،

لم ترغب فقط في إرضاء زوجها من خلال ولادة ابن، لكن أيضًا مواصلة سلالة عائلة تيراو.

ركضت يوريكو مبتسمة ابتسامة مشرقة، ومارينا في إثرها. التصقت ملابس مارينا، المبللة بمياه النافورة، بانحناءات جسدها. أطلق مجموعة من البحارة الشبان في البحرية صفيراً، ولاحظت تشيريونج أن الجنود لم يكونوا وحدهم، بل أعين معظم الرجال بجوار النافورة كانت مثبتة على الفتاة.

مشطت ابنة أختها، وهي الآن في أواخر سن المراهقة، شعرها إلى الخلف وبدأ أنها تستمتع بالاهتمام.

لم تفكر تشيريونج بمارينا إلا كطفلة، ولم تفكر مرتين إذا كان ثديها مكشوفين، أو إذا كانت ترتدي ملابس تلتصق بجسدها. ربما أيضًا كانت تنظر إليها بازدراء ولا تعدها أكثر من خادمة. لكن الآن، بعد رؤية مارينا تشع بطاقة الشباب وعنقوانه، ونظرات الرجال مثبتة عليها، غالبت تشيريونج حالة من عدم اليقين المشوبة بالغيرة.

هل ينظر إليها جونباي بهذه الطريقة؟

تمتمت يوريكو بأنها جائعة.

تحدثت تشيريونج ببرود فيما أخرجت بعض المال من حقيبتها، وقالت: «مارينا، اذهبي وأحضري شيئاً حتى تأكله يوريكو».

بالقياس إلى مارينا، يبدو أن سحر تشيريونج الأنثوي قد تلاشى.

بعد ولادة طفلها الثاني، سترهّل ثديها أكثر وسيصبح خصرها سميكاً. ربما سيصبح من الصعب عليها أن تلفت أنظار جونباي، ناهيك بأعين أي شخص آخر. تبادرت إلى ذهنها أمها، بمظهرها الذي يشبه فرس النهر، وهي تتمدد فوق الوسائد، وكأنه حلم مزعج. هزت تشيريونج رأسها كما لو أنها رأت روحاً شريرة.

أرادت يوريكو العودة إلى النافورة حتى تلهو، قالت الأم: «لا. اجلسي هنا بجانبني حتى تعود مارينا».

بدأت الفتاة في البكاء بقوة، واستسلمت تشيريونج، وتركت ابنتها تقودها إلى النافورة. ركضت الفتاة الصغيرة عبر زخات مياه النافورة، فيما تعثرت

تشيريونج، التي كانت تتبعها، وسقطت فوق أرض الفناء الرطبة. اصطدم ظهرها بصنبور منخفض للنافورة، وكادت أن تفقد وعيها من الألم. وعندما لم تتمكن من النهوض على الفور، تجمّع الناس من حولها، بما في ذلك الجنود. في البداية، كانت تشيريونج قلقة بشأن مظهرها أمام الشباب، لكن بعد ذلك صرخ أحدهم: «إنها تنزف!».

الدم الذي كان يسيل على ساقها صبغ الماء باللون الأحمر مع انتشاره.

غادرت تشيريونج المستشفى بعد عشرة أيام، بعد أن احتاجت إلى علاج إضافي مضاد للعدوى. مات الطفل الذي كان في بطنها، والذي كان من المفترض أن يكون ولدًا. بكت طوال مدة إقامتها، وظلت مكتئبة بعد أن رجعت إلى المنزل. يوريكو، التي تمنّت تشيريونج أن تختفي، وُلدت في المخيم دون أي مشكلات، فيما رحل ابنها، الذي كانت تريده بشدة.

بسبب يوريكو.

بسبب ابنة لم ترغب فيها قط، ولم تكن مرتاحة لها مطلقًا، فقدت ابنها الغالي. تساءلت تشيريونج إن كانت الفتاة قد وُلدت حتى تعذبها.

حاول جونباي تهدئتها وهي مستلقية على السرير، وقال: «هيكاري، لم يكن مقدّرًا له أن يصبح طفلنا. لم أكن لأريد طفلًا ضعيفًا على أية حال. في المرة القادمة، سننجب طفلًا قويًا آخر مثل يوريكو».

كلماته لم تجلب لها أي راحة. وبدلًا من ذلك، اعترأها القلق من أن ابنتها ستجلب لها الحظ السيئ مرة أخرى.

لاحقًا، نزلت إلى الطابق السفلي، على أمل أن يساعد الطعام في تحسين مزاجها، عندما توقفت عند سماع صوت ضحكات قادمة من غرفة المعيشة. مارينا ويوريكو، اللتان كانتا تجلسان على الأريكة، وجونباي بينهما، كانتا تمزحان على نحو هزلي. ابتسم جونباي بحبور، ونظراته تنتقل بين مارينا ويوريكو. بعد خروجها من المستشفى، لم يكن ينظر إليها إلا بنظرات جدية وكئيبة، لكن في هذه الأثناء، بدا أن الثلاثة قد أصبحوا عائلة واحدة.

جزّت تشيريونج على أسنانها.

هل هذا ما فعلوه عندما كنت في المستشفى؟

ترأى لها فجأة أن مارينا باتت سيدة المنزل أكثر منها. وعندما احتضنت مارينا ذراع جونباي، لم يدفعها بعيداً، بل ابتسم كالأحمق. ماذا لو لم يرغب في إحضار مارينا للعيش معهم احتراماً لعمه؟ ماذا لو كان قد فعل ذلك لدافع شخصي؟ ربما استخدم عذر جعل حياة تشيريونج أسهل، لكن أمن الممكن أنهما تبادلا الرسائل سرّاً من داخل المعسكر؟

بدا أن النيران تتصاعد في عينيها.

كيف تجرؤ على إهانتني، أنا يون تشيريونج!

هرولت تشيريونج إلى الأمام، وأمسكت مارينا من شعرها، وجرّتها من الأريكة إلى الأرض. حدث ذلك بسرعة كبيرة لدرجة أن الجميع تجمّدوا في صمت مصدوم. عندما حاولت الفتاة الوقوف، لطمتها تشيريونج على وجهها. وحتى ذلك لم يخفّف من حدّة غضبها، فركلتها أيضاً.

اندفع جونباي إلى الأمام واحتضن مارينا بشكل وقائي، وصاح: «هيكاري ماذا تفعلين؟! هل جننت؟!».

صرخت يوريكو البالغة من العمر ثلاث سنوات فيما تضرب تشيريونج بقبضتها الصغيرة: «أكرهك يا ماما. أتمنى أن تموتي!».

عندما سمعت تشيريونج كلمات الفتاة الصغيرة التي كانت تماثل الكلمات التي وجهتها مرّات لا تحصى إلى ابنتها في أثناء وجودها في رحمها، انهارت تشيريونج أرضاً.

جاء أغسطس.

بعد المشاجرة بينها وبين مارينا، لم يقل جونباي أي شيء. منذ ذلك الحين عكف في غرفته وتجاهلها إلى حدّ كبير في جميع أنحاء المنزل، لذلك كان من المفاجئ عندما اقترب من تشيريونج، وجلس بجانبها على الأريكة، وقال: «يبدو أن اليابان استسلمت».

لم يتغيّر تعبير وجه تشيريونج.

واصل حديثه: «تحررت كوريا». وبمجرد سماع تلك الكلمات، أول فكرة خطرت على بالها أن بوسعها العودة إلى منزلها في قصر جايهوي-دونج. لم يعد ثمة أحد يترقب عودتها حتى يزجَّ بها في السجن أو يدمر والدها. أستطيع أن أكون أنا.

فزت تشيريونج واقفة على قدميها، وصرخت بسعادة: «سأذهب إلى الديار! سأعود إلى كوريا!».

تلوى وجه جونباي وتحذث بغضب: «هل تعتقدين أن أحدًا سوف يرحب بك إن عدت؟ هل تعرفين ماذا يعني ذلك الآن بعد تحرير كوريا؟ يعني أن والدك سوف يوصف بالخائن. ربما لا يوجد أحد كان لا يريد أن تتحرر كوريا مثل حماي. سوف يدفع ثمنًا باهظًا لما فعله. لو عدت، فسيتعين عليك المرور بذلك أيضًا. إن كنت تريدين أن تكوني آمنة وتستمتعي بالحياة التي تنعمين بها الآن، فمن الأفضل أن تبقي هنا بجانبني».

كما لو كان يطالب بملكيتها لها، حاول احتضان تشيريونج، لكنها دفعته بعيدًا، وقالت بالإنجليزية: «اصمت أيها الوغد الياباني!».

ارتدَّ جونباي، الذي دفعته تشيريونج نحو الحائط، إلى الخلف ولطم تشيريونج على وجهها، وصاح: «ماذا قلت؟ الوغد الياباني؟ أنتِ أيتها الكورية، كيف تجرؤين على مناداتي بهذا الاسم؟ بفضلتي، تعيشين في رغد، وستظلين تيراو هيكاري حتى يوم وفاتك!».

مزق الجزء الأمامي من بيجامة تشيريونج، وانتزع الأزرار من دروزها التي تناثرت على الأرض.

قاومت تشيريونج وصرخت، هذه المرة بالكورية: «أنا لست هيكاري. أنا يون تشيريونج».

تجعدت شفة جونباي في زمجرة: «تحدّثي اليابانية! أنتِ هيكاري».

- لا، أنا يون تشيريونج! اسمي يون تشيريونج، ابنة الفيكونت يون هيونجمان، أيها الياباني البائس الحقير.

- ماذا قلت؟ قولها باليابانية.

لم يهتمّ جونباي قط بتعلُّم اللغة الكورية بخلاف الكلمات المتناثرة التي التقطها في أثناء عمله في خدمة الفيكونت. غاضبًا، أمسك تشيريونج من حلقها وهزّها، لكنها تحرّرت، وصاحت: «أبدًا. لن أفعل ذلك أبدًا أنا راحلة إلى الوطن. سأرحل الآن».

هرولت إلى غرفتهما، وفتحت خزانتها، وبدأت في رمي الملابس على الأرض. وبينما كانت تحزم أمتعتها، ضربها جونباي، وصرخ عليها حتّى تتحدّث باللغة اليابانية. انفجرت شفة تشيريونج مفتوحة، وتدفّقت الدماء. قالت: «أرفض ذلك! لو كنت تحبني حقًا، لماذا لم تتعلّم اللغة الكورية؟ إن كنت تريد التحدّث معي بعد الآن، فسيتعيّن عليك أن تتعلّم التحدّث باللغة الكورية».

بعد ذلك، لم تتحدّث تشيريونج إلا باللغة الكورية، على الرغم من أنها كانت كورية خرقاء لأنها لم تستعملها منذ سنوات، لكنها تصرّفت كما لو أنها لا تستطيع التحدّث باللغة اليابانية أو الإنجليزية على الإطلاق. نظرت يوريكو إلى والدتها بعينين خائفتين، وحافظت على مسافة بينها، ولم تفهم أي شيء ممّا قالته. استمرّت مارينا في تحاشيها، ورفض جونباي الاعتذار عن ضربها. وتنامت بين الاثنين مسافة لا يمكن التغلّب عليها مثل هاوية تنفث لهبًا.

في ظهر يوم 15 أغسطس 1945، كان الفيكونت، الذي غير اسمه إلى هيرانوما تاكيو، يستمع إلى إعلان الإمبراطور هيروهيتو الاستسلام عبر الراديو. وبينما كان يستمع إلى صوت الرجل المرتجف الذي كان ذات يوم متألّفًا تألّفًا دائمًا مثل الشمس، انهار الفيكونت هيونجمان على ظهر كرسيه. لم يخطر بباله ولو للحظة أن اليابان ستتهزم. بدا القرار سهلًا وقتذاك، من أجل نفسه وعائلته، لكنه لم يكن لديه أي فكرة عن كيفية الاستجابة للكارثة التي واجهها مع اقتراب عيد ميلاده الستين.

يمكن سماع الهدير المهلّل من خلال النافذة المفتوحة. جاءت الأصوات من داخل المنزل أيضًا حتّى الخدم كانوا متحمّسين. وكانت الهتافات مختلفة عن حركة الاستقلال عام 1919. وقتذاك، كانت الشرطة اليابانية تنتظر إسكات

الصيحات، لكنهم الآن يهربون للنجاة بحياتهم. ما يعني أنه لا يوجد أحد لحمايته. تذكر والده الذي احتفل بعيد ميلاده الستين ثم توفي فجراً. كان الجو حاراً، وراح يتصبّب عرقاً، لكنه كان يرتجف أيضاً.

نهض الفيكونت، وصعد فوق كرسي تحرك تحت ثقله، فسقط على الأرض. ثبت الكرسي مقابل الحائط، وصعد مرة أخرى، وأزال الصورتين المؤطرتين للإمبراطور والعلم الياباني بيدين مرتعشتين. سقطت إحداهما على الأرض وتحطم الزجاج. فكر للحظة في المكان الذي سيضعهما فيه، قبل أن يخبئهما في خزانة سرية ويقفلها.

لكن إخفاء الصور لن يتسّر على ما فعله.

خلال الحرب، قدّم مساهمات دفاعية وطنية أكثر من أي شخص آخر، وأخذ زمام المبادرة في تحويل الشعب الكوري إلى جنود، و«نساء متعة»، وعُمل لخدمة الجهود العسكرية الإمبراطورية، حتّى إنه حاز على ميدالية من الحكومة اليابانية العامّة. بعد أن توفيت سونام -التي عاشت تحت اسم تشيريونج- في أثناء محاولتها الهرب، زاد هذا الدعم الذي يقُدّمه أكثر. ولم يحاول حتّى التمحيص في مسألة وفاتها.

فتح الفيكونت باب مكتبه، وخرج. في فناء المنزل الرئيس وجناح الرجال، المطل على البوّابة الأمامية، اجتمع اثنان أو ثلاثة من الخدم، يتهامسون. استدعى الفيكونت هيونجمان كبير الخدم وأمره بالسيطرة على الخدم، وقفل البوّابة. ثمّ ذهب إلى غرفته في الطابق الثاني. ومن هناك، كان بإمكانه رؤية وسط المدينة بوضوح، حيث كانت موجات من الناس يرتدون ملابس بيضاء يتدفقون إلى الشوارع، كما لو أن بوّابة سدّ قد فتحت عنوة.

تمتم إلى نفسه: «يثيرون كل هذه الضجّة لأنهم يعتقدون أن الحياة ستكون أفضل الآن بعد أن تحرّروا. حسناً، سنرى». استدعى كبير الخدم مرة أخرى، وطلب منه النزول إلى الشوارع والتحقّق ممّا يحدث.

وقد احتّمى الفيكونت هيونجمان مرتعداً داخل الملحق، تخيل حشوداً غاضبة تقتحم البوّابة، وتحطّم الباب، وتضرم النار في القصر، وفي النهاية يجزّونه إلى الخارج ويبرحونه ضرباً حتّى الموت مثل كلب في عزّ الصيف. كان يستيقظ أحياناً من الكوابيس التي كان فيها يُمزق إرباً من قبل أولئك

الذين تسبب في وفاتهم. لم يستطع أن يثق في ناسه، لذلك أجبر كبير الخدم على تذوق الطعام الذي أحضره له. حتى وهو مستفيق وعيناه مفتوحتان، راودته أحلام يجد نفسه فيها يتلوى وقد قُطع رأسه بحدّ فأس، ثم ألقى في حفرة لهب.

وبعد ثلاثة أيام من الإعلان، اعترف الحاكم الياباني في كوريا بالهزيمة وبدأ الاستعدادات حتى تصبح كوريا دولة مستقلة. فُتحت أبواب سجن سيودايمون، وأطلق سراح الأشخاص الذين سُجنوا بتهمة أنهم مارقون ومثيرو شغب وسط تهليلات الناس وصيحاتهم. ومن بين الخدم في القصر من تغيرت مواقفه وكان تحرير الوطن أيضًا يشملهم. استولى الخوف واليأس على الفيكونت. كان والده من بين العشرة الأوائل في قائمة أعداء الأمة في عام أولسا، لكنه هو نفسه كان على رأس القائمة الحالية.

في ليلة 2 سبتمبر، عندما وقّعت اليابان على وثيقة الاستسلام والانسحاب من الأراضي الكورية، خرج الفيكونت هيونجمان من مخبئه، وتوجّه إلى المنزل الرئيس. اعترى سورين الرعب بسبب مظهره الذي عرف من مرآته أنه يشبه جثة تمشي. نافد الصبر، دفعها جانبًا، ودلف إلى جناح زوجته.

انهارت الليدي جواك في اليوم الذي رحلت فيه سونام مع كتيبة النساء بدلًا من تشيريونج. بعد أن شاهدت المقال الصحفي واعتقدت أنها ابنتها، أمسكت به من ياقته وهزته حتى أخبرها بالحقيقة. أدركت الليدي جواك أن حياة ابنتها قد دُمّرت لأنها أرسلتها للدراسة في الخارج وبالمجوهرات التي قدّمتها لها، أغمي عليها مجددًا. بعد ذلك، أصبحت نصف مشلولة، ولم تنج إلا تحت رعاية سورين. ومع ذلك، فاحت رائحة كريهة من جسدها طوال الوقت. ولو كان الفيكونت في حالته العقلية الطبيعية، لما استطاع أن يتحمّلها ولو للحظة واحدة.

جلس الفيكونت هيونجمان بهدوء بجانب زوجته حتى ساعة متأخرة من الليل. يبدو أن الرائحة الأشبه برائحة جثة، المنبعثة منها، لا تختلف كثيرًا عن

رائحته. دقت ساعة الجدّ عند منتصف الليل. عندئذٍ اقترب -بعد أن أيقظه صوت جرس الساعة- من السيدة جواك ولفّ حزامه حول رقبتها. تأوّهت، ودفعت يديه بعيداً.

هتفت بيأس باسم ابنتها: «تشي... تشيريو...».

شعر الفيكونت بالاشمئزاز عندما رأى انعكاس نفسه في الليدي جواك، التي تشبّثت بالحياة بعناد. أعطاه هذا الشعور القوة للقتل، والقوة للموت. وأخيراً نجح في خنقها بعد عدّة محاولات فاشلة. كان تفكيره الوحيد أنها يجب أن تموت هرباً من العار الذي كانت ستواجهه لولا ذلك، وكان آخر تعبير له عن المودّة تجاه زوجته هو إرسالها إلى الحياة الآخرة أولاً.

حياة الإنسان تكتمل بالموت. عرّف الفيكونت يون هيونجمان الحياة التي عاشها بانتحاره الذي تزامن مع استسلام اليابان. انتشرت الأخبار التي تفيد بأن قصر جايهوي-دونج قد أصبح بلا مالك كالنار في الهشيم. حاول الأقارب القريبون والبعيدون أن يكونوا المعزّين الرئيسيين في جنازة غاب عنها طفلاً الفيكونت، حيث ادّعى كل منهم الأسبقية وألقى خطابات تأبين مبالغ فيها. بعد الجنازة الفوضوية، وبعيداً عن هيبة حياة الفيكونت، مكث عدد من أفراد الأسرة في قصر جايهوي-دونج. كانوا أقارب الليدي جواك، الذين اعتادوا التسكّع حول المنزل الرئيس، وبعض أقارب والده البعيدين، الذين لم يعترف بهم في حياته قط.

تجوّل الخدم في القصر، غير متأكّدين ممّا عليهم فعله. غادر البعض ومعهم أغراض منزلية عوضاً عن رواتبهم المتأخّرة، فيما بقي أولئك الذين ليس لديهم مكان يذهبون إليه، يراقبون من سيصبح المالك الجديد. داخل المنزل، لم تسبّب العائلة المتبقّية سوى المشكلات. فتشّوا المنزل بحثاً عن الذهب، أو سندات ملكية الأراضي التي قد تكون مخبّأة، واتهموا بعضهم بعضاً بالسرقة، فيما كانوا يتشاجرون حول من يجب أن يأخذ الأثاث والملابس وأدوات المائدة باهظة الثمن.

بفضل مهاراتها في الطبخ، واصلت سورين واجباتها في جناح الخدم. اختارت البقاء في القصر من أجل الشباب الذين قد يعودون: تاييسول، وتشيريونج، وسونام، وجانجهوي. علّمت أن سونام أصبحت «امرأة متعة» بدلاً من تشيريونج، وأن تشيريونج كانت مختبئة في مكان ما من العالم، وذلك بفضل الشجار بين الليدي جواك والفيكونت الذي استرقت السمع إليه.

كلما فكّرت في تشيريونج، التي أصبحت الآن يتيمة وحيدة، اغرورقت عينها بالدموع. اعتقدت أن السيد كان ينبغي أن يفكر في طفليه وألا يغادر الدنيا بهذه السرعة، وتعهّدت بأنها ستنتظرهما على الأقل. في هذه الأثناء، تقلّصت سلطتها ولم تعد تتلقّى معاملة كريمة، لكنها لم تهتم.

ثم وصلت برقية من عمدة القرية في بلدتها بخبر وفاة حماتها.

أصبح لدى سورين الآن العديد من السادة والسيدات حتى تطلب منهم الإذن، ولم تغادر إلى سيونجهوان حتى اليوم التالي. وكان القرويون يقيمون مراسم عزاء بسيطة، ولم تكن هناك عائلة لتظهر حدادها على المتوفاة. أخبروها أن حماتها، التي وُجِدَت منهاراً في فناء منزلها، وهي تلهث لالتقاط أنفاسها، كانت تمسك بإشعار يعلن عن وفاة تاييسول، ورسالة منه. انهارت سورين على الأرض وكأن السماء اصطدمت بالأرض.

ابنها، الذي غادر عازماً على العثور على الثروة، نفذ ماله بعد عامين، وعاود الظهور في الأرجاء وكأنه متسوّل. بعد اعتذار سورين وتوسّلها، أعاد الفيكونت هيونجمان تعيينه. اعتقدت سورين أن ابنها سوف يرُدُّ له الجميل، حتى لو كان ذلك يعني العمل ليل نهار. كونه الابن الوحيد لها، فقد نجا من التجنيد العسكري وعمل بجد في منجم الذهب. لكن بعد عام واحد فقط، قال إنه يريد كسب المزيد من المال، وغادر لاستخراج الفحم في اليابان. وكانت قد تلقت عدّة رسائل تفيد بأنه في حالة جيدة، وأنه سيعود قريباً لرعايتها. ومع تحرير البلاد، كانت تنتظر عودته بفارغ الصبر.

ووفقاً لعمدة القرية، وصلت الرسالة وإشعار الوفاة معاً.. «قبل ستة أيام تقريباً، قرأتها للسيدة العجوز، وبكت كثيراً لدرجة أنها لم تستطع أن تبرح منزلها. كنت قلقاً عليها، لذلك كنت أتفقدها كلما مررت أمام منزلها، وفي كل

مرّة كانت تبكي، حتّى في المرّة الأخيرة... حدث ذلك مساء، فلم أتمكّن من إرسال البرقية حتّى الصباح».

طلبت منه سورين أن يقرأ لها الرسالة.

كتب تاييسول فيها أن الفيكونت هيونجمان اتهمه زورًا باختلاس أموال الشركة وجنّده إلزاميًا للعمل لدى اليابانيين. قال تاييسول إنه لم يفعل شيئًا كهذا قط، وأنه عمل بجدّ، وكان ممتنًا للفرصة الثانية، وأنه لو عاد بأمان، فلن يترك جانب والدته مرّة أخرى أبدًا. كانت الرسالة مختلفة تمامًا عن الرسائل التي وصلت إلى قصر جايهوي-دونج. لا بدّ أنه أرسلها إلى سيونجهوان ليكشف الحقيقة.

«أمي، هذا المكان جحيم صرف. ويعتقد اليابانيون أن حياة الكوريين أقل قيمة من حياة بعوضة. تتراكم جثث الموتى مثل السماد أمام منجم الفحم. أمي، أفتقدك. أتضوّر جوعًا، وأريد العودة إلى المنزل».

سورين، التي حرمت من ابنها وحمايتها بضربة واحدة، لم تكن لديها الرغبة في الاستمرار في العيش، لكن إنهاء حياتها لم يكن مهمّة سهلة. تشبّثت برسالة تاييسول وإشعار الوفاة، وضغطت على أسنانها. كان من المؤسف أن الفيكونت لم يعد على قيد الحياة. كانت غاضبة لأنها طبخت له مدّة طويلة، دون أن تعلم أنه أرسل ابنها إلى حتفه. لو علمت مسبقًا، لما سمحت له بالانتحار بهذه السهولة. كانت ستسمّم أرزّه حتّى يلقي نهايته وهو يتلوّى من فرط الألم. ولم يكن الفيكونت فقط، بعد كل شيء، كان خطأ الليدي جواك أنها فقدت ابنها الأصغر. وحتّى ذلك الحين، ظلت تعيش في المنزل نفسه دون تردّد، وترضع الطفلة التي ولدتها سيدتها، كما أنها اعتنت بجسدها مشلول النصف بأقصى قدر من الاهتمام.

«لم أفكّر في الأمر حتّى».

فضربت صدرها حتّى تكدم.

أنجبت سورين ستّ بنات وولدين، لكنّ لم يبقَ منهم أحد.

ماتت أربع من بناتها، ولم يكن لديها أي فكرة إن كانت الاثنتان اللتان تزوّجتا على قيد الحياة أم ماتتا. عندما رجعت سورين إلى المنزل في قصر

جايهوي-دونج، كان لديها مبرر واحد للاستمرار في دسّ الأرز داخل حلقها. سوف تنتقم لأطفالها من أطفالهم. كل ليلة، كانت تصرُّ على أسنانها، في انتظار عودة جانجهوي وتشيريونج.

قبل التحرير، كانت شبه الجزيرة الكورية مقسّمة بالفعل إلى جزئين، بواسطة خط يتبع خطّ عرض 38، تحت سيطرة الاتحاد السوفييتي في الشمال والولايات المتحدة في الجنوب. صنّفت الثروة التي تركها اليابانيون وراءهم على أنها ممتلكات معادية. مع وفاة الفيكونت هيونجمان وزوجته، نُقلت ملكية قصر جايهوي-دونج، ومنجم الذهب، وأراضٍ أخرى إلى الحكومة العسكرية الأمريكية، إذ لم تكن ثمة أي أخبار عن طفليهما. استخدمت الحكومة العسكرية الأمريكية المبنى الملحق لقصر جايهوي-دونج كمكتب، وخصّصت المنزل الرئيس وجناح الرجال لضباط الجيش وعائلاتهم. طردوا أقارب المالك السابق، لكن سورين، التي عاشت في المنزل لمدة سبعة وعشرين عامًا، ظلت في مسكن الخدم بصفقتها خادمة تعمل في المبنى الملحق.

في إحدى ليالي الصقيع في أوائل ديسمبر 1945، أخرجت سورين زجاجة مشروب كحولي من صندوق سرّفته من غرفة الطعام في المبنى الملحق. سكبت بعضًا منه في غطاء الزجاجة، وقذفته في فمها، وارتعشت. رشفت واحدة من المشروب انتشرت بسرعة في جميع أنحاء جسدها. اتكأت على الجدار، وضربت راحتيها على الأرض، وأطلقت نحيبًا مكتومًا. تدفّقت الدموع بلا توقّف على وجهها المملوء بالبخور. تحرّروا من الأوغاد اليابانيين، ومع ذلك فقد تُركت وحيدة في العالم دون أي شيء تعيش من أجله. في أثناء نومها حين استغرقت في النوم حيث جلست، حلمت بابنها حيًّا وبصحة جيدة، عندما استيقظت على صوت رجل ينادي

هل هذا تاييسول؟

فتخت الباب بضجة.

وقف ظلُّ مظلم في الخارج، وأيقظتها الريح الباردة تمامًا، صاحت:

«مَن؟».

قال أحد الأمريكيين الذين كانوا يعيشون في جناح الخدم الخارجي: «هذا أنا»، وكان يحمل شيئاً فوق كتفيه.

- ماذا حدث؟

- انهارت هذه الفتاة أمام البوابة. يبدو أنها كانت تبحث عنك، لذلك أحضرتها إلى هنا.

وعندما وضع حمله أرضاً، أدركت أنه كان شخصاً، متمدداً على الأرض مثل كيس أرز.

مندهشة، جلست سورين بجانب الفتاة.

بعد أن غادر الرجل، انحنت وألقت نظرة فاحصة. كانت الفتاة ترتدي ملابس ملطخة وكريهة الرائحة، لكنها بالتأكيد كانت تشيريونج، ابنة الفيكونت يون التي كانت تنتظر عودتها. ها هي أخيراً هنا. خفق قلبها بقوة. نظرت سورين إلى تشيريونج بعينين محتقنتين بالدم. كان الأمر يستحق المكوث في المنزل. ستمكّن أخيراً من الانتقام لفقدان أطفالها. حلت حياة هذه الفتاة محل حياة ابنها الأصغر، حتى إنها رضعت حليبه. الآن كانت فاقدة للوعي وربما تحتضر.

قرّبت سورين يدها المرتجفة إلى رقبة تشيريونج. كانت الفتاة نحيلة جداً، وكانت عظام وجنتيها وترقوتها بارزة. لن يشك أحد في أي شيء لو قالت إنها ماتت بين عشية وضحاها. وضعت يديها حول رقبتها الرفيعة مثل رقبة طائر لقلق، ثم جزعت، وأبعدت يدها عندما شعرت بنبض مقابل كفها.

بعد أن التقطت بضعة أنفاس لتهدئة نفسها، استعادت سورين تصميمها، وأمسكت برقبة الفتاة مرة أخرى، لكنها انفجرت في النهاية بالبكاء وأسقطت يديها.

تذكّرت كيف أنها من خلال إرضاع هذه الطفلة بدلاً من ابنها، وجدت سلوى في حزنها. وكيف أنها في أثناء تربية تشيريونج، التي كانت تتبعها كما لو أن سورين والدتها، عرفت الفرحة، واكتسبت قوة جديدة. كانت تشيريونج، التي رأتها الآن للمرة الأولى بعد سبع سنوات، مثل طفلتها. خلال تلك الفترة، كانت سورين تفتقد الفتاة على الأقل بقدر ما افتقدها والداها. اعتادت أن

تكون مشرقة مثل وجه القمر، لذا لا بُدَّ أنها عانت كثيرًا حتى أصبحت شديدة الجفاف ومصفرةً ومقوسةً مثل سمكة بلوق مجففة.

كان قلبها يتألم لمظهر الفتاة المثير للشفقة.

يمكنها دائمًا الانتقام في يوم آخر. لحظتذاك، أرادت إعادة تشيريونج -التي كانت بالكاد تتنفس- إلى عافيتها. عندما خلعت سترة الفتاة حتى تمسح جسدها بمنشفة مبللة، رأت أن خيط بطانة السترة ممزق، وأن شيئًا ما عالق بداخلها. مزقتها على نطاق أوسع قليلًا، وأخرجت العديد من الصور والأوراق المكتوب عليها بحروف مائلة. نَحَّتْها سورين جانبًا. وبينما كانت على وشك نزع بقية ملابس تشيريونج، صرخت الفتاة وقاومت.

ارتدت سورين إلى الوراء، وسرعان ما هدا الصوت، الذي كان خافتًا جدًا لدرجة أن الصراخ لم يتمكن حتى من مغادرة الغرفة. راحت تمسح جسم الفتاة المغطى بالكدمات والإصابات. هزت تشيريونج بلطف وتساءلت، ماذا حدث لها؟ دأكت سورين فخذيها من الداخل، وتفحصت جروحها. التوت تشيريونج مرةً أخرى، وأصدرت صوتًا يشبه الصرير. كان حادًا مثل زقزقة طائر محاصر في شبكة يستخدم آخر مخزونه من الطاقة. بالنظر إلى مظهرها وإيماءات جسدها، لا بُدَّ أنها عوملت بقسوة. هل أدرك أحد أنها ابنة يون هيونجمان، عميل اليابانيين؟ فقط بعد أن عانت سورين خسارة تايسول أدركت أن الفيكونت هيونجمان لعب دورًا أساسيًا في دفع الكثير من الناس إلى حتفهم. لم يكن من السهل أن ينتحر الإنسان، حتى بعد فقدان طفل؛ لذا كم خطيئة لا بُدَّ أنه ارتكبها حتى يشعر بأنه مضطرًا إلى شنق نفسه؟

نطقت: «يا إلهي، ماذا عليَّ أن أفعل؟».

لم تستطع سورين مقاومة البكاء.

بعد أن ألبست سورين تشيريونج بعضًا من ملابسها الخاصة، غطتها بلحاف. فتحت علبة خوخ كانت قد اختلستها من الإمدادات التي وصلت إلى القصر. في ذلك اليوم، وصبت العصير في فم الفتاة. ثم سحقت بعضًا من لبّ الخوخ الريان وأطعمتها إياه. حتى وهي فاقدة للوعي، ابتلعت تشيريونج على عجل. وبالطاقة التي أمدها الطعام بها، راحت تهذي بشكل محموم طوال

الليل. تنهّدت سورين وهي تضع منشفة باردة على جبين الفتاة، وتحاول إبقاءها باردة ونظيفة.

من اليوم التالي فصاعدًا، تولّت سورين مسؤولية رعاية تشيريونج. والآن بعد أن أصبح لديها شخص تعتني به، شعرت بحيويتها تتجدّد. بخلاف ما كان عليه الحال من قبل، عندما كانت تشيريونج صعبة الإرضاء عندما يتعلّق الأمر بالطعام، قبلت الآن وأكلت كل شيء. على الرغم من أن سورين طقطقت لسانها من فرط الفزع كلما فكّرت في مدى معاناة الفتاة، فإنها عندما تتذكّر رسالة تاييسول التي قالت إنه كان يتصوّر جوعًا، تنتابها رغبة مفاجئة في أن تحرم تشيريونج من الطعام حتّى تموت بدورها. عدّة مرّات في اليوم، وجدت سورين مشاعرها تجاه الفتاة تتأرجح بين الشفقة والانتقام.

بعد خمسة أيام، عندما استعادت تشيريونج قوتها وأصبحت في كامل وعيها، طرحت سورين الأسئلة التي كانت تكبتها بداخلها.

قالت: «سيدتي الصغيرة، أين كنت؟ ماذا كنت تفعلين؟ ماذا حدث لك؟ لماذا، جسدك كله...».

غطّت تشيريونج أذنيها وبدأت ترتعش.

سورين: «يا إلهي، يا سيدتي الصغيرة. لن أسأل.. لن أسأل.. لذا اهدئي». بينما تحاول تهدئة تشيريونج، وبّخت سورين نفسها. يجب ألا أسمع عن ذلك لأعرف، أليس كذلك؟

عند التفكير في أن تشيريونج قد عُوقبت بالفعل نيابة عن والدها، خمدت مشاعر الانتقام، ولم يبقَ داخل سورين سوى الشفقة. عندما تكون الفتاة مستيقظة، تستلقي في أحد أركان الغرفة. لم تسأل قط لماذا لم تتمكّن من رؤية والديها، أو لماذا يحتلّ المنزل أشخاص آخرون.

في كثير من الأحيان كانت سورين منشغلة جدًا حتّى تعتني بالفتاة، ما أصابها بالتوتر، كما كان الحال عندما اضطرت إلى ترك طفلها الأصغر المريض بمفردها في الغرفة. في مثل هذه الأوقات، كانت تتمنّى لو كانت سونام موجودة معها الآن.

قالت: «سونام الصغيرة لا تمتلك أي فكرة أن السيدة الشابة في هذه الحالة، ولا أحد يعرف أين ذهبت، أو إن كانت على قيد الحياة أو ماتت». مسحت سورين دموعها في تنورتها وتمخّطت. كانت قلقة بشأن سونام، التي لم تعد إلى الوطن بعد التحرير. سونام، التي نامت بجانبها منذ يوم وصولها حتى يوم مغادرتها، وكانت أيضًا بمنزلة ابنتها.

أعطت سورين تشيريونج، التي كانت لا تزال حبيسة غرفتها، الكتب من الحقيبة التي حملتها معها من كيوتو، وقالت: «استولت عائلة أمك على كل شيء إلا هاتفك الكتب». استولت عائلة الليدي جواك على الملابس ومستحضرات التجميل من حقيبة تشيريونج، وحتى الحقيبة نفسها، لكنها ألقت جانبًا الكتب المكتوبة باليابانية أو الإنجليزية، والتي أنقذتها سورين.

ما انفكت تشيريونج تبكي بلا انقطاع كلما قرأت الكتب الزاخرة بالأحرف المائلة. راقبتها سورين واعتقدت أنه من الأحسن لها أن تبكي بدلًا من أن تكون في حالة ذهول غير واعية. كل ليلة، كانت سورين تخبر تشيريونج بالمزيد عمّا حدث في قصر جايهوي-دونج. لكنها لم تستطع أن تخبرها بما فعله الفيكونت هيونجمان بابنها. شعرت أنه في اللحظة التي ستقول فيها ذلك بصوت عالٍ، ستضطرُّ إلى قتل السيدة الشابة.

في أواخر ديسمبر، ظهرت تشيريونج أخرى. كما لو كانت عائدة من رحلة، وقفت تشيريونج هذه، وحقيبة سفر ضخمة بجانبها، وتجول بعينيها في ثقة في أرجاء الفناء.

عندئذٍ فقط خرجت سونام من صدمتها واعترفت باسمها الحقيقي. كانت سورين مذهولة تمامًا، وحقيقة عودة تشيريونج الحقيقية أخيرًا كانت مفاجئة مثل حقيقة أن الإنسانية التي كانت تعتني بها طيلة ذلك الوقت كانت سونام. داخل الغرفة، تجلّى مشهد لمّ شملٍ حقيقي. عندما علمت تشيريونج بوفاة والديها، أطبقت شفيتها، وكوّرت قبضتي يديها، وابتلعت دموعها. كرّرت سورين ما قالته لسونام، وحتى وهي تذرف الدموع، استاءت من الفتاة المثيرة للشفقة لكذبها عليها طوال هذه المدّة.

تلك الفتاة الماكرة، خدعتني حتى اعتقدت أنها كانت السيدة الشابة. لا أعتقد أنني خاطبتها على الإطلاق بـ «سيدتي». ومع ذلك، لو كنت ناديتها بـ «سيدتي»، لكانت ستقول إنها ليست كذلك أم....

تساءلت كيف أنها لم تلحظ ذلك، وفكرت طويلًا وبشدة في الأسباب. في البداية، لا بد أن يكون ذلك بسبب الفستان ذي الطراز الغربي، أو ربما تصفيفة الشعر. نظرًا لأن الفتاتين تمتلكان وجهين متشابهين، وبسبب الأوراق التي تحتوي على كتابات أجنبية، التي وجدتتها في بطانة ملابسها، لم تشك في أنها تشيريونج. ومع ذلك، كان السبب الرئيس وراء انخداعها لأكثر من عشرين يومًا هو الطريقة العفوية التي لعبت بها سونام دور السيدة الشابة، رغم حالتها المزرية. كانت سونام هذه مختلفة تمامًا عما كانت عليه عندما كانت تنام معها في مسكن الخدم في الماضي. لا يبدو أن ذلك ببساطة لأنها كانت أكبر سنًا. على أية حال، فيما كانت منزوعة من تعرضها للانخداع، فقد خف استياء سورين منها عندما تخيلت ما مرت به الفتاة.

تلقت الفتاة معاملة فظيعة، لدرجة أنها أصبحت الآن مثل صحن مكسور. كان قلب سورين يتألم على سونام. سونام التي خطت سورين في الماضي لجعلها زوجة ابنها.

هل يجب أن أتخلى عن الانتقام وأرحل؟

أطلقت تنهيدة، لكن على الفور، أيقظ تفكيرها في تاييسول عداها من جديد. حان الوقت للتخلي عن تعاطفها وانتظار اللحظة المواتية لتنفيذ انتقامها، خاصة وأن هدف انتقامها - تشيريونج - أصبح الآن مائلًا أمامها حقًا. تغيرت تشيريونج تمامًا مثل سونام. مهما كان ما مرت به، لم يبق شيء من الفتاة السابقة الجامحة والصريحة. ظلت صامتة حتى بعد أن علمت بكل ما حدث في المنزل. على الرغم من أن زوجة ضابط عسكري كانت تشغل غرفتها السابقة، فإنها كانت تنظر ببلادة. ورغم أن الثلاثة اضطروا إلى العيش معًا في غرفة ضيقة، فإنها لم تشتك.

عند رؤية تشيريونج حزينة على وفاة والديها، وقد تراءت مكتئبة بسبب محنتها، تراجعت سورين مرة أخرى، وكانت أكثر ميلًا إلى الشفقة من الانتقام.

وضعت سونام نفسها في مكان ما، ورجعت بجسدها فحسب، لكن بمجرد أن وقعت عيناها على تشيريونج، بدأ إحساسها يعود إليها، كما لو أنها أدركت الآن من هي، وما كان عليها أن تفعله. عندما أصبحتا أخيراً وحدهما، تعانقت سونام وتشيريونج، وبكتا كما لو كانتا تلتقيان للمرة الأولى. عادت المؤدة الأخوية التي نشأت أول مرة في كيوتو، وذرفت دموعاً كانت مزيجاً من قلق كل منهما على الأخرى، والألم من جراحهما، وكآبة واقعتهما الحالي.

استمعت كلٌ من تشيريونج وسونام، اللتين لم يكن لديهما مكان تذهبان إليه ولا شيء لتفعلاه، إلى قصص بعضهما، فيما ذهبت سورين للعمل في المبنى الملحق. دُهِشَتَا عندما اكتشفتا أنهما عاشتا على الساحلين الشرقي والغربي للولايات المتحدة في التوقيت نفسه. كانت لغة سونام الكورية لا تزال جيدة لأنها كانت نشطة في الجالية الكورية في الولايات المتحدة، وتحديثها أيضاً في الصين، لكن تشيريونج، التي كانت لغتها الكورية ثقيلة، تحدثت باللغة الإنجليزية -أو اليابانية كلما شعرت بالإحباط- وكانت سونام تجيب عليها أيضاً باللغة الإنجليزية أو اليابانية. عند التحدث باللغة الإنجليزية، أصبحت محادثتهما عبارة عن منافسة بين من يتحدث اللغة على نحو أفضل، وانجرح كبرياء تشيريونج عندما تفوقت عليها خادمتها السابقة.

لم تستطع تشيريونج أن تحمل نفسها على سؤال سونام عما حدث، عندما ذهبت سونام إلى كتيبة النساء على أنها هي. وبدلاً من ذلك، روت قصصاً عن سان فرانسيسكو حتى تُظهر أن حياتها لم تكن مريحة أيضاً. ذكرياتها المؤلمة جعلتها ترغب في دفن الأوقات التي اعتقدت فيها أنها كانت سعيدة. ومع ذلك، عندما روت سونام قصتها أخيراً، وعلمت تشيريونج أنها هربت من قاعدة الجيش الإمبراطوري بعد وقت قصير من وصولها، شعرت أنها لا تدين بشيء لسونام، وكانت سعيدة لأن اسمها لم يُدنَس. لكن ما جاء بعد ذلك أزعجها. بينما كانت تعيش حياة أرادت محوها من ذاكرتها، أصبحت سونام هي يون تشيريونج، حتى إنها التحقت بالجامعة في مدينة نيويورك.

امتلاً وجه خادمتها بالفخر وهي تتحدث عن تلك السنوات.

اشتعلت غيرة تشيريونج عندما سمعت ذكريات سونام الفخورة والنبيلة، وندمت على إخبارها الكثير عن نفسها. حتى لو عاشت دون الكثير من

المعاناة، كان من العار أن تحمل اسم امرأة يابانية نكرة، وأن تتزوج جونباي، الذي باتت تمقته كثيرًا من جديد.

عندما كانت على وشك المغادرة إلى كيوتو للدراسة، استدعاها والدها وأخبرها على انفراد: «على الرغم من أنكما تعيشان معًا، لا ينبغي أن تكوني قريبة جدًا من شخص أدنى منك. مثل الكرمة الطفيلية التي تعيش على شجرة، من عادة الأشياء المتواضعة أن تتسلق. وتصبح مزعجة كلما أعطيتها فرصة». وبدلاً من الاستجابة لنصيحة أبيها، سمحت لها تشيريونج بالتسلق دون تردد، حتى إنها تجرأت على الذهاب إلى أمريكا والالتحاق بالجامعة. وكان ذلك لم يكن كافياً، فمن الواضح أن سونام مقتنعة على نحو خاطئ بأنهما متساويتان الآن، على الرغم من أن سونام الطفلة التي اشتراها لها والدها كهدية عيد ميلاد. ولأنها هربت من كتيبة النساء، فقد كان وعد والدها بعق سونام باطلاً وفارغاً.

صدمت سونام عندما علمت أن تشيريونج، التي كانت دائماً مهووسة بالعاطفة الجياشة والعشق، تزوجت جونباي، وأنجبت منه طفلة. وينطبق الشيء نفسه على ما عرفته عن المدة التي قضتها في معسكر احتجاز اليابانيين في كاليفورنيا. عرفت سونام طبيعة هذه المعسكرات. وكانت قد قرأت مقالات في المجلات والجرائد تتضمن شهادات من الناجين اليابانيين. كانت تلك المعسكرات أشبه بالسجن. ولم تُحتجز تشيريونج، التي ترعرعت في مثل هذه البيئة الراقية، في معسكر اعتقال فحسب، بل إنها حتى أنجبت ابنتها هناك. حقيقة أن السيدة الشابة، التي اعتقدت أنها ستكون قادرة على الاختباء بشكل مريح في مكان ما بفضل والدها، قد عانت بقدر ما عانت، منحت سونام قدرًا كبيرًا من الرضا.

من خلال مشاركة مكنون قلبها مع تشيريونج، بدأت سونام ببطء في إعادة اكتشاف إرادتها في الحياة. لكن عندما وصلت إلى نقطة معينة، عصفت بها فجأة الذكريات المؤلمة، ما استنزف الطاقة التي بالكاد بدأت في العثور عليها، وسحبها مرة أخرى إلى غياهب الظلام.

الفصل الحادي والعشرون

من هنا إلى هناك

في 11 يونيو 1945، صعدت سونام أخيرًا على متن سفينة رُكَّاب لعبور شمال المحيط الأطلسي، بعد ستِّ سنواتٍ من وصولها إلى أمريكا. كانت أمتعتها عبارة عن حقيبة صغيرة، تمامًا كما كانت عند وصولها لأول مرَّة. باعت كتبها وأثاث الغرفة وملابسها المتنوعة للمساعدة في تغطية نفقات السفر.

أتت آيلينج وأفراد الجالية الكورية لتوديعها على رصيف الميناء.

أنهى استسلام ألمانيا وإيطاليا الحرب في أوروبا، لكن اليابان كانت لا تزال تقاتل ضد الصين والولايات المتحدة. وكان معظم الرُكَّاب على متن السفينة البريدية التي كانت تُستعمل كسفينة ركاب مؤقتة من النساء والأطفال من ذوي الجنسيات الأوروبية. بعد أن هربوا إلى الولايات المتحدة خلال الحرب، كانوا متحمسين للعودة إلى ديارهم. على الرغم من أن السفينة لم تكن مجهزة بشكل جيد بالقمرات، فإنها كانت تعجُّ بالحيوية. سونام، وقد كانت في طريقها للقاء جانجهوي، كانت متحمسة بالقدر نفسه.

وكما كتبت في رسالتها الأخيرة، فقد قرَّرت العودة إلى الصين بعد سماعها نبأ نهاية الحرب في الغرب. حتَّى بعد تخرُّجها في الجامعة، قلَّما كانت الوظائف اللائقة متاحة للأسويين، وكانت لا تزال تعمل بدوام جزئي، في

انتظار سقوط اليابان، لكنها فضلت الانتظار في الصين، حيث يمكنها دعم حركة الاستقلال، ومعايشة فرحة تحرير كوريا مع جانجهوي.

وعلى الرغم من أن اتحاد الشعب الكوري حذر من خطورة أن تقطع امرأة مثل هذا الطريق الطويل بمفردها، فإن سونام كانت عازمة. كانت حياتها حتى الآن عبارة عن سلسلة من التحديات التي تبدو مستحيلة، والآن رحلتها إلى تشونجتشينج ستكون إحدى تلك التحديات. تشونجتشينج، عنوان رسالة جانجهوي الأخيرة، كانت مقر الحكومة الكورية المؤقتة، والمقر العام لجيش التحرير الكوري. قد ينتقل جانجهوي من مكان إلى آخر، مع ذلك فإنها تشعر بالثقة بقدرتها علي معرفة مكان وجوده إذا ذهبت إلى هناك.

وبعد أن اتخذت قرارها، استعدت للمغادرة سريعاً، وصدت كل من حاول إقناعها بعدم الرحيل، قائلة: «إن كانت الرحلة خطيرة على النساء، فهي كذلك بالنسبة إلى أي شخص آخر. كوني امرأة قد يجعل الرحلة أقل خطورة؛ العالم لا يشعر بالتهديد من قبل امرأة واحدة. وهذه ليست المرة الأولى بالنسبة إليّ، لأنني سأعود إلى هاربين عبر الطريق نفسه الذي سلكته عندما أتيت إلى الولايات المتحدة. ثم بعد ذلك لن يكون عليّ سوى استقلال القطار من هاربين إلى تشونجتشينج».

قالت آيلينج: «خطوة مثير للإعجاب! أينما كنت، فأنا معجبة بحبك، أنا معجبة به حقاً. وتشونجتشينج قريبة من منزل والديّ، لذا إذا كان ثمة أي شيء يمكنني القيام به للمساعدة، أرجوك. أبلغيني بذلك».

تذكرت سونام فجأة مغامرتها العظيمة الأولى، عندما قالت: ألا يمكنني الرحيل بدلاً منها؟ - الكلمات التي غيرت حياتها إلى الأبد.

كان مشهد تلك اللحظة وظروفها ملتبسين، ولم تتبادر إلى ذهنها سوى تلك الكلمات. وقتذاك، كان عمرها سبع سنوات. ونظرًا لأنها كانت فتاة صغيرة لم تغادر القرية قط، فقد اتخذت قرارًا بترك والديها ومنزلها.

بهذا السؤال الواحد، تغيرت حياة سونام. بماذا كنت تفكرين؟ أرادت أن تسأل الفتاة الصغيرة التي كانت عليها. هل كان ذلك لأنهم قالوا إنها تستطيع أن تأكل حتى تشبع في قصر الفيكونت؟ هل كان ذلك من أجل أسرتها الفقيرة؟

هل كان ذلك لأنها كانت تغار من تشيريونج، التي كانت ترتدي كأميرة؟ أم لأن السيارة التي سارت من تلقاء نفسها كانت غريبة وأسرة للغاية؟

على كل هذه الأسئلة، لم يكن بوسع الطفلة سونام البالغة من العمر سبع سنوات إلا أن تجيب بأن رحيلها كان بسبب فضولها بشأن هناك المجهول. كانت سونام تحلم دائماً بأماكن بعيدة عن متناولها. مع تأملها هذه الأفكار، بدت الرحلة إلى جانجهوي، إلى وجهة بدت واضحة؛ أمنة وبسيطة.

عندما رفضت سونام الرضوخ لمن يحاول ثنيها عن السفر، جمعت الجالية الكورية الأموال لإرسالها معها إلى الحكومة الكورية المؤقتة، وساعدتها في إعداد الوثائق اللازمة لرحلتها. لم تكن قد أخبرتهم إلا عن التزامها بحركة الاستقلال، فدعموها بحماس، دون أن يعلموا أنها تبحث أيضاً عن الرجل الذي تعشقه. شعرت سونام بالسوء حيال ذلك، لكنها تعهدت بسداد ثمن دعمهم لها عندما تصل إلى تشونجتشينج.

كانت المهمة الأكثر تعقيداً للجمعية الكورية فبركة بطاقة هوية من أجل سونام. غيروا جنسية سونام إلى الصينية. اعتقدوا أنها عندما تسافر عبر أوروبا، أو على خط السكك الحديدية عابر سيبيريا، سيكون من الأفضل لو كانت تحمل أوراقاً ثبوتية صينية، أو أحد بلاد قوات الحلفاء وليس أوراق يابانية، أو بلد تنتمي إلى دول المحور. ناهيك بالمدّة التي قضتها على الأراضي الصينية باسمها الياباني والتي قد تثير الريبة.. قرّرت سونام أن تحفظ عن ظهر قلب محتويات رسالتهم إلى كيم جو، رئيس وزراء الحكومة الكورية المؤقتة، خوفاً من احتمال وجود نقطة تفتيش عسكرية يابانية. صنعت حزاماً أخفت بداخله الأموال ودسّته داخل ملابسها الداخلية، وشعرت بالتوتر والإثارة وكأنها جاسوسة في مهمة عظيمة.

قبل مغادرتها، دعت آيلينج سونام إلى منزلها، حيث أخبرها والد صديقتها بأشياء شتى عن مسقط رأسه، ووهان، وكذلك البلدات المجاورة.

قاطعته والدة آيلينج: «إنه يتحدث عمّا كانت عليه ووهان قبل خمسة وعشرين عاماً، لذا لا تصدّقي أي كلمة يقولها. هيّا، توقّف عن الحديث عن مسقط رأسك، واكتب رسالة تطلب فيها من عائلتك مساعدتها». بعد أن وبّخت

زوجها، أعطت سونام فستاناً صينيّ الطراز حتّى يتماشى مع أوراق سفرها الجديدة.

كان البحر مسالماً، والسحب البيضاء ترتفع في الأفق وطيور النورس تحلق فوقها. كان من الصعب إدراك أنها كانت في الآونة الأخيرة ساحة معركة حيث حلقت الطائرات الحربية، وتحطمت السفن، ومات الناس.

صادقت سونام الأطفال الضجرين على متن السفينة. ورداً على ذلك، كان آباء الأطفال المتعاطفون والممتنون يدعونها لتناول العشاء، وهو أمر لم يكن ممكناً على متن سفينة فاخرة، حيث فصل الركاب حسب الطبقة. الشعور بالغربة والوحدة الذي شعر بهما الناس في أثناء إقامتهم غرباء في الولايات المتحدة، وقلقهم بشأن الحرب في أوطانهم، والكرم النابع من سرور العودة إلى الوطن، ساعد في فتح أبواب قلوبهم.

تحدثت سونام بحريّة عن عودتها إلى الصين بحثاً عن حبيبها. كما شرحت الوضع في كوريا. تساءلت معظم زوجات الرجال ذوي المال والسلطة إن كان ثمة أي شيء يمكنهن القيام به للمساعدة. عرضت امرأة فرنسية مساعدة سونام في الحصول على تأشيرة المرور عبر بلدها. أعطتها امرأة بريطانية بعض المال حتّى يعاونها في نفقات سفرها. اقترحت امرأة ثالثة من الاتحاد السوفيتي السفر معاً حتّى موسكو. كان لديها ثلاثة أطفال في العمر نفسه تقريباً، لذلك كانت مشغولة دائماً. قالت إنه إذا ساعدت سونام في رعاية أطفالها، فسوف تدفع نفقات سفرها وتكفل بتأشيرتها إلى موسكو. قالت إنها ستطلب أيضاً من زوجها أن يكتب خطاباً يتيح لها عبور السكك الحديدية العابرة سيبيريا. ولا يمكن أن يكون ثمة عرض أكثر سخاء من ذلك. تذكّرت سونام رحلتها على متن السفينة كوين ماري في طريقها إلى مدينة نيويورك. حدث تغيير مذهل، سواء في الركاب الآخرين أو في ذاتها.

عند وصولهم إلى ميناء مرسيليا بفرنسا، كانت آثار الحرب المروعة في كل مكان. كان المشهد مختلفاً تماماً عما رآته عندما كانت هنا آخر مرّة. كان الناس يحفرون بين أنقاض المباني التي دمرها القصف، بحثاً عن أي شيء

يمكن إنقاذه. رأت أطفالاً يكون عراة وكلاباً قذرة، معرّضين بالقدر نفسه لخطر المجاعة. وانتشر الجنود المسلّحون في كل مكان، وسارت مواكب اللاجئين في الشوارع عائدين إلى مسقط رأسهم. ولم يكن هناك ما يشير إلى الأجواء الاحتفالية التي رأتها في ميدان التايمز. وعلى الرغم من عدم تطاير أي قذائف أو رصاص، فإن أوروبا كانت لا تزال تعاني ويلات الحرب. وحتى الحياة في مدينة نيويورك، حيث كانت تتساءل أحياناً إن كانت تستطيع البقاء على قيد الحياة، تراءت لها أكثر أماناً وراحة ممّا تراه في أوروبا.

بفضل المرأة السوفيتية، تمكّنت سونام من الوصول بأمان إلى موسكو. توقّفت خدمات القطارات أو تأخّرت بسبب قصف السكن الحديدية، لكنّ بينما كانت سونام تعتني بالأطفال، وجدت المرأة وسيلة نقل أخرى. ردّت سونام لطفها من خلال رعاية الأطفال من كل قلبها.

عندما وصلت سونام أخيراً إلى هاربين، كانت تضجُّ بالعاطفة. الوقت الذي قضته هناك مع جانجهوي كان يتدفّق عبر قلبها مثل أمواج نهر سونجهوا كأنما الوقت لم يمرّ، ولو ذهبت إلى الغرفة حيث أقام في فوشياتيان، فسيكون هناك. تساءلت عن سيهوا، وتشوّقت أيضاً إلى رؤية الزوجين تشيون المسنين، لكن لا يزال أمامها طريق طويل لتقطعه.

كانت رسالة والد آيلينج والملابس الصينية مفيدة للغاية. وفقاً للرسالة، كانت سونام مهاجرة صينية من الجيل الثاني إلى الولايات المتحدة كانت متجهة إلى تشونجتشينج لزيارة جدّها المريض بدلاً من والديها المشغولين. عندما عرضت على الناس الرسالة التي تطلب منهم مساعدة مواطنة صينية، تجمّع الناس حولها مثل سرب من النحل وبدؤوا يتحدّثون مع عروض الدعم. وبفضل ذلك، عثرت سونام على مقعد في قطار محجوز بالكامل، وهكذا تبدّت أمامها وسيلة نقل من شأنها تقصير فترة التأخير، ومُنحت سونام غرفة يمكنها النوم فيها، كما شاركها السكان المحليون وجباتهم.

وصلت سونام إلى تشونجتشينج في الخامس من أغسطس. وبالنظر إلى المسافة الطويلة التي قطعتها، وحقيقة أنها كانت في زمن الحرب، فقد

كانت معجزة أنها استغرقت أقل من شهرين من السفر. نظرت سونام إلى المدينة من خلال عينين مغرورقتين بدموع الفرح، ومع ذلك، الانطباع الأول عن المدينة كان غير متوقع. كانت الشوارع مكتظة وفوضوية، وكانت المباني المؤقتة تبدو وكأنها قد أقيمت بشكل عشوائي، وكان الناس ممددين على الحصير، متناثرين حيثما يوجد بعض من الظل. تجرد الرجال والصبية من ملابسهم حتى الخصر، وكانوا صاخبين ومتسخين، ولم يكن هناك شيء اسمه نظام عام. كان الصينيون الذين يعيشون في الحي الصيني في مانهاتن من طبقة النبلاء بالمقارنة مع هؤلاء.

بسبب الحرارة الشديدة والرطوبة الخانقة، أخذت سونام تلهث وتتعرق حتى عندما كانت تقف ساكنة. في نظر الآخرين، كانت على الأرجح قذرة وشعثاء مثل الأشخاص الذين يرقدون على الطريق، لكن سونام سارت إلى الأمام بثقة.

كان المقر العام لجيش الإصلاح الكوري في وسط المدينة عبارة عن مبنى صغير مكون من ثلاثة طوابق على الطراز الغربي. وعندما اقتربت، وقد بدت مثل امرأة صينية ترتدي ملابس رثة، راقبها الحراس بأعين يقظة، وعندما دنت أكثر، حاولوا إيقافها.

تحدثت بصوتٍ على حافة البكاء: «أنا كورية. هل يوجد أي شخص يُدعى لي دونجيين هنا؟».

كان هذا الاسم الذي أخبرها جانجهوي أنه يستخدمه.

تزعزعت ثقتها فجأة: «ولكن هل سيلتقي شخصًا غير مهمٍ مثلي؟» ضحك جانجهوي، الذي كان يجلس بجانبها، مرتبكا إلى حد ما. كانت هذه المرة الأولى التي تسمعه يضحك فيها بعد ساعات من اجتماع شملهما.

قال: «من يجرؤ على القول إنك غير مهمة بعد أن قطعت نصف العالم حتى تأتي إلى هنا؟ سيكون سعيدًا بمقابلتك. سأذهب وأطلب إجراء مقابلة على الفور. في هذه الأثناء، ابق هنا، واستريح».

قالت سونام: «اعتقدت أنك قد تكون غاضبًا مني لأنني قطعت كل هذه المسافة».

قال: «مَن قال إنني لست غاضبًا! عندما أفكر أين نحن، ألم تخافي من المجيء بمفردك؟ ماذا لو حدث لك شيء؟ ماذا كنت سأفعل حينها؟».

تحدّث جانجهوي، وكأنه يوبّخها، لكن كل ما سمعته سونام هو اعترافه بمشاعره تجاهها. غمرتها مشاعر السعادة والراحة، وبدأت في البكاء، وقالت: «ومع ذلك، وصلت إليك بأمان، لذا ألسّت سعيدًا بقدمي؟».

قرّبت وجهها من وجهه، وابتسم جانجهوي وهو ينقر على جبهتها بإصبعه السبابة، كما لو كان يختبر ما إذا كانت مائلة أمامه بالفعل. ربما، مثلها، لم يصدّق أن شملهما اجتمع مرّة أخرى أخيرًا.

في وقت مبكّر من المساء، تبعّت سونام جانجهوي إلى مجمع الحكومة المؤقتة. وكانت نقاط توزيع المواد الغذائية على جانب الطريق مزدحمة بالناس، وقد أذهلها تنافر الأصوات وهم ينادون بعضهم بعضًا. انحنت مقتربة منه حتّى تتمكّن من سماعه وهو يشرح ما يجري في أثناء مرورهما.

قال: «بفضل طلب بايك بيوم، نحصل على حصصنا الغذائية دفعة واحدة. لا يتعيّن على الكوريين هنا أن يصطفوا بهذه الطريقة. وبدلًا من ذلك، يذهب مسؤولو تشونجتشينج إلى كل منزل ويسلمون الطعام إلى مواطنينا».

في البداية، اعتقدت سونام أن مقابلة رئيس الوزراء كانت دائمًا مجرد ذريعة للعثور على جانجهوي، لكنّ عندما اقتربا من المجمع، أدركت أن الأمر تخطّى ذلك. التفكير في أنها ستقابل رئيس الوزراء بنفسه، زعيم الحكومة المؤقتة، في حين كانت ترتجف سلفًا أمام الفيكونت هيونجمان. لا شرف أعظم من ذلك.

عندما دخلا البوابة، رأت الطريق يرتقي وصولًا إلى درج طويل يمتدّ بين المباني على كلا الجانبين. أوضح جانجهوي أن جميع المباني كانت تستخدمها الحكومة المؤقتة. ارتجفت ساقا سونام من شدّة الإثارة عندما صعدا الدرج لبلوغ مكتب رئيس الوزراء.

كان المكتب بسيطًا وليس واسعًا جدًّا، وكانت مروحة السقف تصدر حفيظًا في أثناء دورانها. استقبلها رئيس مجلس الدولة كيم جو، الذي كان

يرتدي نظارة مستديرة وسترة رمادية على الطراز الصيني، بابتسامة. وعندما ابتسم، تجعد وجهه. في الصور المنشورة في الصحف والمجلات، بدا خشناً وقوي البنية، لكنه على المستوى الشخصي كان مثل جد لطيف حنون.

عرفت سونام معنى لقب رئيس الوزراء، بايك بيوم. يعكس الاسم تواضعه من خلال النزول بذاته إلى مرتبة متواضعي الشأن مثل الجزارين (بايك) والرجال العاديين (بيوم)، وكذلك يعني أن الاستقلال الكوري لن يتحقق إلا عندما يكون لدى الكوريين العاديين قلب وطني مثل قلبه. كان بمنزلة تذكير بأن الأثرياء والمتعلمين ليسوا الوحيدين الذين يمتلكون القدرة على القيام بأشياء عظيمة.

بينما تكافح من أجل تهدئة نبض قلبها المتسارع، انحنت سونام تحيةً.

سألها: «أتيت من نيويورك؟ أنا سعيد لمقابلتك. ما اسمك؟».

تحدث رئيس الوزراء بلهجة ودية تخلو من أي سلطة.

أجاب جانجهوي نيابةً عنها: «هذه كيم سونام. تخرّجت في كلية بالولايات المتحدة، حيث ذهبت بمفردها للدراسة. كانت أيضًا نشطة بين الجالية الكورية التي تعيش في مدينة نيويورك. أعتقد أنني عرضت عليك الصحيفة من قبل».

كانت سونام متفاجئة وسعيدة لأن جانجهوي قد اهتم بحياتها، وأنه بدا فخورًا بها.

أومأ رئيس الوزراء، وقال: «نعم، أتذكر. وأتذكر كيف أتيت لزيارتي لأن ثمة شخصًا تريد حمايته. هل أنا على حق في التفكير أنك كنت تشير إلى هذه السيدة؟».

احمرّ وجه جانجهوي خجلًا، وتلعثم.

هل أنا الشخص الذي يريد حمايته؟

ابتسمت سونام، وسلّمت بكلتا يديها الأموال التي جمعتها الجالية الكورية إلى رئيس الوزراء. كانت الأموال التي حملتها ملفوفة حول خصرها حتى عندما أصيبت بطفح جلدي، حتى تحميها من النشالين واللصوص. ثم نقلت

شفهياً رسالة الاتحاد التي كانت تتلوها على نفسها في كل ليلة من رحلتها حتى لا تنسى ولو كلمة واحدة.

وعندما أتمت ذلك، قدّمت طلباً خاصاً بها: «أريد أيضاً أن أساعد جيش التحرير. من فضلك، عرّفني بأي شيء يمكنني القيام به».

رحّب رئيس الوزراء بمساعدتها قائلاً: «لقد جنّد رفيقنا شخصاً موهوباً للغاية. مررت بوقت عصيب، وأنا أرحّب بك هنا. سيكون بالتأكيد الكثير من العمل الذي يمكنك القيام به».

استدعى سكرتيره، وسلّمه التبرّع، وطلب منه أن يستخدمه بحكمة لأن الكوريين في أمريكا من أرسلوه. بعدئذ التقط ثلاثتهم صوراً، صورة مع سونام، والأخرى مع جانجهوي. في أثناء انتظار العشاء، قدّم رئيس الوزراء الشاي إليهما، وسأل سونام عن حياة مواطنيهم الأمريكيين، وعن الوقت الذي قضته سونام في الدراسة في الخارج، وماذا حدث عند عودتها إلى الصين.

في كل مرّة كان يتحدّث فيها بنبرة إعجاب أو مديح، كانت سونام تشعر وكأنها تفوز بجائزة. جلس جانجهوي بجانبها، وساعدها في الإجابة على أي أسئلة لم تفهما تماماً. من المحادثة، بدا أن بيك بيوم كان يعرف كل شيء عنها وعن جانجهوي، وأنهما كانا مقربين -مثل أب وابنه. معرفتها بأن جانجهوي امتلك شخصاً واحداً على الأقل كان بوسعه الاعتماد عليه، كان مبعث ارتياح لها.

وفي نهاية المطاف، وقف رئيس الوزراء وودّعهما: «للأسف، يجب أن أقول وداعاً بعد مدّة وجيزة من لقائنا. سوف أراكما مرّة أخرى بعد عودتي من شيان. في هذه الأثناء، يا آنسة سونام، استريحي وارمي بأعبائك على هذا الرفيق. وأنت أيها الرفيق، لا تتعامل إلا مع الأمور العاجلة، وبخلاف ذلك اقض وقتك مع الآنسة سونام».

عندما تورّد خدّاً جانجهوي، وحاول الرفض، بالكاد قاومت سونام الرغبة في قرص جنبه، ضحك رئيس الوزراء وقال: «هذا أمر صادر نيابة عن القائد الأعلى».

لاحقًا تناولا العشاء مع مسؤولي الحكومة المؤقتة. وسرعان ما أصبحت سونام مركز الاهتمام، وتعرضت لوابل من الأسئلة، كما لو كانت ممثلة كل كوري في أمريكا. سونام، التي تشجعت في أثناء لقاءها مع رئيس الوزراء، عبّرت عن آرائها بثقة. وبينما كانت تأكل وتتحدث مع أشخاص لم ترهم من قبل إلا في الكتب أو الصور، بدا أن حلمها في العمل من أجل تحرير بلدها قد تحقّق بالفعل.

بعد العشاء، خرجت سونام مع جانجهوي إلى الشوارع. في الوقت الراهن ستشغل سونام غرفة جانجهوي، وسيعيش جانجهوي في مسكن مشترك داخل المقرّ الرئيس. لكن في تلك الليلة، لم يرغب أي منهما في العودة إلى مسكنه. كان حي يوتشونج، حيث مقرّ الحكومة المؤقتة، المحور المركزي لمدينة تشونجتشينج. كان كلاهما يتعرّقان من درجات الحرارة المرتفعة، واعتذر جانجهوي كما لو كان ذلك خطأه، فقال: «الجو حارٌّ جدًّا، أليس كذلك؟ تُوصف المدينة أحيانًا بأنها واحدة من بين أعظم أربع مواقع في الصين. لماذا لا نذهب إلى ضفّة النهر؟ سيكون النسيم لطيفًا على بشرتنا».

بعد فصول الشتاء الرهيبة في الولايات المتحدة، فضلت سونام الحرّ على البرد. في مدينة نيويورك، كان الجو قارس البرودة بدرجة كافية للتجمّد حتى الموت، لكن هذه الحرارة لم تفعل شيئًا سوى أنها جعلتها تتعرّق.

وفي أثناء سيرهما، أخبرها جانجهوي عن الوضع في تشونجتشينج. تحرّكت الحكومة المؤقتة، التي تأسست في شنغهاي قبل ولادة سونام، ووفقًا لتيار الحرب الصينية اليابانية، متتبّعة خطى الحكومة الصينية، التي جعلت من هذا المكان عاصمتها في زمن الحرب. ذكر أنها قد مرّت خمس سنوات منذ أن استقرّوا في تشونجتشينج.

عانت تشونجتشينج، التي أصبحت عاصمة الحرب وتوسّعت بسرعة، نقصًا حادًّا في المساكن، والتلوّث. كان الناس يحرقون الفحم للتدفئة في الفترة من سبتمبر إلى أبريل، ما جعل نوعية الهواء سيئة للغاية لدرجة أنه قيل إن نصف سكان تشونجتشينج يعانون من السُّلّ. خلال تلك المدّة، توفيّ العديد من الكوريين بسبب أمراض الرئة، بما في ذلك الابن الأكبر لبيك بيوم. سألت وقد داهمها القلق فجأة: «هل أنت بصحّة جيدة؟».

قال: «وصلت متأخرًا قليلًا، لذلك أنا بخير».

كما لو كانت وحدها قد عاشت حياة مريحة، شعرت سونام بالأسف على جانجهوي والأعضاء الآخرين في الحكومة المؤقتة، جنبًا إلى جنب مع جنود جيش التحرير الذين يعيشون في أوضاع صعبة. وقد تشرّفت بأن تكون قادرة الآن على تقاسم هذا العبء معهم.

سألت سونام وهي تشير إلى شجرة تمتد جذورها فوق الجدار: «كيف تنمو تلك الأشجار دون أن يكون لها جذور في الأرض؟»، وانتابها الفضول تجاهها منذ وصولها إلى تشونجتشينج.

- غريبة، أليس كذلك؟ يُطلق عليها اسم التين الخانق، وهي عازمة بشدة على البقاء لدرجة أن أي جذع سيصبح جذرًا إذا لامس سطحًا صلبًا. في كل مرة أرى واحدة منها، أتذكرك.

أصبح وجه سونام مشرقًا مثل زهرة ماغنوليا، وقالت: «إنها شجرة تبدو وكأنها تنمو في كل مكان هنا، إذن فهذا يعني أنك كنت تفكر بي كثيرًا!».

قال: «لم أقل إنني أفكر بك، قلت إنها تشبهك. هل نسيت اللغة الكورية في أثناء دراستك الإنجليزية؟». تحدّث جانجهوي بسرعة كما لو كان يحاول إخفاء إحراجة.

أجابت سونام بابتسامة ساطعة: «أنت تعلم أنه الشيء نفسه».

استمرّ جانجهوي في الإشارة إلى الأشياء في أثناء سيرهما، وإخبارها عن سبب قدومه إلى تشونجتشينج: «عندما كان المقر العام في شيان، تدرّبت وشاركت في الكفاح المسلح. جندت أيضًا الكثير من الأفراد. يعدّ العثور على تعزيزات جديدة من أهمّ مهامّ جيش التحرير. منذ أن انتقل المقر الرئيس إلى هنا، وأنا أعمل في مكتب التعليم والتدريب».

- ماذا تفعل هناك؟

- إنه سرّ، لكنني سأخبرك به عندما نكون على انفراد. يتضمّن تدريب المجنّدين الجدد.

كان الأمر كما لو أن السنوات الست التي أبعدهما قد تبخّرت. شعرت سونام وكأنهما يسيران في شوارع تشونجتشينج بعد عودتهما من الرحلة إلى

بحيرة بايكال. وتذكّرت أن كل منهما أمسك يد الآخر في القطار المتجه إلى مانتشولي. تاقّت إلى استئناف تلك اللحظات من حيث توقّفًا، وأن يمسك كل منهما بيد الآخر مرّة أخرى.

واصل جانجهوي قصّته: «دوري الرئيس هنا إعداد كتيّبات حول جيش التحرير، وتعزيز العلاقات العامّة، وتدريب المجنّدين الجدد. لكنني أكتب أيضًا الخطب، ومسوّدات الوثائق للحكومة المؤقتة. أنا أعمل من أجل كليهما، إذا جاز التعبير».

لم تكن سونام تُولي اهتمامًا كاملًا لما يقوله، حيث خطر في ذهنها فجأة شيء قاله رئيس الوزراء كيم غو.

سألت: «لكن هل انضممت حقًا إلى جيش التحرير لحمايتي؟».

كانت عيناها تتلألأ في الظلام.

التفت إليها، وتردّد قبل أن يجيب: «من يحمي من؟ رؤيتك هنا؛ يبدو كما لو أنك تحمينني. لكن ما الذي دفعك إلى فكرة القدوم من أمريكا في وقت كهذا؟ من حسن حظك أنك وصلت بالسلامة. لو حدث شيء سيئ لك، لكنتُ...». بتر جانجهوي عبارته.

سألت سونام: «لكن ماذا؟».

بدلًا من الردّ، غيّر الموضوع قائلاً: «يجب أن نعود حتّى تتمكني من الراحة. ولديّ عمل للحاق به». استدار جانجهوي على امتداد الطريق المؤدّي إلى النهر وبدأ المشي بوتيرة سريعة. سارعت سونام من خطواتها لمواكبته. رافقها حتّى باب غرفته، وطلب منها أن تقفل الباب وتنام جيدًا، ثمّ استدار ليغادر.

أمسكت سونام بذراعه، وقالت: «انتظر!».

توقّف، ثمّ تبعها إلى داخل الغرفة المظلمة، مثل حديد ينجذب إلى مغناطيس. أغلقت الباب. استدارت وعانقت جانجهوي بشدّة مقابل جسمها. استنشقت رائحته المعجونة برائحة العرق. يبدو أن صوت قلبيهما النابضين متناغمًا، ووجد كل منهما شفّتي الآخر في اللحظة ذاتها. كبرت البنت والولد، وكانا الآن في الخامسة والعشرين والثلاثين. الرجل الذي قمع

مشاعره منذ ست سنوات لم يعد يستطيع إخفاءها. نحيا جانباً كل ما يقف في طريقهما، وتوجَّها إلى السرير الصغير.

لم تستيقظ سونام حتى مساء اليوم التالي، حيث غمرها الإرهاق الناتج عن رحلتها، دفعة واحدة. لأول مرة، بدت أحلامها وحياتها حلوة على حدِّ سواء، وعندما فتحت عينيها لأول مرة، تساءلت إن كان مسح جانجهوي لعرقها، وتهويتها، وتمشيط شعرها جانباً، حقيقة أم لا. عندما نهضت من السرير، شعرت بالارتياح عندما وجدت أنها كانت بالفعل في غرفة جانجهوي وأن أحداث الليلة السابقة لم تكن حلمًا. ابتسمت عندما رأت آثار تلك الليلة جلية في المناشف والمراوح والطعام فوق المكتب.

في تلك الليلة، ذهبت سونام وجانجهوي في نزهة على ضفاف النهر مرة أخرى. على الرغم من أن الجو كان حارًا، فإن كلاً منهما أمسك بيد الآخر. راح نهر يانجتسي يجري عبر وسط المدينة ماضيًا حتى شنجهاي. حتى في الصمت، كانت الكلمات في قلب كل منهما تتدفق إلى قلب الآخر مثل تيار النهر؛ عشقهما، حكاية تمتدُّ لما هو أطول من نهر يانجتسي، أطول نهر في آسيا. وكانت سونام وجانجهوي يضغط كل منهما على يد الآخر أحيانًا بدلًا من التحدُّث، إذ جعلت الذكريات المستمدة من هذا التيار من العواطف الرابطة بينهما أكثر ثراءً وقوة.

لاحقًا، عندما عادا إلى غرفته، أمسك جانجهوي بيدها، وجلس بجانبها على السرير، وقال: «سونام، تعوزني الكثير من الأمور، وهناك القليل جدًا الذي يمكنني فعله من أجلك. حتى هذه الغرفة المتواضعة مُنحت لي، ولم أدفع ثمنها بمفردي، ومن غير المرجح أن يتغيَّر هذا في المستقبل القريب. تشونجتشينج مكان صعب العيش فيه. هل أنت متأكَّدة من أنك تريدين البقاء بجانبني؟».

ملأت الدموع عيني سونام وهي تومئ برأسها بقوة: «لا يهمُّ. ما دمتُ معك».

قال جانجهوي، عيناها دامعتان أيضًا: «إذن كوني زوجتي».

وبدلاً من الإجابة، ضغطت شفثيها على شفثيه.

حجم السرير الذي بدا صغيراً جداً كان مثالياً عندما استلقيا متجاورين. أخذ جانجهوي يداعب الندبة الموجودة على كتف سونام، وهي كل ما تبقى من وقت إطلاق النار عليها في أثناء هروبها من اليابانيين. كلما كان الجو بارداً، شعرت سونام برعشة مكان الندبة أولاً، وتعرف متى تمرض عندما يجتاح الألم الندبة، لكن عندما لمست شفثاه الندبة، شعرت كما لو أنها سُفِيت. رفع شفثيه من فوق كتفها، وقال: «بمجرد عودة رئيس الوزراء، سنخبره ونقيم حفل زفاف بسيط».

قرصت سونام صدر جانجهوي.

تظاهر بالتأوه.

ضحكت، وقالت: «إذن، هذا ليس حلماً. شكراً لاقتراحك الزواج. إن لم تبادر بذلك، كنت سأفعل».

- حقاً؟ سيتعين عليّ التحقق إن كان هذا حلماً أم لا أيضاً.

دغدغ كل منهما الآخر، وضحكا مثل طفلين.

قال جانجهوي: «كما تعلمين، أتساءل إن كان مسموحاً لي أن أكون سعيداً إلى هذه الدرجة خلال مثل هذا الموقف الصعب الذي يعيشه الكثير من الناس».

سماح أنه سعيد، أسعد سونام بدورها، التي قالت: «أنت تعمل بجد، وتستحق السعادة. سأعمل بجد أيضاً، وعندما نتزوج، سنكسب ما يكفي قوت يومنا، حتى نتمكن من دعم جيش التحرير والحكومة المؤقتة».

دفعت نبرة سونام الحازمة جانجهوي إلى الابتسامة، وسأل: «إذا سمعك رئيس الوزراء، فسوف يقول (الزواج شيء جيد). لكن ماذا ستفعلين لكسب المال؟».

قالت: «لا تنس أنني حصلت على شهادة جامعية من الولايات المتحدة. علاوة على ذلك، بما أنني معك، لا يوجد شيء لا يسعني فعله. في البداية، أريد العثور على وظيفة معلّمة لغة إنجليزية».

عبس جانجهوي وقال: «ليت الشهادة تحمل اسمك بدلاً من تشيريونج».

قالت: «إنه أمر مؤسف، لكن لا مناص من ذلك. لا بأس ما دمتُ أعرف الحقيقة».

بدءًا من اليوم التالي، أرسلت سونام جانجهوي للعمل في مكتب المقرّ الرئيس، وتجوّلت في المدينة بمفردها بحثًا عن وظيفة. إن كانت ستعيش هنا، فهي تريد أن تعرف كيف تجد طريقها. وإلا فإنها قد تكون عبئًا على زوجها؛ رسمت تلك الفكرة ابتسامة على محياها. على الرغم من أن حفل الزفاف لم يُقم بعد، فإن سونام تعدُّ نفسها زوجته بالفعل.

في الساعات التي لم تقضها سونام في البحث عن وظيفة، عملت بجدّ في تزيين الغرفة الصغيرة التي أصبحت منزلها الأول معًا. تأكّدت من غسل الفراش بانتظام، وأن الغرفة كانت نظيفة وتفوح منها رائحة الزهور الطازجة التي قطفتها واستعملتها ديكورًا. أخذت أيضًا الصورة التي التقطتها معًا، والتي كان يستخدمها كإشارة مرجعية في كتابه، ودسّتها في الإطار حيث احتفظت بصورتها الخاصّة، ووضعتها فوق المكتب.

جميع الحقوق محفوظة ©



أمسح الكود وانضم لأسرة ضاد
<https://t.me/twinkling4>

الفصل الثاني والعشرون

زمن لا يتوقف (1)

كانت سونام قد فردت للتو اللحاف المغسول حديثاً وفرشته على السرير، عندما انفتح الباب فجأةً واندفع جانجهوي إلى الداخل، كان تعبير غريب يعلو وجهه.

سألته بذهول وقلق: «ما الأمر؟ ماذا حدث؟ هل هي غارة جوية؟». بدلاً من الإجابة، احتضنها جانجهوي بشدة لدرجة أنه حبس أنفاسها، الأمر الذي زاد من قلقها، فسألت مرةً أخرى: «ما الخطب؟ ماذا يحدث؟». حرّرها جانجهوي من بين ذراعيه، وأخذ يدها بدلاً من ذلك، ونظر إليها بعينين حمراوين دامعتين.

كان صوته يرتجف وهو يتحدث: «سونام، انتهى الأمر. استسلمت اليابان!».

في يوليو، اجتمع زعماء الولايات المتحدة وبريطانيا والاتحاد السوفييتي في بوتسدام بألمانيا لمناقشة الخطط الخاصة بمستقبل الدول المهزومة. وعندما كانوا يناقشون القضايا اليابانية، حضر أيضاً زعيم الحزب القومي الصيني شيانغ كاي شك. وخلصوا إلى أن هزيمة اليابان كانت بالفعل حقيقة واقعة، وأكّدوا استقلال المستعمرات اليابانية، بما في ذلك كوريا. ومع ذلك،

فقد رفضت اليابان إعلان بوتسدام، وواصلت القتال حتى أُلقت الولايات المتحدة قنبلتين ذريبتين على هيروشيما وناجازاكي. وبالرغم من عدم صدور إعلان رسمي بعد، فقد تسرّبت أخبار الاستسلام من خلال مكتب الرئيس شيانغ كاي شِك.

ذهلت سونام. كان الأمر مبالغًا بالنسبة إليها حيث لم يمضِ على وجودها في تشونجتشينج سوى خمسة أيام، وكانت تتصوّر مستقبلًا يناضلان فيه معًا من أجل التحرير الذي تحقّق أخيرًا. غمرتها السعادة لأن حلمها بالعودة إلى كوريا المستقلّة مع جانجهوي يمكن أن يتحقّق، لكنها شعرت بخيبة أمل لأنها لم تكن قادرة على القيام بدورها.

عاد رئيس الوزراء كيم جو بالطائرة في اليوم التالي. على الرغم من أخبار تحرير كوريا، لم يبدُ بيك بيوم مبهجًا. وفي رأيه، كان من المؤسف للغاية أن الحرية قد تحقّقت بواسطة قوة عسكرية تابعة لدول الأخرى، لا من خلال جيش التحرير الكوري، الذي وُجد لهذا الغرض بالتحديد. كان جيش التحرير يقاتل اليابانيين جنبًا إلى جنب مع الصين، ومنذ وقت ليس ببعيد، بناءً على طلب قوات الحلفاء، أرسلوا بعض أعضائه إلى ساحات القتال في الهند وبورما. وكان السبب وراء زهاب رئيس الوزراء إلى شيان مناقشة العمليات المشتركة مع الجيش الأمريكي. أكملت القوات الخاصّة لجيش التحرير استعداداتها كلها، وأخذت تنتظر الأوامر بالتسلّل إلى شبه الجزيرة الكورية، وهزيمة اليابانيين واستعادة وطنهم.

ثمّ استسلمت اليابان.

وعندما تحقّق التحرير دون أن يبذلوا أي جهد، ضاربًا بأشهر وسنوات من التخطيط عرض الحائط، انتاب بيك بيوم القلق من أن صوت كوريا في المجتمع الدولي سوف يضعف، وكان على حق. نتيجة لتحرير بلادهم من قبل القوى الأجنبية، سوف تُقسّم شبه الجزيرة الكورية إلى شمال وجنوب، تحت إشراف الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة، على التوالي.

مضت الحكومة المؤقتة والمقرّ العام لجيش التحرير قدمًا في عودتهما المخطّط لها إلى كوريا. وبغضّ النظر عن كيفية حدوث ذلك، كان تحرير البلاد هو الشيء الذي حلموا به، وكان وطنهم المكان الذي يتوقون جميعًا

إلى العودة إليه. ومع ذلك، حتى الانتهاء من تشكيل حكومة رسمية، أكد الجيش الأمريكي أنه الهيئة الحاكمة الوحيدة في كوريا الجنوبية ولن يسمح لأعضاء الحكومة المؤقتة أو جيش التحرير بالرجوع بصفته منظمة وجيش دائم. سواء كان رئيس الوزراء أو القائد الأعلى، لم يُسمح بالدخول لأي منهما إلا بصفته مواطناً كوريًا وكفى. عقدت الحكومة المؤقتة اجتماعات كل يوم حول رجوعهم إلى الوطن وخططهم للمستقبل. في مثل هذا الوضع الفوضوي والمعقد، كان من المستحيل طرح مسألة حفل زفاف جانجهوي وسونام. قال جانجهوي: «الأمر أفضل بهذه الطريقة. يمكننا أن نتزوج رسمياً في سيول. وحتى من دون حفل، نحن بالفعل زوجين».

اطمأنت سونام عندما سمعت كلماته تؤكد تلك المعلومة، على الرغم من أنهما كانا بالفعل زوجًا وزوجة في مخيلتها. بينما جهزت سونام حقيبتها الصغيرة بعناية وأتمت استعدادها للرجوع إلى الديار، لم يكن بوسعها إلا أن تشعر بالتوتر بشأن مستقبلهما. كان من الواضح أنه بصرف النظر عن مدى تغير العالم، فلن يسمح الفيكونت لها بالزواج من ابنه. كان ثمة اختلاف في الطبقة، وعلاوة على ذلك، فقد حنثت بوعداها وهربت من كتيبة النساء. ولو أن تلك الحادثة سببت له أي مشكلة، لوجدت نفسها في موقف عدوّه. حتى لو سارت الأمور على ما يرام، وسمح الفيكونت لهما بالزواج، فإن مجرد التفكير في أن الليدي جواك هي حماتها كان مرعبًا. وكيف ستكون ردة فعل تشيريونج تجاهها بصفقتها أخت زوجها؟ لم يكن بوسعها إلا أن تتساءل عما إذا كان من الأفضل لو بقيا في الصين.

في تلك الليلة، حلمت بأن الفيكونت طردها، وانفصلت عن جانجهوي فيما تبكي. هزها جانجهوي حتى أيقظها لكنها لم تستطع التوقف عن البكاء واعترفت بمخاوفها. عانقها بقوة وتحدثت بهدوء: «ليس هناك ما يدعو للقلق يا سونام. لم يعد أبي الفيكونت الرفيع الذي كان عليه سابقًا. ليس له الحق في النظر إليك بازدراء أو إلقاء اللوم عليك على الهروب. إذا لم يوافق عليك، فسوف أتبرأ منه، وأبقى معك. أنت الوحيدة التي لا أستطيع العيش من دونها».

قررت القيادة العامة لجيش التحرير رفض مطلب عودة أعضائها كأفراد. وبدلاً من ذلك، غيّرت مهمتها لتصبح الجيش المؤسس للبلد المحرر، ودفعت من أجل الدخول الرسمي على هذا النحو. كان هناك العديد من الشباب الكوريين الذين نشأوا في الصين، بالإضافة إلى الكوريين الذين جلبهم جيشهم إلى اليابان. وكانت الخطة تهدف إلى استيعاب هؤلاء الأشخاص في أثناء تحويلهم إلى القوات المسلحة للحكومة الجديدة التي سيشكلونها رسمياً. تفاوض رئيس الوزراء كيم جو مع الرئيس تشيانج كاي شيك، الذي وافق على بقاء جيش التحرير وتوسيع نطاق عملياته. وُزِعَ ضباط وأعضاء جيش التحرير على المدن الكبرى لتنفيذ أنشطة التوسع، وعُيِّنَ جانجهوي في شنجهاي. كانت سونام سعيدة سرّاً لأنه لم يضطرّ إلى الرجوع إلى كوريا في أسرع وقت ممكن. عرفت أنه وحتى لو كان إلى جانبها، فإنها لن تكون مرتاحة لو قطع علاقته مع عائلته بسببها. أرادت تأخير لَمّ الشمل، ولو لمدة قصيرة.

اختارت سونام عدم الذهاب مع جانجهوي إلى شنجهاي، وبدلاً من ذلك قرّرت البقاء في تشونجتشينج لمساعدة الحكومة المؤقتة، التي كانت بحاجة إلى المزيد من المترجمين الفوريين للتواصل مع الجيش الأمريكي.

وقبل مغادرته، استدعى رئيس الوزراء جانجهوي، وأبلغه بوفاة والديه. كان موت خائن للأمة أمراً يستحق الاحتفال به، لكن بسبب معرفته بجانجهوي، كانت تعابير وجهه حزينة.

قال الرئيس: «أنا آسف لأنه مات بهذه الطريقة. مرّ شهر بالفعل على موته، ويبدو أن الوضع داخل الأسرة فوضوي. إذا كنت ترغب في العودة إلى الوطن في الحال، فسوف أعفك من مهمتك وأساعدك في العثور على وسيلة للسفر».

أعقب ذلك صمت. تصدّع صوت جانجهوي عندما أجاب أخيراً: «شكراً لك، لكن لا. كم من الناس هنا فقدوا أفراداً من عائلاتهم؟ مثلك. سأعود إلى كوريا بعد إكمال مهمتي بصفتي عضواً في الجيش المؤسس».

حين استيقظت سونام في منتصف الليل، تحسّست المساحة الفارغة بجانبها، ونظرت إلى الأعلى لتجد جانجهوي يبكي بهدوء في الزاوية. تظاهرت بالنوم، لكن قلبها انفطر على حبيبها الذي لم يستطع أن يحزن علانية على وفاة والده. بينما كان والداه على قيد الحياة، كان بإمكانه أن يكرههما بحرية، لكنه الآن علم بوفاتهما متأخرًا، ومن الطبيعي أن يشعر بالحزن والاستياء بصفته ابنهما.

وفي اليوم التالي، أخبرت جانجهوي أنها ستعود إلى كوريا أولاً. في مواجهة الموت، اختفى استياؤها وخوفها من الفيكونت والليدي جواك. أوقفها جانجهوي بصوت ثقيل: «لماذا تذهبين وأنت تعرفين الوضع؟ لا يوجد سبب يدفعك إلى المغادرة الآن، ولا يستحق الأمر المعاملة المجحفة التي من المحتمل أن تتلقاها. انتظريني، وسنذهب معًا عندما تنتهي مهمّتي».

قالت: «بصفتي زوجتك، هذا واجب عليّ فعله. سأقدم نبيذًا عند قبر والديك، وأخبرهما عنّا. وإن كانت السيدة الشابة قد عادت، فكم سيكون من المحزن والمخيف أن تكون بمفردها في قصر جايهوي-دونج. سأعتني بها وأنتظر».

كانت سونام عنيدة في قرارها. على الرغم من رحيل والدي جانجهوي، فإنها تستطيع الاعتناء بتشيريونج -قريبته الوحيدة المتبقية- ليس بصفتها خادمتها، لكن بصفتها أخت زوجها الكبرى.

حدّقت تشيريونج إلى شهادة تخرّج سونام، التي أخرجتها سورين، قائلة إنها لم تتذكّرهما إلا متأخرًا. سورين وضعت الأوراق التي وجدتها مخبأة في ملابس سونام في مكان آمن، ثم نسيتها. الاسم الموجود على شهادة التخرّج لم يكن كيم سونام، بل تشيريونج يون. رؤية الشهادة بأعينها كان مختلفًا عن سماع سونام تتحدّث عن الذهاب إلى الكلية. الاسم الموجود على الشهادة كان تشيريونج، لكن الذكريات لم تكن ملكها. وبدلاً من ذلك، اندفعت إليها العشرات، بل المئات، من الذكريات التي رغبت عنها، أشواكها الحادة تجرحها.

كانت الشوكة الأكثر إيلاما يوريكو؛ الطفلة التي لطالما نظرت إليها بعينين عدائيتين. كيف ستتذكّر أمها؟ ثم فكّرت في الابن الذي فقدته. تراءى

عندما رأت تشيريونج شاهد القبر المنهار وتلال دفن والديها متهدّمة جزئياً، انهارت. شعرت بصدمة أكبر ممّا شعرت به عندما رأت لأول مرّة أن منزلها قد أصبح مقرّاً إقامة للحكومة العسكرية الأمريكية. سارع خالها وابن خالها إلى تنظيف المكان بأفضل ما في وسعهما وتجهيز مائدة القرابين. تحرّكا بسرعة، على الأرجح خوفاً من أن يلاحظهما شخص ما ويبدأ الصراخ مرّة أخرى.

كانت تشيريونج بائسة. كان من الصعب قبول حقيقة أن الإرث الوحيد الذي تركه لها والدها هو وصمة العار لكونها ابنة خائن وطنه. أولاً، قدّمت النبيذ أمام قبور أجدادها الذين لم تلتقيهم قط. ثم، عندما وقفت أمام قبر والديها، حيث دُفنا معاً، غمرها طوفان من الندم.

غمغمت: «أبي، أمي، تشيريونج هنا». لم يسبق لتشيريونج أن رأت والديها يتصرّفان بمودّة معاً. بالنسبة إليها، كان المنزل الرئيس مثل كهف مظلم يتربّص فيه دبٌّ شرّس. ومن ناحية أخرى، كان المبنى الملحق مكاناً تتفتح فيه الزهور في ضوء الشمس الدافئ الساطع، ويسبح سمك الشبوط الملون في البركة. عاش والداها كل منهما منفصلاً عن الآخر وسط أجواء قاسية. كانت تتوق إلى الهروب من المنزل الرئيس والانضمام إلى المبنى الملحق. كان والدها يستدعيها دائماً لمقابلته في المبنى الملحق، ولم يذهب قط إلى المنزل الرئيس. ربما لهذا السبب كرهتها أمها. هل كانت تغار من ابنتها لاحتكارها الحب الذي كان ينبغي أن يُظهره لها زوجها؟

حاولت تشيريونج الهروب من المنزل الرئيس، لكنها لم تحاول قط فهم حياة الليدي جواك كأم -كامرأة. عندما صارت أمّاً أيضاً، أحسّت بعاطفة غريزية تجاه أمها، لكن من بين أسباب مغادرة تشيريونج الولايات المتحدة، كان الخوف من أن تصبح مثل والدتها، التي كانت مشاعرها تجاهها أقرب إلى الكراهية منها إلى التفاهم أو الحب. ولم تدرك إلا عندما وقفت أمام قبرها، أن أمها عاشت مع نفسها محبوسة داخل جسد كان متورّماً بالوحدة والجراح المتراكمة.

وجدت اسم والدتها على شاهد القبر المنهار: جواك سيم. حقيقة أن لأمها اسم أيضاً بدت غريبة، كما لو كانت تسمعه لأول مرّة. لم يكن ثمة فرق بين

والدتها التي عاشت واسمها منسي، وبينها التي عاشت تحت اسم شخص آخر.

ابتسمت تشيريونج بحزن: «أمي، هل أنت سعيدة لأنك ترقدين بجوار أبيابا؟ من فضلك، سامحيني لأنني لم أكن ابنة صالحة مطلقاً».

على الرغم من أنها شعرت بالسوء كابنة، فلم يكن لديها ما تقوله لأُمها، وتحولت نظرتها إلى أبيها في قبره: «أبي، كيف يمكنك أن تتركنا هكذا؟ حتى لو كنت مدمراً، كان عليك أن تنتظرنني. ألم تكن مجبراً على قبول ضغائني ومظالمي بشأن الحياة التي نفيتني إليها؟ ما الحب الذي أظهرته لي؟ عندما أنظر إلى الورا، أدرك الآن أنك كنت تقدرني مثل طائر في قفص. بالطبع، كنت طائراً ثميناً، لا مثيل له. كنت قوية ومرتاحة في القفص الذهبي. ولم أدرك حتى إن أطراف أجنحتي قد قُطعت».

أحبّ الفيكونت هيونجمان تشيريونج، لكن المبنى الملحوق كان ملكاً لجانجهوي، حتى بعد أن قضى حياته البالغة في معارضة العائلة. الاستياء والحزن أظلما وجهها: «حتى في أثناء دفني تحت اسم شخص غريب وإرسالي عبر البحر، انتظرت عودة جانجهوي، بصرف النظر عن الظروف. أجبرتني على الزواج من شخص لا أحبه. بالطبع، كنت تعتقد أن هذه أفضل وسيلة بالنسبة إليّ. لو لم تفعل ذلك، لا أعرف نوع الصعوبات التي كنت سأواجهها. أعترف أنه كان حباً بالنسبة إليّ، وكان خياراً اضطررت إلى اتخاذه. لكن لو بقيت هنا، على الأقل لن يكون لديّ ذكريات أنا مستعدة للموت حتى أمحوها». ابتلعت تشيريونج دموعها المتصاعدة. كانت عيناها حمراوين، ووجهها شاحب.

واصلت غمغمتها: «الآن حين أفكر في الأمر، أدرك أنك لم تفهمني أو تقبلني قط. اكتفيت بالمشاهدة يا أبي. ماذا لو لم تربيني مثل طير في قفص، بل وثقت بي قليلاً وتعرّفت عليّ؟ لو فعلت ذلك، لما كنت أقف أمام قبر والديّ المسكينين. ولم يكن لديّ مثل هذه الذكريات المؤلمة. انهارت الآن العائلة التي كنت تريد حمايتها حتى بعد التخلي عن ابنتك. لكن الآن، سأبني العائلة من جديد. بهذه الطريقة أمل أن أمحو الذكريات التي تركتها لي. فقط شاهدني يا أبي».

عندما أنهت خطابها الطويل، انحدرت دمعة واحدة على خدّ تشيريونج. تنحّت جانباً، وقدم أقارب والدتها قرابين رسمية من النبيذ عند القبر. عندها فقط سُمح لسونام بالتقدّم لتحنني، لكنّ قبل أن تتمكن من قول أي شيء، قدّمتها تشيريونج إلى أبويها: «هذه سونام. عادت الآن. إنها في حالة جيدة، لذا لا تقلقا».

بعد عودتها إلى المنزل، بدأت تشيريونج، التي كانت مستغرقة في تفكير عميق لعدّة أيام، في وضع المكياج. وتذكّرت كيف أن جونباي، عندما أصرّت على العودة، اشترى لها تذكرة وألقاها أمامها. ولم يعتذر مطلقاً عن ضربها. تصوّرت جونباي ويوريكو ومارينا وهُم يلعبون ويضحكون. حتّى من دونها، اعتقدت أن ثلاثتهم سيظلون يبتسمون ويعيشون بهناء.

قرّرت تشيريونج محوهم وكل ما حدث في سان فرانسيسكو من حياتها. لم تتزوَّج قط من رجل ياباني. لم يكن لديها طفلة قط. لم يكن هناك سوى شخص واحد في كوريا، سونام، التي عرفت كل شيء، ولم ترغب في التحدّث. أخرجت تشيريونج أفضل ملابسها من صندوقها، وارتدتها. عندما غادرت أمريكا، لم تأخذ معها سوى ملابسها. ذهبت إلى المبنى الملحوق الذي كان يشغله رجل يدعى العقيد روبرت. اصطحبوها إلى ما كان مكتب والدها، حيث التقته.

سألها: «من أنت؟».

قالت: «أنا صاحبة هذا المنزل».

مال العقيد مقابل مسند ظهر مقعده: «قيل لي إن صاحب هذا المنزل قد مات بالفعل. وأنه تواطأ مع اليابان، وبالتالي صودرت الممتلكات».

حافظت تشيريونج على وقفها المستقيمة في أثناء حديثها: «كان هذا والدي المتوفّى. وكان مضطراً إلى التعاون مع اليابان. ولو كان مؤيداً حقيقياً لليابان، فكيف كان له أن ينجب ابناً في حركة الاستقلال؟ أو ابنة كادت أن تدخل السجن لدعمها رجلاً في حركة الاستقلال؟ كان كل ذلك ممكناً لأن والدي كان يدعمنا سرّاً».

- وأنتِ تلك الابنة؟

- نعم. ولإنقاذي، اضطرَّ والدي إلى إرسالني لأكون «امرأة متعة» لليابانيين. لكنني هربت وذهبت إلى نيويورك للدراسة. ناضلت بشدَّة أيضًا من أجل الاستقلال في نيويورك. كنت في جانبكم في القتال ضد اليابان.

وضعت تشيريونج شهادة سونام الجامعية ومقالاً من صحيفة مجلس الطلاب الكوريين في نيويورك على المكتب. نظر العقيد فيها. كانت لغة تشيريونج الإنجليزية لها لهجة الساحل الغربي بدلاً من لهجة الساحل الشرقي، لكن هذا لم يكن مهمًا. عقدت ذراعيها وقالت: «طهرَّ أبي نفسه من أثامه بالانتحار، على الرغم من أنه أتاحت له فرص كثيرة لإنقاذ نفسه. ما الذي يمكن أن يكون أعلى من الحياة؟ أليس هذا ما يبقى بعد دفع ثمن الذنوب؟ أعتقد أن الاستيلاء على ممتلكاته أمرٌ قاسٍ وغير عادل. والآن بعد أن عدت، المالكة الحقيقية، أرجو إعادة ممتلكاتي إليّ».

كانت نبرة تشيريونج قريبة من الأمر. عندما علم العقيد روبرت أنها تعيش مع مربيتها العجوز في مسكن الخادمت، عرض عليها إخلاء المنزل الرئيس أولاً، ثمَّ إعادة جناح الرجال تدريجيًا. في المقابل، عرضت تشيريونج التخلي عن المبنى الملحوق. دعا العقيد تشيريونج لتصبح مترجمة وسكرتيرة له، ولم يكن لديها أي سبب لرفض الاقتراح. في الوقت الحالي، كانت القوة المهيمنة في كوريا هي الجيش الأمريكي.

وسرعان ما أُخليَ المنزل الرئيس. شاهدت كل من سونام وسورين بفخر تشيريونج، التي استعادت منزلها، وهي تنتقل إلى غرفة نوم الليدي جواك. أعطت الغرفة الأخرى التي كانت في السابق ملكها لسونام وسورين، وأُجرت الغرفة السبع في مسكن الخدم. بعد التحرير، تغيَّر اسم كيجو الذي أطلقه الإمبرياليون اليابانيون على العاصمة الكورية إلى سيول. ولأن العديد من الكوريين كانوا عائدين من منشوريا أو بلدان أخرى، كانت أزمة الإسكان في سيول حادَّة للغاية.

نجا الأشخاص الذين ليس لديهم مكان يذهبون إليه من خلال بناء أكواخ تحت الجسور أو العيش في ملاجئ الفارات الجوية التي حفرتها اليابان، وحتى من خلال حفر الكهوف في الجبال. استعادت البلاد استقلالها وتغيَّر

اسم المدينة، لكن بعض الأمور لم تتغير؛ استمرَّ الأثرياء في الازدهار، وأولئك الذين لم يكن لديهم شيء استمرُّوا في المعاناة. وكان المواطنون العائدون في كثير من الأحيان محتقرين، إذ تحوَّلوا إلى متسولين، أو لصوص، أو رجال عصابات.

وحنَّت تشيريونج بشدَّة السمسار على اختيار الأشخاص الذين سيدفعون الإيجار في الوقت المحدد، وتقديمهم بعناية. أصيبت سورين بخيبة أمل عندما لم تُدمر حياة تشيريونج في نهاية المطاف.

يبدو أن عائلة يون ستستعيد قريبًا ازدهارها السابق وكأن شيئًا لم يحدث. الانتقام الذي وضعته جانبًا للحظة أطلَّ برأسه من جديد. فقدت ابنيها، وعلى الرغم من أنها كانت على قيد الحياة، فإنها شعرت بأنها ميتة في الداخل، فيما كان الفيكونت هيونجمان مستلقيًا بشكل مريح على الأرض ويشاهد ابنته تجمع ثروات الأسرة مرَّة أخرى.

أول شخص لاحظ حَمْل سونام كانت سورين، التي شاركتها الغرفة. سونام، التي لم تفقد شهيتتها قط تحت أي ظرف من الظروف، لم تستطع تناول الطعام وفقدت طاقتها بسهولة. وجهها، الذي أصبح مستديرًا تدريجيًا بعد عودة تشيريونج، أصبح شاحبًا مرَّة أخرى.

سألته سورين: «سونام، هل تدركين ما يحدث لجسدك؟».

هزَّت الفتاة رأسها وتنهدت: «طاقتي تتقلَّص، وأعتقد أنني سأموت».

ابتسمت سورين ووصفت سونام على ظهرها: «أيها الحمقاء، فكَّري في عدد الأطفال الذين كان من الممكن أن تنجبينهم في عمرك هذا لو كنت متزوجة، وما زلت لا تعرفين ما يحدث؟ أنت حامل. تأخرت دورتك الشهرية، أليس كذلك؟».

للحظة، بدت سونام فارغة، كما لو كانت على وشك الإغماء، ثمَّ حلَّ محلُّه تعبير يأس وخوف.

سألت سورين وهي تطلق لسانها: «لمن هو؟».

كان الأمر واضحًا، لكن كان عليها أن تسأل.

سألت تشيريونج سورين عندما أحضرت المرأة فطورها: «ما خطب سونام؟»، وطوّت الصحيفة الإنجليزية التي كانت تقرأها. لاحظت أنها لم ترها منذ عدّة أيام، وعندها فكّرت في ذلك، فهي لم تخرج من غرفتها حتّى لتتمنّى لها ليلة سعيدة.

قالت سورين: «حسنًا، كما ترين، يبدو أن سونام سوف تنجب طفلًا». خفق قلب سورين بقوة فيما تضع خطّتها موضع التنفيذ. سألت تشيريونج، دهشتها جلية: «لا.. حقًا؟ من الأب؟».

ابتلعت سورين ريقها. كان هذا بالضبط ما اعتقدت أنها ستقوله. ارتجف صوتها عندما أعطت ردّها الذي خطّطت له مسبقًا: «حسنًا، يبدو أنه طفل السيد الشاب».

صُدمت تشيريونج ولزمت الصمت، لكنها سألت في النهاية: «هل هذا ما تقوله سونام؟».

- لا، لكنّ عندما عادت إلى المنزل، كانت تعاني الحمّى وتهذي. في ذلك الوقت، ظلت تقول «أوبا، أوبا». لاحقًا، عندما سألتها من شقيقها الأكبر، تحدّثت عن مقابلة السيد الشابّ في الصين. ومهما حدث، لا يبدو أن علاقتهما كانت أخوية. كلاهما صغيران، ولا بُدّ أن شيئًا ما قد حدث».

أدركت سورين لاحقًا أن السبب الرئيس الذي جعلها تعتقد أن سونام تشيريونج كان بسبب مناداتها لجانجهوي بـ «أوبا».

كانت تشيريونج الشخص الوحيد الذي يمكنه أن ينادي جانجهوي بـ «أوبا»، أي شقيقها الأكبر. في ذلك الوقت، افترضت أن تشيريونج، بعد معاناتها من صدمة لا توصف، كانت تستجدي الفرد الوحيد الباقي من عائلتها. بعد أن علمت أنها في الواقع سونام، سألتها سورين عن سبب مناداتها لجانجهوي بأخيها. قالت بحزن: «كنت أتظاهر بأنني السيدة، لذا اضطررت إلى مناداته بـ «أوبا»».

سألتها سورين: «هل حدث أن اعتدى السيد الشابّ عليك؟ هل استغلّك لأنه أعلى مكانة منك؟».

- لا! جانجهوي ليس هكذا!

على الرغم من أن سونام دافعت عنه بقوة، فإن سورين واصلت استخدامها السيد الشاب في انتقامها.

قالت تشيريونج إن سونام أخبرتها بالفعل أنها التقت جانجهوي في تشونجتشينج، حيث مقر الحكومة المؤقتة. وقالت إن ذلك حدث بالمصادفة عندما ذهبت لتسليم الأموال التي جمعتها منظمة الجالية الكورية في نيويورك إلى رئيس الوزراء كيم جو، ولم تذكر أي لقاءات أخرى مع شقيقها. لكنها لم تكن لتجرؤ على إخبارها بأنها كانت على علاقة غرامية مع جانجهوي. ربما كانت تلك العلاقة نتيجة لرغبة عابرة من جانجهوي وسرعان ما انتهت. ربما لهذا السبب كان تعبيرها كئيبيًا جدًا في بعض الأحيان.

عندما أدركت أنها حامل، ضغطت سونام على أسنانها؛ فجأة أصبحت مرهقة أكثر مما كانت عليه عندما وصلت لأول مرة. عادت ذكريات ذلك اليوم إلى ذهنها، كما لو كانت تعيشه من جديد، فضربت رأسها بالحائط. حتى لو كان ذلك يعني كسر رأسها، فقد أرادت تخليص نفسها من تلك الذكريات. راح الدم يقطر من شفتها المعضوضة.

سألت سورين وهي تكبلها بذراعيها: «ماذا دهاك؟ بصرف النظر عن هو الرجل، سوف تصبحين أمًا، وعليك أن تعتني بجسدك جيدًا». سونام بالكاد سمعت التوبيخ لأنها كانت تائهة في أفكارها.

غادرت سونام تشونجتشينج رفقة جانجهوي وقوات جيش التحرير التي صدر قرار بسفرها إلى شنجهاي، على متن قارب فوق نهر يانجتسي. ومن المضحك، أنها شعرت كما لو كانا زاهبين لقضاء شهر العسل - لكنها بعد ذلك فكّرت في جانجهوي، الذي فقد والديه، وأخفت مشاعرها. كانت قلقة من أنه قد يعتقد أنها ترحب بوفاة أهل زوجها، لكن صحيح أن ذلك جعلها أقل خوفًا من العودة إلى سيول.

وفي شنجهاي، كانت المباني ذات الطراز الأوروبي تصطفُ على جانبي النهر. كان الميناء في حالة من الفوضى، حيث حاول الكوريون واليابانيون العودة إلى ديارهم في أعقاب تحرير كوريا وهزيمة اليابان.

لم تكن السفن بين شنجهاي وموكبو وإنتشون تعمل بانتظام، وكان من الصعب الحصول على التذاكر. الكوريون الذين كان وطنهم أقرب من اليابان، أرادوا اللحاق بعبارة صغيرة - أو أي شيء طافٍ - من أجل الرجوع إلى الوطن؛ ما أدى إلى وقوع عديد الحوادث.

وبعد الاستفسار عن الوضع، طلب جانجهوي من سونام عدم المغادرة، قائلاً: «سيوفر الجيش الأمريكي سفينة لعائلات الحكومة المؤقتة، لذا سيكون من الأفضل الانتظار».

وبدورها ما إن وصلت سونام إلى شنجهاي، لم ترغب في الانفصال عن جانجهوي بهذه السرعة، ورحبت بعذر البقاء.

أعطت سلطات شنجهاي سونام غرفة في نزل بالقرب من منتزه هونجكو. كان منتزه هونجكو المكان الذي فُجِّر فيه الوطني الكوري يون بونغجيل قبلة سنة 1932، في أثناء الاحتفالات بعيد ميلاد إمبراطور اليابان واحتلال شنجهاي. وبعد ذلك، قال تشيانج كاي شيك، زعيم القوميين الصينيين، إن كورياً واحدًا فعل ما عجز عنه مليون صيني، وأنه في المقابل سيساعد الكوريين في الكفاح من أجل الاستقلال. كانت سونام سعيدة بالبقاء في مثل هذا الحي التاريخي، ولو حتى لمدة قصيرة. أبقى جيش التحرير جانجهوي منشغلًا، ليس فقط في شنجهاي لكن أيضًا من خلال السفر من وإلى مقاطعة جيانجسو كجزء من أهدافهم التوسعية، ولكنه كان يزور سونام في النزل مرة في الأسبوع.

بحثت سونام عن وظيفة يومية يمكنها تركها فور وصول عائلات مسؤولي الحكومة المؤقتة للعودة إلى كوريا، وسرعان ما وجدت سونام عملًا في مفسلة كبيرة ليست بعيدة عن النزل. كان هناك مرفق خارجي به مياه جارئة خلف المبنى لتلقي الغسيل من الفنادق المحلية. وكانت المالكة، امرأة تدير العمل مع زوجها، تأتي من وقت لآخر للإشراف على العاملات. وبشكل غير متوقع، كانت كورية، وكانت سعيدة جدًا عندما علمت أن سونام كورية أيضًا. وقُسم

العمل بين العاملات إلى التحضير والغسل والشطف. أولئك اللاتي عملن مدة أطول كُلفن بالمهام الأسهل والأكثر راحة، في حين أن العاملات باليومية، مثل سونام، تولين أصعب الأعمال. تألم قلبها عندما قال جانجهوي إنها تبدو مرهقة، لكنها شعرت بارتياح أكبر في العمل من الجلوس في غرفتها، والقلق بشأن تكلفة النزول.

قالت: «سأفعل ذلك فقط حتى وصول عائلات الحكومة المؤقتة، لذلك لا تقلق كثيرًا. العمل ليس صعبًا».

بدا أن المالكة تفتقد التحدث بالكورية؛ كانت تخرج إلى مرفق الغسيل وتتكلم مع سونام بحجة الإشراف على العاملات. وانتقدت العاملات الصينيات، قائلة إنهن لو لم تشرف عليهن، يعملن بلا اكتراث، وأصرّت على أن رؤية الناس يعودون إلى ديارهم بعد تحرير كوريا جعلها تشعر بالقلق والكآبة. كلفت العاملات الأخريات -بعفوية- سونام بمهام أسهل، بمجرد أن لاحظن علاقتها الجيدة مع المالكة. كان من الجميل أن تتمكن سونام من التحدث باللغة الكورية أيضًا. غالبًا ما كانت الكلمات الإنجليزية تتبادر إلى ذهنها أولاً، وقد ناكفها جانجهوي بسبب لهجتها المشوبة بلكنة إنجليزية. سيتعين عليها أن تتدرب حتى تكون أكثر طبيعية إن أرادت العيش في كوريا في المستقبل. خلال إحدى محادثاتها، قالت المالكة: «لا تبدين قوية، لكنك تعملين بجهد أكبر مما تصوّرت. ماذا كنت تفعلين قبل مجيئك إلى هنا؟».

أوضحت سونام أنها عادت لتوها من الدراسة في الولايات المتحدة وتزوجت مؤخرًا. وكانت فخورة بتخرجها في الجامعة في الولايات المتحدة، وعلى وجه الخصوص، بأن لديها زوجًا أقوى من أي عمود سياج. ولم تعد خادمة في منزل شخص آخر، أو طالبة فقيرة، وستحظى بالاحترام عندما تعود إلى وطنها المحرّر. وما دام العالم قد تغير، فقد كان بوسعها أن تعترف بفخر بأنها ناضلت من أجل الاستقلال. غمرت سونام مرة أخرى حقيقة أنها زوجة جانجهوي: «زوجي عضو في جيش التحرير. عندما يصل أفراد عائلة الحكومة المؤقتة، سأعود إلى كوريا. ويبدو أن الأمريكيين سيوفرون سفينة».

نظرت إليها المالكة نظرة مختلفة عن ذي قبل، والت: «إنه لشرف لنا أن نوظف مثل هذا الشخص المميّز. ما دمت التحقت بالجامعة في الولايات

المتحدة ولديك زوج يناضل من أجل الاستقلال، فسوف تعودين إلى وطنك لتحظي بترحيبٍ حارٍّ. أمّا بالنسبة إليّ، فأنا متزوجة من رجل صيني، فلا بأس إذا واصلت العيش هنا حتى أموت، لكن هذا ليس صحيحًا بالنسبة إلى النساء اللاتي كن يعشن هناك. (أشارت المالكة بذقنها إلى مبنى مجاور). حتى لو تحرّرن، كيف يمكنهن العودة إلى ديارهن ورؤوسهن مرفوعة؟».

- لماذا؟ ماذا يوجد هناك؟

قبل أن تجيب، انحنت المرأة، وتحدّثت بصوت خفيض، على الرغم من أن أحدًا لم يكن يستمع: «لأن النساء الكوريات كن يخدمن الجنود اليابانيين هناك. قيل لهنّ إنهن أصبحن أحرارًا بعد استقلال الوطن، لكن من سيرحّب بهن في وطنهن خاليات الوفاض وأجسادهن منتهكة؟ كان اليابانيون يحتفظون بسجل للأموال التي كسبوها، لكن النساء لم يتلقين فلسًا واحدًا مطلقًا».

شعرت سونام كما لو أن مخالب وحشٍ برّيّ قد خدشت ظهرها فجأة.

سألت وهي تولي المالكة ظهرها: «كيف سمعتِ عنها؟».

- أخبرتني امرأة عجوز تعمل هناك. وكانت تحضر أردية الكيمونو إلى مغسلتنا. في الأصل كانت النساء مُرفّهات أو عاهرات يابانيات. ثمّ أحضروا الفتيات الكوريات أيضًا. كانوا يحبسونهن، فتيات كن في بعض الأحيان أقل من سنّ خمسة عشر عامًا، وعشرات الرجال كل يوم... يا إلهي، كم كان الأمر فظيعة!

ارتجفت المالكة.

مزّقت المخالب الحادّة الجدران التي بنتها سونام حول ذكرياتها الرهيبة. ظهرت بوني، التي لم تفكّر فيها منذ بعض الوقت، في ذهنها.

تواصلت المالكة حكيها: «حتى إن ثمة فتاة تعرّضت لصدمة كهربائية عندما اصطدمت بسيّاح من الأسلاك الشائكة المكهربة في أثناء هروبها، وأصيبت بالجنون. أحيانًا كنت أعطيها شيئًا لتأكله عندما تمرُّ بجانبني لأنها كانت مثيرة للشفقة جدًّا...».

بعد الانتهاء من عملها لهذا اليوم، هرولت سونام عائدة إلى النزل، كما لو كانت مُطاردة. في مناسبة أخرى، كانت ستشتري العشاء، لكن معدتها كانت

تؤلمها، ولم تكن لديها شهية. جاء جانجهوي وكأنه قد حدس كيف تشعر سونام.

قال: «جئت في عجلة من أمري لأنني يجب أن أذهب بعيداً للعمل. من المفترض أن أرحل الليلة، لكنني اشتقت إليك كثيراً وكنت قلقاً، لذلك لم أتمكن من المغادرة. لكن عليّ أن أغادر في الصباح الباكر».

حتى عندما كانا معاً، كانت تفتقد جانجهوي، لكن في ذلك اليوم كانت سعيدة جداً برؤيته لدرجة أنها احتضنته، وفركت خديه بخديها، وأغمضت عينيها.

انسي فحسب. انسي كل ما حدث في الماضي. لم يكن لدي أي خيار.

سأل: «لماذا تبدين منهكة؟ هل العمل صعب للغاية؟».

متكئة على صدره، هزت سونام رأسها.

لم يكن خطأي. ماذا كان بوسعي أن أفعل؟ كان من الجيد أنني هربت. وإلا ما كنت هنا الآن.

خرجت سونام وجانجهوي، وسارا بجانب نهر هوانجيو، لكن في كل مرة ترى امرأة بمفردها في الشارع، كانت تتخيلهن جميعاً على أنهن «نساء متعة» سابقات. على امتداد الطريق، التفتت إلى جانجهوي، وسألته: «لنفترض أنني فعلت شيئاً سيئاً عندما كنت في كتيبة النساء. ماذا كنت ستفعل؟ هل ستظل ترغب في أن أكون زوجتك؟».

- لماذا تفكرين في أشياء لم تحدث قط؟ انسي تلك الذكريات السيئة.

- عندما أفكر في تلك الأوقات، أشعر بالدوار، وانتابني الفضول كيف تفكر في ذلك.

نظر جانجهوي في عيني سونام، وكان تعبيره جدياً، ثم أحاط وجهها بيديه وهو يتحدث: «مهما يحدث لك، أنت كيم سونام، التي أحبها. وكما قبلتني كُلي، سأفعل الشيء نفسه. ومهما حدث فإن هذه الحقيقة لن تتغير».

دفنت وجهها في صدره. جانجهوي كان الدواء الذي عالج كل همومها ومخاوفها وقلقها الذي اختفى عندما تكون بجانبه.

الفصل الثالث والعشرون

زمن لا يتوقف (2)

في اليوم التالي، ترددت سونام عندما غادرت العمل، ثم سارت نحو المكان الذي ذكرته المرأة. وفي نهاية زقاق مظلم وجدت المبنى المكوّن من طابقين مع نوافذ صغيرة من الخارج. كان المدخل المؤدّي إلى الفناء الطويل الضيق في الأمام مسدودًا ببوابة حديدية. افترضت أنه كان فارغًا، ولكن ضوءًا خافتًا سطع من نافذة زاوية في الطابق الأول. البوابة، التي اعتقدت أنها ستكون مقفلة، لم تكن مقفلة إلا بسلك يمكن إزالته بسهولة. سيطر عليها شعور مشؤوم عندما لمست السلك، فسحبت يدها بسرعة؛ لكن في النهاية، وبنفس عميق، فتحت البوابة أخيرًا.

أعلى المدخل عُلق لافتة مكتوب عليها «مركز تشانج الترفيهي»، وبجانبتها كشك صغير يشبه مكتب تذاكر المسرح. بالإضافة إلى جدول الرسوم المنشورة للضباط والجنود المجنّدين والأفراد العسكريين، كانت هناك عبارة «أيها المحاربون، لقد عملتم بجدّ. سأخدمكم بكل جسدي وعقلي». أرادت سونام إزالتها وتمزيقها والدوس عليها، لكن الخوف تغلّب على غضبها، وبدلاً من ذلك نظرت بعيدًا.

كان للمبنى المربع المكون من طابقين فناء واسع إلى حدٍّ ما في الوسط، مع عشرات الأبواب ذات النوافذ الصغيرة المؤدّية إليه، كل منها يحمل اسمًا يابانيًا وقواعد الاستخدام مكتوبة عليها. وكانت بعض الأبواب مفتوحة على مصاريعها، في حين كانت مفضّلات بعضها محطّمة. كانت جميع الغرف، التي تحتوي على خزانة واحدة وسرير خشبي، فارغة. وكانت البطانيات والصناديق والأدوات المنزلية الأخرى متناثرة فوق السور أو متناثرة في الفناء، وبدا من غير المرجّح أن أحدًا ما زال يعيش هناك.

حاولت معرفة مصدر الضوء الذي رأيته، لكن لم تكن ثمة غرفة مضاءة، وتساءلت إن كانت تخيلت ذلك. لماذا لا يزال أي شخص هنا؟ وعندما استدارت، لمحت بريقًا من الضوء يسطع من النافذة الصغيرة فوق باب في زاوية الطابق الأول. راح الضوء يومض كأنما يرسل إشارة. تسألّ الخوف إليها. ربما متشرّد ليس لديه مكان يذهب إليه. نظرت سونام بعيدًا، وأخبرت نفسها أنه لا ينبغي لها أن تأتي وألا تطأ قدمها هنا مرّة أخرى.

لكنها تذكّرت حينذاك بوني، التي قالت إنها ستنتظر عودة سونام وإنقاذها. ماذا لو كانت بوني لا تزال تنتظرها؟ تحوّل الضوء الوامض فجأة إلى نداء استنجاج، وبينما كان عقلها يصرخ لها بالفرار، كان الضوء يهمس، ويتوسّل إليها أن تفتح الباب.

لم يستطع الصراخ قمع الهمس، وأصاب الفزع سونام، التي وصلت إلى الباب، من صرير لوح خشبي تحت قدميها - كما لو كان تحذيرًا أخيرًا لها حتى تستدير.

هل عليّ الذهاب؟

في اللحظة التي استدارت فيها بعيدًا، انفتح الباب، ووجدت نفسها غير قادرة على الحركة، وقدميها ثابتتين فوق الأرض.

«أنا جائعة...».

كانت الكلمات كورية، وعند سماع صوت الفتاة الخافت، نظرت سونام ببطء إلى الوراء ووجدت امرأة شابة ترتدي يوكاتا⁽¹⁾، تجلس على عتبة الباب، وتتنظر إليها. شهقت سونام، لكن عندما ألقَت نظرة فاحصة، أدركت أن المرأة -التي بدت قرابة سن العشرين- لم تكن بوني، وتنهَّدت بارتياح. مدَّت يدها وعرضت كيس الزلابية الذي اشترته من أجل العشاء. اختطفته المرأة، ومزَّقته، وبدأت تتناول الزلابية بشراهة.

شاهدتها سونام بصمت وهي تلتهم الزلابية حتى تورَّم خذاها، ثم رفعت الفتاة رأسها، وابتسمت. أهي مجنونة؟ لا بدَّ أنها الفتاة التي تحدّثت عنها مالكة المغسلة. بعد مدَّة، تمكَّنت سونام، التي جلست على مقعد خشبي، من سؤال المرأة عن اسمها وعمرها. أجابت: «يونجسون... إيكو... ستَّة عشر عامًا... ثمانية عشر عامًا». بدا أنها تتحدّث بهراء. لكن سرعان ما أدركت سونام أنها كانت تخبرها أن اسمها الكوري يونجسون، واسمها الياباني إيكو. وقد أحضروها إلى هنا عندما كانت في السادسة عشرة من عمرها، وهي الآن في الثامنة عشرة من عمرها.

سألها سونام: «أين ذهب جميع من كان هنا؟».

- لا أملك أدنى فكرة. رحل الجميع. أمرنا الجنود بالمغادرة.

- لماذا لم ترحلي؟

- يوجد الكثير من الملابس هنا. والكثير من الغرف.

(1) اليوكاتا: أحد أنواع الملابس اليابانية التقليدية التي عادة ما تلبس صيفًا في أكثر الأحيان في أثناء عروض الألعاب النارية أو مهرجان بون نظرًا لإعطاءه إحساس بالبرودة في حر الصيف. يعد اليوكاتا اللباس غير الرسمي الذي يُرتدى في اللقاءات العادية أو بعد الخروج من الحمام بخلاف الكيمونو الذي غالبًا ما يلبس في المناسبات الرسمية كحفلات الزواج. كلمة يوكاتا تعني «لباس الحمام» إلا أن استعماله لا يقتصر فقط على الحمامات بل يتعدَّى ذلك إلى طيف واسع من الاستخدامات داخل وخارج المنزل. عادة ما يصنع اليوكاتا من القطن لإعطاء شعور البرودة في الصيف ويكون رخيص الثمن بالمقارنة مع الكيمونو الذي عادة ما يصنع من الحرير (المترجم)

فردت يونجسون ذراعيها على نطاق واسع. جمعت الملابس والأدوات المنزلية المتراكمة في الغرفة خلفها من غرف أخرى. بعد أن أكلت الزلابية كلها، أخرجت أحمر شفاه، وطلت شفتيها بلون أحمر فاتح، ثم ابتسمت. بلعت سونام دموعها، وربتت ظهرَ يونجسون.

في الأيام التي لم يعد فيها جانجهوي إلى المنزل، كانت سونام تشتري طعامًا، وتزور يونجسون. اكتشفت في نهاية المطاف - خلال المدد القصيرة التي عادت فيها الفتاة إلى رشدها- أن منزلها كان في جولابوك دو، وأنها كانت مهووسة بفكرة كسب المال. ربما كان هذا صحيحًا بالنسبة إلى معظم الفتيات اللاتي انخدعن للتسجيل في كتيبة النساء. كان جسد يونجسون مغطى بالندوب. حتى في حالتها المختلة، تذكّرت أصل كل جروحها. عاملها اليابانيون كحيوان وليس كإنسان، وكانت ندوبها أمارات على ذلك. مثلما تعرّض أثاث المنزل للكسر والتمزيق والدهس، حدث الشيء نفسه للفتيات اللاتي عشن هنا.

- من الجيد أن الجنود قد رحلوا. (قالت يونجسون وهي تتوقّف بين قضمات الطعام الذي أحضرته سونام معها) هذا منزلنا الآن. وابتسمت مرّة أخرى، كما كانت تفعل في كثير من الأحيان في أثناء تناول الطعام.

هزت سونام رأسها، وقالت: «هذا ليس منزلك، لكن لا تقلقي. سأخذك إلى منزلك قريبًا».

حتى لو تعرّضت يونجسون للإهانة والتوبيخ عندما تعود إلى كوريا كما قالت مالكة المغسلة، فسيكون ذلك أفضل من البقاء هنا. حتى لو لم تُقبَل في الوطن، اعتقدت سونام أنها ستجد طريقة للعيش في بلدهم، الذي استعاد سيادته، وسيكون بالتأكيد مختلفًا عمّا كان عليه سلفًا. لم تكن قادرة على الوفاء بالوعد الذي قطعته لبوني، لكن هذه المرّة، ستفعل. ربما بعد ذلك، قد

تنجح في التقليل من الإحساس بالذنب الذي شعرت به تجاه بوني والفتيات الأخريات.

عاد جانجهوي، وبقي مدة يومين. أخبرها أنه في غضون أيام قليلة سيصل رئيس الوزراء وعائلات أعضاء الحكومة المؤقتة إلى شنجهاي. سيعود كيم جو والوفد المرافق له إلى وطنهم بالطائرة، وسيكون القارب متاحًا للبقية. من المحزن أن يوم فراقهما قد اقترب، أخذت سونام إجازة من العمل، وقضت الأيام الباقية مع جانجهوي. مارسا الحب فيما يندبان انفصالهما المؤقت الوشيك. وعندما حان وقت رحيله، احتضنها وداعًا، وقال وهو يعانقها بشدة: «سأتي لتوديعك عندما يصل رئيس الوزراء. اعتني بنفسك في هذه الأثناء. ستعودين إلى الوطن قريبًا، لذا ربما عليك أن تتوقفي عن العمل في المغسلة». شاهدته سونام بقلب مفطور، وهو يذهب حتى اختفى عن الأنظار. طلب منها جانجهوي أن تترك وظيفتها، لكن سونام خطت للاستمرار حتى تغادر، حتى تتمكن من إعطاء يونجسون مبلغًا صغيرًا من المال لتأخذه إلى الوطن. بعد الانتهاء من العمل في ذلك المساء، ذهبت إلى المبنى المهجور، لكن غرفة الفتاة كانت فارغة. لا بد أنها ذهبت إلى مكان ما للتسول. قبل مقابلة سونام، لا بد أن يونجسون عاشت بهذه الطريقة، ولم تستطع أن تطلب منها البقاء في المنزل، لأنها لم تكن تأتي كل يوم.

أفرغت سونام مساحة في الغرفة، ثم جلست وانتظرت، وكانت متحمسة جدًا لإعلام الفتاة بأنها ستمكّن قريبًا من العودة إلى كوريا. فكرة رحيل الفتاة لم تخطر على بال سونام. بقيت يونجسون حتى بعد مغادرة الجميع، لذلك كانت هناك فرصة ضئيلة بأنها لن تعود في تلك الليلة.

كانت سونام تنوي الراحة للحظة فقط، لكن عندما فتحت عينيها، كان الظلام قد حلّ. ويونجسون لم تعد بعد. كانت قلقة بشأن ما قد يحدث لها عندما سمعت شخصًا يتحرك بالخارج. وقفت معتقدة أنها الفتاة، وفي تلك اللحظة، انفتح الباب، واندفعت الظلال الداكنة إلى الداخل.

صرخت سونام، وضربها شيء ما على رأسها. قبل أن تفقد وعيها، لمحت ظلين أو ثلاثة ظلال بشرية. وبعد مدة، عادت إلى رشدها ووجدت أن يديها مقيدتان. كان أحد الظلال الداكنة مستلقياً فوقها. صرخت وكافحت، وضربت مرة أخرى. وبينما كانت تنكمش، انهالت عليها ركلات لا هوادة فيها. كان الأمر مؤلماً للغاية لدرجة أنها دعت من أجل أن تفقد وعيها مرة أخرى. أو بالأحرى أرادت أن تموت. كانت أصواتهم حديداً ساخناً أحرق أذنيها وروحها.

- أسرع!

- هل هذه حقاً الفتاة المجنونة؟

- ما أهمية ذلك؟

- هل ترتدي الواقي الذكري؟

- إنها كورية، لا حاجة إلى ذلك.

- لقد تأخرنا عن طابور نداء الأسماء. أسرع.

- لا تقلق. إذا أخبرتهم أنك تضاجع فتاة كورية، فستحصل على ميدالية.

كانوا جنوداً يابانيين بقوا لضمان العودة الآمنة لليابانيين من شنجهاي. لا بد أن الأخبار التي تفيد بوجود امرأة لم تغادر محطة الراحة التي يرتادونها عادةً، قد انتشرت. ومع اقتراب الظل الثالث، فقدت سونام وعيها أخيراً.

بعد عودتها من غرفة يونجسون، ظلت سونام مريضة لمدة يومين، وكان وجهها وجسدها مغطيين بالكدمات والجروح، وكانت تبكي من أفعال الوحوش الذين لازموها في تلك الليلة الفظيعة في القاعدة العسكرية. وعندما عادت أخيراً إلى رشدها، اتخذت قراراً بالمغادرة قبل أن يعود جانجهوي، ويكتشف ما حدث لها. أدركت أيضاً أنها لم تعد قادرة على السفر مع عائلات الحكومة المؤقتة. خوفاً من ظهوره في أي لحظة، رتبت سونام الغرفة على عجل. وضعت متعلقات جانجهوي في صندوقه، ولفت القليل من أغراضها

بقطعة قماش. أخذت صورتها المنفردة في إيركوتسك، وتركت له صورتها معاً، بالإضافة إلى رسالة وأمتعة مع المالك. غادرت سونام وكأنها تهرب، وعندما وصلت إلى رصيف الميناء، اشترت تذكرة واستقلّت أول قارب متاح. لم تكن تهتمُّ إذا انقلب القارب أو غرق خلال الرحلة القصيرة، فسيكون ذلك أفضل. كانت عودة الكوريين الذين يعيشون في الصين متواضعة وشاقّة مثل أي موكب للاجئين. ومع ذلك، كانت وجوه الناس المبهجة تحدّق في كثير من الأحيان إلى حيث وطنهم المُحرَّر أخيراً. وجدت سونام مساحة في مقدّمة السفينة وأغمضت عينيها.

سألها أحدهم: «مهلاً، هل أنت بخير؟».

لم تجب؛ لم تُرد أن تفكّر في أي شيء. كل ما تستطيع فعله هو عدم القفز في البحر. كان من الخطأ الاعتقاد بأنها تتفهّم مشاعر بوني والفتيات الأخريات اللاتي تعرّضن للاغتصاب والمعاملة الوحشية على يد الجيش الياباني. اعتقدت أنها تستطيع ذلك لأنها كانت معهن، كما لو أن الهروب دون التعرّض للإيذاء كان فرقاً بسيطاً بين تجربتها وتجربتهن. الوحوش الذين انتهكوا عرضها، سحقوا أيضاً والتهموا كل الذكريات الطيبة التي قضتها مع جانجهوي. كلما لمسها، شعرت كما لو أن الزهور قد تفتّحت، وتهاطل المطر، وأبهجتها رائحة أنفاسه. الآن أصبح جسدها كتلة من القذارة. لم تعد تتفق مع المرأة في غيلين على أن التنفّس، وابتلاع الطعام، وإبقاء عينيها مفتوحتين يعني أنها على قيد الحياة.

وصلوا إلى موكبو في غضون يوم ونصف، لكنهم لم يتمكّنوا من النزول من القارب بسبب الوباء. وبعد يومين من الانتظار، توجّهت السفينة إلى بوسان حيث سيتمكنهم النزول. رشّ الأمريكيون المبيدات الحشرية على أجساد الأشخاص الذين ترجّلوا من السفينة، وهو أول ترحيب يتلقّاه المواطنون العائدون -بما في ذلك سونام- عند وصولهم إلى وطنهم المحرر.

وفي بوسان، كانت السفن الأخرى تفرغ رُكّابها الكوريين العائدين من اليابان. وفي الوقت نفسه، راح سيلُّ لا نهاية له من المواطنين اليابانيين يحاولون ركوب القوارب لإعادتهم إلى وطنهم. وفي وسط الحشد، تلقت

سونام الخطبات من هنا وهناك، واصطدمت بأخرين، وسقطت. يبدو أنها كانت الوحيدة التي ليس لديها مكان تذهب إليه. وجدت جسدها مرهقًا ومثيرًا للاشمئزاز. مزقت درزة من بطانة سترتها، وأدخلت بعض الأشياء من حزامتها، وألقت الباقي بعيدًا. كانت تلك الأشياء عبارة عن الصورة والشهادة الجامعية والمقال من صحيفة الجالية الكورية في نيويورك. تساءلت عن فائدة فعل ذلك، لكن الغريزة أخبرتها أن هذا صحيح. سونام، التي بالكاد أكلت أو نامت لمدة شهر تقريبًا، وجدت نفسها أخيرًا أمام قصر جايهوي-دونج. المجيء إلى هنا لم يكن خطئها، ولكن هذا هو المكان الذي أوصلتها إليه ساقاها. كان المنزل بالنسبة إليها. من بعيد، رأت سورين، لكنها لم تستطع مناداتها. استدارت بعيدًا، ثم عادت عدة مرّات قبل أن تنهار أخيرًا أمام البوابة، منهكة. بعد وصولها إلى منزل جانجهوي في جايهوي-دونج، أصبحت ذكريات تلك الليلة أكثر إيلاّمًا. خمنت سورين ما حدث، لكن سونام لم تستطع أن تخبرها عن علاقتها بالسيد الشاب. لهذا السبب، لم تصحّ المرأة عندما أخطأت في أنها تشيريونج. وإلا لكانت سورين قد استمرّت في الضغط عليها حتى تتحدّث. عدة مرّات كل يوم، فكّرت سونام في الهروب، لكنها تحمّلت، وأخذت تفكّر في جانجهوي.

عاد كيم جو والأعضاء الآخرون في الحكومة المؤقتة إلى البلاد، لذا من المفترض أن يصل جانجهوي قريبًا أيضًا. على الرغم من أنها هربت بشكل محموم من النزل في شنجهاي، فإنها لم تستطع أن تختفي ببساطة. عليها على الأقل أن تخبر جانجهوي عن سبب مغادرتها فجأة. حتى لو واصل قبولها، فهي لم تعتقد أنها تستطيع العيش معه بعد الآن. كلما ضمّها بين ذراعيه، ستتذكّر لحظة سحقها بين الأسنان الحادّة بين فكّي تلك الوحوش القذرة. بصرف النظر عن مدى همسه بكلمات الحب بحنان، فإن أصواتهم الكريهة ستبتلعها. ومع ذلك، في بعض الأيام، لم تستطع منع نفسها من التذكّر عندما قال لها: «بغضّ النظر عمّا سيحدث، أنت كيم سونام، التي أحبها. ومهما حدث فإن هذه الحقيقة لن تتغيّر».

لم تكن الكلمات قوية بما يكفي حتى تصدقها حقًا، لكنها وهبتها القوة للاستمرار في الحياة، وعندما عادت تشيريونج، بدأت تتعافى، شيئًا فشيئًا، حتى شعرت أنها قد تنجو، حتى لو ظلت تلك الذكريات جرحًا لا يلتئم في قلبها مثل الشقوق المتخلفة عن زلزال.

ثم أدركت سونام أنها حامل، وندمت لأنها لم تُغرق نفسها على متن العبارة التي كانت تقلها. سونام، مكتئبة، لازمت غرفتها، وبالتالي لم تعلم أنها تلقت رسالة من جانجهوي. سورين، التي استلمت الرسالة من ساعي البريد، طلبت منه أن يقرأ من المرسل. خوفًا مما قد يكون مكتوبًا بداخلها، وضعت الرسالة في النار دون حتى التحقق من هوية المرسل إليه. معتقدة أن جانجهوي لن يعود أبدًا، اعتقدت أن الرسالة كانت موجّهة إلى تشيريونج، وأحرقتها خوفًا من احتمال أن تتضمن رسالته تفاصيل من شأنها أن تفسد خططها.

كان ذلك في يوليو 1946، ويبدو أن موعد ولادة سونام قد تأخر مدة شهر. كان اليوم الذي أمضت أشهر حملها تتمنى ألا يأتي أبدًا، يقترب بسرعة، وفجأة أحسّت بالخجل من حياتها العنيدة، التي شبّهها جانجهوي بحبة التين الخانقة. أمكنها سماع صوت تشيريونج وهي ترحب بضيف في غرفة الاستقبال. بدا الزائر رجلًا. أغلقت سونام الباب ولجأت إلى الزاوية. ثم سمعت الرجل يقول اسم جانجهوي، لكن قبل أن تزحف لاهثة إلى الباب، بدأت تشيريونج في النحيب: «مات جانجهوي؟! كيف يمكن أن يحدث هذا؟ أول خبر يصل إليّ عنه منذ عشر سنوات وفاته! أوبا! أوبا!» سقطت يد سونام بعيدًا عن مقبض الباب، وقد أصابها الخدر.

جمعت شتات نفسها، وفتحت الباب، ونظرت إلى غرفة الاستقبال. لم يكن مرئيًا لها سوى ظهر الرجل الذي كان يجلس مقابل تشيريونج. كان يتحدث عن كيفية وفاة جانجهوي. كانت وحدته قد ذهبت إلى الريف في مناورات عسكرية، وأطلق الجنود اليابانيون الذين كانوا مختبئين في كمين، بعد أن رفضوا الاستسلام، النار وقتلوا ثلاثة منهم، كان من ضمنهم جانجهوي.

وقع ذلك قبل بضعة أشهر، لكنهم احتفظوا بمتعلقاته لأنه لم تكن لديهم أي معلومات اتصال بأي من أفراد أسرته أو معارفه. عندما علم رئيس الوزراء كيم جو بالأمر، أرسل الرجل إلى القصر.

في تلك اللحظة بدأت آلام ولادة سونام. ابتلعت الصرخات التي أرادت أن تنفجر من رئتيها. لماذا، في اللحظة نفسها التي علمت فيها بوفاة حبيبها، كان ابن الشيطان يحاول الخروج إلى العالم -إهانة لكليهما. ضغطت على أسنانها، وأجبرت صوتها على العودة إلى حلقها.

لن أسمح له أبدًا أن يأتي إلى العالم حيًا.

ولكن بعد أن تحمّلت لأطول مدة ممكنة، أطلقت صرخة بدا أنه لا نهاية لها قبل أن تفقد وعيها.

بينما كانت سورين تعتني بسونام، وتلد الطفل، أخفت تشيريونج صورة لهما مع بيك بيوم التي كانت من بين متعلقات شقيقها، بالإضافة إلى مجموعة من الخواتم في أعماق خزانتها. ثم أحرقت رسالة بيك بيوم إلى سونام، والتي يعبر فيها عن حزنه على وفاة جانجهوي، ويعتذر عن الأخبار المتأخرة، ويدعوها لزيارته في أي وقت.

أنجبت سونام ولدًا. ظنت أنه قد يكون مشوّهًا، أو مولودًا قبل الأوان، أو يكون على شكل وحش، لأنه ثمرة بذور الشيطان، لكنه كان طفلًا مثاليًا. لم تكن لديها أي نية لإرضاع نسل الشيطان الذي بدا كأنه انتزع حياة جانجهوي من أجل نفسه، لكن على أي حال، رفض حليبها التدفق، مثل نبع جاف.

كما أنه لم يكن لديها دموع لتذرفها، كما لو أن كل الرطوبة في جسدها قد تبخرت، والندم على مصيرهما المروع يتدفق أكثر سمكًا من الدم في عروقها. لم تكن لديها حتى القوة لإلقاء اللوم واللعنة على الأشخاص الذين ألحقوا

الأذى بهما، ولا الطاقة لرفع نسل الشيطان على ظهرها. رقدت سونام ببساطة هناك مثل قشرة فارغة.

في البداية، تساءلت تشيريونج إن كان طفل جانجهوي الذي ولدته سونام قد يتضح أنه ليس مصدر إزعاج، لكنها غيرت رأيها عندما رأت سونام تعامله كغريب. وعدت تشيريونج نفسها بعدم الزواج مرة أخرى أبدًا، معتقدة أن ذلك سيجعلها تشتاق إلى أطفالها، وأنها إذا فكرت فيهم، فلن تنسى حياتها تحت اسم تيراو هيكاري قط. لكن حقيقة أنه لم يكن لديها عائلة أخرى، ولا أحد يرث ثروة الأسرة التي استعادتها، جعلتها تشعر بالفراغ.

أخذت تشيريونج الطفل إلى غرفة نومها قائلة إنها تريد أن تيسر الحياة على سونام، وعهدت بعناية الطفل إلى سورين. بمجرد أن غاب الطفل عن ناظريها، تمكنت سونام أخيرًا من ابتلاع القليل من الطعام، فيما كان الطفل يتجرع الحليب الصناعي والماء الذي غلت سورين بعض الأرز فيه. وبينما كانت تراقب الطفل المتلوي، تحررت غريزة الأمومة المقموعة في أعماق قلب تشيريونج كأنما الابن الذي فقدته قد ظهر أخيرًا في العالم، وجاء لزيارة والدته.

في تلك الليلة، أخبرت سورين ابنها الأكبر المتوفى أنها انتقمت من أعدائه، ومع ذلك وجدت نفسها تعتني بطفل آخر من عائلة يون. الشيء الوحيد المتبقي لها الآن هو المكوث بجانب تشيريونج حتى النهاية، ومشاهدة العائلة تنتقل من جيل إلى جيل. قالت لنفسها إنها كانت تفعل ذلك من أجل سونام، وإلا فإنها ستظل عبئًا لبقية حياتها. غادرت سونام المنزل في قصر جايهوي-دونج بعد أقل من ثلاثة أسابيع من الولادة، أي بعد يوم واحد من وفاء تشيريونج بوعد والدها.

قالت تشيريونج لسونام: «لا بُدَّ أنه كان من الصعب جدًا عليك أن تنجبي طفلًا من دون أب. سأعطيك حُرِّيَّتَكَ وأموالك حتى تتمكني من مغادرة منزلنا. ولا تقلقي على الطفل؛ أتمنى أنه من دون هذا العبء ستقابلين زوجًا صالحًا،

وتنشئين أسرة سعيدة. خذي هذا المال؛ المكافأة التي وعدك بها أبي مقابل أخذ مكاني في كتيبة النساء. إنه أيضاً مقابل شهادة التخرُّج».

كان الوضع مثالياً بالنسبة إلى تشيريونج -أرادت سونام المغادرة، وأرادت هي أن يختفي الشخص الوحيد الذي يعرف أسرارها. أنهت حديثها: «دعينا لا نلتقي مرةً أخرى في المستقبل».

تأسست جمهورية كوريا عام 1948، وبعد مدَّة وجيزة، بدأت اللجنة الخاصَّة للتحقيق في الأنشطة المناهضة للقومية في البحث عن النشطاء المؤيدين لليابان ومعاقبتهم. قدَّمت تشيريونج عريضة تصف انتحار الفيكونت يون هيونجمان، الشخصية المركزية في مطاردتهم، وكذلك محنة شقيقها، الذي توفِّي في أثناء الخدمة في جيش التحرير، ومآثرها الخاصَّة -التي عاشتها سونام باسمها- وكذلك عملها في الحكومة العسكرية الأمريكية. ونتيجة لذلك، أعادوا إليها جميع ممتلكات الأسرة، باستثناء منجم الذهب والأرض المرتبطة به، حيث كان هناك سجلُّ للدعم المباشر للمجهود الحربي الياباني. سمَّت تشيريونج طفل سونام جينسو، متبعة بذلك تقليد العائلة في تسمية الأجيال.

لم تسجُل جينسو في سجل عائلة جانجهوي. بعد كل شيء، لم يكن جانجهوي ابن محظية فحسب، بل لم يفعل شيئاً لعائلة يون. وبدلاً من ذلك، فقد ألحق الضرر بنفسه وعائلته، وكانت أفعاله السبب جزئياً في اضطرارها إلى الفرار إلى أمريكا. لولا انشغاله في التعامل مع أخيها، لكان والدها قادراً على التستر على أي عدد من المخالفات. وبغض النظر عن كل ذلك، فإن السبب الحقيقي لعدم تربيتها بصفته ابن جانجهوي هو قلقها من أن سونام قد تعود يوماً ما وتطالب بحقوقها كأم.

ومن ثم، من الناحية القانونية، فهي -كونها عمته فقط- ستترك مثل كلب يطارد الدجاج. في النهاية، جينسو سيرث كل شيء، لكن يجب أن يكون

بمنزلة ابنها، وليس ابن جانجهوي. تشيريونج، التي لا تزال مسجلة على أنها غير متزوجة في سجل العائلة، سجلت جينسو بصفته ابنها بالتبني. كأم، أغدقت عليه كل الحب غير المكتمل الذي لم تكن قادرة على منحه لأطفالها. وفي الوقت نفسه، حرصت في كثير من الأحيان على الإشارة إليه بأنه يتيم تخلّى عنه والداه، وأنها تبنته بدافع من طيبة قلبها، وأنها الشخص الوحيد في العالم الذي مكّنه من الاستمتاع بالحياة، وأنها أحبته كما لو كان من لحمها ودمها.

نشأ جينسو مخلصًا بشكل أعمى لتشيريونج، لكن عندما تجاوز منتصف عمره، بدأ يشعر بكراهية لا يمكن تفسيرها تجاه والدته بالتبني. هذه المشاعر عذبتة بغضات الدم، حتى غادر قصر جايهوي-دونج في نهاية المطاف، وهرب إلى الولايات المتحدة للدراسة في الخارج. وحتى بعد حصوله على شهادته، وجد عملاً، وأجل عودته.

أطلقت النيران على بيك بيوم كيم جو، الذي كان محبوبًا من قبل الشعب حتى بعد أن أصبح سينجمان ري أول رئيس لكوريا الجنوبية، وقُتل في منزله في 26 يونيو 1949. وفي موكب الجنازة الذي ملأ الشوارع، بكت سونام بمرارة عند مرور جثمان الرجل الذي كان طيبًا معها. دموعها التي لم تتدفق حتى عندما علمت بوفاة جانجهوي، أو عندما أنجبت طفلها، أو عندما هجرت الطفل وراءها، تدفقت بلا توقّف.

بعد أن غادرت سونام المنزل في قصر جايهوي-دونج، انتقلت من مكان إلى آخر، تعيش على المال الذي أعطته إياها تشيريونج. كانت هذه المرة الوحيدة في حياتها التي لا تعمل فيها، باستثناء طفولتها وسنواتها الأخيرة. لم تحاول العثور على عائلتها لأنها لم تعد ترغب في أي ارتباطات دنيوية.

عندما اندلعت الحرب، كانت سونام في سيول، بعد أن أتت لحضور جنازة بيك بيوم ولم تغادرها مطلقًا. وبحلول ذلك الوقت، كانت قد أنفقت كل الأموال التي تلقتها من تشيريونج - والتي بدت وكأنها مبلغ كبير عندما

أبرم الفيكونت الصفقة معها- لذلك كان عليها أن تجد نوعًا من العمل، وكانت سيول المزدحمة أفضل لذلك. عاشت سونام قدر استطاعتها، وكسبت ما يكفي للبقاء على قيد الحياة. كانت غير مبالية بالحرب، ولم يتعافَ عقلها وجسدها مطلقًا من الاغتصاب ومن فقدان حبيبها بعد ذلك، وباتت بائسة.

في البلد الذي رغبت بشدة في تحريره، كان أبناء وطنها يطلقون النار على بعضهم بعضًا، وكانت القنابل تتساقط مثل حبات البَرَد، وانهارت المباني، واندلعت الحرائق حيث كانت تقف. كان الناس يموتون مثل الذباب، وكان الهواء مملوءًا برائحة الجثث المتعفنة، لكن سونام لم تحاول الهرب. إذا جاء الموت ستكون شاكرة لآلهة السماء والأرض.

وفي نهاية المطاف، أعقب الحرب على كوريا، التي تمزقت ودُهست مثل النساء الذين انتهكهن اليابانيون، توقُّف مؤقت للاقتتال، وقرار وقف إطلاق النار، وكافح الناس للنهوض من تحت الأنقاض.

في ذلك الوقت، كانت سونام تعمل في مطبخ مطعم كبير، حيث كان صاحب المطعم يستدعيها عندما تُقام حفلات الشرب. بخلاف الماضي، لم تعد سونام تتجنب الشرب. لم يكن لديها ما تخسره. علاوة على ذلك، لم تكن تحتل أن تكون رصينة، وكانت في العادة في حالة ثمالة بدرجةٍ ما.

كلما رأت أيتام الحرب في الشارع، تذكَّرت سونام الطفل الذي تركته. وتساءلت إن كان هذا الطفل قد أصبح أيضًا متسولًا يهيم في الشوارع. في الأيام التي فُكِّرت فيها بطفلها، كانت تشرب حتى تفقد الوعي، غير قادرة على تحمُّل مشاعرها تجاه الطفل التي ازدادت قوة مع مرور الأشهر والسنوات، بصرفِ النظر عن مدى طيشها وإهمالها نفسها.

حتى لو كانت قد دعت ابن الشيطان، فقد نال ذلك الطفل حياته من رحمها. ولم يكن مذنبًا بأي جريمة. تمامًا كما دخلت سونام الدنيا، فقد رفض الطفل ببساطة التخلِّي عن الحياة التي مُنحت له، ولم يكن لها الحقُّ في أن تكرهه. جاء يوم أرادت فيه سونام، فجأة، معرفة ما حدث للصبي -الذي كان

سيبلغ التاسعة من عمره لو كان لا يزال على قيد الحياة- واعتقدت أن سورين ربما تعرف مكان وجود الطفل.

في ربيع عام 1954، ذهبت سونام حاملة حقيبة ظهر، إلى قصر جايهوي- دونج. وكانت أعمال البناء على قدمٍ وساقٍ في الشوارع التي تصطف على جانبيها المباني المتهدّمة والمتساقطة. وكانت المدينة تستعيد حيويتها. كانت أشعة الشمس الساطعة تدفئ الناس فيما يكافحون من أجل إعادة بناء حياتهم.

عرفت سونام بالفعل أن مسكن الرجال والمبنى الملحوق قد تعرّض للتدمير في أثناء القصف، وعندما لمحته لأول مرة في تلك الحالة، لم تشعر بأي عاطفة. حتّى لو انهارت تلك المباني مائة مرة، فلن تكون مدمّرة مثلها. من الممكن تشييد مبانٍ جديدة، لكن إصلاح حياة إنسان أصعب، ولا يمكن استبدالها. وكأن ذلك يتعلّق بإثبات نظريتها، وقعت عينها على مبانٍ جديدة قيد الإنشاء بالفعل في الموقع الذي أُزيلت الأنقاض منه. لم يكن بناءً ذا فخامة عظيمة كما كان من قبل، بل مجرد منازل عادية.

عندما رأت سونام ذلك، أحسّت بالتضارب، كما لو كان ذلك علامة على أنها أيضًا يجب أن تستدير، وتنسى الماضي. ما الفرق الذي سيحدثه لو عرفت مكان وجود الطفل؟ لم تكن تنوي استعادته وتربيته، أليس كذلك؟ لكنها واصلت المشي. سيكون كافيًا أن تطلب من سورين أن تعطيه حقيبة الظهر ثم تنساه إلى الأبد. لو لم تفعل ذلك على الأقل، فلن تتوقّف أبدًا عن التساؤل. اتخذت سونام قرارها، ودخلت مبنى القصر الرئيس. كان في حالة جيدة، ولم يكن به سوى عدد قليل من الجدران المتصدّعة. كانت سورين تجلس على وسادة، وتوبّخ امرأة تبدو وكأنها موظّفة. لم تترك ندوب الجدري على وجهها حيّزًا للتجاعيد، على الرغم من أنها بدت أكبر من عمرها بكثير بسبب شعرها الأبيض وأسنانها المفقودة.

قالت: «اعذريني».

يبدو أن سورين لم تتعرّف على سونام بمكياجها الثقيل وملابسها الجميلة.

- هذه أنا، سونام. كيم سونام.

- يا إلهي. هل أنت شبح أم شخص حي؟

وبصرخة فرح، لوّحت سورين لسونام، وعانقتها، وانفجرت في البكاء. طلبت من سونام الجلوس بجانبها على الأرض، وأمرت المرأة التي كانت توبّخها قبل مدة قصيرة أن تحضر لهما مشروبًا.

قالت سونام بابتسامة حزينة: «يبدو أنك في حالة جيدة. لديك أشخاص يعملون تحت إمرتك الآن، لذا لا بدّ أنك نجحت في الحياة».

- نجحت؟ كلام فارغ. لم أتمكّن من الموت، لذلك ما زلت على قيد الحياة، هذا كل شيء. لكن كيف حالك؟ هل تدركين مدى انزعاجي عندما اختفيت دون أن تنبسي ببنت شفة؟

مسحت سورين الدموع القليلة التي انحدرت على خديها.

- لم أستطع أن أموت أيضًا، لذلك واصلت العيش. كيف حال السيدة الشابة؟

- لم يتغيّر حالها. هل رأيت المباني في موقع مسكن الرجال والمبنى الملحوق؟

- نعم. هل باعت الأرض؟ يبدو أن العديد من المنازل تُشيد.

- تبيع؟ هي من تشيدها. تعتقد أن المنازل ستُكسبها أموالًا طائلة في المستقبل. وبمجرد الانتهاء من بنائها، فسيمكنها بيعها أو تأجيرها. من الواضح أن ابنة الفيكونت ورثت حِسّ والدها التجاري. عندما يتعلّق الأمر بالتخطيط والفتنة التجارية، فهي أفضل من أي رجل.

- أين هي؟ هل تشرف على البناء؟

أرادت سونام رؤية تشيريونج. خلال سنوات الوحدة، كانت تتمنى أحيانًا أن تقضيا الوقت معًا كما لو كانتا في كيوتو مرة أخرى. وربما يأتي اليوم الذي تظهر فيه علاقتها مع جانجهوي بشكل طبيعي في المحادثة. اعتقدت أنها قد ترغب في ذلك، الآن.

قالت سورين: «في موقع البناء؟ ليس لديها وقت لذلك. ذهبت إلى الكُليَّة. عادت بعد أن أنهت تلك الدراسات الصعبة في الولايات المتحدة وأصبحت سكرتيرة القائد الأعلى الأمريكي. أوه، كنت لا تزالين هنا حينذاك، أليس كذلك؟ بعد مغادرتك وخروج الجيش الأمريكي، أصبحت معلِّمة في مدرسة للبنات. ثمَّ انتقلت إلى بوسان، وبدأت التدريس في إحدى الجامعات. وهي الآن تقوم بتدريس اللغة الإنجليزية هناك. وهذا ما يحدث عندما تدرسين؛ يفتح أمامك عالم من الفرص».

انتشرت ابتسامة مريرة على وجه سونام. بدت ذكرى الذهاب إلى الكلية في نيويورك وكأنها شيء من حياة سالفة. ويبدو أن دور البطولة في تلك الذكرى كان لتشيريونج الحقيقية، لا هي. أمطرتها سورين بالأسئلة حول ما إذا كانت متزوِّجة، وأي نوع من الأزواج كان زوجها، وما إذا كان لديها أطفال، وأين تعيش.

أجابت بشرود، فيما تنظر حولها. هل عاشت في هذا المنزل من قبل حقًا؟ لم يكن هناك شيء يذكِّرها بالأيام الخوالي. تجمَّدت نظرة سونام الهادئة على إطار الصورة الموضوع فوق الخزانة. كانت صورة طفل صغير في احتفال بعيد ميلاده الأول. تَبَعَت سورين نظرة سونام. جالت بعينيها في أرجاء المكان لمعرفة ما إذا كان ثمة أي شخص قريب، ثمَّ تحدَّثت بصوت منخفض: «آه، أتيت إلى هنا بسبب فضولك بشأنه. الطفل الذي ولدته بعد أن تكبَّدت هذا الألم كله. ولمَ لا؟ لا تقلقي عليه، فهو يتلقَّى تربية جيدة، ويكبر في أحضان الرفاهية».

- لا بُدَّ أن الأشخاص الذين أخذوه أناس طيبين.

كانت عينا سونام مثبتتين على الصورة.

- عن ماذا تتحدَّثين؟ السيدة الشابة من تربي. الطفل في تلك الصورة هو جينسو. إنها مقتنعة تمامًا بأنه ابن السيد الشاب.

وعلت ابتسامة خبيثة وجه سورين.

شعرت سونام كما لو أن رأسها قد ضُربَ بمطرقة ثقيلة. فجأة تبادر إلى ذهنها شيء قالته سورين ذات مرّة عندما كانت في حالة ثمالة. كانت قد عادت للتوّ إلى المنزل في قصر جايهوي-دونج، ولذلك لم تكن تنصت حقًا عندما أخبرتها سورين أن تايسول قد جُنْدُ قسرًا، ومات بسبب الفيكونت هيونجمان، وأنها عاشت للانتقام لموت تايسول. امتقع وجهها.

- أنتِ...!

مالت سورين إلى الأمام، وقاطعت سونام: «حتى لو انحنيت لي مائة مرّة، فلن يكون ذلك كافيًا. يبدو أن السيدة لا تريد الزواج، فلمن إذن ستؤول كل هذه الممتلكات؟ لابنك. النجاح لك، وليس لي. عشت حياتي. أمّا أنتِ، فابقي هادئة حتى يكبر ابنك. سيكتشف الأطفال سلالتهم لاحقًا».

سُلَّ عقلها، وفي تلك اللحظة، رنَّ صوت واضح قادمًا من عند البوابة الأمامية: «عدتُ من المدرسة».

كان صوتًا مبهجًا غير جَوِّ المنزل الكئيب في لحظة. لم تستطع سونام إلا أن تنظر في اتجاهه. في اللحظة التي ركض فيها الصبي، حقيبته فوق ظهره، تدلّى فمها مفتوحًا. كان الصبي بخديهِ المكتنزين ومظهره الشبيه بخوخة، يشبه جانجهوي، ربما أقصر قليلًا وأكثر اكتنازًا ممّا كان عليه عندما تذكّرت سونام رؤيته لأول مرّة. هزّت رأسها بعدم تصديق، وأغمضت عينيها ثمّ فتحتهما مرّة أخرى. عبر الطفل الفناء، ودخل الغرفة التي كانا يجلسان فيها. انتشرت ابتسامة على محيا سورين وهي تستقبل الطفل، وشاب صوتها الحنان وهي تقول: «مرحبًا بك في البيت. هل استمعت جيدًا لكلمات معلّمك ودرست جيدًا؟». كانت مثل أي جدّة تحب أحفادها.

- أنا ابن أستاذة جامعية، لذا فقد فعلت ذلك طبعًا. لكن من هذه السيدة؟

خلع الطفل حقيبته، وألقاها جانبًا، وهدق إلى سونام. بادلتها النظرات كما لو كانت تريد طباعة صورته في عينيها.

قالت سورين: «أوه. إنها ابنة أخي. قل مرحبًا». ولكزت سونام بمرفقها، ورمقتها بنظرة حادّة. أشاحت سونام بعينيها بعيدًا بسرعة.

قال الصبي، وهو يحيي سونام بأدب: «مرحبًا، (ثم استدار إلى سورين) جدتي، دعوت جيومان للعب معي. سيصل قريبًا».

ومن دون انتظار رُدّها، ركض عائداً إلى الخارج.

- يا إلهي، لم يتوقف حتى لشرب شيء ما. (وتنهدت سورين وهتفت وراء الفتى). جينسو، المكان خطير، لذا لا تلهو حول موقع البناء، وإلا ستوبّخك والدتك عندما تعود إلى المنزل.

أجابها: «تمام!» ثم اختفى الصوت الذي زلزل روح سونام، خارج البوابة. بيد مرتعشة، التقطت سونام كأسها لتشرب.

- كلما كبر، يزداد شَبهاً بالسيد الشاب. لم تري السيد الشاب عندما كان صغيراً جداً، أليس كذلك؟ كان غاية في البهاء.

قالت سورين هذا وصوتها ينضح بالفخر لأنها من ربّته.

ثم استطردت: «لو كان بوسعك أن تري مدى إخلاص السيدة وتكريس وقتها له، فسوف تندهشين. لا يوجد والدة وطفلاً مقربين من بعضهما بعضاً مثلها في أي مكان. سواء كان ذلك ملابس أو طعاماً، تقدّم له أفضل ما في كل شيء، فلا تقلقي، وعيشي بسلام. تزوّجي وأنجبي أطفالاً. ينبغي أن تستمتعي بالحياة مثل أي شخص آخر».

واصلت سورين الحديث. أخفت حقيبة الظهر، قائلة إنه لن يروق لتشيريونج اكتشاف أن سونام قد أتت للزيارة. بالكاد استمعت سونام، وسارعت بالمغادرة. شاهدت جينسو يلعب مع الأطفال الآخرين. بدا مشرقاً ومبهجاً دون أي لمحة قلق. مثل أي طفل ينشأ محبوباً، كان صوته واضحاً ومملوءاً بالثقة. كما قالت سورين، كان جينسو، الذي كان قادراً على تناول طعام جيد، وارتداء ملابس جيدة، يتمتع بكل أناقة سليل عائلة ثرية. لم يكن بوسعها أن تمنحه ذلك.

عندما غادرت، هبطت سونام المنحدر، مكيأجها ملطّخ بالدموع، غير مصدّقة أن الصبي قد يكون في الواقع طفلاً وطفل جانجهوي. فكّرت في

الأمر ذات مرة مدّة وجيزة، لكنها شعرت كما لو كان مجرد التفكير في مثل هذا الشيء بمنزلة إهانة، ولذا فقد طردت الفكرة من ذهنها على عجل.

كيف تجرؤ على ربط نسل الشيطان به؟ ولم تفكر في الأمر مرة أخرى.

بعد عودتها إلى المنزل، استعادت سونام ذكريات تلك الأيام التي أمضت حياتها تحاول نسيانها. قبل أن تغادر تشونجتشينج، كان من الواضح أنها حامل، لو كانت تعرف العلامات فحسب. بالطبع، لم يكن من النادر انقطاع دورتها الشهرية خلال مدّة عصبية بشكل خاص -مثلما انقطعت ذات مرة في أثناء وجودها في أمريكا- لذلك لم تفكر في ذلك كثيرًا لا سيما مع جميع الأشياء الأخرى التي كانت تحدث. وهذا يعني أن الطفل لم يولد قبل الأوان كما ظنّت. حتّى بعد أن انتهك الوحوش جسد والدته، خرج الطفل إلى العالم في الوقت المناسب. التفكير في أنها أصبحت أمًا دون أن تعرف الكثير. وبينما كانت تتذكّر أفكارها وأفعالها تجاه الطفل في رحمها، انهارت سونام على الأرض وبكت. في البداية، اعترها القلق من أن عظامها سوف تنكسر تحت وطأة الندم، لكن بعد ذلك غمرتها فرحة لا يمكن السيطرة عليها. على الرغم من أن جانجهوي لم يعد بجانبها، فإن الاثنين سيتحدان إلى الأبد من خلال طفلهما.

بعد قضاء عدّة أيام في البكاء والضحك مثل امرأة مجنونة، تركت سونام وظيفتها في المطعم. بصفتها أم ابن جانجهوي، لم تستطع الاستمرار في العيش كما لو أنها تخلّت عن الحياة. ولم تتوقّع سونام أن يجدها طفلها. وشعرت أنه لا بأس حتّى إذا عاش حياته كلها دون أن يعرف أنها والدته. هذا لن يغيّر حقيقة أنها والدة جينسو. وبفضل ابنها، ستصبح زوجة جانجهوي إلى الأبد.

كان البحث عن وظيفة صعبًا، في البداية، لأن أي سجل لتعليمها كان باسم تشيريونج، لكن في النهاية، عُيّنَت سونام معلّمة للغة الإنجليزية، بفضل زبون التقية في المطعم. لم تمتلك أي شهادات، لذلك كانت راتبها منخفضًا في البداية، لكن مع مرور الوقت، وانتشار الشائعات بأنها معلّمة ممتازة، ومع ارتفاع عدد الطلاب، ارتفع راتبها الذي كانت تتقاضاه.

بعد انقلاب عام 1961، ازدادت المنافسة على القبول في المدارس المرموقة في ظلّ الحكومة الجديدة، كما ازداد الراتب الذي تتقاضاه سونام. أنفقت القليل من المال على نفسها، وكان عقلها منصباً بالكامل على ابنها، على الرغم من أنها حافظت على مسافة بينها وبينه، بحيث لا تلاحظ تشيريونج والصبي، واكتفت بالمراقبة من بعيد.

عندما كان جينسو في المدرسة الثانوية، أرسلت تشيريونج سورين، التي كانت تعاني مشكلة في الحركة، إلى منشأة لرعاية المسنين.

كلما كان لدى سونام وقت فراغ، زارتها، وتحدّثتا عن ابنها بما يرضي قلبها. افتقدت سورين جينسو كما لو كان حفيدها حقاً، ويبدو أنها نسيت انتقامها الكبير. في ذلك الوقت تقريباً، وفّرت سونام ما يكفي من المال لشراء منزل صغير. أرادت أن تُظهر لجينسو عندما يعرف أنها والدته، أنها كانت تُبلي بلاء حسناً. وعندما تموت، لم يكن بوسعها أن تتمنّى شيئاً أفضل من ترك المنزل لابنها.

من بعيد، شاهدت سونام جينسو يتحوّل من صبيٍّ إلى شاب، ارتاد الكلية وحصل على الدراسات العليا، ثم تزوّج وغادر للدراسة في الخارج. عندما اكتشفت أن وجهة جينسو نيويورك، وقعت في غواية تخيُّلات سعيدة له وهو يسير في الشوارع التي سارت فيها. ربما سيعبر أمام الكلية التي ارتادتها. وربما يأكل في المطعم الذي كانت تعمل فيه. سيذهب إلى سنترال بارك، والحي الصيني، وميدان التايمز.

بفضل جينسو، أشرقت ذكرياتها عن نيويورك من جديد، وحياتها أيضاً.

الخاصة

الفصل الرابع والعشرون

ابنة الفيكونت

· أنتج البرنامج الوثائقي «ابنة الفيكونت» بوصفه حلقة تلفزيونية خاصة بمناسبة الذكرى السبعين لتحرير كوريا من اليابان عام 1945، ويحكي قصة الدكتورة يون تشيريونج، ابنة عائلة حصلت على لقب النبالة من الحكومة اليابانية خلال الفترة الاستعمارية.

كانت الدكتورة كانج مسؤولة عن التأليف والكتابة وجلست مع موضوع الفيلم الوثائقي لخمس مقابلات تمهيدية قبل التصوير. على الرغم من أن الدكتورة يون ولدت عام 1920، فإنها كانت لا تزال تتمتع بصحة جيدة وذهنٍ صافٍ، ولم تستخدم عصا المشي بعد، على الرغم من أنها استخدمت مُعِينَةً سمعية. وعلى الرغم من عمرها، فقد احتفظت بذكريات مراهقتها، وهو ما أرادت التركيز عليه. كان هناك الكثير من الوثائق الداعمة لذكرياتها، وقبل

كل شيء، كانت حياتها الدرامية قصة مثيرة من شأنها أن تصنع برنامجًا تلفزيونيًا رائعًا.

جرى التصوير بسلاسة، وكانت تقييمات المشاهدة عالية. للأسف، لم تعيش الدكتورة يون تشيريونج لتشاهد البرنامج الوثائقي الذي كانت موضوعه، حيث وافتها المنية بعد وقت قصير من المقابلات. شغلوا مشهدها من جنازتها في ختام الوثائقي لإحياء ذكرى وفاتها، على أمل إقناع المشاهدين رمزيًا بأن الأوقات التي يجب ألا تُنسى كانت تمضي، ما يضيف إلى معنى العمل. كان من المقرر أصلاً أن يُبث الوثائقي في ساعة متأخرة من الليل، لكن أُعيد إذاعته في صباح يوم التحرير.

بعد بث وثائقي ابنة الفيكونت، دعا حفيد الدكتورة يون تشيريونج، يون سيونج وو، مدير إدارة إحدى الشركات، فريق التصوير إلى فيلته في يانجسو ري، أعلى النهر من سيول. كان هو الذي ساعدهم في إقناع الدكتورة يون تشيريونج بأن تكون الموضوع الرئيس للفيلم الوثائقي. وكانت زوجته وابنه البالغ من العمر تسع سنوات وابنتاه التوأم البالغتان من العمر سبع سنوات حاضرين أيضًا في الفيلا. حفل الشواء في الحديقة، المملوء بضحكات الأطفال على خلفية مغيب الشمس على النهر، كان أشبه بمشهد من دراما تدور أحداثها في المجتمع الراقى.

في سن يتجاوز الأربعين بقليل، أصبح المدير يون سيونج وو مالكاً لأكاديمية يونسيونج، التي تتكوّن من مدارس ابتدائية ومتوسطة وثانوية، وقد ورث أيضًا عقارات ضخمة. توفي يون جينسو، والد الرئيس يون والابن الوحيد للدكتورة يون، في حادث سيارة في الولايات المتحدة في أوائل الثمانينيات. المدير يون سيونج، الذي ربّته جدّته منذ الطفولة، كان يُكنّ لها عاطفة واحترامًا عظيمين.

قالت إحدى أفراد الطاقم إنه لو كانت جدّتها قد أورشتها الكثير، فسوف تبجلها كإلهة، وضحكوا جميعًا متفقين معها. وشكرهم المدير يون سيونج

وو، قائلاً إن الوثائقي من المرجح أن يعزز معدلات التقديم للمدرسة الثانوية، التي حوّلها إلى مدرسة خاصة مستقلة في العام السابق. سألتها الدكتورة كانج إن كان بوسعها كتابة سيرة جدّته؛ كانت أيضاً روائية، ونشرت كتابين. وقرّرا الاجتماع على انفراد في المستقبل القريب لمناقشة التفاصيل.

وبعد أيام قليلة، تلقت الدكتورة كانج مكالمة هاتفية من مكتب طاقم الإنتاج، تفيد بأن أحد الأشخاص الذين شاهدوا البرنامج يطلب رقم هاتفها. سألت: «ما الأمر؟ هل هو شيء لا يستطيع فريقك التعامل معه؟».

لم يكن من غير المعتاد أن تأتيها، بعد بثّ البرنامج، مكالمات من أجل الشكوى من المحتوى والأشخاص المعنيين؛ أو على العكس من ذلك، من أجل التعبير عن الامتنان، أو طلب معلومات الاتصال، أو قول إنهم من معارف أحد المذكورين في البرنامج، أو تقديم المزيد من المعلومات الأساسية المتعلقة بالمحتوى. في معظم الأحيان، لم يكن من المهم من الذي سيقدم الردّ المهذب المعتاد الذي يشكر المتصل على اهتمامه.

- هذا صحيح، أحدهم يريد أن يعرف رقم الكاتبة، الدكتورة كانج.

هل هو شخص رأى اسمها في شارة النهاية، وكان لديه عرض عمل من أجلها؟ سمعت من الأصدقاء أنها قامت بعمل جيد بشكل خاص في الوثائقي، على الرغم من أنها أعطت الفضل الكامل لقدرتها على إجراء مقابلة مباشرة مع الدكتورة يون تشيريونج. طلبت منهم أن يمرّروا رقم المتصل إليها، ولم يمض وقت طويل حتى تلقت مكالمة من امرأة قالت لها إنها مديرة دار لرعاية المسنين.

- أنا آسفة للاتصال بك فجأة. إحدى مرضانا، وهي امرأة عجوز شاهدت فيلمك الوثائقي، ترغب بشدة في مقابلة الكاتبة. أصرّت على مقابلتك لدرجة أنني لم أستطع صدّها. اتصلتُ بمحطّة البثّ، وأعطوني معلومات الاتصال الخاصة بوكالتك.

كانت نبرة المديرية اعتذارية عندما أخبرتها قليلاً عن المرأة: «أنا آسفة لأنني لا أستطيع أن أخبرك بسبب رغبة المريضة بمقابلتك. ترفض إخباري وتقول إنها ستتحدث إليك مباشرة».

في الواقع، لم يكن المشاهدون مهتمين عادةً بكتاب الأفلام الوثائقية، بل إن القليل من الناس شاهدوا الشارة النهائية، لذلك غدت الدكتورة كانج فجأة فضولية بشأن هذه المرأة العجوز التي كانت تتوق إلى مقابلتها بعد مشاهدة «ابنة الفيكونت». كان أفضل تخمين أنها لا بد أن تكون على صلة قرابة بالدكتورة يون تشيريونج، أو إحدى معارفها القدامى، كما أخبرتها المديرية، أنهما كانا في العمر ذاته تقريباً. ربما كانتا صديقتين، وربما كان لدى المرأة العجوز شيء آخر لتقوله عن الدكتورة يون، وهو ما قد يكون مفيداً في مشروع كتاب السيرة الذاتية الذي كانت تناقشه مع المدير يون.

وفي اليوم التالي، ذهبت إلى دار رعاية المسنين في يانغجو، في مقاطعة جيونجي، على مقربة من سيول. حتى لو لم يقدها الأمر إلى أي شيء، لم تعدّ الدكتورة كانج زيارتها مضيعة للوقت، لأنها ستظهر للمدير مدى حماسها للمشروع. كانت دار رعاية المسنين تقع عند سفح جبل، وكان مشابهاً في التصميم والتشغيل لجميع المرافق الأخرى المخصصة للمسنين، والتي ظهرت بسرعة خلال السنوات القليلة الماضية.

عندما وصلت إلى مكتب الاستقبال، سألت المديرية، التي بدا أنها في ذات عمرها، عن المرأة العجوز، فقالت المديرية: «لم أتوقع مجيئك. شكراً جزيلاً. لقب كيم سونام هنا الدكتوراه. في سنّها، لا تزال تستطيع التحدّث باللغة الإنجليزية وهي ذكية جداً، لكنها أصبحت أضعف كثيراً بعد تعافيتها من مرض خطير منذ وقت ليس ببعيد».

إذا كانت المرأة بهذا الذكاء وتحدّث الإنجليزية، فقد خمنت الدكتورة كانج أنها والدكتورة يون كانتا صديقتين عندما كانتا طالبتين. فجأة تمنّت لو أنها عرفت بوجودها مبكراً، إذا كان بوسعها حينذاك إضافة مقابلة مع كيم سونام

هذه إلى الفيلم الوثائقي. كانت مبهورة جدًا بحياة الدكتور يون تشيريونج لدرجة أنها ندمت فجأة لأنها بثت الوثائقي بالفعل، الآن بعد أن أصبح هناك المزيد مما يمكن قوله عنها. قادتها المديرية إلى غرفة مشتركة بها مناضد وكراسٍ صغيرة، حيث كان بعض النزلاء المسنين يقضون وقتًا مع عائلاتهم فيما كان آخرون يتحدثون مثنى وثلاث. وبعد لحظات، اقتربت امرأة عجوز على كرسي متحرك، يدفعها أحد مقدمي الرعاية. كان للمرأة شعر أبيض قصير وجسم ضئيل، ووجهها مملوء بالتجاعيد وبقع الكهولة، لكنها تركت انطباعًا أنيقًا. كان هذا أول لقاء لهما فحسب، لكنها بدت مألوفة إلى حد ما للدكتورة كانج، لكن مرة أخرى، مع تقدّم الناس في السنّ، يميلون جميعًا إلى الظهور بالشكل نفسه.

توقّف الكرسي المتحرك مقابلها، وحدّقت المرأة المسنّة إلى الدكتورة كانج، يداها تتشبّثان بمسندي ذراعي كرسيها. بدا أنها تتساءل إن كانت هي حقًا الشخص الذي سعت إلى التواصل معه. أومأت الدكتورة كانج برأسها تحية.

- صباح الخير. اسمي كانج هاي-ران.

صرفت المرأة العجوز مقدّم الرعاية والمديرة، لكنّ حتّى بعد أن أصبحتا بمفرديهما، ظلت تنظر إليها دون أن تنبس ببنت شفة. كانت نظرة ثاقبة يبدو أنها تستمدُّ طاقتها من جسدها كله. شعرت الدكتورة كانج كما لو أن عينيّ المرأة العجوز، التي عاشت ضعف عمرها، يمكن أن تخترقاها، لذلك تطرّقت بسرعة إلى جوهر اللقاء.

- قلتِ إنكِ تريدين رؤيتي؟ هل كنتِ تعرفين الدكتورة يون تشيريونج؟

كان عمرها يضاهاي عمركِ، هل كنتما صديقتين؟

- أنا ابنة الفيكونت.

كان الصوت الذي صدر عنها، كما لو كان يصحّحها، مرتعشًا لكنه واضح، وكانت الكلمات محيرة.

- ماذا؟ ماذا تقصدين؟

- أعني أنني يون تشيريونج.

- عن أي شيء تتحدثين؟ توفيت الدكتورة يون تشيريونج منذ وقت ليس ببعيد....

توقفت الدكتورة كانج فجأة في منتصف الجملة عندما أدركت سبب كون الوجه مألوفًا للغاية - بدت المرأة العجوز مشابهة جدًا للدكتورة يون تشيريونج. هل كانتا أختين؟ لا، كانتا في العمر نفسه. إذن هل كانتا توأمتين؟ لكنها سمعت أن الدكتورة يون ليس لديها أخوات.

قالت المرأة العجوز: «كانت محتالة».

لم تكن الدكتورة كانج متأكدة من كيفية الردّ على كلمات المرأة التي نطقتها بثقة هائلة، فحدّقت فحسب، مذهولة من كتلة من الأفكار المغلّية التي راحت تدور داخل رأسها. كلما نظرت إليها أكثر، غدت تشبه الدكتورة يون تشيريونج. ومع ذلك، لو كانت المرأة العجوز هي حقًا ابنة الفيكونت، يون تشيريونج، فماذا سيحدث لأولئك الذين صنعوا فيلمًا وثائقيًا عن حياتها للتلفزيون؟ وكانت هناك منذ اليوم الأول، بعد أن قرأت مقابلة مع الدكتورة يون في مجلة منذ قرابة عشرين عامًا، عندما حصلت على جائزة وطنية.

في ذلك الوقت، كانت أكاديمية يونسيونج التي أسستها معروفة بصفقتها مدرسة خاصة مرموقة. لولا العنوان الفرعي الجذاب، «وُلِدَتْ ابنة فيكونت، وعشت بصفتي عرّابة التعليم الكوري»، لكانت قد تجاهلتها. خلال تاريخها الذي يبلغ خمسة آلاف عام، لم تستخدم كوريا ألقاب النبالة ذات النمط الأوروبي إلا خلال حقبة الاستعمار الياباني. بعد فقدان سيادتها الوطنية، مُنِحَ أولئك الذين قدّموا مساهمات لليابان، أو كانوا أعضاء في العائلة المالكة السابقة، ألقابًا من قبل الحكومة العامّة لكوريا. إذا قَبِلَ شخص ما اللقب، فمن الأمن اعتباره متعاونًا مؤيّدًا لليابان.

كان من الشائع أن يستمر أحفاد المتعاونين في التمتع بمجد أسلافهم، حتى بعد التحرير، لذلك لم يكن هناك أي شيء صادم بشأن التناقض بين كونها ابنة فيكونت وعزابة التعليم. ما كان صادمًا هو كيف كشفت بفخر عن تاريخها بصفقتها ابنة أحد الفيكونت -أمر لم يكن يستحق الفخر- ما أشار إلى أنه قد يكون ثمّة شيء مثير للاهتمام يمكن العثور عليه في قصة حياتها. كانت طفولة الدكتورة يون وشبابها متشابكين مع حقبة الاستعمار الياباني. كان ذكر تلك الحقبة في المجلة مقتضبًا ولكنه مكثف، وكما نُوه إليها بإيجاز، فقد حفزت تلك الحقبة خيال الدكتورة كانج. ستكون الدكتورة يون هذه في منتصف التسعينيات من عمرها، لذا تعاملت مع تلك المرأة متوقعة أنها توفيت، لكن كما اتضح، كانت الدكتورة يون تشيريونج لا تزال على قيد الحياة. هزت الدكتورة كانج رأسها. الدكتورة يون تشيريونج، التي التقتها في سلسلة من المقابلات على مدى أربعة أشهر، والبيانات التي رأتها بأمر عينيها، لا يمكن أن تكون كاذبة.

- أنا آسفة، لكني لا أفهم ما تقصدينه. هل لديك أي دليل؟

انهار تعبير وجه المرأة العجوز فجأة قبل أن تنتهي من الحديث. عندما تلاشى الضوء من عينيها، بدت وكأنها غصنٌ جافٌ على وشك الانكسار. وفجأة، تعافت واستدعت مقدّم الرعاية، وقالت إنها تريد العودة إلى غرفتها. شاهدت الدكتورة كانج المرأة العجوز وهي تُنقل بعيدًا دون أي وداع رسمي، وشعرت بالحرص والارتباك.

عادت المديرية، وجلست مقابلها، وسألت: «ماذا قالت الجدة كيم سونام؟». يبدو أن النظرة على وجهها توحى إلى أنها تعتقد أن المرأة العجوز أخبرتها بشيء مهمٍ وعظيم الدلالة.

سألت الدكتورة كانج: «هل هي في كامل قواها العقلية؟ تزعم أنها شخص ظهر في فيلم وثائقي. لكن هذا الشخص توفي مؤخرًا».

أصبحت تعبيرات المديرية مكفهرّة، واعترفت بأن المرأة كانت في المراحل الأولى من الخرف. حتّى الدكتورة يون تشيريونج، التي كانت عادةً دقيقة وصارمة للغاية، كانت تقول أحيانًا أشياء سخيفة. وفي مثل سنّها، كان العكس مفاجئًا. لكنّ حتّى لو كان الأمر يتعلّق بالخرف، فقد تساءلت الدكتورة كانج عن السبب وراء ادعاء كيم سونام. لماذا قد يظنّ المرء أنه شخص آخر إذا لم يكن لديه صلة أو دافع معين.

سألت: «ماذا عن عائلة كيم سونام؟».

- ليس لديها عائلة.

بعد أن أدركت أن لقاء الدكتورة كانج مع المرأة العجوز كان بلا جدوى، اعتذرت المديرية عن إضاعة وقتها. كانت هناك أشياء كثيرة أرادت الدكتورة كانج الاستفسار عنها، لكنها كبحت نفسها، وعادت إلى المنزل. لا بدّ أن كيم سونام كانت حائرة عندما رأت شخصًا يشبهها في أثناء مشاهدة التلفزيون. عندما يُصاب أحدهم بالخرف، يؤلّف قصصًا عن أشياء لم تحدث قط. كانت كانج على يقين من أن هذا ما حدث. من المستحيل أن تكون الدكتورة يون تشيريونج التي ظهرت على شاشة التلفزيون مزيفة. لا، لا يمكن أن تكون مزيفة.

بدلاً من نسيان كيم سونام، أصبح صوت المرأة العجوز والثقة التي كانت تتحدّث بها أكثر حيوية في ذهن الدكتورة كانج. أرادت أن تعود بسرعة إلى دار المسنّين، وتسألها عن سبب قولها ذلك، لكن لم يكن لديها الوقت. المقالات التي سمحت لها بإعالة والدتها - التي قاربت السبعين - وابنتها في السنة الثانية من المدرسة الإعدادية، تتراكم عليها كالدائنين، في حين كان الحصول على نفقة الطفلة من زوجها السابق أصعب من الحصول على قرض من البنك. وبعد أيام قليلة، تلقت رسالة نصّية من مديرة دار رعاية المسنّين. طلبت منها كيم سونام أن تتصل بها مرّة أخرى، لكنّ ألا تأتي إن كانت الدكتورة

كانج منشغلة. استجابت على الفور كما لو كانت تنتظر المكالمة. ردّت: «سأتي على الفور».

بمجرد أن أرسلت الدكتورة كانج الرسالة، وضعت كل شيء جانبًا، وتوجّهت إلى دار رعاية المسنين. في أثناء قيادة السيارة، تساءلت بعصبية عمّا قد يحدث للسيدة العجوز في الوقت الذي استغرقته للوصول إلى دار المسنين. تمامًا كما توفيت الدكتورة يون تشيريونج، التي كانت تتمتع بصحة جيدة، لا يمكن أبدًا معرفة متى يمكن أن تتدهور صحّة كبار السنّ. ضغطت على دواسة البنزين.

حالما رأت المديرية، سألت الدكتورة كانج عن صحّة المرأة العجوز. قالت المديرية لها: «على الرغم من ظهور أعراض الخرف عليها، فإنها لا تزال في حالة جيدة. ولا يسعنا إلا أن نأمل أن تتطوّر الأعراض ببطء. بعد مدّة وجيزة». كانت الدكتورة كانج تجلس مع كيم سونام، الاثنتان وحدهما في الغرفة. استعادت المرأة العجوز نظراتها المشرقة، المركّزة التي رأتها في لقائهما الأول.

سألتها: «هل أنت مستعدّة لسماع قصّتي؟».

الفصل الخامس والعشرون

قصة جديدة تبدأ

توفيت كيم سونام بعد سبعة أشهر من بدء لقاءاتهما. خلال الشهرين الأخيرين لها، كانت الأعراض شديدة للغاية لدرجة أنها لم تتمكن من التحدث على نحو صحيح. كانت الدكتورة كانج تزورها مرة أو مرتين في الأسبوع، وأحياناً كانت كيم سونام تنادي الدكتورة كانج بـ «أمي» وتكون مسالمة، وفي بعض الأيام، تصبح عدائية.

منذ البداية، سجّلت الدكتورة كانج كلماتها، حيث أدركت بسرعة أنه سيكون من الصعب جداً عليها تدوين كل شيء. في النهاية، عندما قالت كيم سونام كل ما كان عليها أن تقوله، ألقت نظرة سريعة على جهاز التسجيل، وسألت: «هل ستكتبين قصتي؟».

لم تكن الدكتورة كانج مستعدة للإجابة، وبدلاً من ذلك سألت المرأة العجوز: «ماذا تريد مني أن أفعل؟».

طلب المدير يون سيونج وو منها رسمياً أن تكتب السيرة الذاتية لجده. تضمنت شروط العقد أعلى مبلغ تلقته على الإطلاق. وقال أيضاً إنه سيوفر لها غرفة في فيلته في أثناء مدة الكتابة. كيف يمكنها تفسير أن جزءاً من حياة يون تشيريونج الذي أراد المدير يون سيونج وو أن تكتبه ينتمي إلى شخص آخر؟

كما لو كان مقدراً لهما أن تلتقيا، كانت القصة التي كشفت عنها تتدفق عبر جسدها، وتختلط بدمها ولحمها وكذلك روحها. لم يكن شيئاً يمكنها تجاهله أو نسيانه بسهولة.

في الوقت الحالي، أجّلت الدكتورة كانج الردّ على عرض المدير يون لكنه كان ثرياً ولم يعتد على الانتظار، لن يتحلّى بالصبر إلى الأبد. مع شروط العقد المعروضة، كان أناس أكثر شهرة وموهبة منها سيأتون مهرولين ويوافقون بلهفة على عرض المدير المغربي.

- هل تريدني مني أن أكتب قصّتك؟

سألت مرّة أخرى وهي تراقب المرأة العجوز وكأنها تنتظر أن تقرّر. ارتعشت شفتا كيم سونام، وواجهت صعوبة في التحدّث: «على الرغم من أنني اعترفت لك بكل شيء، فإنني ما زلت خائفة. في بعض الأحيان يكون ثقل الحقيقة كافياً لإحداث ضرر هائل. خوفي الأكبر - وأسفي - أن هذا ما حرمني من ابني جينسو».

نادراً ما ذكرت وفاة ابنها في حادث سيارة في الولايات المتحدة. الآن تحدّثت بابتسامة على وجهها عن كيف شاهدت من بعيد ورأت كيف كبر ابنها، وكم كان يشبه والده. كلما ازداد إشراق وجه سونام، شعرت الدكتورة كانج وكأنها تشاهد فيلماً، وتعرف النهاية المأساوية مقدّماً. وكانت قلقة بشأن تأثير إيقاظ تلك الذكريات. أصيبت المرأة العجوز بالصدمة عندما روت قصة ما عاشته في محطة الراحة العسكرية الفارغة في شنجهاي، لذلك لم ترغب الدكتورة كانج في الضغط بشدّة، وكانت تتأخّر في طرح السؤال في كل مرّة يأتي فيها ذكر ذلك... لكنّ في النهاية، جاء الوقت.

- لم يكن حادثاً. كان انتحاراً.

تحدّثت بصوت مشدود، ولم تتمكّن الدكتورة كانج من العثور على أي كلمات للردّ.

في نهاية السبعينيات، وباستخدام ثروة الأسرة التي استعادتها، أنشأت تشيريونج مدرسة ثانوية للبنات. وبعد سنوات قليلة، أنشأت مدرسة ابتدائية. بصرف النظر إن كانت قد درست بنفسها بالفعل أم لا، فقد استفادت استفادة كاملة من تعليم سونام والشهادة الجامعية التي حصلت عليها باسمها.

- حتى ذلك الحين، كنت قد قبلت كل شيء. حتى لو كانت الحياة التي عاشتها هي حياتي، وحتى لو حولت يون هيونجمان زورًا إلى مؤيد لحركة الاستقلال. لأنها كانت أمّ ابني. إذا جرحتها، فسيتأذى الطفل أيضًا. لكن ما لم أستطع تحمّله هو أكاذيبها بشأن ولادة طفلي.

في أوائل الثمانينات، أخبرت تشيريونج إحدى المجلات النسائية كيف أصبحت أمًا. كونها عازبة. أخبرتهم أنها اعتادت بعد التحرير على إيواء المواطنين العائدين العاجزين في منزلها، وقد توفيت إحداهن بعد أن أنجبت طفلًا. في اللحظة التي رأت فيها الطفل، شعرت أنهما مرتبطان روحياً، لا بالحبل السري. قرّرت أن تتبنّاه، وبقيت عازبة طوال حياتها من أجله. لا يمكن أن تكون ثمة روح أكثر نبلاً من تلك الروح التي يكرسها المرء من أجل العمل الخيري والأمومة. حتى ذلك الحين، كانت سونام تعلم فقط أن تشيريونج كانت بمنزلة والدة ابنها، لكنها افترضت أنه مُسجّل بصفته ابن جانجهوي في سجل العائلة. لا يهمُّ أنه نشأ بصفته ابن تشيريونج، لكنها لم تستطع تحمّل أنها حولته إلى يتيم.

- ذهبُ لرؤية يون تشيريونج في المدرسة.

استقبلتها تشيريونج في مكتب واسع وفاخر. كانت هذه المرّة الأولى التي التقنا فيها وجهًا لوجه منذ أن غادرت سونام المنزل. بعد أن تجاوزتا عيد ميلادهما الستين، كانت كلتاها ذات شعر رمادي، والخطوط الدقيقة المتقاطعة على وجهيهما أظهرت عمريهما. كانت مشاعر سونام القديمة تجاه تشيريونج قد تلاشت كلها. حتى الامتنان الذي شعرت به تجاهها نظير تربيتهما جينسو جيدًا قد تحوّل إلى غضب بعد أن قرأت المقابلة. قالت سونام لها إنها ستتجاهل كل شيء آخر، ما دامت تشيريونج قالت الحقيقة بشأن ميلاد جينسو. وبخلاف ذلك، هدّدت بأنها ستخبر العالم بأنها أخذت لتخدم بصفته «امرأة متعة» في الجيش الياباني بدلًا من تشيريونج، وأن تشيريونج تزوّجت من رجل ياباني وأنجبت منه، وأنها فبركت قصة حياتها.

لم ترمش تشيريونج حتى، وقالت: «دعيني أخبرك بهذا. قبل أن تبحتني عن أي شيء لإثبات هراءك، سيكتشف جينسو أولاً أن والده كان ابن محظية، وأن أمّه تعرّضت للاغتصاب من قبل ذلك الرجل. ولن يروقه أن أمّه قد باعته مقابل

حفنة من النقود ثم هربت وعملت في حانة. أعتقد أنه يفضل أن يكون يتيمًا على أن يكون طفلًا لوالدين مثلكما أنت وجانجهوي». هل تجرأت على قول ذلك عن جانجهوي؟ لا يمكن أن تكون ثمة إهانة أسوأ.

- كيف تجرؤين على القول إنه اغتصبني! (صرخت وهي ترتجف وقد شحب وجهها). تراجع عماً قلبه، واعتذري. أنا وجانجهوي كنا متزوجين. كنا زوجين متحابين، وجينسو الطفل الذي ولد من صلبنا. لو كان ذلك صحيحًا، كان ينبغي لك أن تقولي الحقيقة، بدلًا من أخذ المال والمغادرة. ولكنك أخذت المال، وليس لديك الحق في الكلام. وإذا كنت فخورة جدًا بذلك، فلماذا لم تتمكني قط من التواصل معه بشكل مباشر؟ ارحلي! ولا تقربي من أي منّا مرة أخرى. في اللحظة التي ستفعلين فيها ذلك، سيتعرف جينسو على أصله المشين.

عادت سونام إلى المنزل، وضربت صدرها، وبكت. راح قلبها يرتجف عندما فكرت في أن جينسو عاش وهو يفكر في نفسه على أنه طفل منبوز من دون أبوين يحب كل منهما الآخر. كم كان يشعر بالاشمئزاز من نفسه والوحدة. وربما كان هذا السبب وراء عدم عودته إلى كوريا، تمامًا مثلما كان جانجهوي يتجول في أنحاء الصين. وطوال ذلك الوقت، كانت هي -أمه- تعتقد أن طفلها يعيش بسعادة. لو ظلت صامته، فإن ما قالته تشيريونج سيصبح صحيحًا؛ أن والده، يون جانجهوي، قد اغتصب كيم سونام، التي كانت خادمة في قصر جايهوي-دونج، والأم التي أنجبت طفلًا ثم تخلت عنه بعد حصولها على المال.

علمت سونام أن تشيريونج ستخبر ابن أخيها أنها فضلت أن تقول إنه يتيم لأنها لم تتحمل الكشف عن الحقيقة، وسوف تتباهى مرة أخرى بحبها الأمومي المقدس.

تشيريونج، التي أثبتت خلال حياتها أن التاريخ الموصوف في الكتب يصبح سجلًا للأشخاص الناجحين، ستكون قادرة على تحقيق ذلك.

سونام، التي لم تتوقع أن تعيش كل هذه السنين، قررت أن عليها إخبار ابنها بالحقيقة قبل وفاتها، ولذلك بدأت في كتابة الرسائل له. وخوفًا من أن

يصاب بالصدمة، كتبت الحقيقة في عدة أجزاء. أي نوع من الأشخاص كان والداه، وكم كانا يحبان ويحترمان بعضهما بعضاً، وكيف مات والده، ولماذا لم تتمكن من تربيته، وماذا فعلت تشيريونج.... روت سونام القصة الصادقة لما حدث.

عندما كانت تكتب، تخيلت أن ابنها سيأتي لزيارتها. لم يكن بوسعها أن تمنحه ثروة كبيرة أو شهرة عظيمة، مثل تشيريونج، لكنها تستطيع أن تمنحه حباً صادقاً، بعد أن قررت أن حب تشيريونج لجينسو كان مجرد واجهة لخدمة مصالحها الذاتية. لكن بدلاً من ذلك وصل إليها خبر موته، تمّ الإبلاغ عن وفاته بوصفها حادثاً؛ هوى بسيارته في المحيط الأطلسي في أثناء القيادة على طول الساحل الشرقي للولايات المتحدة.

اعتقدت سونام اعتقاداً راسخاً أن وفاة ابنها كانت انتحاراً، وأن ثقل الحقيقة في رسائلها هي ما قاده إلى هذا الطريق.

- قتلتُ هذا الصبي بيدي. جعلته طفلاً مولوداً من امرأة بائسة. ما المصير الأسوأ الذي يمكن أن يكون في هذا العالم؟ ومرة أخرى، فقدت رغبتني في الحياة. لكن الحياة القاسية ما زالت لا تسمح لي بالرحيل. لجأت إلى الدين لأنني أردت أن أعرف لماذا حدث لي هذا، لكنني لم أجد أي إجابات. لو لم أقابل بوني في ذلك الوقت، لكنت أتجول نصف مجنونة حتى يوم مماتي.

بوني، التي تمكنت من التواصل معها في دار رعاية خلال هذه الفترة الصعبة، كانت أصغر من سونام بعدة سنوات، لكنها فقدت بالفعل كل أسنانها، وكان جسدها كله حطاماً. لم يتعاف جسدها وروحها، المتضررين والممزقين والمحطمين، من الوقت الذي كانت فيه «امرأة متعة». بعد غيلين، نقلوها إلى محطات الراحة العسكرية اليابانية في مناطق مختلفة، وكان آخرها على جزيرة في إندونيسيا. وبعد التحرير، اختفى المبلغ الصغير الذي ادخرته في الماء عندما انقلب القارب الذي كانت على متنه. عندما عادت أخيراً إلى الوطن، كانت والدتها قد توفيت بالفعل، وغادرت بوني، غير القادرة على تحمّل جفاء بقية أفراد عائلتها - وتوجيه السكان المحليين أصابع الاتهام إليها-، إلى المدينة وتزوجت في النهاية. بسبب الانتهاكات الجسدية التي

تعرضت لها على يد اليابانيين، أصبحت بوني عاجزة عن الإنجاب، وانهار زواجها الأول والثاني بسبب ثمالة زوجها وعنفهما.

أحضرت سونام بوني إلى منزلها، واعتنت بها مثل أختها الصغرى، وبذلك تمكنت أيضاً من الاستمرار في العيش. بعد ظهور الشهادات الأولى لضحايا «نساء المتعة» من الجيش الياباني في عام 1991، ازداد الاهتمام الاجتماعي بهنّ، لكن سونام اختارت دفن كل شيء. لم يكن هناك سجلٌ رسميٌ لتجنيدها في كتيبة النساء، ولإثبات هذه الحقيقة، كان عليها مواجهة تشيريونج مرّة أخرى. على الرغم من وفاة جينسو، فإن سونام كانت تخشى أن يتأذى ابنه -حفيدها- من الحقيقة كما تأذى والده. استقبلت تشيريونج ابن جينسو في منزلها، وربّته، لكن هذه المرّة، لم تسمح سونام لنفسها بالتفكير في الأمر.

حاولت سونام تسجيل بوني في القائمة المنشأة حديثاً لـ «نساء المتعة» المعترف بهنّ، واللاتي صرن يملكن الحقّ في الحصول على الدعم الحكومي، لكنها رفضت بعناد. أصابها الخرف فجأة، وبدا لسونام أن بوني اختارت أن تفقد ذكرياتها بدلاً من التحدّث عنها. حتّى بعد أن نسيت بوني كل شيء، اتبعت سونام مثل ظلّها، وعلى مدار العشرين عاماً التالية، كانت سونام توليها رعايتها.

كان بيت سونام الوحيد المنزل الصغير الذي اشترته عندما كانت شابة. وبعد وقت قصير من شراء المنزل، انتشرت شائعات بأنها غير مؤهلة للتدريس، ففقدت جميع عملائها. ومرّة أخرى، اقتصرَت مهمّتها على تنظيف وغسل الأطباق. وعندما لم تعد قادرة على العثور على عمل مع تقدّمها في السنّ، انتقلت من سيول إلى جيونجي دو، ووجدت مسكناً أصغر، حيث استأجرت إحدى الغرف، واشتغلت في جمع القمامة للحصول على المال حتّى تتمكّن من الاستمرار في رعاية بوني. قالت إنها تسدّد دينها، أو بالأحرى خطيئتها.

بعد الجنازة المتواضعة، تلقّت الدكتورة كانج صندوقاً يحوي المتعلّقات التي خلّفها كيم سونام، والتي ضمّت أكثر من عشر مذكّرات، وصورة واحدة باهتة بالأبيض والأسود بها تجاعيد مثل شبكة العنكبوت، ورسالة موجّهة

إليها. فتحت الرسالة على عجل، ووجدت أن الكتابة اليدوية، على عكس اليوميات، كانت فوضوية للغاية، لكنها ما زالت قادرة على تمييزها.

«إلى آخر صديقة في حياتي، الدكتورة كانج،

الآن، باتت الأيام الغائمة أكثر من الأيام الصافية. أودُّ أن أقول وداعًا قبل فوات الأوان.

في يوليو الماضي، رأيت نعي يون تشيريونج في الصحيفة. ظننت أنه لن يبقى بداخلي تجاهها سوى مشاعر الكراهية، لكنني شعرت بالإعياء والفراغ، كما لو أن أحد جاتبي جسدي قد انقطع. اعتقدت أن الشخص الذي عاش حياته بهذه الأسرار كلها لا بُدَّ أنه كان وحيدًا ومضطربًا للغاية. بعد وفاة يون تشيريونج، قرّرت أن أنسى كل شيء. كما لو كنت أنتظر أن أرى نهايتها، كان لديّ شعور بأن حياتي ستنتهي قريبًا أيضًا، وكنت سعيدة أيضًا بفكرة أن حياتي الطويلة والصعبة توشك على الانتهاء أخيرًا.

شاهدت الفيلم الوثائقي فيما كنت أتأهب للموت. لم أتصوّر أنه بقي هناك أي شيء قد يفاجئني، لكن عندما شاهدت ابنة الفيكونت، شعرت بصدمة كبيرة. قصّتي، التي عدّتها يون تشيريونج قصّتها، ظهرت على شاشة التلفزيون، حتّى إنها تضمّنت صورتي مع كيم جو. الصورة، التي لم يكن لديّ حتّى نسخة منها، والتي زُعم أنها صورة يون تشيريونج، والتي ظهرت على الشاشة، كانت القسّة الأخيرة.

كنت مرعوبة من الاعتقاد أنه بعد وفاتي، ستظل حياتنا المتشابكة ثابتة في مكانها إلى الأبد. كان ذلك أعظم من الخوف من الحقيقة. ولهذا السبب اتصلت بك. لكن كما تعلمين، ليس لديّ ما أثبتته سوى الحياة التي عشتها. لم يكن بوسعي فعل شيء سوى أن أحكي لك كل تفاصيل حياتي المترعة بالجروح.

أنا آسفة لأنني فرضت عليك المهمة التي كان يجب أن أقوم بها بنفسي. كان عليّ أن أكشف الحقيقة في الوقت الذي سيطرت فيه يون تشيريونج على زمام حياتي لأول مرّة. عندما تغيّرت يون تشيريونج، وأعدت كتابة تاريخها وتاريخ عائلتها، كان يجب أن أقول الحقيقة حتّى في ذلك الوقت. لكن في كل مرّة، كنت أغمض عيني، وأتنازل، وأسمح للأكاذيب بأن تغدو حقيقة.

الآن، أحاول الاعتراف أخيرًا بأشياء لم أتحدّث عنها من قبل. في الفيلم الوثائقي، جزء ممّا قيل إنه حياة يون تشيريونج كان بالتأكيد حياتي. ومع ذلك، وبخلاف الطريقة التي حاولت بها يون تشيريونج التخلّص من قدرها بصفقتها ابنة الفيكونت، فقد عشت مدّة من الوقت منغمسة تمامًا في هذا الاسم. على الرغم من أنه كان اسمًا مستعارًا، فإنه كان من الجيد بشكل لا يوصف أن أكون ابنة الفيكونت. لم يكن لدى كيم سونام قط الفرص، أو المكانة، أو الثروة، أو العائلة، أو حب الأب.... لو لم أكن مغرمة بيون جانجهوي، الذي

كان من السلالة نفسها، وإن لم يصبح لقب الفيكونت
وصمة عار، كان سيستهويني أن أعيش ابنة الفيكونت
إلى الأبد. وربما لم أكن سأتخلى عن هذا اللقب ليون
تشيريونج. زعمت سلفاً أن ذلك كان من أجل ابني،
لكن في الواقع، هناك حقيقة أخرى مخبأة في أعماق
قلبي جعلتني ألتزم الصمت بشأن أكاذيب يون
تشيريونج. هذا الاعتراف المخزي يجب أن يكون نهاية
قصتي. شكراً لك، يا دكتورة كانج، على إيمانك بقصتي
واستماعك باهتمام شديد. كيف يمكنني التعبير عن
مشاعري بالكلمات؟ أترك لك بعض الأعباء الثقيلة،
وأغادر هذا العالم بقلب خفيف، حيث سألتقي زوجي
وابني قريباً.

كيم سونام».

بينما تقرأ اعتراف سونام الأخير، انهمرت دموع الدكتورة كانج على
الرسالة. بطريقة ما، أصبحت الشخص الذي شهد الوداع الأخير لكل من يون
تشيريونج وكيم سونام. شعرت بالتعاطف الإنساني مع حياة تشيريونج بقدر
ما شعرت بالتعاطف مع حياة سونام. إن ما عانتها في أمريكا لم يكن بأي
حال من الأحوال أقل مما عاشته سونام. حياتها اللاحقة أيضاً، التي قضتها في
إخفاء أسرارها، لم يكن من الممكن أن تكون مريحة. أتاحت للدكتورة كانج
الفرصة لتوثيق حياتيهما وكان عليها اتخاذ قرار.

من ناحية، كانت هناك مهمة من السهل إكمالها وتأتي مقابل أجر كبير.
على الجانب الآخر، مثل حياة سونام، كانت رحلة صعبة حيث لم تكن تعرف ما
سيحدث. وبعيداً عن المكافأة، فقد تضطرت إلى دفع ثمن الكشف عن الحقيقة.
سيكون من الكذب القول إنها لم تكن قلقة بشأن القرار. حتى في أثناء لقائها

بسونام المسنة، كانت مرعوبة من اضطرارها إلى إخبار العالم بأن الفيلم الوثائقي الذي خطّطت له وكتبته كان زائفاً.

كان من المستحيل على تشيريونج أن تستبدل جزءاً من حياتها دون حدوث كسور متناهية الصغر ستؤدّي إلى انهيار مميت. منذ اللحظة التي بنت فيها ماضياً لنفسها بناءً على تجربة شخص آخر، أصبحت حياتها تشويهاً شنيعاً للحقيقة. تساهلها وضعفها أمام رغباتها لأن هذه الطريقة التي نشأت بها لا يمكن أن ينطبق عليها إلا عندما كانت طفلة. في النهاية، كان المرء مسؤولاً عن أفعاله، وعلى الرغم من أنها ربما عاشت حياة ناجحة في أعين الآخرين، فإنه كان على تشيريونج أن تتعامل -لحظة بلحظة- مع الوقت المتداخل الذي كان الجزء المتشابك من حياتها مع حياة سونام.

في النهاية، أدركت الدكتورة كانج أنها لو حذفنا الوقت الذي قضته مع سونام بوصفه شيئاً لم يحدث قط، فلن تتمكن أبداً من مسامحة نفسها. منحها اعتراف سونام الأخير الشجاعة لاتخاذ القرار الصحيح، ومنح المدير يون سيونج وو وأطفاله الفرصة لاختيار ما إذا كانوا يريدون اعتبار تشيريونج أم سونام جدّتهم.

ما أذهلها في مقابلة تشيريونج في المقام الأول لم يكن قصة نجاح كيف أصبحت عرّابة التعليم، لكن حياة سونام، التي استولت عليها. كانت الدكتورة كانج مبهورة بالرحلة التي رسمت من خلالها امرأة شابة، كانت لتعيش مدللة بين ذراعَي والديها في عالم اليوم، مصيراً انهار بعد ذلك مثل موجة عظيمة.

بينما في الوقت الحاضر، تعرّضت هذه القطعة الصغيرة من الأرض للتقسيم بحيث أصبحت مثل جزيرة، قصة كيف انطلقت سونام من الطرف الجنوبي لشبه الجزيرة الكورية قبل أكثر من سبعين عاماً، وعبر الحدود إلى منشوريا، واجتازت القارّة. ووصلت إلى أرض في الجهة المقابلة من البحر -على الجانب الآخر من الأرض- قبل أن تعود، تسارع خفقان قلبها بمجرد تخيل ذلك. الشخص الذي سافر حقاً على هذا الطريق لم يكن تشيريونج، التي سرقت ذكرياتها، لكن سونام، مع ندبة من طلق ناربي على كتفها. كيم سونام، التي كان دخولها الأول إلى العالم في حدّ ذاته صراعاً مع القدر.

بدلاً من كتابة سيرة ذاتية ليون تشيريونج، انطلقت الدكتورة كانج في رحلة طويلة رفقة سونام، متتبّعة آثار الحياة التي أصبحت محفورة على جسدها وروحها، والآن نسجتها في رواية ستكون بمنزلة بحث عن الحقيقة – عملية استعادة تلك الآثار. كانت قلقة بشأن قدرتها على القيام بذلك بإنصاف، بل وأكثر من ذلك، كانت تخشى من تجربة ثقل هذه الحقيقة. وعندما احتاجت إلى ذلك، نظرت إلى صورة سونام في إيركوتسك لتكتسب الشجاعة.

في استوديو التصوير في إيركوتسك، تقف سونام أمام صورة لبحيرة بايكال. جانجهوي يشاهدها، يبدو عصبياً. تدريجياً، تختفي التجاعيد والبقع الموجودة في الصورة. تصبح الزوايا البالية والمهترئة نظيفة ومستقيمة. الشكل الباهت يصبح أكثر وضوحاً. سونام البالغة من العمر تسعة عشر عامًا تبتسم ابتسامة عريضة، وتساءل: «إلى أين سنذهب بعد ذلك؟».

شكر و عرفان

أدين بالشكر العميق لكيم تايهي -رئيس التحرير في دار نشر ساكيجول، الذي كان أفضل داعم يمكن أن يتخيله كاتب طوال العملية الشاقّة لبعث الحياة في رواية «ألا يمكنني الرحيل؟!».

الفضل في وجود هذا الكتاب في حدّ ذاته يرجع إلى النساء الكوريات، بما في ذلك جدّتي، التي عاشت حياة صعبة في القرن الماضي، والباحثين الذين سجّلوا، ودرسوا تاريخ قصص هؤلاء النساء. أرسل إليهم جميعاً قدرًا لا نهائي من الاحترام والامتنان من هذا الجانب من الزمن.

أخيرًا وليس آخرًا، أرسل إلى زوجي دونجهي؛ وابني يوجين، وابنتي نوري؛ وزوجها ستيفن، كل الحب والامتنان الذي أستطيع إرساله.

جميع الحقوق محفوظة ©



أمسح الكود وانضم لأسرة ضاد
<https://t.me/twinkling4>

عن المترجم

محمد نجيب مترجم مصري من مواليد المنصورة 1992، ترجم العديد من الأعمال من الكورية والإنجليزية إلى العربية.
من ترجماته عن الكورية: الكتاب الأبيض، وأفعال بشرية (هان كانج).
وأرجوك اعتني بأمي، وسأكون هناك، وفتاة كتبت العزلة (كيونغ سوك شين).
والأرنب الملعون (بورا تشانج).
ومن ترجماته عن الإنجليزية: دماغ مشتعل (سوزانا كهالان)، وقتلوا أبي أولاً (لونج أونج)، والكونت الأسود (توم رايس)، ومسيح كتيب (فرانك هيربرت)، وبحر السكينة (إيميلي سنت جون مانديل).



LITERATURE TRANSLATION
INSTITUTE OF KOREA

نُرجمت بدعم من المعهد الكوري
للتُرجمة الأدبية



لي جيوم لي

ولدت في 4 يناير 1962 في منزل جدتها في إحدى القرى الجبلية الصغيرة في تشونجتشيونج بوك بكوريا. سرعان ما فتنتها سحر سرد الحكايات منذ سن صغيرة نظراً إلى قضائها طفولتها تحت تأثير قصص ما قبل النوم التي كانت ترويها لها جدتها. تعد لي جيوم لي الآن إحدى أبرز كاتبات أدب الأطفال والروايات التاريخية في كوريا. منذ ظهورها الأدبي الأول عام 1984، ألفت أكثر من خمسين عملاً أدبياً. تحظى لي بحب وتقدير القراء والنقاد الأدبيين على حد سواء. اقتبست العديد من كتبها للتلفاز والمسرحيات الموسيقية والرسوم المصورة. تعيش لي الآن في سيول بكوريا مع زوجها وابنها وكلبها لولو حيث تركز حياتها للكتابة.

ألا يمكنني الرحيل؟

تتشابك حياة وهويتا امرأتين - خلال الحرب العالمية الثانية والحرب الكورية- لتكشف عن الحقائق القاسية للانقسام الطبقي في الجزء الأول من القرن العشرين.

"ألا يمكنني الرحيل؟" تتبّع حياة ابنة أحد النبلاء الكوريين وخدمتها في أوائل القرن العشرين. عندما يُقبض على خاطب الابنة بصفته ناشطاً في مجال الاستقلال الكوري، وتورطها في أثناء التحقيق، سرعان ما تجبر على الزواج من أحد موظفي والدها اليابانيين وتُسافر إلى الولايات المتحدة. في الوقت نفسه، تُرسل خادمتها لتكون امرأة راحة للجيش الإمبراطوري الياباني. نساء الراحة كوريات استغلّهن الجيش الإمبراطوري الياباني بأبشع الطرق.

يتبع ذلك سنواتٌ بمزيج من المشقة ومحاولة النجاة، وحتى السعادة. في أعقاب الحرب العالمية الثانية، تعود المرأتان إلى الوطن، حيث يتعين عليهما تناسي الحياة المعقدة التي عاشتاها، في محاولة لاستعادة هويتهما، والعثور على مكانهما في كوريا المستقلة.

"ألا يمكنني الرحيل؟" عملٌ تاريخيٌّ استثنائيٌّ مليءٌ بالتقلبات والمفاجآت، المسرّات والأوجاع، يُسلط الضوء على تاريخ أمة: ألامها وكفاحها، لكن في الآن نفسه لا يفتشل في التركيز على حياة شخصيتيه الرئيسيتين.



9 789779 923192



aseeralkotb.com
contact@aseeralkotb.com
AseerAlkotb
AseerAlkotb
AseerAlkotb

ضياء
t.me/twinkling4